العناوين المقترحة لهذا الكتاب

- إخلاصٌ توَّجَهُ خلاص
- حفنة من المخلّصين
- ثُلّة من المخلَّصين
- أُناسٌ مُخلِصون غدَوا مُخلَّصين
- مُخلِصون من فئة مميّزة يَخلُصون
- من الطقوس إلى المسيح
- مُخلِصون يَخلُصون
- هؤلاء خَلَصوا
- مُخلِصون مُخَلَّصون

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صفحة الحقوق المحفوظة
أو
يطلب هذا الكتاب من ...
أو
العنوانان معاً

طباعة إي من جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية لكرازة بالإنجيل ولا يجوز إعادة نشر أو الإنترنت إلا بإذن خاص الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام. ومكتوب من الخدمة العربية لكرازة بالإنجيل الأسباب وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الشخصي فقط.

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

محتوى الكتاب

تمهيد	٥
مقدمة	٧
الى كلب ميّت مثلي	١٦
خلصت وانا اجري القداس	٢١
كنت أعمى والآن ابصر	٢٩
كنت يسوعياً ثم صرت ولداً من أولاد الله	٤٨
رحلتي عن روما	٦٢
خمسون سنة في كنيسة روما	٧٤
من التقليد الى الحق	٨٢
أسقف يجد أن المسيح هو الحل الحقيقي	٩٩
كنت كاهنا في اسبانيا	١٠٢
كلمة الله أتت لنجدتي	١٠٥
الكاهن الذي وجد المسيح	١١٠
دراسة الكتاب المقدس الكاثوليكي صدمت الكاهن العريق	١١٤
اهتداء كاهن كاثوليكي الى الايمان المسيحي	١١٧
وجدتُ كُلّ شيء إذ وجدتُ المسيح	١٢٤
طريقي الى فرح المسيح الكلي	١٢٩
خروجي من الجحيم والمطهر المزعوم	١٣٦
كنت أعمى أقود عمياناً	١٣٩
هذه قصتي	١٤٣
مواجهتي للحق	١٤٧
لماذا تركت كنيسة روما	١٥١
لم أكن معانداً للحق	١٥٤
كنت كاهناً رومانياً	١٥٧
لقد دعاني الرب	١٦١
خروجي من هاوية مروعة	١٦٦

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

لم أكن قد اهتديت الى الله شخصيا	١٧١
الحياة تبدأ بالنسبة الى كاهن يسوعي	١٧٦
اتباع المسيح بلا مساومة	١٨١
مخلص من نيران جهنم	١٩١
لم تنجح اساليب الاستاذ	١٩٦
لم افحص عقائدي طيلة عشرين سنة	٢٠١
ثلاث وعشرون سنة في الرهبنة اليسوعية	٢٠٥
لا تكتم شكوكك	٢٠٨
نفس كاهن	٢١٢
لقد رحمت	٢١٨
لو بقيت في الكثلكة لما وجدت المسيح	٢٢٧
النعمة والحق صارا لي بيسوع المسيح	٢٣٤
مقابلتي لله	٢٣٨
بالامس كاهن واليوم مرسل	٢٤٥
من روما إلى المسيح	٢٥٠
هوذا الكل قد صار جديداً	٢٥٥
كنت كاهناً لكن غير معروف عند الله	٢٦٣
نور يشرق في بولندا	٢٧٤
اختبار طريق دمشق الخاص بي	٢٩٩
من عزلة الدير إلى خدمة الغير	٢٩٩
الحق حررني	٣٠٤
استجابتي الثانية للمسيح	٣١١
من الديانة الميتة إلى الحياة الجديدة في المسيح	٣١٧
حر بالحقيقة	٣٢٦
ما كنت قط أكبر سنا من أعتنق الحق وأتخلى عن الضلال	٣٣١
حتى انا خلصني المسيح	٣٣٨
تذييل	٣٤٣

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

تمهيــد

لقد كانت قراءتي لهذا الكتاب مدعاةَ فرحٍ غامر وحزنٍ عظيم في آنٍ واحد. أمّا الفرح فلأنَّ في كلِّ فصل من هذا الكتاب مذكِّراً بماهية المسيحيَّة الحقيقيَّة. فالرسول بولس يُرسي في ١كورنثوس ١٥: ٣و٤ موتَ الربّ يسوع وقيامتَه باعتبارهما الحقيقتين الأساسيَّتين في الإيمان المسيحي. وعليه، فالمسيحيُّ الحقُّ هو مَن يُدرِك معنى الموت الذي ماته المسيح عوضاً عنه، ولكنَّه أيضاً مَن تحصَّل له اختبارُ معرفة المسيح بوصفه المخلِّصَ الحيَّ. فليس ملكوتُ الله أمراً نَدخله عند الموت، بل إنَّنا -على ما يعلِّمنا المسيح في يوحنّا ٣- ندخلُ ذلك الملكوتَ لحظةَ نُولَد من فوقُ ولادةً ثانيةً، وعندئذٍ نبدأُ أوَّلَ مرّةٍ "نَرى" الأُمور الروحيَّة. وهذا الكتابُ يضمُّ شهادات رجال كثيرين، مُعظَمُهم غيرُ معروفين بعضُهم عند بعض ومقيمونُ في أماكن متفرِّقة، حصلوا بنعمة الله على معرفة المسيح شخصياً بهذه الطريقة الحيَّةِ المُحيية. وهُم مَعنيُّون في هذه الصفحات بإعلان هذه الحقيقة لا لكي يجذبوا الآخرين إليهم شخصياً، أو إلى أيَّة مؤسَّسة، أو إلى أيَّة كنيسةٍ معيَّنة؛ بل إنَّ رغبتَهم القصوى هي إعلانُ شخص المسيح، لعلَّ الجميعَ في كلِّ مكان يُقبلون إلى التمتُّع بالفرح عينه الذي وجدوه هم.

وأمّا كون هذا الكتاب مُحزِناً أيضاً فلأنَّ فيه بُرهاناً على أنّنا قد نعتقد أنَّنا مسيحيُّون فعلاً، بل قد نكون أيضاً منهمكين في الخدمة في كنائسَ مُعترِفة، ومع ذلك نظلُّ في كُلِّ حين جاهلينَ حقيقــة الخــلاص، شأنُنــا شأن نيقوديموس في يوحنّا ٣. فها هنا رجالٌ تبيَّن لهم أنَّ الكنيسة التقليديَّة أبعدُ من أن تكون دليلاً أميناً يهدي الناس إلى المسيح، لكونها في الواقع تُضلِّلهم عنه. وعندَما كان "الكاردينال هِينان" يُحتضَر شهد قائلاً: "إنَّ الكنيسة قد أعطتني كُلَّ شيء". لكنَّما شهاداتُ هؤلاء الرجال ستدفع القُرّاء لأنْ يتساءلوا: أصحيح أنّ الكنيسة

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

المعترِفةَ تُقدِّم الحقَّ للناس؟ سؤالٌ لا تُمكِن الإجابةُ عنه إلاَّ إذا اتَّخذْنا كتابَ العهد الجديد دُستوراً لنا. وما دام الإنجيل هو الدستور، مقروناً بالصلاة الصادقة إلى الله طلباً للنُّور والعَوْن، فلا بُدَّ من أن تكون النتيجة هي عينَها، كما يظهر في حياة هؤلاء الشهود الخمسين. ولكنْ ينبغي لنا أن نتذكَّر أنَّ إمكان تضليل الناس لا يقتصر على الكنيسة التقليدية وحدها. ذلك أنَّ أيَّة كنيسةٍ لا يُعلِّم الناسُ فيها ألاَّ يضعوا ثقتهم في البشر، بل أن يضعوها بالأحرى في المسيح وحدَه، لهي في عمىً روحيٍّ مُبين.

إنِّي أومِن بأنَّ الله سوف يستخدم لمجده الكلماتِ التي تحفل بها الصفحاتُ التالية، لأنَّها ليست كلماتِ أُناسٍ يَسعَون إلى تعزيز أنفسهم. فما هي إلاَّ شهاداتُ رجال ما برحت رغبتُهم المُهَيمِنة أن يُكرموا المسيح وكلمته المقدَّسة. وفي الواقع أنَّ المسيحيَّ الحقَّ خاطئٌ مسكينٌ مفديٌّ، لأجله بذل **المسيحُ** كلَّ شيء.

ليت الله يستخدم هذا الكتاب لجلاء هذه الشهادة الصادقة في كلِّ مكانٍ من العالم.

إيايْن هـــ.مورّاي

"وكانت كلمة الله تنمو ... وجمهورٌ كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أعمال ٦:٧).

كما أطاعَ الإيمانَ الكتابيَّ كثيرون من الكهنةِ اللاويِّين في عصر الرُّسل، ما تزال عيونُ الكثيرين تتفتَّح اليومَ لترى عدم قيمة "الرداء" الكهنوتي التقليدي. وهذا الكتاب يقدِّم لنا مجرَّد عيِّنة. على أنَّ لنا ثقةً بأنَّ هذه البداءة المتواضعة سوف تكشف عن كثيرين آخرين لديهم شهاداتٌ مُماثِلة يؤدُّونها، ليس من بين الكهنة وحدهم، بل أيضاً من الرُّهبان والراهبات الذين دعاهمُ الربُّ حقّاً. فليس من شكٍّ في أنَّ ثمَّة "سحابة من الشهود" للمسيحيَّة الحقيقيَّة، وإن كانوا لا

مقدِّمـــة

لا بدَّ أن يُلاحظ القارئُ الكريم خيطاً مشتركاً يمتدُّ عبرَ اختبارات هؤلاء الرجال الخمسين من الكهنة السابقين، ألا وهو أنَّه كان لدينا جميعاً شوقٌ جَمٌّ لأن نكونَ مختلفين عمَّن حولَنا. فقد كُنَّا نريد أن نكون أكثر نقاوةً وقُرباً من الله. كُنَّا نريد أن نكون أحرارَ الضمير أمام الله. وقد سعَينا إلى الكهنوت اعتقاداً منّا أنَّه يُتيح لنا أن نقدِّم الخلاص شيئاً فشيئاً لإخوتنا البشر. كما أنَّ شرف الكهنوت وسحره قدِ اجتذبانا أيضاً، إذ كان الكهنةُ حوالَينا يَحظَون بإكرامٍ فائق وامتيازاتٍ خاصَّة. ثمَّ إنَّ سماع الاعترافات، ومنحَ غفران الخطايا، واستنـــزال المسيح على المذبح، وجلالَ كون المرء "مسيحاً آخر"، هذه كُلَّها خلَبْت ألبابَنا وجذبَتْنا. وعلى حدِّ ما قاله "اغْراهم اغرين" في روايةٍ ذاتِ صلةٍ بهذا الموضوع، جذبَنا ما في الأمر من "سُلطانٍ وبهاء". فلئن اختلفتِ اختباراتُنا، يبقى الخيطُ المشترك هو عينَه، كما يقول "خوسيه فِرنانْدِز" مثلاً:

"إنَّ بهاءَ الحياةِ الكهنوتيَّة، وضُروبَ السحِّر المنوطة بالدَّير، وخلاصَ نفسي، مرتسمةً على آفاق ذهني، دحرَتِ الحُزنَ الطبيعيَّ الذي غمرني لَمَّا غادرتُ أُسرتي ومرابعَ طفولتي".

وكما يقول" سَلسُو مونيز" أيضاً:

"منذ ولوديَّتي فما بعد، بحثتُ عن الحقيقة واليقين بلا هوادة. وفي رأيي الشبابيِّ كان الكهنوت هو الطريق الفُضلى لاختبار الحقّ وحيازةِ خلاص النفس. وقد قال لي أحدُ معلِّمي المدرسة مرّةً: إنَّ هلاك الكاهن أصعبُ من طُفُوِّ حجرٍ على سطح الماء!"."

وبرغبة المرء في أن يصير كاهناً اقترن أيضاً الطموحُ إلى ما يستدعيه مركز الكهنوت في الكاثوليكيَّة الرومانيَّة خصوصاً: "السلطان والبهاء" المنوطين

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

بنظام الأسرار المقدَّسة كلِّها، والعنصرُ المرئيُّ أكثر من سواه فيها هو الكاهن في المدينة أو الأبرشيَّة المحليَّة.

أمّا ما لم نَرَهُ في الكهنوت، صغاراً وأحداثاً وشبّاناً، فكان الأفكار الثابتة التي لم تكن تُفسَّر قطُّ ولكنَّها كانت تُعتبَر من المسلَّمات دائماً. وما كان مفروضاً على البديهة بغير تساؤل هو ما يلي:

١ – أنَّ العهد الجديد يشتمل على وظيفة كهنوتيَّة قربانيَّة؛

٢ – أنَّ حياة الكاهن تتمحور حول الأسرار المقدَّسة؛

٣ – أنَّنا كُنّا أوانيَ مؤهَّلة لتولّي هذا الشرف. وكُنّا جميعُنا قد بذلنا كلّ جهد لنكون "أطهاراً" حتّى بِتنا نعتقد على البديهة أنَّ موقفنا السليم أمام الله كان أمراً في وسعنا أن نستحقَّه.

١ – الوظيفة الكهنوتيَّة

هل يمكنك أن تتصوَّر صدمتنَا، نحن المُتباهين بكوننا كهنة، إذ نجد واحداً من أفضل علماء الكتاب المقدَّس عند الكاثوليك، "ريمون إ. براون"، في أوائل السبعينيّات، قائلاً لنا:

"حتى إذا انتقلنا من العهد القديم إلى العهد الجديد، يصعقنا أن نرى أنَّه ما من مسيحيٍّ فَردٍ يوصف بأنَّه كاهن، على الرغم من وجود كهنة كثيرين، وثنيِّين وآخرين يهود. فالرسالة إلى العبرانيين تتحدَّث عن كهنوت المسيح الأعلى بمقارنة موته ودخوله السماءَ بما كان رئيس الكهنة اليهوديُّ يفعلُه إذ يدخل قُدسَ الأقداس في خيمة الاجتماع مرَّةً في السنة بدم ذبيحةٍ يُقرِّبها عن نفسه وعن خطايا شعبه (عبرانيين ٩:٦و٧). ولكنَّ الجدير بالملاحظة أنَّ كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يربط كهنوت المسيح بالأفخارستيا أو العشاء الأخير، ولا هو يوحي أنَّ مسيحيِّين آخرين هم كهنةٌ على مثال يسوع.

"وبالحقيقة أن جوَّ المرّة الواحدة الحاسمة إلى الأبد، ذاكَ المحيطَ بالمسيح في العبرانيين (١٠:١٢–١٤)، قد قُدِّم تفسيراً لعدم وجود كهنةٍ مسيحيِّين في فترة العهد الجديد".

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

إنّما في الفصل عينه لاحقاً، يحتجُّ "براون" لكهنوتٍ مثلِ الرُّتبة اللاويَّة في العهد الجديد. وهو يُبرِّر نشوء هذا التعليم مستنداً إلى التقليد. ولكنْ حتَّى قليلو المعرفة بالكتاب المقدَّس بيننا يعلمون أنَّ الفرِّيسيين وضعوا التقليد في مرتبةٍ أسمى من مرتبة كلمة الله النقيَّة. وقد كان "براون" يهدف إلى إراحة ضمائرنا المضطربة، غير أنَّه أسهم إلى حدٍّ أبعد في زعزعة قناعتنا بأنَّنا كهنةٌ حقّاً. وما نصَّ عليه "براون" صحيحٌ وحقٌّ مُطلَق من الوجهة الكتابيَّة. فعدا الكهنوت الملوكيّ الذي يصحُّ على جميع المؤمنين الحقيقيين، ليس في العهد الجديد وظيفةٌ كهنوتيَّة خاصَّة؛ بل بالحريّ، كما تصرِّح رسالة العبرانيين بشأن كهنة العهد القديم، بمنتهى الوضوح: "وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء. وأمّا هذا، فمن أجل أنَّه يبقى إلى الأبد، له كهنوتٌ لا يزول. فمن ثَمّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كلِّ حين ليشفع فيهم" (عبرانيين ٧:٢٣-٢٥).

فما يوصف هنا بأنَّه "كهنوت لا يزول" يَعني في الأصل اليوناني "لا يحول ولا يؤول" (لا يتغيَّر ولا ينتقل). أمّا سبب كونه غير قابل للانتقال إلى الناس فهو أنَّ جوهره خاصٌّ بالمسيح، يُقيِّده ما جاء في الآية التالية: "... قدوس، بلا شرٍّ ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (ع٢٦).

٢ – الأسرار المقدَّسة محور حياة الكاهن

أمّا المُسلَّمة الثانية فأنَّ الأسرار المقدَّسة كانت، على ما تقول كتب التعليم المسيحيّ عندنا، "علاماتٍ خارجيَّة على نعمةٍ داخليَّة". وقد قام في أذهاننا أنَّ الأسرار المقدَّسة، بكلماتِ البند ٤٨٠ من قوانيننا العقائديَّة، "تُسهم إلى أقصى درجة في توطيد مشاركتنا الكنسيَّة وتعزيزها وإعلائها". وبالحقيقة أنَّ الأسرار بحدِّ ذاتها كانت في نظرنا لبَّ الخلاص والتقديس. فمثلاً، ينبِّه القانون ٩٦٠ بخصوص الاعتراف للكاهن على أنَّه "الطريق السويُّ الوحيد الذي به يتصالح مع الله الإنسانُ المؤمن الذي يعي فداحة الخطيَّة". فعوضاً عن إعلان عمل المسيح الكامل باعتباره الحلَّ لمشكلة طبيعتنا الخاطئة وسجلِّ خطايانا الشخصيَّة، تقيَّدت حياتُنا

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

كل يومٍ بهذه العَلامات المرئيَّة ودارَت في فلكها. ولمّا قرأ بعضُنا عند أفضل مؤرِّخ كاثوليكيّ "دولِّينغَر" أنَّ سرَّ فروض التوبة (الاعتراف) لم يكُن معروفاً في الغرب طيلة ١١٠٠ سنة، ولم يعرَف في الشرق قطّ، سَرَت قُشَعريرةٌ في أبداننا. فقد قال "دولِّينغر": "هكذا حال فُروض التوبة أيضاً. فما هو مُقدَّم باعتباره الشكل الأساسيَّ لهذا السِّر المقدَّس ظلَّ غير معروفٍ في الكنيسة الغربيَّة طيلة أحد عشر قرناً، ولم يُعرف قطُّ في الكنيسة اليونانية". كيف أمكن هذا؟ لقد أُعلِن أنَّ الأساقفة هم رؤساء كهنة "أوَّلاً وقبل كل شيء" (القانون ٨٣٥). أو لم يُعلَن أنَّنا نحن الكهنة أيضاً مُجرُو نظام الأسرار المقدَّسة؟ إنَّما في ضوء كلمة الله المقدَّسة، كان ذلك ضرباً من السِّحر وليس هو رسالة الإنجيل الصافية.

في العهد الجديد "علامتان" أسَّسهما الربُّ يسوع. ومع ذلك، فأهمُّ من هاتين العلامتين، في الكتاب المقدَّس، هي الرسالة التي تؤدَّى لها الشهادة. ولكنْ عندنا، نحن الكهنة، كانتِ الأسرار المقدَّسة في حدِّ ذاتها هي بيتَ القصيد. فكلُّ يومٍ يبدأ بالقُدّاس؛ وأوهامُنا من جهة الأسرار المرئيّة، باعتبارها نقطة الدائرة في حياتنا، انطلقت من اختبارنا. فكثيرون منّا، وقد مضت على كونهم كهنةً سنواتٌ طويلة، عمّدوا أطفالاً لا يُحصى عددهم، وتلَوا على رؤوسٍ لا تُعدُّ العبارة " إنِّي أحلُّك!" وقد مسحنا أياديَ كثيرين من الشيوخ والمرضى وضحايا الحوادث مردِّدين هذه العبارة :"الربُّ الذي يُعتِقك من الخطيَّة يُخلِّصُك ويُقيمك!" وسنةً بعد سنةٍ شهدْنا الأولاد الذين عمّدناهم أطفالاً يشبُّون على وثنيَّة لا تقلُّ عن الوثنيَّة الفعليَّة. وعشراتُ الآلافِ مِمَّن نطقْنا على رؤوسهم بحلِّهم من خطاياهم، نهضوا من جُثُوهم خَطأةً كما كانوا تماماً قبل سماعِهم كلماتِنا. ولمَّا لم يَنلِ المرضى والمِسنُّونَ الخلاصَ ولا "القيام" عندئذٍ تجرَّأ بعضُنا في الأخير على التفتيش في الكتاب المقدَّس، حيث اكتشفْنا ما يلي:

"الروح هو الذي يُحيي. أما الجسد فلا يُفيد شيئاً؛ الكلام الذي أُكلِّمُكم به هو روحٌ وحياة" (يوحنّا ٦:٦٣).

"أجاب يسوع وقال: الحقَّ الحقَّ أقول لك: إن كان أحد لا يولد من

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنّا ٣:٣).

"لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالايمان، وذلك ليس منكم، هوعطيَّة الله؛ ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

وقد هزَّت كياننا، أكثرَ كلِّ شيء، الكلماتُ التي جاءت في رسالة أفسس، ولا سيّما لأنَّ تعريفاتنا النموذجيَّة للأسرار المقدَّسة حدَّدتها بأنَّها "أعمال"، كما ورد في القانون الثامن الشهير من قرارات مجمع "اترانت":

"إن قال أحدٌ أنَّ الأسرار المقدَّسة في الناموس الجديد لا تُنقَل [باللاَّتيني: لا تُعمَل عملاً] بل إنَّ الإيمان بالوعد الإلهيِّ هو وحده كافٍ للحصول على النعمة، فليكُن أناثيما (محروماً)!".

حتَّى إنَّ مجرَّد البدء بالشكِّ في الأسرار المقدَّسة كان صعباً جدّاً. فمعظم وقتنا كانت تشغله هذه العلاماتُ المرئيَّة وسواها. مثلاً، خلال الصَّوم الكبير أو أُسبوع الآلام، كان علينا أن نُجريَ الترتيباتِ كي ندبِّر ونُسوِّيَ الزيت المُبارَك حديثاً، وشمعة الفصح، وموقد الفصح، والسعف، ورماد سعف السنة الماضية، وصليب الزيّاح، والمبخرة بجمرها وبخورها، والأثواب الأُرجوانية والحمراء والبيضاء. فأنَّى لأحدنا أن يجرؤ على سماع المبدإ الذي أعلنه الربُّ بكلِّ وضوح في يوحنّا ٦:٦٣؟

"الروح هو الذي يُحيي. أمّا الجسد فلا يفيد شيئاً؛ الكلام الذي أكلِّمكم به هو روحٌ وحياة".

غير أنَّنا قد سمعنا الكلام فعلاً، الأمرُ الذي تشهد لها شهادات هؤلاء الرجال الخمسين. فلقدِ اجتذبَنا الآب، مبيِّناً لنا تفاهتَنا وضآلتنا، وحقَّه الكافي الوافي في كلمة الكتاب المقدَّس القائلة:

"قدِّسهم في حقِّك؛ كلامك هو حقّ" (يوحنّا ١٧:١٧).

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

٣ – أوانٍ غير مؤهَّلة للكرامة

كانت المُسلَّمة الأخيرة هي الأدهى، لكونها الأكثرَ تجذُّراً فينا. فلمّا كنتُ ولداً، حتّى قبلَ عزمي على أن أصير كاهناً، اجتهدتُ بكلِّ جوارحي كي أصير "قدِّيساً". وخلالَ الصَّوم كنتُ أتخلَّى عن الحلوى والمشروبات المُحلاّة لأصير كاثوليكيّاً أفضل. وكنتُ أزور تسع كنائس في يومٍ واحد مصليّاً في كلٍّ منها "أبانا، ستَّ مرّات، و "السلام عليك يا مريم" ستَّ مرّات، و "المجد لك" ستَّ مرّات. وقد لعب بعضُنا لعبة "القداسة" بإعطاء أصدقائنا أقراصَ نعناعٍ بيضاء وهم راكعون أمامَنا كما لو كنَّا كهنةً نُناولهم.

ولما كُنَّا كهنة، فقد تحمَّس معظمُنا جدًّاً لمقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني. حتّى إذا طُبعتِ الوثائق، وعظ بعضُنا منها. وكانت إحدى أعمِّ الوثائق "الكنيسة في العالم الحديث". ولكنْ لّما فترت الحماسة، رأى مَن درسوها منّا أنَّها تنطوي على الرسالة عينها التي طالما عشْناها وكرزْنا بها. فقد جاء في البند ١٤: "على أنَّ الخطيئة جرَحتِ الإنسان. وحينما ينتهي إلى التفكير في ذاته الحقيقيَّة يتوجّه إلى قرارة كيانه، حيث ينتظره الله فاحصُ القلب، وحيث يقرِّر هو بنفسه مصيرَه الخاصّ في نظر الله".

وفي البند ١٧: "إنَّما بالحريَّة وحدَها يستطيع الإنسان أن يتحوَّل نحو ما هو صالح. فالإنسان يكسب كثيراً من الكرامة بعد أن يتخلَّص من كلِّ عبوديَّةٍ للأهواء، ثمّ يسعى قُدماً نحو غايته باختياره الحُرِّ لِما هو صالح، وباجتهاده وبراعته يضمن لنفسه على نحوٍ فعّالٍ الوسيلةَ المُفضية إلى هذه الغاية. وبما أنَّ الحريَّة الإنسانيَّة قد أوهنتها الخطيَّة، فبعون نعمة الله وحدها يُتاح للإنسان أن يُضفي على أفعاله علاقتها الكاملة والمناسِبة بالله".

فهذا النوع من التعليم الحديث بدا شبيهاً إلى أبعد حدٍّ بالرسالة القديمة. وقد تضمنَّت وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثاني الرسالة القديمة أيضاً. فالبندُ السادس من الوثيقةِ السادسة، الأقلِّ تداولاً، وهي تتناول "عقيدة الغفران"، يقول:

"منذ أقدم الأزمنة في الكنيسة والأعمالُ الصالحة أيضاً تُقدَّم إلى الله لأجل

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

خلاص الخَطأة، ولا سيمَّا الأعمال التي يستصعبها الضعفُ البشريّ. وبالحقيقة أنَّ صلوات القدِّيسين وأعمالَهم الصالحة عُدَّت ذاتَ قيمة كبيرة بحيث أمكن التأكيد أنَّ المُعترِف التائب قد غُسِّل وطُهِّر وافتُدي بمعونة الشعب المسيحيِّ كلِّه".

هذه التعاليمُ كلُّها عزَّزها رسالات أُعطِيَت في "لُورد" وفي "فاطِمَه". وقد كان جزءًا مهمّاً من المسلَّمة الثالثة والرئيسة لدينا أنَّ نفوساً عديدة تذهب إلى الجحيم لأنَّها تُعدَم مَن يُصلِّي لأجلها ويُكفِّر عنها. طبعاً، كانت النعمة من المسلَّمات. ولكنَّ الرسالة كانت واضحة: أنك أنت، بفضل آلامك وأعمالك الصالحة، مَن تستحقُّ الخلاص لنفسك ولسواك. هذا، أيُّها القارئ العزيز، هو الأُحبولة التي كان كلٌّ منّا عالقاً بها. فنحن الذين عِشْنا بمقتضى إنجيل الأعمال بكلِّ دقَّة كُنَّا متورِّطين أكثر من سوانا بأحابيلِ روما.

وقد كان قوامَ المسلَّمةِ الثالثة عنصران: (١) أنَّنا كُنَّا، على نحوٍ ما، قدِّيسين وصِحاحَ الموقف أمام الله القدُّوس لأنَّنا قد صلَّينا وعانَينا؛ (٢) أنَّنا سنظلُّ نمارس ديانتنا بوصفنا أُناساً أبراراً وقدِّيسين. ومن ثَمَّ غدا هذان العنصران سببَ خرابنا الأعظم. فعندما تعتبر نفسك بارّاً وصالحاً لكن "جريحاً"، ثُمَّ تقرأ في الكتاب المقدَّس مرقس ٧: ٢٠-٢٣: " إنَّ الذي يخرج من الإنسان ذلكَ ينجِّس الإنسان. لأنَّه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة، زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شرِّيرة، تجديف، كبريا، جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل، وتنجِّس الإنسان،" يصعب عليك التوفيق بين هذا وذاك. ثُمَّ حيث تقرأ أيضاً في إرميا ١٧: ٩ أنِ "القلب أخدع من كلِّ شيء، وهو نجيس، من يعرفه؟" يواجهك مفهومٌ للطبيعة البشريَّة مختلفٌ جوهريّاً وكُليّاً.

وعندما تكون قدِ اعتدتَ النظر إلى نفسك باعتبارك مُجاهِداً على الصعيد الروحيّ، ثمَّ تقرأ تكوين ٢: ١٧: "وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها، لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت،" لا يمكنك إلاَّ أن ترى أنَّ خطيَّة آدم جلبت الموتَ على جميع البشر، ولم تجعلهم "مجروحين" فقط. عندئذٍ يتولَّد لديك مفهومٌ مختلفٌ كُليّاً بخصوص ما أنت عليه أمام الله.

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

وحين تقرأ حزقيال ١٨:٢٠: "النفس التي تُخطئ هي تموت،" ثم تقرأ في رومية ٦:٢٣: "لأنَّ أُجرة الخطيَّة هي موت،" تقع في مأزق مُربِك. وهكذا كانت حالي: فإمّا عقيدتي الكاثوليكيَّة القديمة هي الحقّ؛ وإمّا الكِتاب المقدَّس هو الحقّ. احتمالان لا يُعقَل أن يصحَّا في آنٍ واحد.

وحينما تقرأ ١بطرس ١:١٨و١٩: "عالمين أنَّكم افتدُيتم، لا بأشياء تفنى بفضَّة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء، بل بدمٍ كريم، كما من حملٍ بلا عيب، دمِ المسيح".

وأيضاً حينما تقرأ إشعياء ٥٣:٥و٦: "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبجُبُرِه شُفينا. كلُّنا كغنم ضللنا؛ مِلنا كلُّ واحدٍ إلى طريقة، والربُّ وضع عليه ثم جميعنا،" ثُمَّ تُتبع هذا بقراءة ١يوحنّا ٢:٢: "وهو كفّارةٌ لخطايانا؛ ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كلِّ العالم أيضاً"، فحينئذٍ يترسَّخ لديك الاقتناع الذي بلغتُه أنا: أنَّ الكتاب المقدَّس ينصُّ على أنَّ الخلاص هو عمل الربّ وحده من دون سواه؛ الأمرُ الذي يُلخَّص في العبرانيين ١:٣: "... صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا...".

هذه الآياتُ كشفت لي حقيقة الخلاص والفداء: عمل يسوع المسيح الكامل!

أيُّها القارئ الكريم، لا تنسَ كـــون الله -كما يقـــول الوحـــي في رومية ٣:٢٦-"بارّاً ويبرِّر مَن هو مِن الإيمان بيسوع." فكيفيَّة خلاص الإنسان إنَّما هي من عمل الله. والخلاص هو عمل الله العظيمُ الكاملُ، على حدِّ ما تبيِّنه شهاداتُ حياة هؤلاء الخمسين. ها هُم خمسون رجُلاً يبسطون حياتهم أمام ناظرَيك. ويظهر في نسج هذه الحيوات الخمسين الخيطُ القرمزيُّ ذاتُه: نعمةُ الله المُهَيمِنة. فأمامه تعالى، كلُّ إنسانٍ ميتٌ في خطاياه، ولا أحدَ يخلُص بِسوى النعمة وحدها.

كُنّا، ونحن كهنةٌ كاثوليك، مُخلِصين ومكرَّسين ومتحمِّسين للكنيسة الكاثوليكيَّة. ثُمَّ -كما يقول "روبرت جولَين"- "اعتقلَنا الله". فإنِّي، بكلِّ محبَّة، أُهيب بك أن تقرأ قصَّة نعمة الله في حياة كلٍّ منّا، لأنْ هذه هي نبضاتُ قلبِ

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

هذا الكتاب.

إنَّ ما يقوله الكتاب المقدَّس في "الكهنوت" مقارنةً بمفهومنا نحنُ سابقاً بشأن "الكهنوت" سوف يتوضَّح لك بكلِّ جلاء فيما تُطالع هذه الشهادات الشخصيَّة التي أدلى بها رجالٌ اختبروا كلا الكهنوتَين، الزائفَ، ثُمَّ الحقيقيَّ الذي هو كهنوت جميع المؤمنين على أساس ذبيحة يسوع المسيح الحاسمة والنهائيَّة.

وخيرُ خلاصةٍ لما جرى في حياة هؤلاء الخارجين من الكهنوت التقليديّ نجدها في كلمات الربّ الواردة في ٢كورنثوس ٤: ١و٢: "من أجل ذلك، إذ لنا هذه الخدمة ،كما رُحِمنا، لا نفشل؛ بل قد رفضنا خفايا الخزي، غير سالكين في مكر، ولا غاشّين كلمة الله، بل بإظهار الحقِّ، مادحين أنفسنا لدى ضمير كلِّ إنسانٍ قدَّام الله".

جميع الحقوق محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل
All rights reserved © P.O.Box ٤٨٦ Dracut MA ٠١٨٢٦ USA
info@arabicbible.com

... إلى كلبٍ ميِّتٍ مثلي

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"روبرت آ. شامباين"

"كلُّنا كغنم ضللنا، ملنا كلٌّ واحد إلى طريقة" (إشعياء ٦:٥٣).

هذا الخروف أمعن في طريق ضلاله زمناً طويلاً جدّاً. وقد جرفه عماه وتيهانُه العاصي في المتاهات المظلمة التي حفلت بها الكثلكةُ وعلمُ النفس والدياناتُ الشرقيَّة وفلسفة العصر الجديد. وحقّاً علَّم الربُّ يسوع أنْ "لا يقدرُ أحدٌ أن يُقبل إليَّ إن لم يجتَذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (يوحنّا ٤٤:٦). فإذْ أتأمَّل ماضيَّ، يُسعِفُني على أن أُدرك أنَّه كان من المستحيل كليّاً أن أُقبِل إلى المسيح من تلقاء ذاتي. ذلك أنّ الراعي الصالح وجدني وانتشلني من أعماق الضلال، مخلِّصاً أيّاي من جهنَّم التي أستحقُّها بسبب خطاياي. ومن أعماق القلب الجديد الذي أعطاني إيّاه الربُّ يسوع، أستطيع أن أقول له ما قاله مفيبوشث لداود: "مَن هو عبدك حتّى تلتفت إلى كلبٍ ميِّتٍ مثلي؟" (٢صموئيل ٨:٩).

استيقظَتْ لديَّ الرغبة في أن أصير كاهناً لمّا كنت ابنَ خمس سنواتٍ أو ستّ. وبعد اثنتي عشرة سنة من الدراسة اللاهوتيَّة والتدرُّب (ستٌّ منها هُنا في شيرْبروك بكيوبك، وستٌّ في معهد سانت ماري في بَلطيمور بماريلاند) رُسِمتُ كاهناً كاثوليكيّاً في أُسقفيَّة مانشستر بنيو هامبشير، في السادس من أيّار (مايو) سنة ١٩٦٩. وقد كانت أبرشيَّتي الأولى "ابْلَسِّد سَكْرامِنت" في مانشِسْتر، مسقط رأسي.

في ذلك الوقت جدَّفتُ على كلمة الله في مئات المناسبات، في غمرة غيرتي وعلى غير علمٍ منّي، بتقديمي "ذبيحة القُدّاس غير الدمويَّة". إلاّ أنّ القُدّاس مناقض لكلمة الله التي تُعلِّم بمنتهى الوضوح أنَّه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩:٢٢). فما أغبى تكرارَ ذبيحة المسيح في حين يقول الله: "فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة" (عبرانيين١٠:١٠)؛ "لأنَّه بقربانٍ واحدٍ قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين" (ع١٤)؛ "وإنَّما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكونُ بعد قربان عن الخطيَّة" (ع ١٨).

كثيراً ما سألني الناس هل قرأتُ الكتاب المقدَّس ودرستُه إمّا وأنا طالبُ لاهوت وإمّا وأنا كاهن، وإن كان نعم فلماذا لم أُدركِ الحقّ؟ فأقولُ أوّلاً إنَّ الإنسان غير المولود من الله لا يُمكِنه أن يُبصر النور (١كورنثوس ٢:١٤). وثانياً إنَّ التقليد في النظام الكاثوليكي يُولَى مكانةَ الكتاب المقدَّس على حدٍّ سواء، الأمرُ الذي أكّده مجمع اترانت والمجمع الفاتيكاني الثاني كلاهما، وقد نصَّ الأخير على أنَّ "الكنيسة لا تستمد يقينها بشأنِ كامل الحقِّ المعلَن من الأسفار المقدَّسة وحدها" (المجمع الفاتيكاني الثاني، مادّة الإعلان الألهيّ، البند التاسع). غير أنَّ الربَّ يسوع قد قال: "حسناً ! رفضتُم وصيَّة الله لتحفظوا تقليدكم !" (مرقس ٧:٩).

فعلى الرُّغم من الحقيقة كون كلمة الله تُناقض بوضوحٍ ممارساتٍ ومؤسَّساتٍ مثلَ القُدّاس والبابويَّة والكهنوت، والصلاة للقدِّيسين، والاعتراف للبشر، والصلاة لأجل الموتى، والصلبان والصُّوَر وغيرها، فإنَّ التقليد الكاثوليكي يُعلي شأن هذه كلِّها ولو على حساب تحوير آيات الأسفار المقدَّسة أو تغييرها أو إسقاط جزء منها. فتأمَّل إسقاط الكثلكة للوصيَّة الثانية في سبيل ترويج الأصناميَّة بلا قيود. ذلك أنَّ كثيراً من كتب التعليم المسيحي الكاثوليكيَّة تحذف الوصيَّة الثانية القائلة: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما، ممّا في السماء من فوق،

وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنّ..." (خروج ٢٠:٤و٥).

بينما أكتب هذه الشهادة الموجزة، أُريد أن أوضح جيِّداً أنَّني لا أرغب على أيِّ وجهٍ في انتقاص الأفراد الذين ما زالوا في نظام الكثلكة. بل على العكس، إنَّ رغبة قلبي لهم هي أن يرجعوا هم أيضاً "من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله ..." (أعمال ٢٦:١٨).

يقول الكتاب المقدَّس: "قلب الإنسان يفكِّر في طريقه؛ والربُّ يهدي خطوته" (أمثال ١٦:٩). ففي العام ١٩٧٠ أرسلني مطراني إلى "دار أُوديسِّي" كي أتعلم كيف أخدم مدمني المخدِّرات. وقد أخرجني هذا الاختبارُ المؤلِم إخراجاً نهائيّاً من الكهنوت وأدخلني ديناً معاصراً اسمُه "علم النفس"، وكان بالنسبة إليَّ طريقاً مسدوداً آخر. وفي العام ١٩٧٤ أحالتني روما خادماً علمانياً.

وبعد سبع سنين من العمل بصفة معالِج للصحَّة العقليَّة، رجعتُ من جديد إلى الاهتمام بالناحية الروحيَّة. وهذه المرّة فقط سبرتُ أغوار السِّحر والتنجيم اللذين منهما نشأ "العلمُ" المدعوُّ علم النفس، على ما يتَّضح من سيرتيِّ "فْروِيـــد" و "يونغ". كذلك أيضاً تعمَّقتُ في دراسة الديانات الشرقيَّة. وبعد معاناتي الكثير للتحرُّر من الأوهام وإصابتي بالخيبة المريرة، سمعتُ بالحاجة إلى الولادة الثانية.

بل إنَّ إحدى الكنائس علَّمتني كما علَّمت سواي من الكاثوليك سابقاً، أنَّه في سبيل الخلاص ينبغي لنا أن نمارس ناموس الله بكلِّ جدٍّ واجتهاد لكي نكتشف شرّ قلوبنا، ومن ثَمّ نُقبل إلى المسيح. وقد كان هذا التعليم مناسباً تماماً لخلفيَّتي الكاثوليكيَّة حيثُ يُعتبَر "أناثيما" (محروماً) أيُّ مَن يؤمن أنَّ الإنسان يُحلُّ من خطاياه ويُبرَّر بالإيمان وحده: "إعمَل واعمل واعمل. قُمْ بدورك. أسهِم في خلاص نفسك بما تعمله!" غير أنَّ الخلاص للربِّ ومنه: "... الذين وُلِدوا ليس من دمٍ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يوحنا ١:١٣).

كم أشكرُ **راعي** نفسي على رحمته! فقد كان من حقِّه أن يتركني في خطاياي المستحقَّة للجحيم، تائهاً في قِفار أفكاري الدينيَّة المعاصرة. ولكنَّه عوضاً عن ذلك بيَّن لي أنَّني ميتٌ بخطاياي، و أنَّني لا أستطيع حتَّى الإيمانَ بغير عطيَّة نعمته. فقد دعاني بواسطة كلمته، وأعطاني قلباً منكسراً وروحاً منسحقة، ووهبني عطيَّة الإيمان (أفسس ٢:٨و٩). بلى، إنَّ يسوع "رئيس الإيمان ومكمِّله" غسلني من خطاياي بدمه الكريم. وما أعجب أن يسمع المرء قول الكتاب: "وأمّا أنتم فجنس مختار، وكهنوتٌ ملوكي، أمَّة مقدَّسة، شعبٌ اقتناء؛ لكي تُخبِروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (**١**بطرس ٢:٩).

لقد وضعني الربُّ هنا في كيوبك الكاثوليكيَّة. وأنا أسعى، مع زوجتي لوئيس، لإطاعته بأن نكون من شهودِهِ هنا. ونُصلِّي طالبين أن يرسِّخنا الربّ بثباتٍ ككنيسة محليَّة أمينة تعيش في القداسة. وتشتمل خدمتُنا على الكرازة بالحقّ في محبَّة إذ يفتح لنا الربُّ الأبواب، كما أنَّنا نستخدم المطبوعات في خدمتنا، وتدعو الحاجة إلى كثير من الترجمة، لأنَّ الكتب والكرّاسات الفرنسيَّة التي تبسط تعلم الخلاص بنعمة الله قليلةٌ جدّاً. وقد طلب منّا بعضُ الناس في مناطق أُخرى من كيوبك أشرطة عظاتٍ تبشيريَّة باللغة الافرنسيَّة. لذلك نرغب في إنشاء خدمةِ أشرطةٍ مسجَّلة وكُتب. كذلك نرغب في توفير سلسلة دروسٍ بالمراسلة من الكتاب المقدَّس، موجَّهة خصوصاً لمساعدة الكاثوليك. وهذه مهمَّات كثيرة يضيق بها وقتُنا القصير. ففي سبيل هذه الخدمة نعتمد كليّاً على معونة الله بنعمته، وهو أمينٌ حقّاً. إنَّما حاجتُنا القصوى إلى مجاهدين في الصلاة، إلى مؤمنين مثلِ أبفراس الذي قيل عنه: "... مجاهدٌ كلَّ حين لأجلكم بالصلوات، لكي تثبتوا كاملين وممتلئين في كلِّ مشيئة الله" (كولوسي ٤:١٢).

"فبما أنَّ هذه كلَّها تنحلّ، أيَّ أُناسٍ يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدَّسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب (يوم الله أصلاً) الذي به

(لأجله) تنحلُّ السماوات ملتهبةً، والعناصرُ محترقةً تذوب؟" (**٢**بطرس ١١:٣و١٢).

وماذا يكون لو رأى أكثرُ الناس الحقَّ كما لو كان خُرافة؟ ينبغي أن نعمل بقول الكتاب: "اخلصوا من هذا الجيل الملتوي" (أعمال ٤٠:٢)؛ "توبوا وارجعوا لِتُمحى خطاياكم" (أعمال ١٩:٣).

لا تقنعْ بالتقاليد التي تُبطل كلمة الله. لا تسترحْ على اعترافٍ بالإيمانِ سطحيٍّ نابعٍ من عقلك أو من إرادتك. بلِ اعمل بكلام الربِّ يسوع: "ادخلوا من الباب الضيِّق، لأنَّه واسعٌ الباب ورحْبٌ الطريق الذي يؤدِّي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه" (متّى ١٣:٧و١٤). "قال له يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يوحنّا ٦:١٤).

فبكلِّ قلبك اطلُب الربَّ في كلمته. اِلتفتْ إليه واستنجد به طالباً الحقّ، حتّى لا يخدعَك قلبُك الشرِّير ويُضِلَّك الزَّمنُ الشرِّير الذي تعيش فيه.

(الكاهن المولود ثانيةً: روبرت آ. شامباين)

خَلَصْتُ وأنا أُجري القُدّاس

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"فرانكو ماغيوتُّو"

لمّا كُنتُ دون العشرين من العمر، كنتُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وكنتُ متوجِّهاً إلى الجامعة لحيازةِ إجازة في الفلسفة، وناشطاً في منظمَّة تُدعى "العمل الكاثوليكيّ". وقد كنتُ نشيطاً جدّاً في الكنيسة الكاثوليكيَّة، ولكنَّ ذلك لم يُضْفِ على حياتي معنىً ما، إذ لم يكن في وسع ذلك كلِّه أن يخنق الشعور بالخطيَّة في أعماق قلبي. فقد ترسَّخ في نفسي عدمُ نفع أيِّ شيء، حتّى أخذ اليأس منّي كلَّ مأخذ.

كان لي كلُّ ما يتمنَّى الشابُّ حيازته. فقد كانت أُسرتي راسخة القدم في الأرض، كما نقول في إيطاليا، إذ كانت تملك المال، وتيسَّر لي كلُّ ما أردْتُ. لقد حصلتُ على كلِّ ما يخوِّلك إيّاه النفوذُ البشريّ، ولكن لم يكن لديَّ ما ينبغي للإنسان أن يمتلكه حتّى يعيش حقّاً. فربَّما كان لك كلُّ ما تريده، ولكنَّك تكون مجرَّد كائنٍ حيٍّ ولا تحيا فعلاً. إنّك لا تستطيع أن تحيا بغير معنىً للحياة: ذلك الإحساسُ بالحياة الذي لا يؤتيك إيّاه إلاَّ الحياةُ الآتية من فوق.

وهكذا قصدتُ إلى مطراني وأفضيتُ إليه بدخيلة نفسي. فقال لي المطران إنَّ كلَّ ذلك نافع، وإنِّي كنتُ شابّاً طيِّباً جدّاً، ولكن لا ينبغي أنْ تشغل فكري هذه الحماقة. وذلك لأنَّ يسوع المسيح، قبل صعوده إلى السماء، وضع سلطانه الشخصيَّ كُلَّه في يد بطرس، وفي يد البابا، وفي أيدي الرُّسل. ففي الكنيسة أجدُ ملكوت الله، وأجد كلَّ ما يتعلَّق بخطيَّتي. إذ إنَّ الكنيسة تملك في أسرارها المقدَّسة كلَّ ما يؤول إلى تطهير النفوس، ونفسي من جملتها، وما يؤهِّلني لإقامة علاقةٍ بالله

وثيقة. ففي وسعي استخدام الأسرار المقدَّسة لتطهير نفسي بأن أبلغ، عبر الأسرار، طريقاً مأموناً لملاقاة الله. وهكذا اخترتُ في الحال، كما يختارُ الشبّان بحماسةٍ مراراً كثيرة، أصعبَ ما تمتلكه الكنيسة الكاثوليكيَّة، فصرتُ ناسكاً، وانضَممتُ إلى صومعةٍ للنُّساك على تلٍّ بالقرب من روما. وكنتُ أستطيع أن أرى روما من هناك. وقد أخذتُ أحلق مرَّتين في الأُسبوع فقط. وكنّا نحلق شعرنا كُلَّه. ورحتُ أرتدي فقط ثوباً كبيراً مصنوعاً من الصوف، إيّاه ألبس صيفاً وشتاءً. ففي الصيف كان الحَرُّ رهيباً، وفي الشتاء كان البرد قارساً، والريح العاتية تهبُّ حيثما ذهبت. وقد كنتُ أقوم بهذا كلِّه من صميم قلبي لعلّي أُميتُ خطيَّتي بالقوّة الأرضيَّة، وبالإرادة البشريَّة. كان عليَّ أن أصِل إلى الله، وكدتُ أقتلُ نفسي.

وما كدتُ أُنهي السنة الأولى، حتّى قال لي الطبيب إنَّ عليَّ مغادرة المنسك. ففعلتُ وفي نيَّتي أن أعود إليه عندما أكبر. ثمَّ ذهبت للعمل في معهد اكليريكيّ لدراسة اللاهوت. وصرتُ كاهناً، فأُرسِلت إلى أبرشيَّة كبيرة كان فيها كاهنٌ آخر جاوز الثمانين، فكان عليَّ أن أقوم بكلِّ شيء.

حاولتُ أن أُعامل الناس بمنتهى اللطف. كنتُ حزيناً، ولكنّي عاملتهُم بالحُسنى؛ وشعرتُ بأنَّ الناس حواليَّ من كل جهة، فابتهجْتُ بكوني كاهناً، ولكنّي لم أكن سعيداً في قرارة نفسي وأعماق قلبي. وعلى الرُّغم من كلِّ ما فعلتُه، لم يكُن لديَّ ما يُمكّنني من ملاقاة الله. لم يكُن عندي أيُّ شعورٍ باليقين والأمان، فخطيَّتي ماثلةٌ أمامي. وحينما كنتُ أذهب لأسأل، كانوا يُشيرون عليَّ دائماً بقراءة بعضِ ما جاء في إنجيل لوقا، وقد شكّلت إحدى الآياتِ في الواقع حجر عثرةٍ أمامي.

كانت تلك الآية شعاراً يتمسَّك به دُعاةُ السلطان الدينيّ، ويرضى به العقلُ البشريُّ، وهي العبارة التي قالها المسيح لتلاميذه: "الذي يسمع منكم، يسمع منّي؛ والذي يرذلكم يرذلني؛ والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني" (لوقا ١٠:١٦).

وقد قال لي مطراني إنَّ يسوع المسيح، قبل صعوده إلى السماء، ترك لنا كامل سلطانه. وعليه، فإنْ كنتَ لا تُصغي إلينا، فإنّك لا تُصغي إلى المسيح. وإنِ احتقرْتَ المسيح، تحتقرُ الله. وهكذا خفتُ حتّى التفكيرَ، ولم يكُن عليَّ أن أُفكِّر، بل أن أثق بمطراني وحسْب.

ولكنْ ذاتَ يوم، وفي حالٍ من اليأس شِبه الكُلِّي، شرعْتُ وبعضَ الشُّبان بترجمة العهد الجديد من اليونانيّ. كان الأمر مُمتِعاً في البدء، ولكنْ كُلَّما تقدَّمْنا كُنّا نرى الهوّة تلو الهوّة. وأكبر هوّة رأيتُها كانت دائماً أن المسيح يُحاول كلَّ حين أن يدفع الناس نحو الله كي يُقابلوه، فيما كانت الكنيسة دائماً تحاول أن تجذب الناس إليها.

حتَّى إذا فرغْنا من ترجمة إنجيل متَّى أوّلاً، انزعج كاهنُ أبرشيَّتي كثيراً. وسببُ انزعاجه أنَّني شرعتُ في تعليم الناس الكتابَ المقدَّس! وقد قال لي: "إن عرف الناس ما نعرفه لا يرجعون إلينا أبداً ولا يأتون إلى الكنيسة البتَّة". ولكنْ لمّا وصلْنا إلى نهاية إنجيل متَّى، توضَّح لنا أمرٌ ما: لقد قال المسيح لتلاميذه: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس؛ وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلَّ الأيّام إلى انقضاء الدهر" (متّى ٢٨:١٩و٢٠).

بَلى، قال المسيح لتلاميذه: "الذي يسمع منكم، يسمع منّي؛ والذي يرذلكم يرذلني". ولكنَّه لم يقُل لتلاميذه قطّ: "اِذهبوا وعلِّموا ما تريدون. اِذهبوا وعلِّموا أيَّ شيء يجعل كلاًّ منكم رجلاً مهمّاً. اِذهبوا وعلِّموا ما يجعلكم كنيسةً أرضيَّة ذات نفوذٍ عظيم. اِذهبوا وعلِّموا أيَّ شيءٍ يُسعِد الناس. وإنِ احتقروكم، يحتقرونني أنا". بل لقد قال الربُّ يسوع: "اذهبوا ... وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به،" أي كُلَّ ما قد قلتُه لكم. وبطبيعة الحال، إذا ذهبتُم وقلتُم كلَّ ما أوصيتكم به، لا أكثر ولا أقلّ، فعندئذٍ إنِ احتقروكم احتقروني. وهكذا بدأتُ أفكِّر أنّه ما دامت الهوَّة موجودة فسأرى مزيداً من صُوَرها.

ومن ثَمَّ عكفتُ على قراءة كلمة الله بأكثرِ اجتهاد. وكلَّما قرأتُ توسَّعتِ الهوّة، وتبيَّن لي أنِّي كنتُ أكرز بأمورٍ مُناقضةٍ لي. ولم أعُد استخدم عظتي صباحَ الأحد لتعزيز سلطتي، بل كنتُ أستخدمُها ضدّاً لي.

في أوَّل الأمر عيَّنوا قُدّاس السادسة صباحاً، حيث يكون المُصَلُّون قليلين، ومعظمُهم نساءٌ يُصلِّين على سُبحاتِهنّ، وحيثُ يمكنني أن أصرخ وأصيح ما شئت. ولكن بعد بضعة أسابيع أُلغي قُدّاس السادسة صباحاً. فقد علموا أنَّ أمراً ما سيحدث، واستدعاني المطران والغضبُ بادٍ عليه. ثُمَّ أعلمني أنَّه نوى أن يُرسِلني إلى أبرشيَّة أُخرى. وهكذا رُقِّيتُ إلى أبرشيَّة كبيرة قوامها ٥٥ ألف نسمة في مدينة "إمبيريا"، فيها كنيسةٌ جديدةٌ وكاهنٌ يُعاوِنني، وما إلى ذلك.

هُنالك ألفَيتُ نفسي في مركزٍ جيِّد بالنسبة إلى شابٍّ مثلي. فأنا كاهن متقدِّم، ويروقُني أن يُحيط بي لفيفٌ من الكهنة، وأسمع الناس يقولون عنّي: "إنَّه صغير السنّ، وقد أُسندَت إليه وظيفة كبيرة. يا له من شابٍّ جميل!" ولكنَّني أخجل الآنَ إذ أتذكَّرَ ذلك. على أنَّني لم أكُن سعيداً في قرارة نفسي. ومِن ثَمَّ حاولتُ أن أُقدِّم بعض الدُّروس التفسيريَّة النقديَّة، ساعياً إلى استنتاجٍ تعليمي من الأسفار المقدَّسة. وكلمَّا فعلتُ ذلك اجتذبتُ الناس. وقد كانوا أحياناً يأتون راكبين الباصّات. إلاَّ أنَّني جلبتُ عليَّ غضب رؤسائي أيضاً. وقال لي الكاردينال إنَّ الحقَّ غير موجود خارج الكنيسة، كما قال لي إنَّ المسيح لمّا صعد إلى السماء وضع سلطانه في أيدي الرسل، لذلك يجب على المسيحي أن يلتمس من الرسول، الذي هو البابا، الإرشاد والتعليم والوعظ والتوبيخ، وهلمّ جرّاً. وهكذا عُدتُ إلى أبرشيَّتي، إلاَّ أنَّ الرعيَّة دفعتني، والشباب دفعوني. فقلتُ لهم إنَّني عندما نجتمع معاً سأفتح الكتاب المقدَّس لأرى ما يفعله الربّ. ومن ثَمَّ رُحنا نجتمع مع الشباب. وأذكر الآن كيف فتحْنا الكُتب إلى رسالة غلاطية، وبدأتُ أقرأ الأصحاح الأوَّل. ولَمّا قرأتُ الآية الثامنة عَجَزتُ عن المتابعة: "ولكن إن بشّرناكم نحن، أو ملاك من السماء، بغير ما بشّرناكم، فليكن أناثيما (ملعوناً ومحروماً)". فقد صُعِقتُ، بكلِّ

معنى الكلمة. ها هو الرسول بولس الذي عانى كثيراً لبُنيان مخدوميه وترسيخهم في الحقّ، والذي أحبّهم أكثر من ذاته وحياته، يقول لهم: "إن أنا بشّرتكم بأيِّ إنجيلٍ مختلف، فارفضوني وأرذِلوني". إن بشَّركم أيُّ رسولٍ آخر بأيِّ إنجيلٍ مختلف، فصُدُّوه وانبذوه لأنْ لا خلاصَ في الرسل.

ولا خلاصَ أيضاً في ملاكٍ يأتي من السماء

بل إنَّ لنا الخلاص في كلمة الله المُبارك. وهكذا قلتُ لنفسي: الآنَ علمتُ أين أبدأ، وأين أجد الحقّ. ومضيتُ مع رعيَّتي في هذا السبيل. وكان مِطراني ذكيّاً، فعرف كيف يوقفني. فقد قال لي: "أنت متكبِّر مكابر، مَن تظنُّ نفسك؟ أتعتقد أنّك تستطيع أن تفهم الكتاب المقدَّس أفضلَ ممّا أفهمُه أنا أو يفهمه البابا؟" وحين قال المطران إنَّني متكبِّر، علمتُ أنِّي متكبِّر. علمتُ أنّي أُحِبُّ منصبي، ولكنَّني آنذاك علمتُ إلى أين أتوّجَّه لأعرف الحلّ- **إلى الحقّ**. علمتُ أنِّي مُستعطٍ، و أنَّي خاطئٌ مسكين، و أنَّ الخطيَّة ما تزال حاضرةً لتدميري.

ثمَّ توجَّهتُ إلى كتاب العهد القديم لعلِّي أجد أين قال الله للأنبياء، أو للآباء؛ اِذهبوا وفسِّروا كلمتي. ومضيت أبحث عن الموضع الذي يُشير إلى تخلِّي الله عن سلطانه في تفسير كلمته، لكنَّني لم أجد كلاماً من هذا النوع. ومن ثَمّ تحوَّلت إلى كتاب العهد الجديد، وهُنا أيضاً لم أَعثر على أيَّة آيةٍ، ولا على أدنى فكرةٍ، توحي أنَّ الربَّ يسوع تخلَّى عن سلطانه في تفسير الكلمة المقدَّسة. فهو لم يقُل للرسل قط: اِذهبوا وفسِّروا كلمتي المقدَّسة. ثمَّ رأيتُ أمراً بمنتهى الوضوح. لستُ أدري هل هو واضحٌ عندك. ولكنَّه اتَّضح لي يومذاك بكلِّ جلاء من خلال يوحنّا ١٤:٢٦، حيث يقول يسوع المسيح للرسل قبل صعوده إلى السماء: "وأمّا المُعزِّي، الروح القدس، الذي سيُرسله الآبُ باسْمي، فهو يعلِّمكم كلَّ شيء، ويُذكِّركم بكلِّ ما قلتُه لكم". ليس "بِاسْم البابا" أو "بِاسْم المطران" أو "بِاسْم

بطرس الكاثوليكيّ"، ولا باسم القسِّيس"، بل "باسمي". "هو يعلّمكم"، فهو المفسِّر. إذاً، لم يتخلَّ الله قطُّ عن سلطانه في تفسير كلمته المقدَّسة.

ومن ثَمَّ آتاني ذلك كثيراً من الشجاعة. طبعاً، واجهتْني مشاكل. فقد أُبعِدتُ إلى كنيسة أُخرى، بل إلى أبرشيَّة قديمة تضمُّ تسع كنائس. إذ خُيِّل إليهم أنِّي أُبدِّد طاقتي بكثرة التجوال، واستنفد طاقتي الفكريَّة فأكفّ عن درس الكتاب. غير أنَّني ذهبت وتدبَّرتُ أمر الوعظ. ولكنَّني لم أكن سعيداً في معظم الأوقات، بسببٍ من خطيَّتي. لقد بتُّ أعلَم أين أجد الحقّ، ولكنْ ماذا أفعل بشأن خطيَّتي؟ وما هي حالُ نفسي؟ كنتُ أقضي ليالِيَّ جاثياً أمام المذبح، وكان وكيل الوقْف يساعدني في الصباح، إذ كنتُ أجثو هنالك أحياناً حتَّى الصباح. إلاَّ أنَّ الربَّ تحنَّن عليَّ، فرحِمَني حتَّى وأنا أُجدِّف.

أذكُر ذات يومٍ أنِّي كُنت أترأَّس قداس الترتيل عند الساعة الثانية عشرة ظُهرَ يومِ أحد. كان يرافقني كاهِنان، وقد وقفت جوقة الترنيم باللباس الأبيض، خمسةٌ وعشرون من هُنا وخمسة وعشرون من هناك، وقد عَلَتِ الأصوات بأجملِ ترنُّم. وكنتُ عند قاعدة المذبح، أُصلِّي: "أنتَ إلهٌ قاسٍ، لماذا لا تقتلُني هنا؟ لماذا لا تُهلِكُني؟" وبينما أنا أغسل يديَّ على المذبح، قرأ أحدُ الشبّان عبرانيين ١٠:١٠، فهزَّني ذلك حتّى الأعماق، وصعق عقلي. وإذ كنتُ أخوض في قلبي صراعاً مريراً، رنَّت في مِسمعيَّ كلماتُ القارئ. "فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون، بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّةً واحدة". فتضاعفت صعقتي حالاً. "أيُّها الإنسان الغبيُّ التافه، أتعتقد أنِّي قدَّمتُ حياتي عبثاً؟ أتظنُّ أنَّني كنتُ أُخلِّصك بلا شيءٍ ولو قال الجميعُ خلاف هذا؟ أيُّها الإنسان الغبيُّ، مَن تحسب نفسك؟ لقد خلَّصتك لأنِّي أردتُ أن أُخلِّصك، لأنِّي أُحبُّك!" وعندئذٍ تردَّدت في ذهني كلماتٌ كأنَّها طَرقاتُ مِطرقة: "وكلُّ كاهنٍ يقوم كلَّ يوم ويقدِّم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتَّة أن تنـــزع الخطيَّة". إذ ذاك خاطبتُ الكاهِنَين المرافِقَين لي قائلاً: "هل تسمعانِ صوت الربّ؟ هل سمِعتُماه؟" ثُمَّ رُحتُ أُحدِّق إليهما كما

راحا يُحدِّقان إليَّ مُحَملِقَين، فأضفتُ: "انظرا ما هو مكتوبٌ هنا. لقد أكمل الربُّ يسوع العمل، ونحنُ عديمو النَّفع!" ثُمَّ أجَلْتُ نظري في أرجاء تلك الكنيسة الكبيرة، فإذا الناس هنالك يتنهَّدون ويبكون، فقُلت لهم: "لقد أكمل الربُّ العمل، وهو يقول: لن أعود أذكُر خطاياهم بعد. هو أكملَ العمل، ونحن عديمو النَّفع". ثمَّ تنبَّهتُ إلى أنِّي كنت أبكي وأضحك معاً. أخيراً توضَّح في ذهني أمرٌ: لقد صُرِفتُ من خدمتي، ولكنْ لم يكُن أحدٌ أسعدَ منِّي حينذاك. ما مِن أحدٍ يُصرَف من خدمته ويفرحُ مثلَ فرحي إذ يتأكَّد له صرفُه من الخدمة. فمرّةً واحدة، مرّةً وإلى الأبد، أكملَ الربُّ عمل الخلاص.

قالوا إنِّي مريض، وإنَّ تلك المسؤوليّات أثقلُ من أن يتحمَّلها شابٌّ في سنِّي. ولكنِّي على كلِّ حال كنتُ في غاية السرور والسعادة. وإذا بي أُحاول أن أُخبر مطراني الخبرَ عينه حينما جاء لرؤيتي. ومع أنَّ رؤسائي لم يريدوا أن أستعفي، فلم يعد باستطاعتي أن أُجري القُدّاس لأنِّي قد صُرِفت من الخدمة. وهكذا أسندوا إليَّ إدارة كليَّة كبيرة فيها ثماني مئة شابٍّ وشابّةٍ، معلِّمونَ وطلاّب وما إلى ذلك. وذهبتُ إليها، إلاّ أنّي لم أكن أرغب في حضور القُدّاس. حتّى إنِّي حاولتُ تعليم الآخرين والراهبات، فأصغَوا إليَّ جيِّداً. وفي مساء يوم سبت، جاء الناسُ للاعتراف. فجعلتُ أُحادثُهم: "لماذا أنت هُنا؟" "لأعترفَ بخطاياي". "هل تحبُّ المسيح؟" "نعم!" "لِماذا تحبُّه؟" "لأنَّه مات من أجل خطاياي". "ما دام قد مات من أجل خطاياك، فاذهب واحمَدْه. لماذا تأتي إليَّ لتُطلِعَني على خطاياك؟ ما شأني بخطيّتك؟" وهكذا مضى الاعتراف بسرعة بالغة. ولكنَّ الراهبات ذهبن إلى المطران. وأخيراً تبيَّن لي أنَّ الجميع لم يستطيعوا أن يفهموا ما جرى. وهكذا تركتُ الكنيسة الكاثوليكيَّة إلى الأبد، وتبعني كثيرون من ابناء رعيَّتي.

لقد درستُ في جامعة روما، وفي انكلترا، وفي هولندا. واعتقدتُ أنَّ كثيرين من البروتستانت قد طرحوا الكتاب المقدَّس جانباً. غير أنِّي التقيتُ عدداً كبيراً من المسيحيِّين المولودين ثانيةً، مِمَّن استطعتُ أن أقول لهم: "إلهكُم إلهي،

وشعبكم شعبي". وهكذا يتوافر لي الآنَ مقدارٌ كبير من الشركة المسيحيَّة، وأنا على اتِّصالٍ بكثيرٍ من الكهنة. فمنذ سنتين وعظتُ ثلاثةَ آلاف كاهن في روما. وتتنامى في أماكنَ مختلفة من إيطاليا جماعاتٌ مسيحيَّة كثيرة. حقّاً إنَّ رغبتي هي أن أَهدي الكاثوليك إلى المسيح، ساعياً لهداية البابا بالذات إن أمكن!

(الكاهن المولود ثانيةً: فرانكو ماغيوتُّو)

كنتُ أعمى والآن أُبصر

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"خوسيه آي فِرْناندِز"

لقد وُلِدت أعمى، لا جسديّاً بل روحيّاً، عام ١٨٩٩، في منطقة من المناطق الجبليَّة الوعرة في أستورياس، وهي تُدعى بحقّ "سويسرا الاسبانيَّة".

كان والداي كاثوليكيَّين تقيَّين لهما إيمان "عامل المنجم" الذي ذكرَتْه القدِّيسة تيريزا الأفياليَّة. ذلك أنَّهما كان يؤمنان إيماناً مطلقاً بكلِّ ما تؤمن به الكنيسة الكاثوليكيَّة وتعلِّمه. ففي الواقع أنَّهما كانا يملكان إيماناً أعمى نقلاه إلى أولادهما السبعة عشر. وعليه، فقد وُلِدتُ في بيتٍ اخترقت فيه الكثلكة قلب الفرد وعقله، بل جسدَه أيضاً، ورضع الطفلُ فيه مع حليب الأُمِّ المحبَّةَ والتعبُّد لمريم والقدِّيسين جميعاً: بيتٍ ما يلبث ذهنُ الولد فيه أن ينطبع بقِيَم المداليات والأوشِحة والسُّبْحات والإيقونات ونحوها، وكلمةُ الكاهن فيه قانونٌ يجب أن يُطاع.

وبقدْر ما تُسعِفُني الذاكرة، كان لديَّ ميلٌ قويٌّ إلى كلِّ ما يتعلَّق بالكنيسة والكاهن، وقد عُلِّمتُ ان أحترمَه ككائنٍ بشريٍّ متفوِّق مجرَّدٍ من الحاجات والضعفات البشريَّة المألوفة. وقد كانت بهجتِي القُصوى أن أخدم كصبيٍّ عند المذبح، معتبراً ذلك امتيازاً وشرفاً عظيماً، ولا سيَّما لاضطِراري إلى النهوض باكراً والمشي مسافةَ ثلاثة كيلومترات في الثلج وشعاب الجبال كي أُعاون الكاهن في القدّاس. حتّى إذا بلغتُ السابعة من العمر بتُّ قادراً على مجاوبة صلوات الكاهن باللاَّتينيِّ.

كانت الصلوات العائليَّة تُقام كلَّ ليلة بغير استِثناء، وقوامُها تلاوة السُّبحة وابتهالاتٌ متطاولة إلى جميع القدِّيسين، حيث تجتمع العائلة كلُّها، بما فيها

الصِّغار، في المطبخ الذي كان بمثابة غرفة جلوسٍ أيضاً. جماعةٌ من المصلِّين لا بأس بها! وما إن يسحب الوالد السُّبحة من جيبه، حتّى نخرّ جميعاً جاثين على الأرضيَّة الحجريَّة العارية، مستعدِّين للمِحنة التي كانت تدون ثُلثَي الساعة عادةً. وما كان أصعبَ تلاوة صلاة السُّبحة المؤلَّفة من "قانون الإيمان الرسولي"، و ٥٣ "السلام عليك يا مريم"، وستّة "المجد لك" و خمسة "أبانا"، و "السلام أيتها الملكة المقدَّسة" مرّة واحدة، وابتهالات العذراء المباركة! إلاّ أنَّ الأصعب من ذلك بعدُ كان ما يلي السُّبحة المعتادة من سلسلة صلوات تبدو بلا نهاية وتُرفَع إلى مختلف "العذارى" والملائكة والقدِّيسين المعروفين بشفاعتهم الخاصَّة وقدراتهم على الحماية في ظروف الحياة كلِّها وتقلُّباتها المختلفة.

وقد كان والدي على الخصوص رجلاً ذا إيمانٍ أعمى بكلِّ ما تُعلِّمه الكنيسة. ولن أنسى أبداً يومَ الرابع عشر من آب (أُغسطس)، عشيَّة عيد صعود العذراء المباركة مريم، شفيعةِ القرية، وكان يومَ صومٍ وقِطاعة في الكنيسة الكاثوليكيَّة (حيث لا يُسمَح للمؤمنين بأكل اللحم أو ماً طُبِخَ بلحم). في ذلك اليوم، إذ كان أبي يعمل في الحقل على بُعد ثلاثة كيلومترات من البيت، حملتُ إليه غداءَه في سلَّة. وحالما قعد ليأكل، لاحظ أنَّ الطعام كان طبيخاً بلحم، فلم يمسَّه، وظلَّ صائماً حتّى المساء. وقد قال لي: "كان عليَّ أن أشتري البُولا، ولكنَّها غالية". أمّا "البُولا" فهي وثيقةٌ تبيعها الكنيسة الكاثوليكيَّة في اسبانيا تُبيح لشاريها أكلَ اللحم في الأيّام التي فيها تمنع الكنيسةُ أكله بمقتضى قانونها العامّ. وفي الواقع أنَّ أربع "بُولات" تُباع في اسبانيا: بُولا الصليبيَّة المقدَّسة (تمنح الشاري غفراناتٍ كثيرة)؛ وبُولا اللحم (تُبيح أكل اللحم في أيّامٍ معلومة)، وبُولا المُنشآت (تسمح لحائزها الاحتفاظ بأيِّ عَقار تمَّ الاستيلاء عليه بالاحتيال ولا يُعرَف مالكُه الشرعيّ) ثُمَّ بُولا الوفاة (لمصلحة المتوفَّين).

هذا، وقد تركَّزت حياتي الدينيَّة الباكرة على حَدَثٍ رئيسيٍّ واحد كلَّ سنة، هو مهرجان عذراء الفجر، تخليداً لذكرى صعود مريم إلى السماء، وذلك في

الخامس عشر من آب (أُغسطس). وقد كانت سيَّدةُ الفجر شفيعة منطقتنا. فحسَبَ الأُسطورة، ظهرتِ العذراءُ لراعٍ في جبلٍ مجاورٍ اسمُه "ألبا"، أي "الفجر". وشُيِّد مزارٌ في ذاك الموضع تكريماً لذلك الظُّهور. ثُمَّ باتَ يُقام كلَّ سنة مهرجانٌ يتخلَّله تمثيلٌ دينيّ وزِيّاح، حيث يتقاطر أُلوف الحُجّاج لزيارة ذلك المعبد مُقبلين من أماكنَ قريبةٍ وبعيدة. وكانت تمثالُ العذراء، المُلبَسُ أفخرَ لِباس، يُحمَل في زيّاحٍ حول سفح الجبل، وسط إكبار المتعبِّدين الذين جاؤوا إمّا للصلاة وإمّا لتأدية التشكُّرات على معجزاتٍ حصلت سابقاً. ولكلِّ منطقةٍ في اسبانيا، على الأقلّ، واحدةٌ مثلُ هذه العذراء العجائبيَّة. ألا إنَّ عذراء "فاطمة" مُستَنسَخةٌ مئاتِ المرّات!

لئن كان اللاهوت الكاثوليكيّ يُميِّز بين التمثال والشخص الذي يُمثِّله، ففي الممارسة يظلُّ هذا التمييز ضرباً من الأوهام. فعلى الرُّغم من التعليم النظريِّ الذي تلقَّيتُه في دروس التعليم المسيحيّ، لم يقُم في ذهني أدنى شكٍّ بأنّنا، أنا وأولئك الجبليِّين البُسطاء، كنّا نعبد التِّمثال نفسَه. وقد أُضفِيَت في مُعتقَدِنا على الناحية الملموسة من الشَّخص قوَّةٌ خارقة، لأنَّه لم يكن حتّى تمثالاً بالمعنى الدقيق. إذ كان قوامه بضع عصيٍّ رُتِّبت بحيثُ تبدو كهيكلٍ عظميّ، وقد زيدَ عليه وجهٌ نسائيّ. ثُمَّ أُلبِس ذلك "التمثال" حريراً وذهباً. وأذكُر أنّي صُدِمتُ صدمةً كُبرى لمّا رأيت ذات يومٍ سيِّدات المذبح ينــزعن لباس التمثال، ولاحظتُ أنَّ عذراء أحلامي كانت مجرَّد دُمية كبيرة. صورةٌ ذهنيَّة لم تُفارِقْني منذئذٍ!

لمّا لاحظ كاهن الأبرشيَّة ميولي الدينيَّة، طالعني بفكرة الدراسة لأصير كاهناً. وإذ وجَّهني رأيي المُجلُّ لتلك الوظيفة، امتثلْتُ نصيحتَه حالاً؛ الأمرُ الذي أفرح كثيراً أبي المتديِّن جدّاً، وإن روَّع أُمِّي المتديِّنة مثلَه، وقد عارضَتِ الفكرة بوحيٍ من غريزة أمومتِها ومحبَّتها لي.

راهبٌ ثُمّ كاهن

في الثانيةَ عشرةَ من عُمري، غادرتُ بيتي وأبي وأُمِّي وإخوتي وأخواتي، على ألاَّ أراهم مرّةً أُخرى. فإنَّ بهاء الحياة الكهنوتيَّة، وضُروب السِّحر المنوطة بالدَّير، وخلاصَ نفسي، مرتسمةً على آفاقِ ذهني، دحرتِ الحُزنَ الطبيعيَّ الذي غمرني لّما غادرتُ أُسرتي ومرابع طفولتي.

أُرسِلتُ إلى ثانويَّة تقع في مقاطعة "فالاّدوليد"، يديرها كهنةٌ تابعون للرهبنة الدومنيكانيَّة وتُعنى بتدريب الصِّبية الذين يُخصِّصهم آباؤهم للكهنوت. وفي أثناء السنوات الأربع التي قضيتُها هناك، لم أدرسْ فقطِ الموادَّ التي تُدرَّس في جميع الثانويّات، بل أصبحت أيضاً متضلِّعاً من التعليم المسيحيِّ الكاثوليكي. هنالك أحكمتِ الكثلكةُ قبضتَها عليَّ جسداً وروحاً؛ وهنالك زُرِعَت بذور التعصُّب في نفسي، إذ إنَّ التعليمَ الدينيَّ الذي تلقيَّتُه أصرَّ على أنَّه ليس ليسوع المسيح إلاَّ كنيسةٌ واحدة حقيقيَّة فقط، هي "الكنيسةُ المقدَّسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة". وهنالك صُوِّر الله لذهني الغضِّ قاضياً مستعدّاً لمجازاتنا حسب أعمالنا، إلَهاً غضوباً تسترضيه الأعمالُ الصالحة وفروض التوبة والإماتة.

وفي وسع المرء أن يعي جيِّداً القبضةَ التي بها تأسرُ الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ نفسَ كلِّ اسبانيّ، ولا سيَّما المرشَّحين للكهنوت، إذا كان قد تربّى منذ الولوديَّة في جوٍّ مثلِ هذا تسودُ فيه أفكارٌ كتِلك. ولعلَّ في هذا إيضاحاً للسبب الذي دفعَ في القرون الماضية أهلَ اسبانيا، وطني الأصليِّ، إلى إحراق البروتستانت مربوطين بعمود، وإلى اضطهاداتهم في الزمن الحاضر.

كانت سِيرتي، في السنتين الأولَيين من تدريــبي، سيرةً مثاليَّة في مراعاتي كلَّ قاعدة، وفي عكوفي على دروسي؛ وقد كوفئت في بضع مناسبات بمكافآتٍ خاصَّة.

من تلك المدرسة "الرسوليَّة" أُرسِلتُ إلى موطن التَّرهبُن الدومنيكانيِّ في "أفيلا". وفي دير "سانتو توماس" الشهير أُلبستُ الزيَّ الأسود والأبيض الخاصَّ

بالرهبنة الدومنيكانيَّة وأنا في السادسة عشرة، حيثُ خُصِّصت سنةٌ كاملة لدراسة قانون الرهبنة ودستورها دراسةً مكثَّفة، ولتطبيقهما تطبيقاً صارماً، والابتهالِ للعذراء، وإتمامِ فروض الدين اليوميَّة، تحتَ الرعاية الدائمة والحازمة من قِبَل رئيس المترهبِنين. وقد كانت تلك سنةَ اختبارٍ وامتحانٍ صارِمَين لا يقوى على احتمالها إلاَّ ذوو الشخصيّات الأشدِّ صلابةً. وكان الصَّوم مفروضاً من ١٤ أيلول (سبتمبر) حتّى الفصح. كما كان البريد، الواردُ والصادرُ، يخضع لرقابة الرئيس المشدَّدة. وكلُّ اتِّصالٍ بالعالَمِ الخارجيِّ كان ممنوعاً. ولم يكُن يُسمَح بمحادثةِ الكاهن ورُهبان الديرِ المثبَّتين، ولا بالتواصُل معهم. وكان الاعتراف السريُّ إجبارِيّاً كلَّ أُسبوع، يومَ السبت عموماً، يؤدَّى لرئيس المترهبِنين عينِه، وقد كان في الوقت ذاته رئيسَنا وناظرَنا الدائم.

وليس من الصعب أن يتصوَّر المرء الاضطراب والعذاب الذهنيَّ اللذين أنزلَتْهما بالمترهبنين تلك الممارسةُ القاسيةُ، حتّى إنَّنا كنّا نرتعب من اقتراب يوم السبت. غير أنَّ الحلم والوعد بأن أصير ذات يومٍ راهباً كاملَ الرُّتبة أمدّاني بالشجاعة اللازمة كي احتمل وأُكمِّل بنجاحٍ تلكَ السنةَ المخصَّصة للاختبار الصارم ونكران الذات الكليّ.

ثمَّ حلّ يومُ التحرُّرِ الجزئيِّ في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٩١٧، عيدِ مولد مريم العذراء، يومَ أدليتُ باعترافي عضواً في الرهبنة الدومنيكانيَّة. أما السنوات الأربع التالية فقد قضيتُها في "كليَّة سانتو توماس" المجاوِرة لبيت المترهبنين.

منذُ غادرتُ البيت وأنا في الثانيةَ عشرة حتّى تخرُّجي في الكليَّة وأنا في الحادية والعشرين، لم أُكلِّمِ امرأةً واحدة. فقد صُوِّرت المرأة لأذهاننا الفتيَّة كشيء شرّير، وفي عدّة مناسبات روى لنا معلّمونا الدينيُّون قصصاً عن قدِّيسين لم يتطلَّعوا قطُّ إلى وجوه أُمّهاتهم، مُبرزين ذلك باعتباره مثالاً في العفَّة علينا احتذاؤه.

وفي أعقاب سني الكليَّة الأربع، رُتِّب لسبعة عشر منّا، نحن طلاّبَ اللاهوت، أن نسافر إلى الولايات المتَّحدة الأميركيَّة لدرس اللاهوت وتعلُّم الإنكليزية. وهكذا سِرنا في شوارع مدريد، لابسينَ الزيَّ الاكليركيَّ الذي يرتديه الكهنة الكاثوليك الأميركيُّون، وأوّلَ مرّة منذ تسع سنين رأينا بعيوننا الأوانسَ الاسبانيّاتِ الفاتنات، فكانت وجوهُنا الغضَّة تحمرُّ كُلَّما تلاقت عيونُنا بعيني فتاةٍ شابَّة. وبينما نحن نسير في الشوارع، كان الناس يتوقَّفون لينظروا ثانيةً إلينا في لِباسنا الغريب، هامسينَ لأنفُسهم: "هؤلاء همُ الكهنة الذين يتزوّجون،" وهي ملاحظةٌ ساخرة تُطلَق في اسبانيا على قسوس البروتستانت.

كان عمري إحدى وعشرين سنة، وما سبق لي أن عرفتُ ولا التقيتُ أحداً من غير الكاثوليك، لأنَّ كلَّ إنسان في اسبانيا آنذاك كان يُجاهِر بأنَّه كاثوليكيّ. وكنتُ قد قرأتُ وسمعتُ عن البروتستانت، إلاَّ أنَّه لم يكن في وسعي أن أُصدِّق أنَّ أُناساً كهؤلاء يمكن أن يوجَدوا حقّاً. فأوّل مرة أُتيح لي فيها أن أقابل شخصاً من غير الكاثوليك كانت خلال إبحارنا من اسبانيا إلى أميركا. فقد كان على متن السفينة رجلٌ أميركيٌّ أمضى بضع سنين في اسبانيا، وكان راجعاً إلى الولايات المتّحدة بصحبة ابنته الفاتنة ذات السبعة عشر ربيعاً، وكانت تتكلَّم الاسبانيَّة بطلاقة.

ولَّما كانتِ الطبيعة البشريَّة هي إيّاها في الدير أيضاً. وبينما كان ثلاثةٌ منّا نُحادِثُ تلك الفتاة، صُعِقنا إذ اكتشفنا أنَّها بروتستنتيَّة. فدفعتنا حماستُنا المتوقِّدة، لكنْ غيرُ المتبصِّرة، للعمل حالاً على تطبيق كلِّ ما تعلَّمناه، مجرِّبين أن نهديَها من البروتستانتيَّة إلى الكاثوليكيَّة. وكان أوّل موضوع تطرَّقْنا إليه هو الحديث عن العذراء المباركة مريم.

سألناها: "ألا تؤمنين بالعذراء المباركة مريم؟"

فأجابت: "بَلى، ولكنْ ليس كما تؤمنون أنتم بها."

فهالَنا جوابُها الناجز، وأردفْنا: "أما تعرفين أنَّ على الإنسان أن يُصلِّي إلى مريم حتّى يخلص؟".

"لا، لستُ أعرف". هذا كان جوابُها السريع والمقتضب.

أخيراً قُلنا لها متهوِّرين يأساً: "أما تعلمين أنَّ الفتيات مثلك يجب أن يُصلِّين إلى مريم العذراء لتحمي عذراويَّتهن؟"

فأخذت تبكي، وصعدتِ الدرجَ ركضاً، وأخبرت أباها. وبعد دقيقتين نزل الأبُ على الدرج وبيده مسدَّسٌ جاهزٌ لإطلاق النّار علينا. ولولا تدخُّل ربّان السفينة، لكان استعمل مسدَّسه.

كان ذلك أوّلَ جهدٍ تبشيريٍّ بذلتُه، ومنذُئذٍ وأنا أخشى البروتستانت!

أمضيتُ ثلاث سنين في "كليَّة اللاهوت الدومنيكانيَّة" في "لويزيانا"، وبعضَ الوقت في "جامعة نوتردام". وبُعيد سيامتي كاهناً في ١٩٢٤، أرسلت للمساعدة في رعاية واحدةٍ من أكبر الكنائس الكاثوليكية في "نيو أورليَنــز" بلويزيانا. وشغلتُ تلك الوظيفة على مدى تسع سنوات. ثمَّ عُيِّنتُ راعياً للكنيسة عينها عام ١٩٣٢، ولي من العمر اثنتان وثلاثون سنةً فقط. وطيلة ستِّ سنوات في الرعاية، عملتُ بلا كلل وبغيرةٍ كثيرة، والحقُّ يقال: بنجاحٍ كبير أيضاً. حتّى إنَّ الكنيسة نمت في عضويَّتها، وازدادت أعداد حضور الخدمات الدينيَّة ومتقبِّلي الأسرار الكنسيَّة، وتضاعف الدَّخلُ الماديّ. وعندما عُيِّنتُ راعياً، كان في مدرسة الأبرشيَّة نحو ٤٥٠ تلميذاً؛ لكنَّ العدد بعد سنتين ارتفع حتّى جاوز الألف. وقد يسَّرتُ لمئات التلاميذ الفقراء أن يتلقَّوا تعليماً دينيّاً مجانيّاً.

نفسٌ تائبة

في أثناء سنواتي الأخيرة في الرعاية، بدأتُ أشكُّ في صحَّة بعضٍ من تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة. وأوّلُ ما شككتُ فيه ورفضتُه هو سلطان الكاهن على مغفرة الخطايا في الاعتراف. وبالمِثل، لم أستطع حمْل نفسي على الإيمان بعقيدة الاستحالة، أي حضور المسيح في الخبز والكأس حضوراً ماديّاً فعليّاً.

وراح إيماني بالكنيسة الكاثوليكيَّة يضعف. ثمّ شعرتُ أنّي غير قادرٍ بعدُ على أن أبقى مُرائياً، وأخذتُ انظر في فكرة تَركي الكهنوت. ومرّةً أخرى تدخَّل الله فيسَّر فرصةً مؤاتية، مستخدماً آنيةً بشريَّة. وكان الإناءُ هذه المرَّة هو الرئيسَ العامَّ للرهبانيَّة الدومنيكانيَّة، وقد أصدَرَ أمراً يقضي بأن يُغادر الكهنةُ الدومنيكانيُّون الاسبانيُّون العاملون في "لويزيانا" كنائسَهم ويُسلِّموها للدومنيكانيِّين الأميريكيِّين، على أن يرجع بعضُهم إلى اسبانيا ويذهبَ بعضُهم إلى الفيليبِّين.

ومن ثَمَّ فكّرتُ في مغادرة الأبرشيَّة بغير اعتِراض، وأنا أشعر أنَّ يد الله وراء هذا التحوُّل الجديد في مجرى الأحداث. غير أنِّي رفضتُ مغادرة بلدي الثاني الذي تعلَّمتُ أن أُحِبَّه. فتركتُ الكهنوت ومضيتُ في السبيل المُفضي إلى حمأة الخطيَّة. ولكنَّ الله تحنَّن عليَّ في مكانٍ ما على ذلك السبيل فأنقذني من نهايةٍ مأساويّة. وعلى مدى سنةٍ ونصف اعتمل داخل نفسي صراعٌ رهيب، حتَّى راودتني حيناً تجربةُ التحوُّل عن الله وكلِّ ما هو مقدَّس. إلاَّ أنَّني حينذاك تذكَّرتُ الكلمات التي صدرت من صميم قلب بطرس: "يا ربُّ، إلى من نذهب؟ كلامُ الحياة الأبديَّة عندك!"

ما كان العالم، بمباهجه ومغرياته كلِّها، ليملأ فراغ نفسي. وبعد محاولتي عبثاً وجدان السعادة في أُمور العالم، واستيقاظ رغبتي في خلاص نفسي، سلكتُ الطريقَ المفضية إلى ديرٍ في "فلوريدا". كان قصدي أن أتكرَّس لِلّه في عزلة حياة الرهبنة، دافِناً نفسي داخلَ الأسوار الأربعة المحيطة بتلك الصومعة المقدَّسة، كي أعملَ في سبيل خلاص نفسي وأُحرِزَه. ففي خلوة الدَّير، على ما خُيِّل إليَّ، لا بُدَّ أن يؤتيني الله ما كنتُ أصبو إليه من يقينٍ بالخلاص وسعادة النفس. ذلك كان مَقصدي، ولكنْ كان لدى الله مقصَدٌ آخرَ من جهتي. ومنذئذٍ فما بعد توضَّحت لي قيادةُ يد الله لحياتي. ففي الدير تعرَّفتُ بالمسيحيَّة الإنجيليَّة. ذلك أنّي عملتُ زمناً في مكتبة الدير، وكان فيها خزانة خاصَّة مكتوبٌ عليها: "كُتبٌ محظورة".

فدفعني الفضول، حتّى أخذتُ المفتاح ذاتَ يوم، فرأيت ستّة كُتب أو سبعة. ثُمَّ عكفتُ على قراءتها، كتاباً كتاباً. وقد كانت تلك كُتباً دينيَّة تتناول البيِّنات المناقِضة لزعم الكثلكة أنَّها كنيسة يسوع المسيح الحقيقيَّة.

وفي موازاة ذلك، عكفتُ على قراءة الكِتاب المقدَّس. وقبلَ ذلك لم يكُنِ الكتابُ المقدَّس يعني لي الكثيرَ شخصيّاً. كنتُ اعتبرهُ بالحقيقة كلمة الله الموحى بها، ولكنْ قيل لي إنَّ الذِّهن العاديَّ غير قادرٍ على فهم معناه الحقيقيّ. وقام في اعتِقادي أنَّه لا بُدَّ من ذهنٍ فائقٍ للعادة ذي سُلطةٍ معصومة لإعطائنا المعنى الذي كان في فكر الروح القدس عندما أوحى بالكلمة إلى كَتَبَة الوحي. ومن هنا آثرْتُ قراءة كلمة الله مثلَما تفهمها هذه السلطةُ المعصومة، ومثلَما هي موجودةٌ في كُتب القداديس والصلوات الكاثوليكيَّة. على أنَّ قراءتي للكتاب المقدَّس بالذات أصبحت بالتدريج مصدر عزاء وإلهام لي في عزلة الدير، وبدأتُ أفهم المعنى الصحيح لمقاطعَ مِن الكتاب لم أكُن أُوليها في ما مضى أيَّ انتباهٍ خاصّ. وقد تأثرتُ خصوصاً بالآيات التالية، حينما قرأتُها في ترجمة "دُوَاي" الكاثوليكيَّة:

١تيموثاوس ٢:٥و٦: "لأنَّ الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو الإنسانُ يسوع المسيح الذي بذل نفسه فداءً عن الجميع. وهذه شهادةٌ في آونِتها".

أفسس ٦:٢٤: "النعمة مع جميع الذين يحبُّون ربَّنا يسوع المسيح حُبّاً لا فساد فيه".

أعمال الرسل ١٦:٣١: "آمِن بالربِّ يسوع، فتخلصَ أنت وأهل بيتك".

١تيموثاوس ٤:١-٣: "والروح يقول صريحاً إنَّ قوماً يرتدُّون عن الإيمان، في الأزمنة الأخيرة ... ويمنعون عن الزواج، وعن أكل أطعمةٍ خلقها الله ليتناولها بشكرٍ كلُّ مَن آمن وعرف الحقّ".

عندئذٍ زُرِعت بذرة كلمة الله في بستان نفسي. صحيحٌ أنِّي حاولتُ أن أخنقها، ولكنَّها -على صغرها- نَمت في ما بعد وأنتجت ثمراً في حينه.

وبينما أنا أُعلِّم الرهبانَ الشبّان تاريخَ الكنيسة، تعرَّفت بفساد الكنيسة الكاثوليكيَّة، سواءٌ في العقيدة أو الممارسة، وداخلَ قلبي شعورٌ بالإعجاب تجاه رُوّاد الإصلاح الشجعان.

ولكنَّني، بعد قضاء سنتين في ذلك الدير، لم أكُن قد بلغتُ سلامَ الذِّهن ولا سعادة النفس اللتين كنتُ أَنشدهما. فماذا عساني أفعل؟

جنديٌّ أميركيّ

لّما لم أكُن راغباً في الاستمرار بالعيش في ذلك المحيط، ومتشوّقاً إلى خدمة الإنسانيَّة بطريقةٍ نافعة، وعلماً منِّي بأنَّ وطني الثاني يخوض الحرب، قُمتُ بأشرف عملٍ بدا لي، فتطوَّعتُ في الجيش الأميركيّ جنديّاً عاديّاً. وبالحقيقة أنَّ العناية الإلهيَّة تولَّت إرشادي. حتّى ليُمكِنُ أن تُكتَب كُتبٌ كاملة عن اختباراتي في الحياة العسكريَّة، في سِنِّي وبخلفيَّتي، بصفتي نَفَراً في زمن الحرب.

إنَّ الجيش مؤسَّسة رائعة، وأنا مسرورٌ بالخبرة الغنيَّة التي تأتَّت لي في غضون السنين الثلاث التي قضيتُها في الجُنديَّة. وأسوأُ ما لقيتُه في الجيش كان على أيدي الرُّقباء والعُرَفاء الصِّغار الذين كانوا يتواجدون غالباً في خدمة الضُبّاط، والذين خوَّلوا أنفسَهم سلطةً جعلتهم يعتبرون أنفسَهم نُسَخاً عن هتلر وموسوليني، بل عن توجو أيضاً، فحوّلوا حياة الأنفار جحيماً.

وبعد انتهاء فترة التدريب الأساسيّ، أُرسلت إلى مركز التدريب الخاصّ بالاستخبارات العسكريَّة في "معسكَر ريتشي" بماريلاند. وكان الذين يُختارون لحضور معهد الاستخبارات ذاك من ذوي الثقافة العالية. وقد كان علينا أن نتلقَّى الأوامر من عُرَفاء ورُقَبَاء، ربَّما أمضَوا القسم الأكبر من حياهم المدنيّة وهم يكنسون الطرقات ويغسلون الصحاف، ولكنْ كان في وسعهم أن يستخدموا لغةً فظَّة، وكُلَّما كانت الكلماتُ أقسى باتتِ الترقياتُ أوفر. على أنِّي أشكر الله من

أجل أولئك الرجال، لأنَّهم أعدُّوني لخدمتي المسيحيَّة المُقبِلة، إذ علَّموني الاتِّضاع والطاعة والانضباط و"الديمقراطيَّة الروحيَّة".

أضِف أنَّني فُصِلتُ حيناً إلى مكتب قسِّيس الجيش. وكان القسِّيس خادماً تابعاً للكنيسة الهولنديَّة المُصلَحة، متوقِّدَ الذكاء، ذهبيَّ القلب. أما اسمُه فهو القسِّيس (الرائد) "هِرمان جاي اكْريغل"؛ وكان بعد خدمته ثلاثةَ أعوام بصفة قِسِّيسِ فرقة مع قوّات الاحتلال في اليابان قد عُيِّن قِسِّيسَ معسكر بالكليَّة العكسرية في "وَسْت بُوينْت". وكم راقني أن أسمع عظاته صبيحةَ الأحد، إذ كان متكلِّماً بارعاً ومشوِّقاً. وعلى هَدي مثاله، باتَ قلبي أسيرَ قُدوتِه في التصرُّف والمحبَّة والتضحية وانفتاح الذهن والطَّبَعيَّة، فيما كان عقلي يتفاعل على نحوٍ محبَّب مع تفسيراته الوافية والصافية للقضايا العقائديَّة الشائكة. إذ ذاك تبيَّن لي، أوّلَ مرّة، أنَّ الخادمَ البروتستانتيَّ قد يكون سعيداً وصادقاً في إيمانه وعمله.

ليس اكتسابُ دخلاءَ من أتباع المذاهِب الأُخرى، على يد القِسِّيس، بالممارسة المألوفة في الجيش الأميركي، علىخلاف ما يجري في أماكنَ أُخرى. من هنا كانت العلائقُ بيني وبين القسِّيس البروتستانتي علائق وديَّة بمقتضى العلاقة المُعتادة بين قسِّيس الجيش والجنود، ليس غير. وهو لم يُبدِ أيَّ اعتراضٍ حيال حضوري خدمات بروتستنتيَّة. أفليس حقُّ العبادة أينما ومتى شاء المرءُ إحدى القضايا التي كُنّا نحارب في سبيلها؟

وذاتَ أحدٍ تكلَّم القسِّيس عن الخلاص بالإيمان وحده، مركِّزاً حججه خصوصاً على كتابات الرسول بولس. وكنتُ ذلك الحين قد تخلَّيتُ عمليّاً عن كلِّ تعليم وممارسة تمّيزت بهما الكنيسةُ الكاثوليكيَّة، إلاَّ أنَّني كنت ما أزال متشبِّثاً بعقيدة الخلاص بالأعمال. وبعد الخدمة قصدتُ إلى مكتبِه وأطلعتُه على فِكري بخصوص عباراته "الهرطقيَّة". فإذ تسلَّحت بالآية الواردة في يعقوب ٢:٢٤ "تَرون إذاً أنَّه بالأعمال يتبَّرر الإنسان، لا بالإيمان وحده"، قُلتُ له بعنادٍ وجهل: "إن كان ما قلتَه صحيحاً، يكون يعقوب على خطأ؛ وإن كان يعقوب على حقّ،

فأنت وبولس على ضلال. وإلاَّ، فعليك الإقرارُ بأنَّ في الكتاب المقدَّس تناقضاً". ولكنَّه طلب إليَّ أن أُهوِّن عليَّ الأمر، ودعاني إلى الجلوس، وقد رانت على وجهه بسمةُ إشفاق. ثمَّ بطريقةٍ هادئةٍ ومتواضعة ومتأنِّقة، ونبراتُ صوته تنضح بالغَيرة على المصحلة الروحيَّة لهذا الجنديِّ الذي شكَّك في آرائه اللاهوتيَّة، مضى يقول شارحاً:

"يا عزيزي خوسيه، لا يُعقَل أن يكون في الكتاب المقدَّس تناقُض، لأنَّ مؤلِّفه الواحد هو الروح القدس، والروح لا يُناقِض ذاته". وفي هذا كنتُ أوافقه كليّاً بطبيعة الحال.

ثُمَّ أردف: "عندما يقول بولس إنَّ الخلاص بالإيمان وحده، يتكلَّم من وجهة نظر الله العليم بأفكارنا والخبير بقلوبنا. ففي ما خصَّ الله، نخلصُ لحظةَ نؤمن. غير أن هذه الإيمان، كما أرجو أن تعلم، هو إيمانُ ثقة، وليس مجرَّد قبولٍ عقليٍّ لبضع تصريحات عقائديَّة". ولم يكن قد سبق لي أن سمعتُ تعريفاً للإيمانَ مثلَ ذلك.

ومضى القسِّيس يقول: "وفي المقابِل، حين يقولُ يعقوب إنَّ التبرير بالأعمال أيضاً، فإنَّما يتكلَّم من وجهة نظر البشر الذين يعجزون عن قراءة أفكارنا ورؤية قلوبنا ولذلك ينبغي أن يكون لهم شيءٌ ملموس ومرئيٌّ ليحكموا به على كوننا مخلَّصين أو غير مخلَّصين. ففي ما يخصُّ الناس، نكون مخلَّصين إذا أنتجنا أعمالاً صالحة، لأنْ "من ثمارهم تعرفونهم" (متّى ٧:١٦). ولكنَّ الأعمال الصالحة ليست هي أصل الخلاص بل نتيجتُه.

كان هذا التفسير فريداً ما سمعتُ مثلَه من قبل. وفي الحال وافقتُ عليه، فانتُزِع منِّي آخِرُ حاجز عقليّ. وهكذا صرتُ مؤمناً عقلانيّاً، ووعدتُ الربَّ بأن أُكرِّس ذاتي، بعد تسريحي من الجيش، للخدمة البروتستانتيَّة. ولكنِّي لم أكُن حتى ذلك الحين مؤهّلاً لتلك الخدمة. فالتحوُّل، أو الولادة الثانية، ينبغي أن يشتمل على حدوث تغيير لا في الذهن فقط، بل في القلب قبل كلِّ شيء. ذلك أنِّي بتُّ

أُومن بكلِّ حقيقة أساسيَّة من حقائق الكتاب المقدَّس، ولكنَّني لم أكن قد سلَّمتُ المسيحَ قلبي.

وفي أثناء أحد غياباتي عن المعسكر في مهمَّة وقتيَّة، زارني ممثِّلٌ للقاصد الرسولي (على عادة النظام الفاتيكاني في تفقُّد رجاله) وأشار عليَّ بالعودة إلى دير مدَّةً من الزمن تكفيراً عن ذنبي، وبعدئذٍ تُسنَد إليَّ أبرشيَّةٌ جديدة. على أنَّ عجلات روما كانت تدور ببطء شديد جدّاً. فقدِ اختمرت في ذهني، منذ إلحاقي بمكتب القِسِّيس، شكوكٌ وأسئلةٌ كثيرةٌ جدّاً لا أجوبةَ عنها لدى روما ...

خاطىءٌ مخلَّص بالنعمة

واظبتُ على الصلاة طلباً للنور، وعلى الدرس التماساً للمعرفة، وكنتُ في أيّام فراغي أزور مختلف الكنائس في "ماريلاند" و"بنسلفانيا" لأجدَ أيَّةُ واحدةٍ منها تروقُني أكثرَ الكلِّ على أُسسٍ كتابيَّة. وفي أثناء إحدى جولاتي على كنائس "بلطيمور"، التقيتُ المرأةَ التي صارت شريكة حياتي لاحقاً، وهي أختٌ فاضلة تقيَّة من الرعيَّة المعمدانيَّة، ذاتُ شخصيَّةٍ جذّابة، وروحِ مَرَحٍ محبَّبة، وقلب مسيحيٍّ نقيّ. وقد آلت فترة خطبتنا القصيرة إلى زواجٍ سعيد جدّاً أجراه قِسِّيسٌ معمدانيٌّ في كنيسةٍ معمدانيَّة. ومنذئذٍ وأنا أُحبُّ المعمدانيين! غير أنَّ اختباريَ الأعظم لم تستطع أن تَهَبَني إيّاه تلك الزوجةُ الفاضلة، بل إنَّ الربَّ الرحيم كان مزمعاً أن يؤتيَني إيّاه بعد مرور ستَّة أشهر على زواجنا.

في خريف ١٩٤٤ عُيِّنتُ مترجماً للضبّاط الأميركيِّين الجنوبيِّين الذين يدرسون العلوم العسكريَّة في كليَّة سِلاح الفُرسان، في "فورت رايلي" بولاية "كَنساس". وبينَما كنتُ أقوم بالاستطلاع العسكري، انهمكتُ أيضاً في الاستطلاع الروحيّ. ففي تلك الفترة كنتُ أبحث عن الحقّ. وعشيَّة ذات سبت حضرتُ خدمةً في الهواء الطَّلق عند زاوية أحد الشوارع في "جَنكشِنْ سِيتي" بكنساس، كان يقيمُها متطوِّعو "جيش الخلاص". وكان موقفي من ذلك الاجتماع في بادئ الأمر موقفَ لامبالاة، بلِ ازدراء. ولكنْ بينما تقدَّم الاجتماع،

أخذَتْ قوّةٌ فائقةٌ تدفعني إلى الإصغاء بانتباه. وبالحقيقة أنّ جهدي هذا كوفئ بالخير.

قدَّمتِ الرسالةَ شابَّةٌ ترتدي زيَّ جيش الخلاص، وكانت رسالةً جميلةً مؤثِّرة أَنهَتها المتكلِّمةُ بدعوةِ الواقفين هناك إلى تسليم المسيح قلوبَهم. ثُمَّ اقتبست كلمات المسيح المدوّنة في يوحنّا ٥:٢٤: "الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبديَّة، ولا يأتي إلى دينونة، بل قدِ انتقل من الموت إلى الحياة".

في تلك اللحظة شعرتُ بأنّي أنتقل من الموت إلى الحياة، وتحت تأثير قوَّة خارقة جثَوتُ على ركبتيَّ، واعترفتُ بالمسيح ربّاً على حياتي وقبلته مخلَّصاً شخصيّاً لي . أمّا ماذا حدث، وكيف حدث، فلا أستطيع أن أقول. بل كلُّ ما يسعني قوله هو أن أُردِّد صدى ما قاله أعمى إنجيل يوحنّا: "كنتُ أعمى، والآن أُبصِر!"

إزاء الحياةِ المُغيَّرة، لا يُمكِن إنكارُ قوّة الروح القدس. فقد حدث في حياتي أمرٌ محقَّق، وما عُدتُ أنا الرجُلَ نفسه. إذ أُحِبُّ ما كنت أكرهه، وأكرهُ ما كنتُ أُحبُّه. وقد يبدو هذا حماقةً في نظر الرجل والمرأة غير المتجدِّدَين، لأنَّ "الإنسان الطبيعيَّ لا يقبل ما لروح الله، لأنَّه عنده جهالةٌ، ولا يقدر أن يعرفه لأنَّه إنّما يُحكم فيه روحيّاً" (١كورنثوس ٢:١٤).

وما برحَت حياتي منذئذٍ شهادةً علنيَّة لقوَّة الروح القدس المغيِّرة والمُجدِّدة، فما أنا إلاّ خاطئٌ مخلَّصٌ بالنِّعمة.

مرَّةً أُخرى، في سبيل اليقين

منذ أن صرتُ مؤمناً في عقلي، قبل ستّة أشهر من اختباري الولادة الثانية على نحوٍ مجيد،كثيراً ما هاجَمتني الشكوك والمخاوف، حتّى غدت أحلامي كوابيس. ولكنْ حالما صرت مؤمناً بالقلب وطرحتُ نفسي كليّاً بين ذراعَي المخلِّص المصلوب المفتوحتَين، لم أختبر سوى السلام والسكينة واليقين الكامل

الذي يحوزه المتّكِلون على الربِّ يسوع. حقّاً لقد بدأتِ الحياةُ عندي في الرابعة والأربعين من العمر!

خادمٌ للإنجيل

"ابْلُو رِدْج صَمِّت" مُنتجَعٌ صيفيٌّ يقع في سلسلة الجبال الفاصلة بين "ماريلاند" و"بنسلفانيا"، على بُعد ثلاثة وعشرين كلمً عن "غتِّيسبرغ" وأقلَّ من كيلومتر واحد عن معسكر "ريتشي"، قاعدتي العسكرية الدائمة.

وبُعَيدَ زواجنا سكنتُ وزوجتي في تلك المنطقة، حيث كانت الكنيسةُ المشيخيَّة أكثر انتِشاراً من سواها. وكان راعي الكنيسة في تلك المحلَّة هو القِسِّيس "سي بي مُويسْكِنــز"، وقد كان زميلاً في الكليَّة للقِسِّيس "اكُرِيغِل"، وكان مثلَه خادماً تابعاً للكنيسة الهولنديَّة المُصلَحة. فإذ واظبنا على حضور اجتماعات الكنيسة التي يتولّى مويسكنــز رعايتَها، تعرَّفْنا بمزاياه الممتازة راعياً وواعظاً؛ وبزيارتنا له في منــزله انطَبَعْنا بحياة عائلته المسيحيَّة. فهو لم يترك ديانته على المنبر، بل أخذها معه إلى البيت. وفيه وجدتُ ما أعوزني من إلهامٍ وتوجيه وتشجيع خلال تلك الفترة الانتقاليَّة، من الجنديَّة إلى خدمة الإنجيل.

وما إن شرعتُ في تلقّي توجيهاته، حتَّى كُلِّفتُ خدمةً مستقلَّة في "فورت رايلي". وعند رجوعي بعد أربعة أشهر، كنتُ أسعدَ إنسان على وجه الأرض، إذ كان في حوزتي أمران عظيمان: المسيحُ في قلبي، وتنويهٌ من قائد كليَّة سِلاح الفُرسان.

وفي الرابع عشر من نيسان (أبريل) ١٩٤٥ رُسِمتُ قسِّيساً مشيخيّاً "بكنيسة هاولي المشيخيَّة التذكاريَّة" في "ابْلو رِدْج صَمِّت"، وكنتُ ما أزال في الجيش. وبعد شهرين أُعطِيتُ تلك الورقةَ التي طالما انتظرتُها بشوقٍ زائد: شهادة تسريح من جيش الولايات المتَّحدة الأميركيَّة تشرَّفتُ بها!

في خريف تلك السنة دخلتُ معهد "ابْرنستُن" اللاهوتيّ، حيث أعددتُ وحُزتُ درجةَ ماجستير في اللاهوت. وما من شكٍّ في أنَّ تلك السنة التي قضيتُها

في ابْرنْستُن كانت أسعدَ سِنِي حياتي. فهنالك توافر لي الانتعاش الروحيُّ والنُّضج الفكريّ والاختبارُ الدينيُّ العميق. وقد كانت تلك الفترة بالنسبة إليَّ بمثابة "العربيَّة" في حياة الرسول بولس. ففضلاً عن جمال المحيط الطبيعيّ، تأثَّرتُ على نحوٍ خاصٍّ بسلامة العقيدة لدى أساتذتي، وبالحياة المشرقة وحريَّة الروح اللتين ميَّزتا أولئك الشبّانَ والشابّاتِ الذين كرَّسوا كاملَ وقتهم للخدمة المسيحيَّة. فحينَ قارنتُ أحوالي هُناك بما خبرتُه في أثناء الأيّام الأولى من حياة الرهبنة، وجدتُ الفرق هائلاً، إذ حلَّتِ المحبَّةُ والفرح وحريَّةُ أولاد الله محلَّ الخوف والوسوسة والنظام الصارم.

شاهدٌ للربّ

أمَا، وقد شهدْتُ آنفاً لقوَّة يسوع المسيح المخلِّصة، يليقُ الآنَ أن أتحوَّل إلى الكلام عمّا تعنيه لي الحياةُ المسيحيَّةُ الحقيقية، وفي هذا شهادةٌ لحيويَّة المسيحيَّة الإنجيليَّة وديناميَّتها.

إنَّ المسيحيَّة الإنجيليَّة، في شكلها التاريخيِّ القويم العقيدة، تُمثِّل عندي تجسيداً للإيمان المسيحيِّ الحقيقيّ. وما المسيحيَّةُ عندي سوى حياةٍ يعيشها المرء بالإيمان في المسيح القادرِ وحدَه على خلاص النفس.

لقد زوَّدتني المسيحيَّة الإنجيليَّة بالكتاب المقدَّس، وبواسطته تعرَّفت بالمسيح الحيِّ الحقيقيّ الذي قبلتُه بصفته مخلِّصي الشخصيَّ "والوسيطَ الوحيد بين الله والناس". فحينما كنت كاثوليكيّاً اسبانيّاً، ما عرفتُ المسيح إلاَّ طفلاً على ذراعَي أُمِّه مريم، وجثّةً هامدةً ملقاةً عند قدميها. ولَم أختبرِ المسيح الحيَّ المقام من بين الأموات إلاَّ عندما حملني الكتابُ المقدَّسُ إلى الجُلجثة والقبرِ الفارغ.

على مدى أربع وأربعين سنةً كُنتُ أُقاد إلى سيناء حيث طرقَت أُذنيَّ رعود النّاموس من خلال طقوس الكنيسة. غير أنَّ رعود الناموس كلَّها ما كانت لِتُبكِّتَني على خطاياي، حتّى توجَّهت يوماً إلى الجُلجثة فرأيتُ مخلِّصي معلَّقاً هُناك لأجلي. وبحضور الصليب في حياتي أوَّلَ مرّة، أدركتُ مغزى الكفّارة الكامل. فآمنتُ، لا

بعقلي فقط بل بقلبي أيضاً، وطرحتُ نفسي بين ذراعَي المخلِّص المصلوب المفتوحتين. في تلك اللَحظة بالذات شعرت بحِملي وقد انزاح عن كاهلي. لقد وُلدتُ ثانيةً آنذاك وامتلكت نفسي الحياةَ الأبديَّة.

من جرّاء ذلك ذُقتُ بُلغةً من مجد القيامة. إذ صِرتُ مُبرَّراً في نظر الله، وخطاياي كُلُّها طُرِحت وراء ظهره. وغدا المسيحُ عندي حقيقةً حيَّة. وما انفكَّ الروحُ نفسه يشهد مع روحي بأنِّي ابنٌ لِله من "شركاء الطبيعة الإلهيَّة". أمّا خوفُ الموت، المغروس في قرارة نفس الكاثوليكي، فقد تلاشى من قلبي نهائيّاً. وهكذا استطيع الآن أن أقول مع الرسول بولس: "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح"؛ ومع أيُّوبَ الصدِّيق: "قد علمتُ أن وليِّي حيّ"؛ كما يمكنني أن أُرنِّم مع ناظم الترنيمة بفرحٍ وانتصار: "إنَّه حيٌّ! فهو يتكلَّم معي، ويسير معي، ويقول لي إنِّي له. تسألُني: كيف تعرف أنَّه حيٌّ؟ إنَّه حيٌّ داخلَ قلبي".

إنَّني على يقين بأنَّ المسيحيَّة الإنجيليَّة، في جوهرها، حيَّة وديناميَّة، لأنَّها تمتلك القوّة الديناميَّة الكامنة في رسالة الإنجيل الصافية، ذلك الإنجيل الذي قال عنه الرسول بولس إنَّه "قوَّة الله للخلاص لكلِّ مَن يؤمن" (رومية ١٦:١). ويبدو أنَّ هذه القوّة الديناميَّة تُسقِط ذاتَها من عالم الروح على مختلف نواحي الحياة، بما فيها النواحي الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، بموجب وعدِ الله المباشر ليشوع: "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ... لأنّك حينئذٍ تُصلِح طريقك، وحينئذٍ تُفلِح" (يشوع ٨:١).

نحن في مسيس الحاجة لأن نحتكَّ مباشرةً "بقوّة الله للخلاص"، أيِ الكتاب المقدَّس. فقد كان الكتاب مصدر قوّة الإنجيليِّين، والأساسَ الذي عليه بُنِي إيمانُهم. وعندَ كثيرين من البروتستانت اليوم، الكتابُ المقدَّس كتابٌ ضائع، ربَّما يُزيِّن رفوف مكتباتنا، ولكنْ لا يُقرأ أبداً، أو لا يُقرأ إلاّ لماماً. هذا الكتاب الموحى به من السماء يتعرَّض للنقد المجهريّ من قِبَل عقولنا الضئيلة. فما أحزنَ وأقتلَ أن تدكَّ البروتستانتيَّة الأساس ذاته الذي بُنِيَت عليه! هل نسينا كونَنا "مبنيِّين على

أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية؟" (أفسس ٢:٢٠) ... و "إذا انقلبتِ الأعمدة، فالصدِّيق ماذا يفعل؟" (المزمور ١١:٣).

أعطوني رسالةَ الإنجيل البسيطة، تلك الرسالةَ التي تبدو جهالةً عند حكماء هذا الدهر. ففيها لي كلُّ الخير والصلاح، لأنَّها "قوَّة الله للخلاص". بهذه الرسالة البسيطة تأتَّى للمسيحيِّين الأوَّلين أن يُخضِعوا العالَمَ الوثنيَّ للمسيح. وبها أفلح المصلِحون في مناهضة كامِلِ قوَّةِ جلياتَ الجبّار المتمثِّل في كنيسة روما.

ما من واحدٍ مِمَّن يُدعَون بحقٍّ "مسيحيِّين كتابيِّين" تخلَّى عن الكتاب المقدَّس وتعاليم الإنجيل كي يقبل المعتقدات الكاثوليكيَّة ويعمل بوصايا الناس! بل إنَّما أولئك البروتستنتيُّون الذين ليست لهم "قوَّة الله للخلاص" هم الذين يقعون فريسةً سائغةً للإغراءات والإغواءات التي تُقدِّمها ديانةٌ مادِّيَّةٌ طقسيَّةٌ صُوَريَّة ذاتُ أُبَّهةٍ غرّارة. فعلى نقيض المعتقد السائد، لم تنشأ البروتستنتيَّة أصلاً كاحتجاجٍ على الضلالات والمفاسد المُستشرية في الكنيسة الموجودة آنذاك؛ بل كان الدافعَ الأساسيَّ الذي حدا بالمُصلحين على إطلاق عَجَلة الإصلاح هو محبَّةٌ للحقِّ المُكتشَفِ من جديدٍ في الإنجيل. ونتيجةً لذلك رفعوا أصواتَهم احتجاجاً على الكنيسة لكونها قد كسفت نور الإنجيل أو أخمدته. فإنَّما وقفةُ المصلحينَ الثابتةُ إلى جانب كلمة الله الصافية غير المغشوشة، في وَجه السلطات الدينيَّة والمدنيَّة آنذاك، هي ما عجَّل تطوُّرَ الحركة البروتستنتيَّة المبنيَّة على الصخرة التي هي المسيح، وعلى أعمدة كلمته الصادقة.

تحدِّي الساعة

ماذا ينبغي أن نفعل لاستعادة حقيقتنا وإثباتها؟

١– علينا أن نتوب! ينبغي لنا أن نجثو على رُكَبنا، وبقلوبٍ منسحقة نعترف بأنَّنا قدِ انحرَفْنا عن طريق آبائنا الأفاضل الذين جاهدوا ببطولةٍ في سبيل "الإيمان المسلَّم مرةً للقدِّيسين"؛ وبأنَّنا قدِ انصرَفْنا عن كلمة الله إلى وصايا الناس؛

وقدِ ارتدَدْنا إلى النظام القديم القائم على الطقسيَّة والناموسيَّة والذي عليه ثار المصلِحون؛ وقد تركْنا "محبَّتنا الأولى"؛ وبأنَّ رؤيا تُراثِنا الثمين قد غامت وغابت.

نقرأ في سفر الرؤيا الرسالةَ التي حُمِّلها الملاك إلى كنيسة ساردس، وهي تمثِّل تاريخيّاً كنيسة الإصلاح، حيثُ هذه الكلماتُ الصريحةُ الواضحة: "أنا عارفٌ أعمالك، أنَّ لك اسماً أنّك حيٌّ، وأنت ميْت. كن ساهِراً، وشدِّد ما بقي، الذي هو عتيدٌ أن يموت ... واحفظْ وتُب!" (رؤيا ٣:١-٣).

٢- علينا أن نرجع إلى الكتاب المقدَّس! إنَّ المسيح نفسه هو الكلمة: "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا" (يوحنّا ١:١،١٤).

فحينما نقرأ الكلمة، يكون المسيحُ معنا. وعندما نكرز بالكلمة، نُقدِّم للنّاسِ المسيحَ، المسيحَ عينه الذي مشى على الأرض ومات على الجلجثة وقام من بين الأموات. وبقوّة الكلمة وحدها يُمكِننا أن نتوقَّع إحياءَ مسيحيَّتنا، وبثَّ الروح في إنجيليَّتنا، وإنقاذ العالم من الفوضى والخراب.

٣- علينا أن نشهد للمسيح! فلنكُن إنجيليِّين بحقّ. فالإنجيليُّ ليس مجرَّدَ محتجٍّ أو معترِض، بل هو شاهدٌ للمسيح وإنجيله؛ وليس هو من يكتفي بخوض غمارِ المجادلات العقائديَّة، مُناهِضاً هذه العقيدة أو ذلك الإنسان. فإنْ كان **الكلمة** قد صار جسداً، فعلى كُلِّ مُخلَّصٍ ذي جسد أن يحمل البشارة **بالكلمة**، مُعلِناً "غنى المسيح الذي لا يُستقصى". وإن كان المسيح يعني لنا شيئاً، فلنُذِعْ كلمةً صالحةً عنه ولأجله. وإن كُنّا قدِ اختبرنا قوَّته المخلِّصة، فلنُكرِّس حياتنا لخدمته. وكما يقولُ ناظم المزمور: "ليقُل مفديُّو الربِّ" كلمةَ شهادةٍ وبشارة لِمجده (راجع المزمور ١٠٧:٢).

(الكاهن المولود ثانيةً: خوسيه آي فِرْناندِز)

"كنتُ يسوعيّاً، ثُمَّ صرتُ ولداً من أولاد الله"

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"بوب بُش"

بدأتُ رحلتي الكاثوليكيَّة في بلدةٍ ريفيَّة في شمال كاليفورنيا بالولايات المتّحدة الأميركيَّة. وقد كانت بلدتنا صغيرة جدّاً بحيث لم يكن يُقام فيها قُدّاسٌ كلَّ يومِ أحد. إذِ اعتاد كاهنٌ أن يأتي إلى بلدتنا مرَّةً كلَّ شهرٍ، إذا استطاع، ويُقيم قُدّاساً في قاعةٍ عامَّة كبيرة.

لي أخَوان، واحدٌ أصغر منّي والاخرُ أكبر. وقد تلقّى والدي دراسته في جامعة "سانتا كلارا" الكاثوليكيَّة. من جرّاء ذلك استحسن والِداي فكرةَ إرسالي إلى مدرسة كاثوليكيَّة داخليَّة، يديرها اليسوعيُّون، وفيها أمضيتُ ثلاثَ سنين. كانتِ المدرسة ممتازةً أكاديميّاً، ولكنَّ المفاهيم الدينيَّة الوحيدة التي تلقَّيناها كانت متعلِّقةً باللاَّهوت والتقليد الكاثوليكيَّين من دون أيّ تشديد على الكتاب المقدَّس.

لمّا اقترب موعدُ تخرُّجي، كنتُ أفكِّر في ما ينبغي لي أن أفعله بحياتي. وخُيِّل إليَّ أنَّها فكرةٌ جيِّدةٌ أن أُكرِم الله وأخدمه، وأُساعدَ الناس، بصيرورتي كاهِناً يسوعيّاً. ذلك كلُّ ما عرفتُه. فحتّى عندما تركتُ الثانوية في ذلك الحين، كان في قلبي شوقٌ وجوعٌ لملاقاة الله ومعرفته. وبالحقيقة أنَّني ما زلتُ أذكر، وأنا في الصفوف الأخيرة من المرحلة الثانويَّة، ذهابي مرَّةً إلى ملعب كرة القدم وركوعي في قلب الظلمة رافعاً ذراعيَّ، حيث صرختُ قائلاً: "أللهمَّ، أين أنت؟" فقد كان في قلبي جوعٌ حقيقيٌّ لِلّه.

دخلتُ الرهبنةَ اليسوعيَّة عام ١٩٥٣، بعد تخرجُّي في الثانوية. ولكنْ عند دخولي الرهبنة، كان أوّل ما قيل لي أنَّ من واجبي مراعاة النُّظُم والقوانين، لكون ذلك مُرضِياً لِلَّه ومطلوباً منّي أمامه. وهناك علَّمونا الشعار: "احفظِ القانونَ يحفظْك القانون!"

قرأنا الكثير من سِيَر القدِّيسين. ومنذ البداية عُلِّمتُ أن أنظر إليهم باعتبارهم أمثلةً أقتدي بها، غيرَ عالمٍ بأنَّهم صاروا قدِّيسين لأنَّهم خدموا الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة. وقد تلقَّيتُ دروساً في اللاهوت طيلةَ ثلاث عشرة سنة، حتّى رُسِمتُ عام ١٩٦٦، دارساً مادَّةً بعد مادّة، وموضوعاً بعد موضوع. ثمّ أفضى بي الأمر إلى دراسةٍ تخصُّصيَّة في اللاهوت تُوِّجت برسامتي سنة ١٩٦٦، ومازال في قلبي ذانك الجوعُ والاشتياق إلى الله. لم أكُن قد قابلتُ الربَّ شخصيّاً بعد، ولا اختبرتُ السلام. بل إنِّي حينذاك كنتُ أُدخِّن كثيراً من فرط التوتُّر. إذِ اعتدتُ أن أذرع أرض الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا أنفثُ السيكارة في أعقاب الأُخرى، لأنَّ كثيراً من القلق والاضطراب كان يعتمل في داخلي.

ثمّ تسجَّلتُ في منهج دراساتٍ عُليا في روما، ظنَّاً منّي بأنّي سأبلغُ القِمَّة، ولكنْ ما زال في قلبي الاشتياقُ والجوع عينُهما. حتّى إنِّي حادثتُ في ذلك كاهِناً مسؤولاً عن المرسلين العاملين في أفريقيا، رغبةً منّي في الذهاب إلى هُناك مرسلاً. على أنّي كنتُ أعي أنَّني إذا ذهبتُ إلى أفريقيا فالأمر الوحيد الذي كان في وسعي القيام به هو أن أُخبر الناس بما تعلَّمتُه عن العقائد الكاثوليكيَّة، وبما كان في حوزة الكنيسة الكاثوليكيَّة وفي وسعِها أن تقدِّمه، مع أنَّ ذلك كُلَّه لم يُشبِعني؛ وما كنتُ لأرى كيف يُمكن أن يُشبِع الناس أيضاً.

درستُ في تلك الأثناء عن المجمع الفاتيكاني الثاني، ورُسِمتُ بعد انتهاء أعماله بسنةٍ واحدة. وإذ كانت وثائق المجمع المذكور تصدر عن الفاتيكان، تصوَّرتُ أنَّ كلَّ شيء سوف يتغيَّر. وقد كنتُ فعلاً أمرُّ في فترةِ استكشاف،

وخُيِّل إليَّ أنِّي سأصلُ إلى الحقِّ الخالص، الأمرُ الذي من شأنِه أن يُغيِّر وجه العالم. تلك كانتِ القوَّة الدافعة التي حرَّكتني.

لم تستوقِفْني أيَّةُ تعديلاتٍ تُذكَر، لكونِ التعاليم الكاثوليكيَّة القديمة منذ مجمع "اترانت" ما تزال ماثلةً هناك. وعلى ذلك لم أذهب إلى أفريقيا، بل رجعتُ إلى كاليفورنيا، حيث كان الله قد خبّأ لي مفاجأة.

فإذ كُنت مرَّةً في مركزِ رياضةٍ روحيَّة، سألتني امرأةٌ هل أتولّى قيادة مجموعة صلاةٍ بيتيَّة. وما كنتُ قد قدتُ اجتماع صلاة في حياتي، ولا عرفتُ كيف يجري ذلك؛ ولكنَّني ظننتُ أنَّني قادرٌ علىتدبُّر الأمر ما دمتُ قد درستُ طيلة تلك السنين. ومن ثَمَّ أجبتُ تلك السيِّدة بأنَّني سأتولّى قيادة اجتماع الصلاة في منـــزلها. وكان ذلك الاجتماع يُقام كلَّ خميس، من العاشرة صباحاً حتّى الظهر، حيث تجتمع مجموعةٌ من الناس، فنقرأ الكتاب المقدَّس فقط، ونسبِّح الربَّ معاً، ونُصلِّي بعضنا لأجل بعض. كنتُ ما أزال أُدخِّن حينذاك؛ وفي الصباح الباكر، قبل موعد الاجتماع، رحتُ أذرع أرض الغُرفة وأقول: "لِماذا قلتُ إنِّي سأذهب إلى هناك؟" لم أكُن مَعنيًّا بالأمر حقّاً، ولكن لَّما ذهبتُ أوَّلَ مرَّة، وحلَّ الظُّهر، لم أرغب في مغادرة المكان. فإنَّ قوَّة كلمة الله كانت قد بدأت تلمس قلبي وحياتي.

أجل، إنَّ المفاجأة الكبيرة التي خبّأها لي الربّ حدثت على هذا النحو. ذاتَ ليلةٍ ذهبنا إلى مركز الرياضة الروحيَّة من اجتماع الصلاة البيتيّ. وعند فراغِ المتكلِّم من مخاطبة الحُضور، قال: "إن كان هنا مَن به جوعٌ إلى الله، ولم يمسَّ الله حياتَه بعد، ويرغبُ حقّاً في أن يُولدَ من جديد، وأن يلمس الروحُ القُدس حياته ويُغيِّرها، فليتقدَّم إلى الأمام ونحنُ نُصلِّي لأجله". فإذا بتلك السيِّدة، صونيا، تتوجَّه إليَّ وتقول لي: "هلاَّ تطلب إلى زوجي هو أن يتقدَّم ليُصلَّى عليه ويلمسه الروح القدس!" قلتُ لها: "لا يمكنني ذلك يا صونيا. فليس ذلك من الصِّدق في الواقع، لأنّي أنا نفسي لم يُصَلَّ عليَّ، فكيف أطلب إليه أن يفعل ذلك؟" كان طولي يناهز

المترين، وكانت هيَ امرأةً قصيرة جدّاً. ولن أنسى نظرتها إذ رفعت عينيها إلى وجهي وهزَّت بإصبعها قائلةً: "أعتقد أنّكَ في حاجةٍ لأن يُصلَّى عليك أنت أيضاً". فما كان منّي إلاَّ أن ضحكتُ وقلت: "صحيح، أنا في حاجةٍ إلى ذلك!" وما لم تُدرِكْه أنَّ ذلك الجوع الشديد كان في قلبي. فبعد كلِّ سِنِي الدراسة، لم أكُن قدِ التقيتُ الله. وكنتُ قد قرأتُ في الكتاب، باجتماعِ الصلاة، ما جرى لبطرس وكيف تغيَّر لّما قابلَ الربَّ وامتلأ بالروح القُدس، وما إلى ذلك. غير أنَّ تلك القوّة -أو تلك الحياة- لم تكن في داخلي.

في تلك اللحظة بالذات صلَّيتُ طالباً أن يُغيِّر الله حياتي. ثُمَّ تقدَّمتُ إلى الأمام فوضعوا الأيدي عليَّ وصلَّوا لأجلي. وهكذا وُلِدتُ ثانيةً، لا بسبب أيِّ عمل عملوه هُم أو قُمتُ به أنا، بل بفضل افتقاد الله لقلبي. إذ ذاك صار الربُّ يسوع حقيقيّاً في نظري، وكذلك صار الكتاب المقدَّس حقيقيّاً أيضاً؛ وهكذا صرتُ ناراً في محبَّة الله، كما يُقال. لقد غيَّر الربُّ حياتي. وأوكِّد لكلِّ من يقرأ هذه السطور أنَّ الأمر كان حقيقيّاً ومغيِّراً للحياة. **الربّ يسوع المسيح قد غيَّر حياتي!**

شهادتـــي

هذا الأمرُ العجيب حدث في آب (أُغسطس) ١٩٧٠. ومن ثَمَّ شرعتُ أعمل في الحركة الكارزماتيَّة، وقد كانت آنذاك حركةً جديدة في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وبينما كانت تأتي من روما مراسيمُ ومُقرَّراتٌ من كلِّ نوع، لم يكن للحركة الكارزماتيَّة سوى دليل واحدٍ، ألا وهو الكتاب المقدَّس.

بدأنا مجموعة صلاة في مدرسة ثانويَّة، وتضاعف العدد كثيراً حتّى اضطُرِرنا للانتقال إلى قاعة ألعابٍ رياضية كبيرة. ولم يلبث عدد المجتمعين أن راوح بين ثمانماية وألف نسمة. كانَ كثيرون يخلصون، وكُنّا نُشدِّد على تسبيح الله والتعبُّد له وتمجيده. وإذ كانت قاعدتنا ذلك الملعب الرياضيّ، حيث لا صُوَرَ ولا

تماثيل ولا ما شابه، حاولْنا أن نُحافِظ على حُسن التصرُّف، راسخين على أساس كلمة الله وحدها.

في تلك الأثناء أطلَّ الخِلاف برأسه، وعندئذٍ أخذت أمور حياتي تتغيَّر. فقد كان روح الله يلمسني ويُقنعني أكثر فأكثر بواقع الحقِّ الكتابيِّ، وجعلتُ أعِظُ بأُمورٍ اكتشفتُها في الكتاب المقدَّس إذ قرأتُه من أوَّله إلى آخِره. فبدأتُ أعظ بأنَّ علينا أن نُصلِّي إلى الربِّ يسوع مباشرة، وإلى الآب، لا إلى مريم ولا إلى القدِّيسين. وقد أثار ذلك مقاومةً لا بأس بها، على حدِّ ما يُمكِن أن يتصوَّر القارئ الكريم. ولم أعرف ماذا أفعل وكيف أواجه المقاومة.

كنتُ قد تعرَّفتُ بكاهنٍ آخر تركَ الكثلكة منذئذٍ. كان يَعِظ بما أعظ، مُقيماً نصفَ سنة في الهند ونصفاً في الولايات المتَّحدة الأميركيَّة. وقد كان هذا الكاهن "فيكتور أفُّونصو، يسوعيّاً أيضاً، وعرضتُ عليه أن أُرافقه إلى الهند للقيام ببعض العمل المرسليِّ هناك، إذ راقني الأمرُ كثيراً. وهناك يتسنّى لنا أن نبحث في عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة وتعاليمها. ومن ثَمَّ ذهبتُ إلى الهند عام ١٩٨٦، حيث قضيتُ ستَّةَ أشهُر قائماً بالعمل الإرساليِّ ومبشِّراً بيسوع. وقد شهدنا تغييراً جذريّاً وعجائبَ في حياة الكثيرين، ولكنْ تسنَّى لنا أيضاً أن نُمضي شهراً مع مجموعةٍ من الأشخاص تدرس العقيدة الكاثوليكيَّة في ضوء الكتاب المقدَّس. وكنّا عاقدين العزم على اتِّباع ما يقوله الكتاب، فإذا ناقضتِ العقيدةُ الكاثوليكيَّةُ ذلك رفضناها.

تبيَّن لنا أنَّ الربَّ قال: "تعالَوا إليَّ"، وتقول لنا الأناجيل إنَّ علينا أن نصلِّي إلى الآب باسم يسوع، وألاَّ نصلِّي البتَّة إلى أيِّ قدِّيس أو إلى مريم العذراء. فالتلاميذ الأوَّلون لم يُصلُّوا إلى استفانوس الذي تُوفِّيَ في أوائل الأحداث المذكورة في سفر أعمال الرسل، ولا إلى يعقوب الذي قُتِل باكراً بعدَه. ولماذا يفعلون ذلك وعندهم يسوع المُقام حاضراً في وسطهم، كقوله: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة

باسْمي، فهناك أكون في وسطهم" (متّى ١٨:٢٠). فقد صلَّى التلاميذ إلى الربِّ يسوع، وصلَّوا إلى الآب، وكانت لهم مسحةُ الروح القدس، وأطاعوا وصايا الله.

وقد اكتشفنا، في الهند أيضاً، أنَّ كُتُب التعليم الدينيِّ الكاثوليكيَّة قد غيَّرت الوصايا العشر عمَّا هي عليه في الكتاب المقدَّس. ففي التعليم المسيحيِّ الكاثوليكيّ، تَرِد الوصيَّة الأولى على ما هي عليه في الأسفار المقدَّسة. أما الوصيَّة الثانية في التعليم الديني فهي: "لا تَّتخذِ اسم الربِّ إلهك باطلاً". فهذا تغييرٌ كليٌّ لِما هو في الكتاب المقدَّس. إذ إنَّ الوصيَّة الثانية الأصليَّة كما ترد في الكلمة المقدَّسة فقد أُسقِطت نهائيّاً. وبالحقيقة أنَّ جميع كتب التعليم الديني عند الكاثوليك تُسقِط الوصيَّة الثانية كما ترد في الكتاب المقدَّس. فمثلاً، جاء في جواب السؤال ١٩٥ من كتاب التعليم الدينيّ الجديد المُنجَز في "بَلْطيمور": "وصايا الله عشرٌ، وهي:

(١) أنا الربُّ إلهُك، لا يكُن لك آلهةٌ غريبةٌ معي؛ (٢) لا تتخَّذِ اسمَ الربِّ إلهك باطلاً،" إلخ ...

أمّا الكتاب المقدَّس فيُورِد الوصيَّة الثانية على هذا الوجه: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورةً ما ممّا في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهن، لأنّي أنا الربُّ إلهك إلهٌ غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ، وأصنع إحساناً إلى أُلوفٍ من مُحبيَّ وحافظي وصاياي" (خروج ٢٠:٤-٦). فالله يأمُرنا بألاَّ ننحني أمام هذه وبألاَّ نعبدها. ولكنَّ عندنا صُوَراً للبابا وهو ساجدٌ لها ومُقبِّلٌ. وقدِ انزعجْنا جدّاً من إسقاط كتب التعليم الدينيِّ لهذه الوصيَّة. والانَ يحسنُ بنا أن نسأل: "فكيفَ صارَ عندنا عشرُ وصايا إذاً؟" إنَّ ما تفعله كُتُبُ الدين هو قسمة الوصيَّة الأخيرة (العاشرة أصلاً هي عندهم التاسعة والعاشرة). إذ إنَّ النَّهيَ عن اشتهاء زوجة القريب مُدرَجٌ كوصيَّة مستقلَّة عن الوصيَّة بعدم

اشتهاء ممتلكاته. وإنَّ هذه لَتشويهٌ فاضحٌ مُلحَقٌ بكلمة الله. على هذا النحو أخذتُ أكشتف تعاليم وعقائد مناقضة للكتاب المقدَّس مباشرةً.

فقد فحصْنا أيضاً عقيدة "الحبل بلا دنس"، وتحديدها: "عقيدةُ الحَبَلِ بمريم بلا خطيئة، ففي لحظة الحَبَل بها لم تكُن هنالك خطيئة". وفي هذا ما يُناقِض رومية ٣:٢٣: "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُ الله". فها هُنا عقيدةٌ عبارةٌ عن تقليدٍ مُتوارَث ومُحدَّد بوصفه حقّاً معصوماً، على الرغم من كونه مُناقِضاً لِما هوَ في الكتاب المقدَّس.

ثُمَّ وصلنا إلى واحدٍ من أكبر ميادين النــزاع، وهو ذاك المتعلّق بذبيحة القُدّاس. فالموقف الكاثوليكيُّ الرسميُّ من ذبيحة القدَّاس يعتبرها استمراراً لذبيحة الجلجثة. على هذه الصُّورة حدَّدها مجمع "اترانت". فقد ورد في وثائق ذلك المجمع ما يلي: "وبما أنَّ هذه الذبيحة الإلهيَّة، التي يُحتفَل بها في القُدّاس، تشتمل على المسيح نفسه الذي يُقدَّم قُرباناً بطريقة غير دمويَّة، والذي على مذبح الصليب قدَّم نفسه مرّةً واحدة بطريقة دمويَّة (عبرانيين ٩:٢٦)، فإنَّ المجمع المقدَّس يُعلِّم أنَّ هذه الذبيحة تكفيريَّةٌ حقّاً. وذلك لأنَّ **الضحيَّة** هو هو بنفسه مَن يُقدَّم الآن في خدمة الكهنة بعدما قدَّم نفسه على الصليب، إلاّ أنَّ طريقة التقديم وحدها مختلفة". ورُبَّ قائلٍ إنّ مجمع "اترانت" لم يعُد ساريَ المفعول، وإنَّ الأُمور قد تغيَّرت. إلاّ أنّ الكاردينال "راتْزِنْغَر"، رئيسَ لجنة عقيدة الإيمان، وهي عينُها محكمة التفتيش قديماً، قالَ في كتابٍ يُدعى "تقرير راتْزِنْغَر": "كذلك يستحيل أن يقبل المرء مُقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني فيما يرفض مُقرّرات مجمع اترانت والمجمع الفاتيكاني الثاني. ومَن يُنكر المجمع الفاتيكاني الثاني فإنَّما يُنكر السلطة الداعمة لذينك المجمعَين ومن ثَمَّ يفصلهما عن أساسهما". وتقولُ كتب التعليم المسيحيِّ القول عينه، مؤكِّدةً أنَّ القُدّاس هو الذبيحةُ عينُها التي قُدِّمت على الصليب. فكتاب بلطيمور الجديد للتعليم الديني يقول: "إنَّ القدّاس هو الذبيحة نفسُها التي قُدِّمت على الصليب، لأنَّ **الضحيَّة** في القدّاس هو نفسُه، والكاهنُ

الرئيسُ هو هو يسوع المسيح". ولكنْ جاء في عبرانيِّين ١٠:١٨ "وإنَّما حيثُ تكون مغفرةٌ لهذه، لا يكونُ بعد قربانٌ عن الخطيَّة". فالكلمة المقدَّسة توضح المسألة بكلِّ جلاء. ففي الواقع أنَّه في أربعة أصحاحات يُشار ثماني مرّات إلى تقديم المسيح نفسه، مرّةً واحدة وإلى الأبد!

ولا بُدَّ لكلِّ مَن حضر القُدّاس في الكنيسة الكاثوليكيَّة أن يتذكَّر الصلاة التي يرفعها الكاهن قائلاً: "لنُصَلِّ، يا أخوتي، كي تكون ذبيحتُنا مقبولةً عند الله، الآب القادر على كل شيء". وفي الواقع أنَّ هذه الصلاة خطيرة جدّاً. وعليها يردُّ الحُضور قائلين القول عينه، سائلين أن تكون الذبيحة مقبولة عند الله. غير أنَّ هذا مناقضٌ لكلمة الله، لأنَّ الذبيحة قد قُبِلَت فعلاً. فحين كان المسيح على الصليب، بحسب يوحنّا ١٩:٣٠، قال "قد أُكمِل". ونحن نعلم أنَّ المهمَّة قدِ انتهت لأنَّ يسوع قُبِل عند الآب وقام من الموت وهو الآنَ إلى يمين الآب. كما نعلم أنَّ البشارة التي نكرز بها تؤكِّد أنَّ المسيح قد قام من بين الأموات، وأنَّ ذبيحتَه قد قُبِلت، وأنَّه أدّى عقوبة الخطيَّة كاملةً. وعندما نقبل هذه الذبيحة بنعمة الله باعتبارها الذبيحة الكاملة والحاسمة عن خطايانا، نخلص وتكونُ لنا الحياةُ الأبديَّة.

قال الربُّ يسوع: "اصنعوا هذا لذكري". ويحصل التذكار عندما نتذكَّر أمراً فعلُه أحدُهم لنا. إذاً، أيُّ شخصٍ يقرأ هذا، بل أيُّ كاهنٍ يُجري القداس، ينبغي أن يفكِّر جدِّيّاً في الضلال الذي تنطوي عليه العبارة: "لنُصَلِّ يا إخوتي، كي تكون ذبيحتُنا مقبولةً ..." فقد قُبِلت الذبيحةُ الحقيقيَّةُ، واكتمل العمل. وما يُفترَض فينا أن نعمله عند خدمة الاشتراك هو أن نقوم بها تذكاراً لِما قد فعله المسيح. هكذا نرى إذاً أنَّ الذبيحة قدَّمها المسيح على الصليب كانت كافيةً لإزالة كلِّ خطيَّة، ولا حاجةَ إلى زيادةِ أيِّ شيء عليها!

تزعم الكنيسة الكاثوليكيَّة أنَّ القُدّاس ذبيحةٌ استرضائيَّة ذاتُ فاعليَّة لمغفرة خطايا الذين على الأرض والذين ماتوا أيضاً. لهذا السبب، وحتَّى هذا اليوم بالذات، ولئن قال بعضُهم إنَّ الكنيسة في بعض الأماكن لا تؤمن بالمطهر، فإنَّ

كلَّ قُدّاسٍ يُجرى ما زال يُقامُ فعلاً لأجل واحدٍ من الموتى. إذ يسود اعتقادٌ أنَّ القُدّاس يُقصِّر مكوث الموتى في المطهر، ولذلك يقام "على نيَّتهم". ولكنَّ هذا ليس بصحيح. فحين يموتُ أحدٌ من الناس، تأتي الدينونة في أعقابِ ذلك: "وُضِع للناس أن يموتوا مرّةً ثُمَّ بعد ذلك الدينونة" (عبرانيين ٩:٢٧). فإن كان الإنسان مخلَّصاً يذهب فوراً إلى السماء؛ وإن كان ما يزال في خطاياه، يكونُ مصيره الجحيم. وعلى الرُّغم من هذا، تؤمن الكنيسة الكاثوليكيَّة بأنَّ القُدّاس، لكونه ذبيحةً استرضائيَّة، يُقصِّر فترة الإقامة في المطهر. ولكنَّ كلَّ الآلام التي جرى احتمالُها، وكلَّ الكفّارة التي تمّت عن الخطايا،كُلَّ ذلك فعله يسوعُ وحده على الصليب، وما علينا إلاَّ قبول عمله الكامل. فينبغي لنا أن نقبل الحياة الأبديَّة ونحصل على الولادة الثانية ونحنُ بعدُ على قيد الحياة. وبعدَ الموت، ليس من بيِّنةٍ كتابيَّة، مهما كان نوعُها، على إمكانيَّة حدوث أيِّ تغييرٍ في حالة أيِّ إنسان.

ومِن ثَمَّ عكفْنا على دراسة ما تُعلِّمه الكنيسةُ الكاثوليكيَّة عن كيفيّة خلاص الإنسان، فوجدنا لديها تلك العقيدة القائلة بقدرتنا على أن نخلص بأن نعتمد ونحن أطفال، إذ ورد في القانون العامّ، البند ٨٤٩ من طبعة ١٩٨٣: "المعمودية **هي** البابُ المُفضي إلى السرِّ المقدَّس، وهي ضروريَّة للخلاص إذ تُجرى في الواقع أو في النيَّة على الأقلّ، بها يُعتَق الناسُ من خطاياهم ويولَدون ثانيةً أولاداً لله مخلوقين على صورة المسيح".

معنى ذلك أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة تقول إنَّه حينَ يُعمَّد الطفلُ الصغير يخلُص، وتكون له الحياة الأبديَّة، بفعل المعموديَّة التي أجرَوها له، غير أنَّ هذا ليس بصحيح. فالربُّ يسوع لم يقُل قطُّ قولاً كهذا، وليس في الكتاب المقدَّس كلِّه كلمةٌ واحدة عن إمكانيَّة حصول أمرٍ كهذا. ولا وجودَ لمكانٍ اسمُه اليمبوس أو المطهر! فقد قال المسيح: "دعوا الأولاد يأتون إليَّ". ويقول الكتابُ المقدَّس دائماً إنَّنا نخلُص حين نقبلُ أنَّ الربَّ يسوع قد دفع ثمن خطايانا حتّى آخِرِ فلس، بحيثُ

يصيرُ لنَا أمامَ الله مقامُه الشرعيُّ بالذات: "لأنَّه جعل الذي لم يعرف خطيَّة، خطيَّة لأجلنا، لنصير نحنُ برَّ الله فيه" (**٢**كورنثوس ٥:٢١).

ثُمَّ تمضي الكنيسة الكاثوليكيَّة فتقول إنَّ عليك، لكي تخلص، أن تحفظ قوانينها وشرائعها ونُظُمَها. وإن خالفْتَ هذه، مثلاً قانون ضبط النَّسل، أوالصوم، أو حضور القُدَّاس كلَّ يومِ أحد، ترتكبُ خطيئة. وتقول الكنيسة الكاثوليكيَّة في القانون العامّ الساري مفعولُه في أيّامنا، إنَّ الخطيئة الخطيرة التي ترتكبُها ينبغي أن تعترف بها للكاهن حتّى تُغفر لك. فالقانون ٩٦٠ يقول: "إنَّ الاعتراف الفرديَّ الكاملَ والغُفران يُشكِّلان الطريقَ السويَّ الوحيد الذي به يتسنَّى للمؤمن الذي يُدرِك الخطيئة الخطيرة أن يتصالح مع الله ومع الكنيسة". هكذا إذاً تُغفَر الخطيَّة، بواسطة هذا الطريق السويِّ الوحيد، في الكنيسة الكاثوليكيَّة. غير أنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّنا إن تُبنا من القلب وآمنّا بذبيحة المسيح الكاملة فعندئذٍ نخلُص. ونحنُ مُخلَّصون بالنعمة، لا بأعمالنا. أمّا الكنيسة الكاثوليكيَّة فتُضيفُ الأعمالَ إذ توجب عليك أن تقوم بأعمالٍ معيَّنة حتّى تخلص. غير أنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّنا إنَّما نخلص بالنعمة، لا بالأعمال. ذلك هـــو ما يقوله الكتاب في أفسس ٢:٨و٩، وأيضاً في رومية ١١:٦. فالكتاب يوضح بكلِّ جلاءٍ أنَّنا بالنعمة مُخلَّصون، وإنَّ ذلك **عطيَّة مجّانيَّة** من عند الله، ولا دخْلَ لأيِّ عملٍ صالحٍ نعمله: "لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطيَّة الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩). "فإن كان بالنعمة، فليس بعدُ بالأعمال. وإلاَّ فليستِ النعمةُ بعدُ نعمة. وإن كان بالأعمال، فليس بعدُ نعمة. وإلاَّ فالعمل لا يكون بعدُ عملاً" (رومية ١١:٦).

ومن الأعمال التي أزعجتني أكثر من سواها، ونحن نفحص العقائد والممارسات في الهند، ما يحدث عند احتضار أحدهم. إذ يُستدعى كاهنٌ إلى بيت المُحتضَر، أو إلى غرفته في المستشفى، فيُمسَح المريض المائت بالزيت "المقدَّس"، وهو يعتقد أنَّه يخلص ويذهب إلى السماء بفضل فعّاليَّة تلك المسحة. وقد أزعجني

ذلك أيَّ إزعاج، حتّى إنّني كنتُ -رُغمَ كوني كاهناً- أُكلِّم المُحتضَر، إن كان قادراً أن يسمع، هامساً في أُذنه بأن يُكرِّر قولي: "أيُّها الربُّ يسوع، إنَّني أُحِبُّك. اغفرْ لي خطاياي، يا يسوع. ادخلْ قلبي وغيِّر حياتي. شكراً لك يا ربُّ على تخليصك لنفسي". هكذا كُنتُ أهمِس في آذان المرضى المائتين، وكنت أرى بالفعل وجوهَهم تنفرجُ أساريرُها، لأنَّ هذا حقُّ الأمور الروحية. ولكنَّ المؤسِف أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة جعلتها أموراً مادِّيَّة. بيد أنّ الأمور الروحية الحقّ تحدث في القلب.

هكذا فحصنا هذه الأُمور، وسواها من المعتقدات، لمَّا كُنَّا في الهند. وحينما غادرتُ الهند تأكَّد لي أنَّني لم أعُد أستطيع أن أُمثِّل الكنيسة الكاثوليكيَّة، ولا سيَّما لأنَّني حاولتُ تغييرها في الحركة الكارزماتيَّة. فقد بدأ يتبيَّن لي أنَّ تلك المعتقدات المُناقِضة للكتاب المقدَّس عميقةُ الجُذور بحيث أعجز عن تغييرها.

وتلك هي مشكلة الحركة الكارزماتيَّة اليوم، حتّى إنَّها قدِ انكفأت إلى هذه التعاليم والعقائد الأساسيَّة في الكثلكة، وعادت تمارسُها وتتمسَّك بها، بحيثُ إنَّ الحركةَ بمُجملِها أخذت تتداعى كليّاً. فلم تعُد نسمةَ هواءٍ منعشةً تهبُّ في أنحاء الكنيسة لتغيِّر كلَّ شيء وتردَّها إلى كلمة الله. إذ ليسَ في وسع الحركة الكارزماتيَّة أن تعود إلى كلمة الله، لأنَّ الكنيسة لن تسمح لها ببلوغ هذا الحدِّ، ولن تتخلَّى عن القُدّاس جاعلةً إيّاه مجرَّد ذِكرى بموجب قول المسيح. ولسوف تُصرُّ الكنيسة على أنَّ القُدّاس استِكمالٌ دائم لذبيحة المسيح. ولن تتخلّى عن العقيدة القائلة بأنَّ الأطفال يُولَدون ثانيةً ويقتبلون الحياة الأبديَّة، ولو كان ذلك أمراً لم تُمارِسه الكنيسةُ الأُولى، إذ لم يبدأ قبل القرن الثالث، ولم يشهَد ممارسةً عامَّة إلاَّ بعد حلول القرن الخامس. أجل، إنَّها لن تتخلَّى البتَّة عن هذه العقيدة ولا عن سواها من المطالب التي تفرضها على الكاثوليكيِّين.

إنَّني، بكلِّ إخلاص، أُحِبُّ الكاثوليك وأُريد أن أُساعدهم. أُريد لهم أن يهتدوا إلى حرِّيَّة الخلاص و إلى الحياة والبركات الناجمة عن العمل بكلمة الله.

وليس عندي شيءٌ ضدَّ أيِّ كاثوليكي، ولا ضدَّ أيِّ كاهن. فإنَّما هُم مُقيَّدون بفعل تلك العقائد والتعاليم. غير أنَّ الله بالذات يُريد أن يُحرِّرهم منها. وقد قال المسيح في الأصحاح السابع من إنجيل مرقس: "لأنّكم تركتم وصيَّة الله وتتمسَّكون بتقليد الناس" (عدد ٨). فهذه هي بعينها المشكلة التي نواجهها هنا، إذ إنَّ هذه التقاليد تُدمِّر كلمة الله، لكونها مُناقِضةً لها.

ومِن ثَمَّ، فلَّما غادرتُ الهندَ ورجعتُ إلى الوطن، واجهتُ تحوُّلاً كبيراً في حياتي. وكان ذلك لي زمانَ ضيقٍ شديدٍ ومعاناةٍ عميقة، لأنَّني كنتُ قد وضعتُ كلَّ ثقتي في الكنيسة الكاثوليكيَّة وقد خدمتُها زمناً طويلاً من حياتي. فما إن عُدتُ حتّى تأكَّد عندي أنْ لا بُدَّ من الخروج.

أنا إنسانٌ حُرٌّ لأنَّ حقَّ الله قد حرَّرني. وما عُدتُ أسيرُ بموجب الكتاب المقدَّس برِجلٍ واحدة، بل صرتُ أسيرُ بكِلتا رجليَّ وكلامُ الله يُنير لي السبيل. فأنا أتبع الكتابَ المقدَّس بوصفه المصدرَ الوحيد ذا السُّلطان للحقِّ الذي أعلنه الله. أمَا قال المسيح: "قدِّسْهم في حقّك؛ كلامك هو حقّ"؟ (يوحنّا ١٧:١٧).

كنتُ في ذلك الحين فريسةَ مُعاناةٍ شديدة. وذهبتُ إلى البيت، إلى والِدَيَّ، وكِلاهُما قد جاوز الثمانين؛ وذاتَ ليلةٍ تجاذبْنا أطرافَ محادثةٍ خطيرة، وقلتُ لهما ما كُنتُ أنويه. فقد أطلعتُهما على قراري تركَ الكنيسة الكاثوليكيَّة لأسبابٍ تعليميَّة، وأوقفتُهما على أسباب ذلك القرار وأهمِّيَّته عندي. وبعد فترةِ صمتٍ طويلة، تكلَّم أبي ببطءٍ شديد قائلاً: "يا بوب، أنت تعلم أنَّ والدتك وأنا كُنَّا نُفكِّر في القيام بهذه الخطوة عينها". ثُمَّ ذهبا إلى قُدّاسٍ واحدٍ فقط، وعندما رجعا قالا لي: "تَعرِفُ أنَّ المذبح قائمٌ في مُقدَّمة الكنيسة، والمذبحُ مكانٌ تُقدَّم عليه الذبائح". وقال والدي: "أنا مُدرِكٌ الآن بكلِّ جلاء أنْ لا داعيَ إلى أيَّةِ ذبيحةٍ أُخرى!" ثمَّ بدأ أبي وأُمِّي كلاهما يقرأان الكتاب المقدَّس ويتبعان تعليمه. وعامَ ١٩٨٩ تُوفِّيت والدتي وهي تقرأ الكلمة المقدَّسة، ولديها السلامُ واليقين بأنَّ لها حياةً أبديَّة وأنَّها ستكونُ عند الربِّ إلى الأبد. وفي السنة ١٩٩٢ أعطاني الله

أعظم هديَّة يُعطيها إنساناً، فضلاً عن خلاص النفس، ألا وهي زوجتي الجميلة "جُوان" التي تزوَّجتُ بها في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٩٢. ثُمَّ رحل والدي عام ١٩٩٣ وعلى شفتيه صلاةٌ لأجل الأحبّاء الذين رحل عنهم.

عام ١٩٨٧ خرجتُ مقدِّماً كتابَ استقالة، ثُمَّ عكفتُ على مُراسلة رؤسائي رغبةً منّي في أن أشهد للربِّ أمامهم جميعاً. وانتهى بي المطاف إلى مُراسلة روما أخيراً قبل خروجي. فعلتُ ذلك لأنّي أردتُ إن أشهد أمامهم جميعاً وأعرِض أسبابَ تَرْكي. لقد رغبتُ في اتِّباع كلمة الله، ولكنَّ المؤسف أنَّ البابا الذي يُجَلُّ باعتباره قائد العالم المسيحيِّ يتمسَّك بأشياءَ تُناقض كلمة الله. ومن المُهِمِّ أن يعرف كلُّ امرئ أنَّ البند ٣٣٣ من القانون العامِّ الجديد يقول: "لا استئنافَ ولا نقضَ لأيِّ قرارٍ أو مرسوم يُصدِره الحبرُ الأعظم". وقد صدر القانون العامُّ الجديد عام ١٩٨٣. ومعنى ذلك أنَّ للبابا السلطةَ المُطلَقة والسُّلطانَ الشامل بموجب الكُتُب القانونيَّة عندهم، ولا يخفى على أحدٍ المرسومُ الذي يؤكِّد العصمة البابويَّة.

لكنَّه –واأسفاه!– ينتصر لأمورٍ تُناقض كلمة الله، وهو في هذه الأثناء يتكلَّم كلاماً قاسياً بحقِّ الإنجيليّين في أميركا الجنوبيَّة كما لو كانوا أعداءً لكلمة الله. إنَّه يتشكَّى منهم ويزعم أنَّهم يقوِّضون أركان الكنيسة، ولكنَّ سبب مناهضته لهم هو أنَّهم يُدافِعون عن سلطانِ كلمة الله الحاسم، وأنَّهم لا يريدون أن يكونوا خاضعين لسلطته.

إنَّما موقفُ البابا بمجمله يَصدر أساساً عن سوء فهم لكلمة الله بالذات. فقد قال المسيح: "أنت بطرس، وعلى هذه الصَّخرة أبني كنيستي". وعلينا أن ننظر بتدقيقٍ في هذه القضيَّة. فعن أيَّة صخرة يتكلَّم المسيح؟ كان الربُّ يسوع، قُبيل ذلك، قد سأل تلاميذه: "مَن أنا؟" فتكلَّم بطرس صريحاً وقال: "أنت هو المسيحُ ابنُ الله الحيِّ!" فقال المسيح له: "إنَّ لحماً ودماً لم يُعلِن لك، لكن أبي الذي في السماوات". ثُمَّ أردف قائلاً: "أنتَ بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي".

فإنَّ كنيسة يسوع المسيح مبنيَّةٌ على صخرة إعلانِ حقيقةِ يسوعَ المسيح. وقد آتى اللهُ بطرس هذا الإعلانَ مِن لَدُنْهُ. وكلُّ مؤمنٍ حقيقيّ وُلِد ثانيةً يؤتى إعلاناً مختصّاً بحقيقةِ المسيح. فموتُه على الصليب أبعد عنّا خطايانا، وعندما نتوب إليه ونضع فيه ثقتنا، تكونُ لنا فيه حياةٌ أبديَّة، وسوف نحيا ونملك معه إلى أبد الآبدين. تلك هي الصخرة. وليستِ الصخرة بإنسانٍ؛ ولا هي "بطرس الأوّل" الذي اختاره المسيح تلميذاً له رُغم كُلِّ سقطاته وما إليها؛ ولا هي أيضاً البابا في أيّامنا. فتلك الصخرة هي الإعلان عن حقيقةِ يسوع المسيح. كما قال بطرس نفسُه في رسالته الأولى (٦:٢): "هنذا أضع في صهيون **حجرَ زاويةٍ** مختاراً كريماً؛ والذي يؤمن به لن يُخزى!" والله بنعمته أعلن ذلك لي، وأنا أقفُ وأبني إيماني كُلَّه على هذه الصخرة الممثِّلة في إعلان حقيقة المسيح، وعلى حقيقةِ كونه قد مات لينزع عنّي خطاياي ويُعطيَني الحياةَ الأبديَّة.

أنا الآن خادمٌ مرسومٌ، على شركة مع ألفٍ وخمس مئة من المؤمنين المبشِّرين بالإنجيل والمملوئين بالروح القُدُس. وهذه هي البُشرى التي أُريد أن أزفَّها إلى كلِّ قارئ: أنَّ المسيح قد ماتَ عوضاً عنّا. فعندما نتوبُ ونقتبل تلك الحياة في أعماق قلوبنا تكونُ الحياة الأبديَّة لنا أجمعين، وسوف نعيش ونملك مع الربِّ يسوع المسيح إلى أبد الآبدين؛ آمين.

(الكاهن المولود ثانيةً: بوب بُش)

رحلتي عن روما

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"بارثولوميو ف. ابْرُوَر"

ربّما كان ملايينُ الكاثوليكيِّين، أو مُعظَمُهم، من الكاثوليك بالاسم أو بالثقافة، أو بمجرَّد الوراثة. غير أنَّ أُسرتنا كانت كاثوليكيَّة رومانيَّة عن اقتِناع. فقد فهمْنا ومارسنا تعاليم ديننا. وكُنّا نؤمن بأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي "الكنيسة الوحيدة الحقيقيَّة" التي أسَّسها يسوع المسيح. وبسبب ذلك قبِلْنا بلا نقاشٍ كلَّ ما علَّمناه إيّاه كهنتُنا. في تلك الأيّام السابقة للمجمع الفاتيكاني الثاني، ساد اعتقادٌ عامٌّ أنَّه "لا خلاصَ خارج الكنيسة الكاثوليكيَّة". وقد آتانا ذلك شعوراً بالطمأنينة وبأنَّنا على حقّ. ومن ثَمّ كُنّا، على نحوٍ ما، بأمانٍ في ذراعي "أُمِّنا الكنيسة المقدَّسة".

منذ تُوفِّي أبي (كنتُ في نحو العاشرة) دأبت والدتي في حُضور القُدّاس كلَّ يوم بغير استثناء على مدى أكثر من أربع وعشرين سنة. وكانت عائلتُنا تتلو السُّبحة بأمانةٍ كلَّ مساء. وقد شُجِّعنا على القيام بزيارات منتظمة إلى "مقام السرِّ المقدّس". وفضلاً عن التعليم الدينيِّ في البيت، كان تعليمُنا المدرسيُّ كاثوليكيّاً بجملته. وقد كان من عادة المونسنيور "هيوبَرت كارتْرَيْط" وسائر الكهنة في أبرشيَّتنا الأصليَّة، كاتدرائيةِ القدِّيسَين بطرس وبولس في فيلادلفيا ببنسلفانيا، أن يقولوا إنَّ عائلتنا كاثوليكيَّةٌ أكثرَ من روما بالذات.

فغير عجيبٍ إذاً أنّي لمّا قاربت سِنِي الدراسة الثانوية شعرتُ بأنَّني مدعوٌّ لإعداد نفسي للكهنوت الكاثوليكيّ. وبدلاً من الكهنوت العلمانيِّ الذي يخدم

الأبرشيّات، اخترتُ الانضمامَ إلى "الكرمليِّين الحُفاة"، وهُم إحدى أقدم الرهبانيّات وأشدِّها صرامةً.

ومنذ يومي الأوّل في "هُولي هِلّ" (التلّة المقدَّسة) في وِسكونسِن، أحببتُ حياة التديُّن حبّاً شكَّلَ الحافزَ الذي أعوَزَني لدراسة اللاتينيَّة وسواها من الدروس التي استَصعَبْتُها جدّاً. وقد كان لي في إخلاص معلِّمينا الكهنة وتضحيتهم مذكِّرٌ دائمٌ بقيمةِ التخلّي عن أيِّ شيء في سبيل الوصول إلى هدف الرسامة.

وكان لي خيرُ زادٍ في التعلُّم الذي تلقيَّتُه خلال أربع سنين من الدراسة في الثانويَّة اللاهوتيَّة، وسنتين في بيت المُترهبِنين، وثلاث سنين في دراسة الفلسفة، وأربع سنوات في دراسة اللاهوت (كانت الأخيرة منها بعد رسامتي). وقد كنتُ مُخلِصاً في ممارسة مختلف الإماتات وسواها من ممارسات الانضباط، وما شكَكْتُ مرّةً في دعوتي ولا في أيِّ شيءٍ مِمّا تعلّمتُه. وقد تمثَّل تكريسُ حياتي لله بقبولي نذورَ الطاعة والعفَّة والفقر. وكان صوتُ الكنيسة عندي هو صوتَ الله.

تمّت سيامتي كاهناً كاثوليكيّاً رومانيّاً في كاتدرائيَّة سيِّدة الحَبَل بلا دنس في واشنطُن دي سي، وهي سابعُ أكبر كنيسة في العالمَ اليوم. ولمّا بادر "سيادةُ الأُسقف الجزيل الاحترام، جان م. مكنَمارا" إلى وضع يديه على رأسي مكرِّراً كلمات المزمور ١١٠:٤ "... أنت كاهن إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق،" غمر كياني الاعتقادُ أنّي أصبحتُ وسيطاً بين الله وشعبي. كما أنَّ إعطاء المسحة ووضع اللباس الخاصِّ في يديَّ كانا إشارةً إلى أنَّهما باتتا مكرّستّين لتغيير الخبز والخمر إلى جسد يسوع المسيح ودمه الحقيقيَّين (الحَرْفيَّين)، ولاستِكمال ذبيحة الجلجثة بالقُدّاس، وإعطاء النِّعمة المخلِّصة من طريق سائر الأسرار الكاثوليكيَّة المختصَّة بالمعموديَّة والاعتراف والتثبيت والزواج وغيرها. ويُقال إنَّ الكاهن الكاثوليكيّ عند رسمه ينال علامةً "لا تزول" تؤهِّله لأنْ يختبر تبادُلاً لا ينتهي بين شخصيّته وشخصيَّة المسيح، حتّى يؤدِّي وظيفته الكهنوتية باعتباره "مسيحاً آخر"

(آلتِر كريستوس) أو شخصاً يحلُّ محلَّ المسيح. وكان مِن عادة الناس أن يركعوا ويُقبِّلوا أيادِينا المكرَّسة حديثاً، عن اعتقادٍ صادق بهذا.

بعدَ إكمالي آخر سنة من دراستي اللاهوتيّه، وكانت في الأساس إعداداً نهائيّاً للوعظ وسماع الاعتراف (الذي يشتمل على "الحلَّة" أو غفران الخطايا)، مُنحتُ رغبتي التي عبَّرتُ عنها منذ زمنٍ طويل بأن أصير كاهناً مُرسلاً في الفيلبين. وقد كانَ التحوُّلُ من الحياة الرهبانيّة الانضباطيَّة الصارمة إلى بساطة حياة المُرسَل وحرّيتها تحدِّياً لم أكُن مستعدّاً له. وراقني السَّفر إلى القُرى البدائيّة، البالغِ عددُها ثمانينَ أو أكثر، والمُلحَقة بأبرشيَّتنا. كذلك أيضاً أحببتُ تعليم الدروس الدينيَّة المُسندة إليَّ في الثانوية الكرمليَّة بمدينتنا الصغيرة. وكانت حياتي حتّى ذلك الحين تكاد تقتصر على الخدمة بين الرجال. فكنتُ أستمتع بمشاهدة الفتيات يُقهقِهن فيما يغازِلُهنَّ الشبّان. ولكنْ بعد مُدَّةٍ انجذب قلبي إلى واحدةٍ من التلميذاتِ الأكثر جدِّيَّةً، استحوذت على كامل انتِباهي. كانت تلك الشابَّة أنضج من عُمرِها من جرّاء المسؤوليات التي وقعت على عاتقها بعد وفاة والدها. وقد بَدَت لطيفة وخجلةً في تجاوُبها فيما كُنَّا ننتهزُ الأويقات ونتحادث بعد الدروس وحدَنا. كانَت تلك مُغامَرةً جديدةً عليَّ، وسرعان ما فسَّرتُ عاطفتَنا المُكتشَفة حديثاً بأنَّها حُبّ.

وليس بمُدهشٍ أنَّ المطران علم سريعاً بهذا الأمر، وإن كان يبعد عنا كيلومتراتٍ عدَّةً، فبادر حالاً إلى إعادتي إلى الولايات المتَّحدة قبل أن تتطوَّر أيَّةُ علاقةٍ جدّية بيني وبين الفتاة. وكانت خيبتُنا إزاء هذا التدبير الصارم صعبةً على كلَينا، ولكنَّ الحياة تمضي دائماً في سبيلها.

بعد المغامرة والحريَّة في الفيلبين، لم تعُد لديَّ الرغبة في العودة إلى حياة الرهبنة، فأذِن لي أُسقف الأبرشيَّة بالعمل في آريزونا بأبرشيَّة تابعةٍ للكرمليِّين الحُفاة. وقد تمتَّعتُ بالمسؤوليّات التي أُسندت إليَّ في تلك الأبرشيَّة، ولكنَّ المَهمَّة التالية التي كُلِّفتُها لم تكُن مرضيةً لي كثيراً. بُعيدَ ذلك مُنِحتُ تحلَّةً من روما لترك

الرهبنة الكرمليَّة كي أخدم بصفة كاهنٍ علمانيّ (أو كاهنِ رعيَّة). وبينما كُنتُ أخدم أبرشيَّة كبيرة في سان دييغو بكاليفورنيا، طلبتُ إذناً بدخول البحريَّة الأميركيَّة بصفة قسِّيسٍ كاثوليكيٍّ روماني، فكان لي ما طلبتُه. وهنالك وفَّرت لي الأهداف الجديدة والرتبةُ العسكريَّة والإبحارُ مناصاً ممّا كان قد أصبح بالتدريج حياةً أبرشيّةً عقيمة حافلة بالطقسيَّة والسِّرَّانيَّة.

اتَّسع أُفق حياتي الدينيَّة على وجه السرعة فيما خالطتُ القُسوس غير الكاثوليك. وإذا بي، أوّلَ مرّة، أعيش خارج نطاق ثقافتي الكاثوليكيَّة. وفي وسط الجوِّ المسكونيّ، اتَّجهتُ شيئاً فشيئاً نحو المُحايَدة. حتَّى إذا فتحَ المجمعُ الفاتيكاني الثاني نوافذ التقليد الصارم لإدخال هواءٍ جديد، استنشقتُ نسماتٍ منعشة. ها قد بدأ التغيير يشقُّ طريقه. وقد أراده بعضُهم جذريّاً، فيما شاءه آخرون على قليلٍ من التحديث. فعند الكثيرين أنَّ الإيمان الكاثوليكيَّ كان مُخفِقاً في توفير حلولٍ للمشكلات المعاصرة. وشعر كثيرون بالتغرُّب وإساءة الفهم. وكان ذلك يصحُّ على الكهنة خصوصاً. فمع كلِّ مظاهر التغيير، كان الكهنوت فاقِداً بريقه. إذ لم تعُد ثقافة الكاهن تُعتَبر أرقى من ثقافة ابن ابرشيَّته، ولم يعُدِ الكاهن يُثقَّف ثقافةً أعلى مستوًى من غالبيَّة رعيَّته. وقد بات شائعاً بين الكهنة اختبارُ أزمةِ هويَّة على نحوٍ لم يكن ليعترفَ به بعضُهم، حتَّى بين قُسوس الجيش.

هالَني في أوَّل الأمر أن أكتشف أنَّ بعض الأساقفة الكاثوليك يُقيمون علاقاتٍ سريَّة. وقد أصغيت بانتباهٍ إلى بعضهم وهم يُناقشون الطبيعة غير العمليَّة التي تتَّصف بها العزوبيَّة الإجباريَّة. وسرعان ما استجمعتُ الشجاعة لمُساءَلة سلطات كنيستنا التي أصرَّت على التشبُّث بمثل هذه التقاليد، ولا سيَّما حين شكَّل قانون العزوبيَّة مصدراً لمشكلاتٍ خُلقيَّة كثيرة بين الكهنة. و أوَّلَ مرة في حياتي شككتُ في سلطة ديانتي، لا بسببٍ من الكبرياء العقلانيَّة، بل بداعي الضمير وبإخلاصٍ حقّ.

لّما كُنّا طَلَبة كهنوت، فقد تعرَّفنا جيِّداً بالتقليد الذي يُلزِم الكاهنَ الكاثوليكيَّ الرومانيَّ حياةَ العزوبيَّة. وقد علمْنا يقيناً أنَّ الأقِلاَّء الذين يمنحهم الفاتيكان إذناً بالزواج ربّما لا يُسمَح لهم بأن يُزاوِلوا البتَّة مهامَّ وظيفتهم الكهنوتيَّة. ولكنَّ الأزمنة قد تغيَّرت، حتّى إنَّ أسئلةً لم يسبقْ أن طُرِحت جهراً قد جرى بحثُها علناً في المجلس الفاتيكانيِ برُوما. وقد رأى كثيرون أنَّ الكهنة المتزوِّجين يُتاح لهم، كما هي الحال لدى البروتستانت، أن يُضفوا على الشؤون الزوجيَّة والعائليَّة فهماً أوفى وتحسُّساً أوفر. وباتتِ المناقشاتُ في مثل هذه القضايا أمراً مألوفاً لدى التقاء كاهنين أو أكثر، ولَو في أثناء زيارةِ المسكن الذي كنتُ أُقيم فيه مع والدتي.

ولم تكُن أُمي تستنكف عن المشاركة في المناقشات. فهي كانت امرأةً واسعة الاطِّلاع وحادّة الذكاء، وكنتُ أُقدِّر آراءها كثيراً. وإنِّي لأذكُر مدى استيائها من إدراج نظريَّة التطوُّر في مقرَّرات المدارس الكاثوليكيَّة، ومن كون روما قد قبلت إجراء حوار مع الشيوعيِّين. ولطالما كانت قد انزعجت من بعض التضارُب الذي لاحظَتْه بين المبادئ التي تُعلِّمها الأسفارُ المقدَّسةُ وانعدام المبادئ لدى كثيرين من القادة الدينيِّين في كنيستنا. إلاَّ أنَّ المونسنيور "كارترَيْط"، قبل سنين كثيرة، أراحها بتذكيرها أنَّ كنيستنا -وإن كان فيها مشاكلُ كثيرة- قد وعد المسيحُ بأنَّ "أبواب الجحيم لن تقوى عليها". إنَّما دأبت والدتي في التعبير عن بالغ احترامها للكتاب المقدَّس. ومع أنَّها قد قرأتْه بأمانةٍ على مرِّ السنين، فإنَّها آنذاك كانت قد بدأت تصيرُ تلميذةً توّاقةً له. وبينَما لاحظتُ لدى زملائي اتِّجاهاً تحرُّريّاً عامّاً، ألفيتُ والدتي ميّالةً نحو اتِّجاهٍ آخر. فكان ذلك لغزاً أغلق عليَّ. وفيما كان الآخرون يعبِّرون في مناقشاقم عن رغبةٍ في حلحلة القيود والطقوس التقليديَّة، عبَّرَت والدتي عن رغبتها في رؤية المزيد من التشديد على مفاهيم الكتاب المقدَّس في الكنيسة، مع المزيد من مراعاة النواحي الروحيَّة في الحياة، وتشديدٍ أكبرَ على المسيح، بل على العلاقةِ الشخصيَّة به.

لم أعِ حقيقة الأمر في البداءة، لكنَّني ما لبثتُ أن أخذت أُلاحِظ تغييراً عجيباً في حياة أُمِّي. وقد أسهم تأثيرُها في لَفت انتباهي إلى أهمِّيَّة الكتاب المقدَّس في تحديد ما نؤمن به. وغالباً ما كُنَّا نبحث في موضوعاتٍ مثل أوّليَّة الرسول بطرس، والعصمة البابويَّة، والكهنوت، ومعموديَّة الأطفال، والاعتراف، والقُدّاس، والمطهَر، وعقيدة الحَبَل بمريم بلا دَنَس، وصعودها بجسدها إلى السماء. وفي حينه أدركتُ أنَّ هذه المعتقدات، عدا كونها غير موجودة في الكتاب المقدّس، تُناقض فعلاً تعليم كلمة الله الصحيح الواضح، أخيراً سقط الحاجزُ الذي طالما منعني حيازةَ قناعاتٍ شخصيَّة راسخة. وما عادت تُخامِرُني أيَّة شكوكٍ بشأن نظرة الكتاب المقدَّس في هذه الموضوعات، ولكنْ أيَّة نتيجة سيكون لهذا كُلِّه بالنسبة إلى حياتي ككاهن؟

كنتُ أُومن حقّاً بأنَّ الله قد دعاني إلى خدمته. فإذا بي، وجهاً لوجه، أمام مأزقٍ أدبيّ. ماذا أفعل يا تُرى؟ حقّاً أنَّه كان بين الكهنة مَن لا يؤمِنون بعقائد روما كلِّها، وحقّاً أنَّ بعض الكهنة كان لهم زوجاتٌ وعائلاتٌ في السرّ. إذاً، كان في وسعي أن أظلَّ قسِّيساً كاثوليكيَّاً وأستمرَّ في خدمتي من دون المجاهرة بقناعاتي المضادَّة. وكان في وسعي أن أظلَّ أتلقَّى راتب الرُّتبة العسكريَّة وأتمتَّع بامتيازاتها، وأن أظلَّ أتلقَّى مُخصَّصات والدتي وتعويضاتها. فإنَّ أسباباً عدَّة كانت تحدوني على البقاء، معنويّة ومادّيّة على السواء، ولكنَّ قيامي بذلك يكون رياءً ومنافياً للآداب. ومنذُ صباي تعلَّمتُ أن أفعل ما هو صواب. لذلك اخترتُ أن أفعل ذلك أيضاً آنذاك.

على الرُّغم من كون مطراني قد منحني منذ عهدٍ قريب الإذنَ بأن أقضيَ في الجيش عشرين سنة، فقد استقلتُ بعد أربعٍ منها فقط. وما كان منِّي إلاَّ أنِ انتقلتُ مع أُمِّي بهدوء إلى قرب أخي بول وزوجته في منطقة خليج سان فرنسيسكو. وقُبيلَ انتقالِنا قطعَتْ والدتي علاقتها بالكثلكة إذِ اعتمدَت في كنيسة أدفنتستيَّة للسبْتيِّين. وقد علمْتُ أنَّها كانت تدرس الكتاب المقدَّس بمعاونة واحدٍ

من خدّامهم، غير أنّها لم تُطلِعني على أمر معموديَّتها حتَّى عزمتُ فعلاً على ترك الكهنوت.

وما كان قرار تَرْكي للكهنوب بالهيِّنِ قَطّ. فإنَّ دعوى روما بعدم وجود أسباب موضوعيَّة لترك "الكنيسة الواحدة الحقيقيَّة" كانت أمراً ينبغي النظر فيه بتدقيقٍ شديد. ومن شأن الكاثوليك المحافِظين أن يعتبروني بعدُ "كاهناً خائناً كيُوضاس، ملعوناً ومحروماً، من الواجب تجنُّبي". بلى، لقد حفَّت صعوباتٌ كثيرة بتَركي حظيرة الكثلكة الآمِنة، غير أنَّه تبيَّن لي أنَّ الربَّ يسوع لا يخذل أحداً البتَّة.

بعد نفضي غُبارَ الكثلكة عن حذائي، واجهَتْني قضيَّة جوهريَّة جدّاً: أين السُّلطةُ العُليا؟ وبعمليَّةِ "الاستِثناء والاستِغْناء"، استخلصتُ بالتدريج أنَّ الكتاب المقدَّس هو السُّلطة الوحيدة التي لا تمكن زعزعتُها. فإنَّ أنظمة عديدةً، بما فيها الكثلكة الرومانيَّة، قد حاولت عبثاً نقْض كفاية كلمة الله وكمالها وفاعليَّتها، رُغمَ كونها لم تُكتَب بمشيئةِ إنسانٍ بل دوَّنها رجالُ الله القدِّيسين يسوقهم الروحُ القدس: "لأنَّه لم تأتِ نُبوَّةٌ قطُّ بمشيئة إنسان، بل تكلَّم أُناسُ الله القدِّيسون مسوقينَ من الروح القُدُس" (**٢**بطرس ١:٢١).

هوذا ما أسعدَ اليومَ الذي يُدرك جميع الذين يُسَمُّون اسم المسيح أنَّ الكتاب المقدَّس هو مصدرُ السلطةِ الوحيدُ الثابتُ غير المتغيِّر! فالكتاب المقدس هو المرجع الوحيدُ ذو السلطان الحاسم بسبب ارتباطه الكليّ بمؤلِّفه الأزليّ، وفيه عبَّر الله عن فكره تعبيراً جليّاً مفهوماً. وإنَّها لَمأساةٌ أن ترفضَ كفايةَ الكتاب المقدَّس جماعاتٌ كثيرةٌ، مثل الكاثوليك ومعظمِ البروتستانت التقليديين وقسمٍ كبير من الخمسينيِّين، وسواهم. وهم يؤْثِرونَ وضع ثقتهم، بالمُقابل، في مراجعَ مشكوكٍ فيها، كالتقاليد والرؤى والأحلام والظُّهورات والتنبّؤات. فهذه كلُّها لا تقومُ لها قائمةٌ كي تُعتبَر "من يد الله"، فضلاً عن كون القسم الأعظم منها مناقِضاً لتعليم الكتابِ الصريح الجلّي.

وربّما كان السبب الذي يدفع كثيرين إلى اعتبار الكتاب المقدَّس غير كافٍ أنَّهم لم يدرسوه حقَّ الدرس. فإنَّ بطاقاتِ علاماتي على مدى ثلاث عشرة سنة من الدراسة الرسميَّة في رهبانيَّة "الكرمليِّين الحُفاة" تُبيِّن أنَّني لم أتلقَّ من دراسة الكتاب المقدَّس إلاَّ اثنتي عشرة ساعةً فصليَّة. وهذا وحده دليلٌ يُبيِّن أنَّ كلمة الله المقدَّسة ليست هي أساسَ التعليم الكاثوليكيِّ الرومانيّ.

بعدَ تَرْكي الكثلكة، أردْتُ أن أدرسَ الكتاب المقدَّس. ولّما كان للكنيسة موقعٌ هامٌّ في تفكيري، فلم أُعارِضِ الانضمامَ إلى طائفةٍ أُخرى. وبعدَ استعراض أحوال بعض الكنائس البروتستانتيَّة، تبيَّن لي –واأسفاه!– أنَّها في غباءِ غايتها المسكونيَّة متَّجهةٌ إلى الاتِّحاد من جديد بروما على حساب الحقِّ الذي يؤكِّده الكتابُ المقدَّس. وفي الواقع أنَّ رؤية التشكيلة الواسعة من الكنائس قد يكون مُثبِّطاً، بل خَطِراً جدّاً، للكاثوليكيِّ سابقاً في بحثه عن الحقّ.

على أنَّ لقائي أصدقاءَ أُمِّي السبتيِّين كانَ مُبهِجاً لي. فقد ألفيتُهم متحمِّسين لإيمانهم، كما ردَّد حبُّهم للكتاب المقدَّس أصداءَ رغبتي في دراسته. وآلَ ذلك إلى اتِّخاذي قراراً متسرِّعاً بالانضمام إلى طائفة الأدفنتست السبتيِّين. وقد دبَّر القسِّيسُ الذي عمَّدني أن يُرسلني "المجمعُ الكاليفورنيانيُّ الجنوبيُّ" إلى دراسة اللاهوت في جامعة " أندرُوز" لمدّة سنة واحدة. وبينما كنتُ أستعدُّ لتلك السنة الدراسيَّة، الْتقيتُ "رُوث". وكنتُ منذ سنة قد دأبتُ في الصلاةِ بشأنِ العثور على زوجة، راجياً ذلك. وأوَّلَ مرَّةٍ زارَت روث فيها كنيستَنا، عرفتُ أنَّها ستكونُ رفيقة دربي. ومن ثَمّ تزوَّجْنا قُبيلَ التوجُّه إلى كليَّة اللاهوت. كانت روث قد تحوَّلت إلى السبتيَّة، وشأنُها شأنُ غيرها، افترضَت أنِّي مسيحيٌّ حقّاً بما أنَّني كنتُ مستعدّاً لدراسة اللاهوت.

وإذ أدركَتْ زوجتي أنِّي لم أذكر شيئاً عن "الولادة الثانية"، سألَتْني يوماً: "مَتى صرتَ مسيحيّاً حقّاً، يا بَارت؟" فكان جوابي الذي لا يُصدَّق: "لقد وُلِدتُ مسيحيّاً!" وفي ما أعقب ذلك من محادثات، ساعدَتْني روث على أن أفهم أنَّ

الإنسان، لكونه مولوداً بالخطيَّة، ينبغي أن يُدرك في وقتٍ ما حاجتَه إلى المخلِّص، ويستطيع أن يولد ثانيةً ولادةً روحيَّة بوضْع ثقته في يسوع المسيح وحدَه ليُخلِّصه من عواقب الخطيَّة. ولّما أجبتُها بأنَّني طالَما آمنتُ بالله، علَّقَت بما جاء في يعقوب ١٩:٢ "أنت تؤمن أنَّ الله واحد. حسناً تفعل، والشياطين يؤمنون ويقشعرُّون".

وبعد مُدَّة، بسببٍ من هذه المحادثات وبفضل دروسٍ تلقَّيتُها حول رسائل رومية وغلاطية والعبرانيِّين، تبيَّن لي أنَّني كنت متَّكلاً على برِّي الذاتي وعلى مجهوداتي الدينيَّة، لا على ذبيحة المسيح المُنجَزة والكافية والوافية. ولم تكُنِ الديانةُ الكاثوليكيَّة قد علَّمتني قطُّ أنَّ برَّنا الذاتيَّ جسديٌّ وغيرُ مقبولٍ أمام الله، وما كانت قد علَّمتني أيضاً أنَّ كلَّ ما علينا هو أن نثق ببرِّ الله ونتَّكِل عليه وحده. فهو تعالى قد سبق أن فعل كلَّ ما ينبغي فعلُه لأجل مصلحتِنا. ثُمَّ أقنعني الروحُ القُدس ذاتَ يوم، ونحنُ في اجتماع الصلاة الصباحيّ، بحاجتي إلى التوبة وقبول "عطيَّة" الله.

طيلةَ تلك السنين التي قضيتُها في حياة الرهبنة، كنتُ أتَّكل على " أسرار روما المقدَّسة" لإعطائي النعمة وتخليصي. أمَّا آنذاك فقد وُلِدتُ بنعمة الله ولادةً روحيَّة، وتأكَّد لي خلاصي. فلّما كنتُ جاهلاً برَّ الله، كاليهودِ أيّامَ بولس الرسول، مضيتُ مُحاوِلاً إثباتَ برِّي الخاصِّ، غيرَ مُخضِعٍ ذاتي لبرِّ الله (رومية ١٠: ٢و٣).

قارئي الكريم، إنَّني لا أعرفُ مَن أنت، وما هي حقيقةُ علاقتك بالله، ولكنِ اسمحْ لي بأن أسألك أهمَّ سؤالٍ في الحياة: أأنت مسيحيٌّ كتابيّ؟ أأنت واثقٌ كليّاً فقط بذبيحة المسيح الكاملة لمغفرة خطاياك؟ إن كان لا، فلماذا لا تسوِّي المسألة الآنَ الآن؟ فكما في احتفال الزواج البسيط، عِدِ المسيحَ بمحبَّتك وتكريسك وثقتك. ذلك أنَّ قبول المسيح مخلِّصاً ليس أمراً تفعلُه كطقسٍ دينيّ، بل هو تسليمُه حياتَك مرَّةً واحدة لأجل مغفرة خطاياك. ولحظةَ تفعلُ هذا، يحتلُّ يسوعُ المسيح موقعاً حيويّاً في كِيانك وتنالُ الحياةَ الأبديَّة. بعد ذلك تتغيَّر كلَّ

حين. فالكتابُ يقول: "واثقاً بهذا عينه: أنَّ الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يُكمِّل إلى يوم يسوع المسيح" (فيلبّي ١:٦).

في أواخر سنتي الرابعة مع السبتيِّين، تأثَّرتُ ببعض أعضاء الكنيسة لحضور اجتماعاتٍ كارزماتيَّة. قالوا لي إنَّ الروح القدس كان آخِذاً في إسقاط الحواجز الطائفيَّة في الأيَّام الأخيرة قبل رُجوع المسيح. فرغبةً منِّي في الحصول على كلِّ ما يخزنه الله لي، ذهبت إلى غُرفة صلاة لاقتِبال "موهبة الألسنة". كنتُ حَذِراً تجاه تلك الممارسات كلِّها، ولا سيَّما لأنِّي لم أستطع حمل نفسي على إدخالِ الآخرين في تلك الحركة. إذ كانَ أكثر أهميَّة عندي بكثير أن أُحرِّضَ الناس على دراسة الكتاب المقدَّس وآخذَ بأيديهم إلى الوثوق بالمسيح والعيش بمقتضى المبادئ الكتابيَّة. وكان دافعي إلى الانجِذاب نحو الحركة الكارزماتيّة ذلك الاهتمام بالآخرين الذي بدا أنَّها تعمل على بعثه. فهذا، فضلاً عن عفويَّتها وحماستها، أثَّر فيَّ باعتباره مُمثِّلاً لنمط حياةٍ كتابيٍّ بدا مفقوداً في عدَّة كنائس.

بعد مدَّةٍ قصيرة من سيامتي خادماً سبتيّاً أدفنتِستيّاً، علَّى المجمعُ الجنوبيُّ شأن كتاباتِ "ألِن جي وَيت"، وكانت واحدةً من مؤسِّسي الأدفنتستيَّة يعتقد السبتيُّون أنَّها نبيَّة. وقد وجدتُ، وزوجتي روث، حلقاتِ الرُّعاةِ الدراسيَّةَ ذاتَ عونٍ كبير، ما عدا الأخيرةَ منها. كان المُحاضر من اعضاء المجمع العامّ في واشنطن دي سي، وقد أقلقَتْنا جدّاً بعضُ تصريحاته. والتصريحُ الذي باتَ نقطة تحوُّلٍ في حياتي هو قوله إنَّ كتابات "ألن وَيت" "موحىً بها، تماماً مثل متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا". وإذِ انزعجتُ أيَّ انزعاج، تشاورتُ مع قائدٍ محترَم جدّاً عندهم، ولكن لم يتأتَّ لي قطُّ أن أُريح ضميري على ذلك. وكنتُ قد بدأتُ أشعر بأنَّني مقيَّدٌ روحيّاً في السبتيَّة بسببِ ناموسيَّتها وانغلاقها، إلاَّ أنَّ ذلك التصريح الخطير كان في رأيي زيادةً خَطِرة على الكتاب المقدَّس.

وحينَ آثرتُ ألاَّ أبدأ في كنيستنا السلسلة التي تُسمَّى "العدّ العكسيّ في الشهادة"، اعترض بضعةُ أعضاء. وفي غضون أيّامٍ قليلة، تأكَّد لي في ضميري أنِّي

لا أستطيع الاستمرارَ بعدُ بتأدية دوري خادماً أدفنتستيّاً. ولولا التشجيعُ والعون اللذين تلقيّتُهما من بعض الخدّام الأصدقاء الذين لا ينتمون إلى الأدفنتستيَّة، لكان تحوُّلي أمراً محفوفاً بالصعاب على نحوٍ أعظم.

في أثناء السنين الأربع التالية تولَّيتُ رعاية كنيستين، ونموتُ سريعاً في معرفة الكتاب المقدَّس، وتبيَّنت لي صعوبة التعامُل مع أناسٍ لا يخضعون لنظامٍ سُلطَويّ. وقد أُتيحت لي فُرَصٌ عديدة لتقديم شهادتي الشخصيَّة. وقام في قناعتي أنَّ الله "حسبني أميناً، إذ جعلني للخدمة" ولكن ليس كراعٍ.

وبعد كثيرٍ من الصلاة عقدتُ العزم على العودة إلى "سان دييغو"، حيثُ خدمتُ ككاهنِ رعيَّةٍ في ما مضى. فوعياً منّي لكون المجمع الفاتيكانيّ الثاني قد سبَّب لكثيرٍ من الكاثوليك اضطراباً وخيبةَ أمل، شعرتُ بأنَّ الله يقودني إلى الانطلاق بخدمةٍ تُعاوِنُهم على التحوُّل عن الطائفة الكاثوليكيَّة. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتَّى فتح لي الربُّ أبواباً للتكلُّم. وحين كان الناسُ يسألون عن هويَّة خدمتنا، كُنّا نجيبُهم بأنَّها شِبه إرساليَّة موجَّهة نحو الكاثوليك.

لَمّا نَمَونا روحيّاً، أنا وروث، اقتنعنا بمسكونيَّة الحركة الكارزماتيَّة فتركناها. في ذلك الحين تقريباً التقَيْنا بعض المُحافِظين الكتابيِّين الذين كانوا مؤمنين بمبادئ الكتاب المقدَّس وممارسين لها بأمانة. ومع أنَّ لنا أصدقاءَ كُثُراً في كنائس كتابيَّة مستقلَّة، فقدِ انتمَيْنا إلى كنيسة معمدانيَّة مُحافِظة، رُسِمتُ فيها خادماً أيضاً.

كانتِ "الإرساليَّة الدُّوَليَّة إلى الكاثوليك" قد أُنشِئت ومُنِحَت ترخيصاً كمؤسَّسةٍ غير هادفة للرِّبح. ومنذئذٍ وزّعت ملايين الكُرّاسات والكتب والأشرطة المسجَّلة التي تُفصِّل التناقُضات بين الكثلكة الرومانيَّة والكتاب المقدَّس، وتُقدِّم الخلاص بمفهومه الكتابيِّ السليم. وتتوافر نشرة إخبارية شهريَّة لأيِّ مُساهِم يطلبها. وقد دبَّر لنا الربُّ فُسحةً من البثِّ الإذاعيِّ والتلفزيونيّ، كما سرَّنا أن تُطبَع سيرتي الذاتيَّة "رحلَتي عن روما" وتلقى قبولاً واسعاً، بالانكليزية والاسبانيَّة

معاً. وتيسَّر لنا أن نُقيم الاجتماعات ونُدخِلَ المطبوعاتِ في عدَّة بلدانٍ أجنبيَّة، وما برحَتِ الطلبات البريديَّة تُرسل على مدى خمسة أيّامٍ في الأُسبوع من مكتبِنا في منـــزلنا بِسان دييغو.

إنَّ الاجتماعات تشغلنا على مدى ثلاثة عشر أُسبوعاً بالسفر داخل الولايات المتَّحدة وخارجها. كما أنشأنا "مدرسة" لتبشير الكاثوليك" توفِّر أُسبوعاً أو أكثر من التدريب المكثَّف للخدّام والقادة الراغبين في توفير خدماتٍ متخصِّصة عبر كنائسهم للوصول على نحو فعّال إلى الكاثوليك المُحيطين بهم. كذلك يُشجَّع المرسَلون والكاثوليكُ سابقاً على الحُضور أيضاً (ولا سيّما الكهنة المولودون ثانيةً والراهباتُ سابقاً) ليتسنّى لهم أن يخدموا الربَّ والناسَ في إطارٍ كتابيٍّ مُحافِظ.

إنَّنا في "الإرساليَّة إلى الكاثوليك" مقتنعون بأنَّه ليس من المحبَّة في شيء أن يُحجَب الحقُّ عن الذين في الظلام. فالكاثوليك كغيرهم في حاجةٍ لأن يُحمَلوا على التفكير في ما يؤمنون به ويدرسوا الكتاب المقدَّس، مقارنين ديانتَهم بحقِّ الكلمة الإلهيَّة. وعندئذٍ فقط يتسنَّى لهم أن يختبروا الحريَّة والنُّور في رحاب حقِّ الله: "وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يُحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣٢).

(الكاهن المولود ثانيةً: بارثولوميو ف. ابْرُوَر)

خمسون سنة
في كنيسة روما
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً
"شارل شِنِكي"

وُلِدتُ وعُمِّدتُ كاثوليكيّاً رومانيّاً عام ١٨٠٩؛ ورُسِمتُ كاهناً عام ١٨٣٣ في كندا. وعلى مدى خمسٍ وعشرين سنةً كنتُ كاهناً في كنيسة روما. وأقول بصراحةٍ إنّني أحببتُ تلك الكنيسة وإنّها أحبّتني. وكنتُ مستعدّاً لبذل آخر نقطة من دمي في سبيل كنيستي وللتضحية بحياتي ألفَ مرَّةٍ لبسْط سلطانها وفرْض احترامها على القارّة الأميركيَّة وعلى العالم كلّه. فقد كان طموحي الكبير أن أَهدي البروتستانت وأردَّهم إلى أحضانِ كنيستي، لأنّي عُلِّمت -وعلّمتُ أيضاً- أنْ لا خلاصَ خارج كنيسة روما، وقد آلمني أن أُفكِّر في أنَّ جماهير البروتستانت على ضلال وإلى هلاك.

إنَّ الكتاب المقدَّس في كنيسة روما كتابٌ مُقفَل، لكنَّه لم يكن هكذا عندي. فقد وجدتُه عزيزاً على قلبي لمّا كنتُ ولداً صغيراً. ولمّا صرتُ كاهناً كاثوليكيّاً تابعاً لروما، عكفتُ على قراءته ليُصيِّرني رجُلاً قوياً ويُمكِّنني من الدِّفاع عن الكنيسة.

كان همّي الأوّل إرباك خدّام البروتستانت. فاقتنيتُ نسخةً من "كتاب الآباء القدّيسين" ودرستُها ليلاً ونهاراً إزاء الكتاب المقدَّس، كي أُعِدَّ نفسي للمعركة الكبرى التي قرَّرتُ خوضها ضدَّ البروتستانت. وقد قمتُ بهذه الدراسة لأُوَطدَّ إيماني بالكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة.

ولكنْ -تبارك اللهُ!- كُلَّما قرأتُ الكتاب المقدَّس كان صوتٌ عجيبٌ يهمس في قلبي قائلاً: "أمَا ترى أنكُم في كنيسة روما لا تتبعون تعاليم كلمة الله، بل تقاليدَ الناس فقط؟" وفي هدأة الليل كُنت أبكي وأنتحب عندما أسمع ذلك الصوت، إلاَّ أنَّه كان يتكرَّر بقوَّة الرعد. كنتُ أرغب في أن أعيش وأموت في الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة المقدَّسة. وصلَّيتُ إلى الله لإسكات ذلك الصَّوت، إلاَّ أنَّه كان يزداد حدَّةً وشدَّة. فبينما كنتُ أقرأ كلمة الله، كان تعالى يُحاول أن يُحطِّم قيودي، ولكنَّني ما كنت أقبل تحطيم أيَّة قيود. لقد كان يفتقدني بنوره المخلِّص، ولكنِّي ما كنتُ لأَقبلَه.

لم أكُن أُضمِر أيَّ حقدٍ على الكهنة الكاثوليك. ربَّما ظنَّ بعضكم العكس؛ ولكنّكم مخطئون. أحياناً، أبكي على أولئك الكهنة، لأنَّي أعرف أنَّ أولئك المساكين -شأنُهم كما كان شأني- يُحاربون الربَّ، وأنَّهم تاعِسون كما كنتُ أنا تعساً آنذاك. وإذا أطلعتُك على بعضِ الجهادات التي أتحدَّث عنها، تُدرك ما معنى أن يكون المرء كاهناً كاثوليكيّاً، وتُصلِّي لأجلهم:

عام ١٨٥١ قصدتُ إيلينوي لتأسيس مستعمرة فرنسيَّة، مصطحِباً نحو خمسة وسبعين ألفَ كنديٍّ افْرنسي، فاستوطنّا في سهول إيلينوي الرائعة لامتلاكِ أراضٍ باسْم كنيسة روما. وبعدما بدأتُ عمل الاستيطان العظيم، صرتُ رجُلاً غنيّاً، فاشتريتُ كميَّة كبيرة من الكتب المقدَّسة، ووزَّعت تقريباً لكلِّ عائلة نسخةً. وقد غضب المطرانُ عليَّ بسبب ذلك، ولكنَّني لم أهتمّ. لم تكن تراودني أيَّة فكرة بترك كنيسة روما، ولكنِّي أردتُ أن أقودَ رعيَّتي، بقدر استطاعتي، في الطريق التي يريد المسيح منِّي أن أقودهم فيها.

آنذاك قام أُسقف شيكاغو بأمرٍ لم نستطع نحنُ الفرنسيِّين أن نحتمله. كان ذلك جريمةً كبيرة، فكتبتُ إلى البابا، فطردَهُ، وأرسل بدلاً منه أُسقفاً آخر كلَّف نائبَه الأوَّلَ أن يزورني. قال لي النائبُ الأوّل: "نحنُ مسرورن لإسهامك في طرد الأُسقف السابق لأنَّه كان رجلاً رديئاً. ولكنْ يُشكُّ في دوائر كثيرة بأنك لم تَعُد

في كنيسة روما، ويُشاع أنّك هرطوقيّ وبروتستانتيّ. فهلاّ تُعطينا مُستَنَداً تُثبت به للجميع أنّك ورعيَّتك ما زلتم كاثوليكيِّين صالحين". قلتُ له: "ليس لديَّ اعتِراض". فأردف: "يرغبُ الأُسقف الجديد إليك في إعطائه مستنداً كهذا". فأخذتُ ورقةً، وقد بدا لي أنَّها فرصةٌ ذهبيَّة لإسكاتِ الصوت الذي ما انفكَّ يُكلِّمني ليلاً نهاراً ويُقلقِل إيماني. أردتُ أن أُقنع نفسي، عبرَ هذه الواسطة، بأنَّنا في الكنيسة الكاثوليكيَّة كُنَّا حقّاً نتبع كلمة الله، لا مجرَّد "تقليد الناس". وهكذا كتبت، بالحرفِ الواحد، ما يلي: "سيِّدي؛ نحنُ الكنديين الفرنسيِّين في مستعمرة إيلينوي نُريد أن نعيش في الكنيسة الكاثوليكيَّة المقدَّسة الرسوليَّة التي لا خلاصَ خارجَها.وكي نُثبِت هذا لسيادتك، نَعِدُك بأن نخضع لسلطتك، بحسب كلمة الله كما نجدها في إنجيل المسيح". ثُمَّ وقَّعتُ الورقة، وطلبتُ لرعيَّتي فوقَّعوها أيضاً؛ ومن ثَمَّ وضعتُها في يد النائب الأسقفيّ الأوَّل، واستمزجتُه الرأيَ فيها، فقال: "إنَّها ما نُريده بالضبط" وطمأنَني إلى أنَّ المطران سيقبلُها، وأنَّ كلَّ شيء سيكون على ما يُرام.

حينما قرأ المطران ورقة الإذعان، ألفاها هو أيضاً جيِّدةً، ثمَّ قال وقد دمعت عيناه فرحاً: "إنَّني مسرورٌ جدّاً لإقرارك بالخُضوع، لأنَّنا كُنَّا نخشى أن تتحوَّلوا، أنت ورعيّتك، إلى البروتستانتيَّة!"

ولكنْ لكي أُظهِرَ عَماي لكم، يا أصدقائي، عليَّ أن أعترف -لخزيي- بأنَّني كنتُ مسروراً لمسالمتي المطران، وهو مجرَّدُ إنسان، فيما لم أكُن على سلامٍ مع الله بعد. وقد ناولني المطران "رسالة سلام" أعلن بها أنِّي واحدٌ من أفضل كهنته. ثُمَّ عُدتُ إلى مواطِنِيَّ، عازِماً على البقاء هُناك. غير أنَّ الله نظر إليَّ في رحمته، وكان مُزمِعاً أن ينقض ذلك السلام الذي كان سلاماً مع الناس لا مع الله.

بعد مُغادرتي، توجَّه المطران إلى مكتب التلغراف وأبرق بخضوعي إلى سائر الأساقفة، طالباً رأيهم في الموضوع.

وفي اليوم نفسه أجابوه جميعاً بالإجماع: "أمَا ترى أنَّ شِنكي بروتستانتيٌّ مقنَّع، وأنَّه جعلك بروتستانتيّاً؟ فليس لك أبدى خضوعه بل لكلمة الله. فإن كُنتَ لا ترفضُ ذلك الخضوع، تكون بروتستانتيّاً أنت أيضاً!"

وبعد عشرة أيّامٍ استدعاني المطران.وحالَما ذهبتُ إليه سألني عن "رسالة السلام" التي سبق أن أعطانيها. فأخرجتُها من جيبي، وما إن رآها حتّى أسرع بها نحو الموقد ورماها في النار. وأسرعتُ إلى النار أستنقِذُها، ولكن سبقَ السيفُ العذَل، إذ كانتِ النارُ قدِ التهمتها.

ثمَّ التفتُّ إلى المطران وقلتُ له: "كيف تجرؤ يا سيِّدي على أن تنتزع من يدي وثيقةً هي مِلكي، وكيف تُتلِفها بغير استئذاني؟"

أجابني: "يا سيِّدُ شِنكي، أنا رئيسُك، وليس عليَّ تقديم حساب لك!"

"أنت بالحقيقة رئيسي، يا سيِّدي، وما أنا إلاَّ كاهنٌ مسكين. ولكنَّ هنالك إلهاً عظيماً أعلى منكَ مثلما أنت أعلى منّي. وهذا الإلهُ قد منحني حقوقاً لن أتخلَّى عنها البتَّة إرضاءً لأيِّ إنسان. ففي حضرة هذا الإله أحتجُّ على إساءتك".

فقال: "هل جئتَ إلى هُنا لتُلقي عليَّ محاضرة؟"

قلتُ: "كلاّ يا سيدي، بل اريد أن اعرف إن كنت قد اتيتَ بي لتأنيــبي."

أجاب: "يا سيِّدُ شنكي، لقد أتيتُ بك إلى هُنا لأنّك أعطيتني مستنَداً تعلم جيِّداً أنَّه لم يكُن فِعلَ خضوع!"

فردَدْتُ: "أيَّ فعلِ خضوع تطلُبُ منِّي؟"

قال: "عليك أن تبدأ بحذف هذه الكلمات القليلة: "بحسب كلمة الله كما نجدها في إنجيل المسيح"، وتقول ببساطةٍ إنّك تَعِد بإطاعة سلطتي دونَ شرط، وإنّك تَعِدُ بأن تفعل كلَّ ما أقوله لك".

عندئذٍ هَبَبْتُ واقفاً وقلت: "سيِّدي، إنَّ ما تطلبه منّي ليس فِعلَ خضوع، بل فِعلَ تعبُّد، وأنا أرفضُ هذا".

فقال: "إن لم تُعطِني فعلَ الخضوع هذا، فلا يمكنك بعدُ أن تكون كاهناً كاثوليكيّاً رومانيّاً".

إذ ذاك رفعتُ يديَّ إلى الله وقُلت: "ليكُنِ اللهُ القديرُ مباركاً إلى الأبد"، ثُمَّ رفعتُ قُبَّعتي وخرجتُ من لدن المطران.

ذهبتُ إلى الفندق الذي كنتُ قدِ استأجرتُ غرفةً فيه، وأقفلتُ خلفي الباب. ثمَّ جثَوتُ على ركبتيَّ لأفحص ما قد فعلتُه في حضرة الله. وعندئذٍ رأيت جليّاً، أوّلَ مرة في حياتي، أنَّ كنيسة روما لا يُمكِن أن تكون هي كنيسة المسيح. وقد أدركتُ هذه الحقيقة الرهيبة، لا من أفواه البروتستانت، ولا مِن أعداء الكنيسة، بل من شفتَي كنيسة روما بالذات. وتبيَّن لي أنني لا أستطيع أن أبقى فيها إلاَّ بالتخلِّي عن كلمة الله في مُستندَ رسميّ. ثمَّ تبيَّن لي أنَّني أحسنتُ بالتخلِّي عن كنيسة روما. ولكنْ، يا أحبّائي، يا لها من سحابةٍ سوداء خيَّمت عليَّ، حتَّى صرختُ في ظلمتي: "إلهي، إلهي، لِماذا تُحيط بنفسي هذه الغيمةُ السوداء؟"

وبدموعٍ صلَّيتُ طالِباً إلى الله أن يُريني الطريق. ولكنْ لم أُمنَح جواباً فترةً من الزمن. ها قد تخلَّيتُ عن كنيسة روما، وعن منصبي وكرامتي وإخوتي وأخواتي، وعن كلِّ ما هو عزيزٌ عندي. وتراءى لي أنَّ البابا والأساقفة والكهنة سوف يهاجمونني في الصحافة والكُتُب ومِن على المنابر. كما تراءى لي أنَّهم سيُلوِّثون سمعتي وشرفي، وقد ينتزعون منّي حياتي. ورأيتُ أنَّ حرباً حتّى الموت قد نشبت بين كنيسة روما وبيني. وتطلَّعتُ لأرى هل بقي لي أيُّ أصدقاء يعاونونني في خوض المعركة، فلم أجد ولو واحداً فقط. إذ بدا لي أنَّه حتّى أصدقائي الأعزّاء لا بُدَّ أن يَلعنوني ويُعاملوني كخائن مُخزٍ. وخُيِّل إليَّ أنَّ شعبي سوف يرفضونني، وأنَّ بلدي المحبوب الذي لي فيه أصدقاء كثيرون سوف يلعنني، وأنَّني قد صرتُ موضع ذُعرٍ ورُعبٍ للعالم كلِّه.

ثُمَّ حاولتُ أن أتذكَّر هل لي بعضُ الأصدقاء بين البروتستانت. ولكنْ لأنَّي قضيتُ حياتي متكلِّماً وكاتباً ضدَّهم، لم يكُن لي بينهم صديقٌ واحد. وتراءى لي

أنّي تُركتُ لأخوض المعركة وحدي. كان ذلك أثقل من طاقتي. ولو لم يُجرِ الله معجزةً في تلك الساعة الرهيبة، ما كنتُ لأقوى على الصمود. لقد بدا مستحيلاً عليَّ أن أخرج من تلك الغرفة إلى العالَم البارد، حيث لا أجدُ يداً واحدةً تصافحني، ولا وجهاً يبشُّ بي، بل أجدُ الجميع ينظرون إليَّ نظرتهم إلى خائنٍ مارق.

بدا لي أنَّ الله بعيدٌ جدّاً، ولكنّه كان قريباً جدّاً. ثُمَّ خطرَت لي فجأةً هذه الفكرة: "إنَّ إنجيلك معك، فاقرأْهُ تجدِ النور!" ففتحتُ الكتاب، وأنا جاثٍ على ركبتيَّ، بيدينِ مرتجفتين. لم أفتحه أنا، بلِ اللهُ فتحه، إذ وقع نظري على **١**كورنثوس ٧:٢٣ "قدِ اشتُريتمُ بثمن، فلا تصيروا عبيداً للنّاس".

بهذه الكلمات أشرقَ عليَّ النور. وأوَّلَ مرّةٍ رأيتُ سرَّ الخلاص العظيم، بمقدار ما يستطيع الإنسان أن يرى. فقلتُ لنفسي: "لقدِ اشتراني المسيح؛ وإن كان قدِ اشتراني، فهو قد خلَّصني، وأنا مُخلَّص. إنَّ الربَّ يسوع هو إلهي. وأعمال الله كلُّها كاملة. إذاً أنا مخلَّصٌ إلى التمام. فالمسيح لا يُمكن أن يُخلِّصني مُناصفةً. إنّني مخلَّصٌ بدم الحمَل، مخلَّصٌ بموت الربِّ يسوع". وقد كانت هذه الكلمات عذبةً جدّاً في قلبي حتّى غمرني فرحٌ لا يُنطق به، كأنَّما ينابيعُ الحياة قدِ انفتحت وسيولٌ منَ النُّور الجديد تفيض على نفسي. وقلتُ لنفسي: "إنّني مُخلَّصٌ، ليس كما كنتُ أظنُّ -بالذهاب إلى مريم، ولا بالمَطْهر، ولا بصكوك الغفران والاعترافات وفروض التوبة: بل أنا مُخلَّص بيسوع المسيح فقط!" وإذا بجميع تعاليم روما الزائفة تتبدَّدُ من ذهني كما يسقط أرضاً بُرجٌ دُكَّت أساساتُه.

ثُمَّ غمرني فرحٌ وسلامٌ عظيمان جدّاً، حتّى إن ملائكة السماء لا يُمكن أن تكون أسعد منّي. فقد كان دم الحمل فائضاً على نفسي المذنبة المسكينة. وقلتُ بهتافِ فرحٍ عالٍ: "يا يسوعُ الحبيب، إنّي أشعر بالأمر، إنّي أعرفه: أنت قد خلَّصتني. يا **عطيّةَ** الله، إنّي أقبلك. خُذْ قلبي واحفظْني لك إلى الأبد. يا عطيَّة الله، أقِمْ فيَّ لتجعلني طاهراً وقويّاً؛ أقِم فيَّ لتكون طريقي ونوري وحياتي؛ وهبْني أن

أثبت فيك الآن وإلى الأبد. إنَّما، يا ربُّ يسوعُ الحبيبُ، لا تخلِّصني وحدي؛ بل خلِّصْ شعبي أيضاً؛ وهبْني أن أُظهِر لهمُ العطيَّة السماويَّة أيضاً. يا ليتهم يقبلونَك فيشعروا بالغنى والسعادة شعوري بهما الآن".

هكذا وجدتُ **النُّورَ** الحقيقيَّ وسرَّ خلاصِنا العظيمَ، البسيطَ والجميل، الجليلَ والمهيب معاً. فقد فتحتُ يدَي نفسي وقبلتُ العطيَّة. وقدِ اغتنَيتُ بالعطيَّة. إنَّ الخلاص، يا أحبّائي، هو عطيَّةٌ مجانيَّة. وليس لكم إلاَّ أن تقبلوه وتُحِبُّوه وتُحِبُّوا مُعطيَه.

ثُمَّ قرَّبتُ الإنجيلَ من شفتيَّ وتعهَّدتُ بألاَّ أكرز بأيِّ شيءٍ سوى يسوع المسيح!

وصلتُ إلى وسط مستعمرَتي صباحَ يومِ سبت. كان جميع الشعب بالِغي التأثُّر، وأسرعوا إليَّ يسألون عن أخباري. ولمّا اجتمعوا في مبنى الكنيسة قدَّمتُ إليهم **العطيَّة**، وأطلعتُهم على ما أهدانِي إيّاه الله: ابنه يسوع المسيح عطيَّةً لي ولغيري، وبيسوعَ المسيح غفران خطاياي والحياة الأبديّة -عطيَّةً مجّانيَّة أيضاً. ثُمَّ قلتُ لهم غيرَ عالمٍ هل يقبلون تلك العطيَّة: "حان وقتُ فراقي لكم يا أحبّائي. لقد تركتُ الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة، إلى الأبد. لقد قبلتُ عطيَّة المسيح، ولكنَّني أحترمكم كثيراً بحيث لا أفرض نفسي عليكم. فإن كنتم تعتقدون أنَّه من الأفضل لكم أن تتبعوا البابا بدلاً من المسيح، وأن تَدْعوا باسْم مريم بدلاً مِن اسْم يسوع، لكي تخلصوا، فأرجو أن تؤكدِّوا ذلك بوقوفكم.

ولَشدَّ ما أدهشني أنَّ الحضور كُلَّهم ظلُّوا جالسين، وهم يتنهَّدون ويبكون. كُنتُ أظنُّ أنَّ بعضاً منهم سيطلبون إليَّ أن أرحل، ولكنَّ أحداً منهم لم يفعل ذلك. وراقبتُ فرأيتُ تغييراً يأتي عليهم، تغييراً عجيباً لا يُمكِن التعبير عنه بالكلام المألوف. فقلتُ لهم بهتافِ الفرح: إنَّ الله القدير الذي خلَّصني أمسِ يستطيع أن يخلِّصكم اليوم. فمعي سوف تعبرون البحر الأحمر وتدخلون الأرض المنشودة. ومعي ستقبلون العطيَّة العُظمى، ولسوف تسعدون وتغتنون بفضلها.

سأطرح عليكم السؤال بطريقةٍ أُخرى: إن كنتم تعتقدون أنَّه من الأفضل لكم أن تتبعوا المسيح بدلاً من البابا، وأن تَدعوا باسْم يسوع وحده بدلاً من اسْمِ مريم، وأن تثقوا بدم الحمل المسفوك على الصليب لأجل خطاياكم بدلاً من مطهر روما الخُرافيّ حيث يزعمون أنكم تقدرون أن تخلصوا بعد موتكم؛ وإن كنتم تعتقدون أنَّه من الأفضل لكم أن أكرز لكم بإنجيل المسيح الصافي بدل أن تُعطَوا كاهناً يكرز لكم بتعاليم روما، فعبِّروا إذاً عن موافقتكم بوقوفكم –وأنا معكم ولكم!"

إذ ذاك هبُّوا جميعاً، بلا استثناء، واقفين على أقدامهم، وترجَّوا منّي بدموعٍ أن أبقى معهم. ها هي عطيَّة الله العُظمى التي لا يُعبَّر عنها تلوح أمام أنظارِهم أوّلَ مرّة بكامل بهائها، فإذا بهم يُلفونها ثمينةً جدّاً. لقد قبلوها حقّاً! وما من كلامٍ يقوى على التعبير عن فرح ذلك الجمهور كلِّه. وشأنُهم شأني، شعروا بأنَّهم أغنياء وسعداء بهذه العطيَّة. يومذاك كُتِبت في سفر الحياة أسماء ألفِ نفسٍ على ما أظنّ. وبعد ستَّة أشهُرٍ كُنَّا ألفَين من المولودِين ثانيةً. ثُمَّ بعد سنةٍ صار عدَدُنا أربعة آلاف. ونحنُ الآن نحو خمسةٍ وعشرين ألفاً مِمَّن غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوها بدم الحمل.

وسرعان ما انتشرت الأخبار في طول أميركا وعرضها، بل في فرنسا وإنكلترا أيضاً، بأنَّ شِنِكي، أشهر كاهنٍ كاثوليكيٍّ في كندا، قد ترك كنيسة روما على رأس جمهورٍ من النُّبلاء. وحيثُما انتشر ذلك الخبر، كان اسمُ يسوع يُبارَك. وإنّي لَعلى ثقةٍ بأنَّك أنت أيضاً لا بُدَّ أن تُبارك معي اليومَ المخلِّصَ الرحيم المعبود، إذ وُهِبتُ امتيازاً بأن أُخبرك بما فعله لخير نفسي. فليكُنِ اسمُ الربِّ مباركاً!

(الكاهن المولود ثانيةً: شارل شِنِكي)

من التقليد إلى الحقّ
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً
"ريتشارد بيتَر بَنِّيت"

السنوات الباكرة
وُلدتُ إيرلنديّاً في عائلةٍ أفرادُها ثمانية، وكانت طفولتي هانئة وسعيدة. فقد كانت عائلتنا تهوى اللعب والغناء والتمثيل، داخلَ مُعَسكرٍ في "دَبلِن"، إذ كان والدي ضابطاً في الجيش الإيرلنديّ حتّى تقاعد وأنا في التاسعة تقريباً.

كُنّا عائلةً إيرلندية كاثوليكيَّة نموذجيَّة. وكان والدي أحياناً يجثو على حافة سريره ليُصلّي بكلِّ وقار، كما كانت والدتي تُكلِّم المسيح وهي تخيط أو تجلي الصحون، أو تدخِّن سيكارة أيضاً. وفي أغلب الأمسية كُنّا نركع في غرفة الجلوس لنتلو السُّبحة معاً. وما كان أحدُنا ليُفوِّت قُدّاس يوم الأحد إلاَّ إذا كان مريضاً جدّاً. حتّى إذا بلغتُ من العمر خمس سنين أو ستّاً، كانَ المسيحُ بالنسبة إليَّ شخصاً حقيقيّاً للغاية، ولكنْ هكذا أيضاً كانت مريم والقدِّيسون. وفي وسعي أن أقف بسهولة في صفِّ غيري من أبناء البلاد الكاثوليكيَّة التقليديَّة، وصفِّ سائر الاسبان والفيليبينيِّين، الذين يتوجَّهون إلى يسوع ومريم ويوسف، وغيرهم من القدِّيسين، في حُمّى إيمانٍ واحدة.

تقطَّر فيَّ التعليمُ المسيحيُّ في "مدرسة بلفِردي اليسوعيَّة"، حيثُ تلقَّيتُ تعليمي الابتدائيَّ والثانويَّ بمجمله. وككلِّ ولدٍ يتعلَّم عند اليسوعيِّين، كان في وسعي وأنا دونَ العاشرة أن أسرد خمسة أسبابٍ لوجوب وجود الله، وأُدافع عن كون البابا رأساً للكنيسة الواحدة الحقيقيَّة. وقدْ شكَّل إخراجُ النفوس من المطهر قضيَّةً خطيرةً عندنا، حيثُ إنَّ الكلمات التي تُقتبَس غالباً "إنَّها فكرة مقدَّسة

وحكيمة أن نُصلِّي لأجل الموتى حتّى يُحَلُّوا من خطاياهم" كانت ضمن محفوظاتنا مع أنَّنا لم نعرف معناها. كما علَّمونا أنَّ البابا بوصفه رأس الكنيسة هو أهمُّ إنسان على الأرض. فما يقوله هو الشريعة، واليسوعيُّون يدُه اليُمنى. ومع أنَّ القُدّاس كان باللاتينيَّة، فقد حاولتُ حضوره يوميّاً إذ خلب لبِّي ما يحيط به من جوٍّ سحريّ. وكان يُقال لنا إنَّه أهمُّ طريقةٍ لإرضاء الله. كما شجَّعونا على الصلاة إلى القدِّيسين، وكان لنا قدّيسون شُفعاء لمُعظم نواحي الحياة. ولم أُمارس هذا النوع من الصلوات، باستثناء قدِّيسٍ واحد هو مار أنطونيوس، شفيع الأشياء الضائعة، إذ بدا أنِّي كنت أُضيِّع أشياءَ كثيرة.

لَّما بلغتُ الرابعةَ عشرةَ، أحسستُ بدعوةٍ لأكونَ مُرسلاً. على أنَّ هذه الدعوة لم تؤثِّر في طريقة حياتي آنذاك. وما بين السادسةَ عشرةَ والثامنةَ عشرةَ كانت من أمتع السنين وأغناها من بين سني الشباب، ففيها أبليتُ حسناً دراسيّاً ورياضيّاً.

وكنتُ أُضطرُّ غالباً إلى إقلال أُميِّ بالسيّارة إلى المستشفى لتلقّي علاجها. فبينما أنا أنتظرها مرّةً، عثرتُ في كتابٍ هناك على هذا الاقتباس من مرقس ١٠:٢٩و٣٠ –فأجاب يسوع وقال: "الحَقَّ أقول لكم: ليس أحدٌ ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُمّاً أوِ امرأةً أو أولاداً أو حقولاً، لأجلي ولأجل الإنيجل، إلاّ ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان، بيوتاً وإخوةً وأخواتٍ وأمّهاتٍ وأولاداً وحقولاً، مع اضطهادات، وفي الدهَّر الآتي الحياةَ الأ بديَّة". وإذا لم تكُن لي أدنى فكرة عن رسالة الخلاص الحقيقيَّة، قرَّرتُ أنَّ لديَّ حقّاً دعوةً لأكونَ مُرسلاً.

السعي لنوال الخلاص

عام ١٩٥٦ تركتُ أُسرتي وأصدقائي لألتحق بالرهبانيَّة الدومنيكانيَّة. وقضيتُ تسعَ سنين في دراسة مضامين الرهبنة، وتقاليد الكنيسة والفلسفة، ولاهوت توما الأكويني، وقِسطٍ من الكتاب المقدَّس من وجهة النظر الكاثوليكية.

ولئن كان لدي إيمانٌ شخصيٌّ ما، فقد وُضِع في قالب المؤسَّساتيَّة والطقسانيَّة بمقتضى النظام الديني الدومنيكانيّ. وقد وُضِعَت أمامي إطاعةُ القوانين باعتبارها وسيلةً للتقديس، سواءٌ في ذلك القانونُ الكنيسيُّ والقانون الدومنيكانيّ. وغالباً ما تحدَّثتُ مع "أمبروز دَفِيّ" رئيسِ الطَّلَبة، في شأنِ اعتبار القانون وسيلةً للتقديس. ففضلاً عن صيرورتي "قدِّيساً"، أردتُ التيقُّن بخلاصي الأبديّ. وقد حفظتُ غيباً جزءًا من تعليم البابا بِيوس الثاني عشر حيث يقول: "... إنَّ خلاص الكثيرين يتوقَّف على الصلوات وعلى ذبائح جسد المسيح السرِّيِّ المقدَّمة على هذه النيَّة". وهذه الرسالة المتعلِّقة بنوال الخلاص من طريق الآلام والصلاة هي أيضاً الرسالةُ الأساسيَّة المشدَّد عليها لدى سيِّدتَي فاطمة ولورد. وقد سعيتُ لكسب خلاصي الشخصيِّ، وخلاص سواي أيضاً، بمثلِ هذه الآلام والصلوات. وفي دير الرهبان الدومنيكان في تالاّنْمت، بدَبْلن، تحمَّلتُ إماتاتٍ صعبةً جدّاً كي أربح النفوس، كالاستحمام بالماء البارد في عزِّ الشتاء، وجَلْد ظهري بسلسلة فولاذيَّة صغيرة. وقد نَمى إلى رئيس الطَّلَبة خبرُ ما كنتُ أفعله، حيثُ كانت حياة التقشُّفيَّة الصارمة جزءًا من الإلهام الذي جاءني من كلام البابا المُشار إليه. فَبِعزمٍ وحزمٍ عكفتُ على الدرس والصلاة وفُروض التوبة، محاوِلاً حفظ الوصايا العشر والقوانين والتقاليد الدومنيكانيَّة الكثيرة جدّاً.

روما ، إيطاليا

ثُمَّ رُسِمتُ كاهناً كاثوليكيّاً عام ١٩٦٣ ولي من العُمر إحدى وعشرون سنةً، وذهبتُ لإكمال دراستي عن توما الأكويني في "جامعة إنجيلِكُم" بروما. ولكنَّني هناك واجهتُ المصاعب على صعيدَي الأُبَّهة الخارجيَّة والخَواء الداخليِّ معاً. وكنتُ عبرَ السنين قد كوَّنتُ في ذهني، من الصُّوَر والكُتب، صُوَراً عن الكرسيِّ الرسولي والمدينة المقدَّسة. أيُعقل أن تكون هذه هي المدينةَ عينَها؟ وقد صدَمني أيضاً في "جامعة إنجيلِكُم" أن أُلاحِظ أنَّ مئاتِ الذين تقاطروا إلى صفوفنا الصباحيَّة كانوا، على ما يبدو، غير مهتمِّين بعلم اللاهوت. ولفت نظري قراءة

مجلّتي "تايم" و"نيوزويك" خلال الدروس. أمّا الذين كانوا معنيِّين بما نتعلَّمُه فبدا عليهم أنَّهم فقط يطمحون إمّا إلى الشهادات العلميَّة وإمّا إلى شَغْل المناصب داخلَ الكنيسة الكاثوليكيَّة في بلدانهم.

وذاتَ يومٍ ذهبتُ أتمشَّى في الكولوسيوم حتّى تطأ قدماي الأرضَ التي سُفِكت عليها دماء الكثير من الشهداء المسيحيِّين، وقصدت الحَلْبة في الساحة، محاولاً أن أتصوَّر في ذهني أولئك الرجال والنساء الذين عرفوا المسيح حقَّ المعرفة حتَّى كانوا مستعدِّين بكلِّ فرح لأنْ يموتوا حَرْقاً موثوقين بالأعمدة، أو يُطرَحوا أحياءً لتفترسهم الوحوش، تجاوباً مع محبَّة المسيح الفائقة. غير أنَّ فرحة هذا الاختبار ما لبثت أن تعكَّرت، إذ وأنا عائدٌ في الباص تعرَّضتُ للإهانة من قبل شبّانٍ مستهزئين يردِّدون كلماتٍ معناها "حُثالة أو نُفاية". وقد شعرتُ أن دافعهم إلى مثل تلك الإهانة لم يكُن لأنِّي وقفتُ في صفِّ المسيح كأولئك المسيحيِّين الأوَّلين، بل لأنَّهم رأوا فيَّ النظامَ الكاثوليكيَّ الرومانيَّ. وبسرعةٍ طردتُ هذه المفارقة من ذهني، إلاَّ أنَّ ما سبق أن تعلَّمتُه عن أمجاد روما الحاليَّة بدا مُنافياً للواقع وعديمَ المعنى.

وذاتَ ليلةٍ، بُعيدَ ذلك، صلَّيتُ على مدى ساعتَين أمام المذبح الرئيسيّ في كنيسة القدِّيس اكليمندس. وإذ تذكَّرتُ ربِّي الواحد، ودعوتي إلى الخدمة الإرساليَّة لّما كنتُ حَدَثاً،والوعدَ بمئاتِ التعويضات في مرقس ١٠:٢٩و٣٠، عقدتُ العزم على عدم الحصول على الدرجة اللاهوتية التي طالما طمحتُ إليها منذ بدأتُ دراسة اللاهوت الأكوينيّ. كان ذلك قراراً خطيراً، ولكنْ تأكَّدت لي صحَّتُه بعد صلاةٍ طويلة.

أبى الكاهن المُشرف على أُطروحتي أن يقبل قراري. وكي يُهوِّن عليَّ حيازةَ الشهادة، قدَّم لي أُطروحةً كُتِبت قبل بضع سنين، وقال لي إنَّني أستطيع استعمالها باعتبارها أُطروحتي على أن أُعِدَّ لها الدفاع الشفهيَّ. وقد أصابني ذلك بالغثيان، إذ رأيتُه شبيهاً بما سبق أن شاهدتُه قبل أسابيع في مُتنـــزَّه من

متنـــزَّهات المدينة: بغايا أنيقات يعرضن أنفسهنَّ بأحذيتهنِّ الجلديَّة السوداء. فما عرضه عليَّ كان في نظري على المستوى عينه من الإثم والرذيلة. غير أنَّي تمسَّكتُ بقراري، منهياً دراستي الجامعيَّة في المستوى الأكاديمي العاديّ، بغير شهادةٍ عُليا.

لدى عودتي من روما، تلقَّيتُ خبراً رسميّاً يُعلِمني بقرار إيفادي إلى "جامعة كُورك" لثلاث سنين دراسيَّة. ولكنَّني صلَّيتُ بحرارة لأجل دعوتي الإرساليَّة. ولشدَّ ما أدهشني أن أتلقَّى في أوخر آب (أُغسطس) من العام ١٩٦٤ أمراً بالذهاب مُرسَلاً إلى "ترينيداد" بجُزر الهند الغربيَّة.

كبرياء وسقوط ثُمَّ جوعٌ جديد

وصلتُ إلى ترينيداد في ١تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٤، وكنتُ كاهناً ناجحاً طيلة سبع سنين، من وجهة النظر الكاثوليكيَّة، إذ قمتُ بجميع واجباتي وحملتُ الكثيرين على حضور القُدّاس. وبحلول ١٩٧٢ كُنتُ قد انهمكتُ كثيراً في الحركة الكارزماتية الكاثوليكيَّة. ثُمَّ في السادس عشر من آذار (مارس) عامذاك، في اجتماع صلاة شكرتُ الربَّ على كوني كاهناً صالحاً جدّاً، وطلبتُ إليه -إن شاءت مشيئتهُ- أن يضعَني كي أصير كاهناً أفضلَ بعدُ. وفي وقتٍ لاحق من مساء ذلك اليوم، حصل لي حادثٌ مفاجئ، فانشدخ قذالُ رأسي وتأذّى عمودي الفقري في غير موضع. ولولا مقاربتي الموتَ على هذا النحو، ما كنتُ أظنُّ أنَّي أخرجُ من نطاق الاكتفاء الذاتيِّ الذي كنتُ فيه. وقد تبيَّن لي عُقم الصلاة الروتينيَّة الناجزة فيما صرختُ إلىالله في ألمي.

وفي أثناء الآلام التي كابدتُها في الأسابيع التالية للحادث، بدأتُ أجد بعض الراحة والعزاء في الصلاة الشخصيَّة المباشرة. فتوقَّفتُ عن تلاوة الصلوات الرسميَّة المفروضة علىالكاهن الكاثوليكي، وصلاة السُّبحة، وأخذتُ أُصلِّي مستخدماً أجزاءً من الكتاب المقدَّس بالذات. وقد كانت هذه العمليَّة بطيئةً جدّاً. فلم أعرف أن أشقَّ طريقي في أسفار الكتاب المقدَّس، والقليلُ الذي تعلَّمتُه منه على مرِّ السنين علَّمني الحذَر من الكتاب أكثر من الوثوق به. كما أنَّ دراستي للفلسفة

ولاهوت توما الأكوينيّ لم توفِّر لي العون المنشود. وعليه، فإنَّ إقبالي على الكتاب الآن للاهتداء إلى الربّ كان أشبه بولوج غابة كثيفة كبيرة بلا بوصلة ولا خريطة.

وحينما أُسنِدت إليَّ في وقتٍ لاحقٍ من تلك السنة أبرشيَّةٌ جديدة، تبيَّن لي أنَّ عليَّ أن أعملَ جنباً إلى جنب مع كاهنٍ دومنيكانيٍّ كان أخاً لي على مرِّ السنين. فكان علينا أن نعمل معاً سنتينِ وأكثر، مُلتمِسَين الله على أفضلِ ما نعرفه، في أبرشيَّة "بوانت آبير". وكُنّا نقرأ وندرس ونصلّي معاً، ونُمارس ما تعلَّمناه في تعليم الكنيسة. وقد أنشأنا مجموعاتِ صلاة في "غاسباريلّو" و "اكلاكستشن باي" و "مارابيلاّ" وقُرىً أخرى أصغر منهنّ. وبالمفهوم الدينيِّ الكاثوليكيّ، كُنّا ناجحَين جدّاً، إذ حضر القُدّاس كثيرون، ودُرِّس التعليم المسيحي في عدّة مدارس، بما فيها المدارس الحكوميَّة. وقد تابعتُ بحثي الشخصيَّ في الكتاب المقدَّس، ولكنَّ ذلك لم يؤثِّر كثيراً في العمل الذي كُنّا عاكِفَين عليه، بل كشف لي بالحريِّ ضآلة معرفتي للربِّ ولكلمته. في تلك الآونة صارَتِ الآية الواردة في فيلبّي ٣: ١٠ صرخةَ قلبي: "لأعرفه، وقوَّة قيامته..."

نحو ذلك الزمن كانتِ الحركة الكارزماتية الكاثوليكيَّة تتنامى، وأدخلْناها إلى مُعظم قُرى أبرشيَّتنا. وبفضل هذه الحركة، جاء إلى "ترينيداد" بعضُ المسيحيِّين الكنديين لمشاركتنا. وقد تعلَّمت من رسالاتهم الكثيرَ، ولا سيِّما عنِ الصلاةِ طلباً للشفاء. ولئن كان مُجمَل تأثيرِ ما قالوه موجَّهاً كثيراً نحو الاختبار، فقد كان لي بركةً بالحقيقة إذ جعلني أتعمَّق في الكتاب المقدَّس بوصفه مرجعاً ذا سلطان. فبدأتُ أُقارن المكتوبَ بالمكتوب، بل أقتبس أيضاً الآيةَ والفصل. وإحدى الآيات التي استعملها الكنديُّون لحثِّنا على الصلاة لأجل الشفاء كانت إشعياء ٥٣: ٥ "وبحُبره شُفينا". ولكنِّي عندما درستُ إشعياء ٥٣ اكتشفتُ أنَّ الكتاب المقدَّس يركِّز على الخطيَّة لا على الشفاء: "كلُّنا كغنمٍ ضللنا، ملنا كلُّ واحدٍ إلى طريقه، **والربُّ** وضع عليه إثمَ جميعنا" (ع٦).

كانتِ الكبرياء خطيَّةً خاصَّة من خطاياي. وما كان أسهلَ أن أنزعج من الناس، بل كنتُ أغضب عليهم وأسخط أحياناً. ومع أنَّي طلبتُ مغفرة خطاياي، فلم أكُن قد أدركتُ بعدُ أنني خاطئٌ بالطبيعة التي ورثناها من آدم. فحقُّ الكتاب يقول: "كما هو مكتوب، ليس بارٌّ، ولا واحد" (رومية ٣:١٠) وأيضاً: "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُ الله" (رومية ٣:٢٣). ذلك أن الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت قد علَّمتني أنَّ فساد الإنسان، المدعوَّ " الخطيئة الأصليَّة"، قد غسَّلته معموديَّتي طفلاً. فكان ذلك الاعتقاد ما يزال في رأسي، ولكنِّني في قلبي علمتُ أنَّ طبيعتي الفاسدة لم يقهرْها المسيح. "لأعرفه وقوّة قيامته..." (فيلبي ٣:١٠): هذه ظلَّت صرخة قلبي؛ وتأكَّد لي أنَّني لا أستطيع أن أحيا الحياة المسيحيَّة إلاَّ بقوَّة المسيح. وهكذا وضعتُ هذه الآية على لوحة الأجهزة في سيّارتي، وعلَّقتُها في أماكن أُخرى أيضاً: كانت هذه هي الطلبة التي حَّركتني وحرَّضتني، وإذا بالربِّ الأمين قد بدأ يستجيب!

المسألةُ الأهمُّ

اكتشفتُ في بادئ الأمر أنَّ كلمة الله في الكتاب المقدّس مُطلقَةُ السلطان ومنزَّهةٌ عن الخطأ. وكنتُ قد عُلِّمتُ أنَّ الكلمة نسبيَّةٌ وأنَّ موثوقيَّتها عرضةٌ للشكّ، في مجالات كثيرة. فأخذتُ أُدرك آنذاك أنَّ الكتاب المقدَّس جديرٌ بالثقة حقّاً. ومع الاستعانة بفهرس "يُونغ" بدأتُ أدرسُ الكتاب المقدَّس لأرى ما يقوله عن نفسه. فتبيَّن لي أنَّ الكتاب يعلِّم بوضوحٍ أنَّه من عند الله وأنَّه الكلمةُ الفصل في كلِّ ما يقول. وهو صادقٌ في التاريخ الذي يتضمَّنه، وفي الوعود التي قطعها الله، وفي الوصايا الخُلقيَّة التي يُقدِّمها، وفي تحديده كيف يجب أن تُعاش الحياة المسيحيَّة. "كلُّ الكتاب هو موحىً به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكـــون إنسان الله كاملاً، متأهِّباً لكلِّ عمل صالح" (**٢**تيموثاوس ٣:١٦و١٧).

هذا الاكتشاف تيسَّر لي في أثناء زيارةٍ إلى "فانكوفر" و"سِياتل". فلّما طُلب إليَّ أن أتكلَّم إلى مجموعة الصلاة في كنيسة سانت استيفان الكاثوليكيَّ. وقد اتَّخذت موضوعاً لكلامي سلطان كلمة الله المطلقة. وكانت تلك أوّلَ مرّة أُدرِك فيها هذا الحقَّ أو أتكلَّم فيه. وبعد الخدمة، صلَّيتُ لأجل امرأةٍ هُناك كانت تشكو من مرضٍ في عينيها منذ صغرها، فشفاها الربّ. وقد فهمتُ ذلك الشفاء علامةً على أنَّ الربَّ كان يُثبِّت صدقَ ما قد بلغتُ فهمَه بشأن طبيعة كلمته المقدَّسة. وصرتُ صديقاً عزيزاً لتلك السيِّدة التي شُفِيَت ولزوجها، وما زال شفاؤها قائماً حتى اليوم. وبتُّ أعتبر هذا الاكتشافَ الجديد بخصوص طبيعة كلمة الله أمراً مركزيّاً في حياتي. إنَّما ينبغي لي أن أقول إنّني لا أعدُّ المعجزات مصدراً ذا سلطان، إذ ليس إلاَّ مصدرٌ واحد ذو سلطان، ألا وهو كلمةُ الله. غير أنَّني ذكرتُ ذلك الشفاء لأنَّه جرى استجابةً فوريَّةً للصلاة بموجب سلطة الله المطلقة.

المأزق يستمرّ

حينما كُنتُ ما أزال كاهن أبرشيَّة في "بُوانت آبيير" انتُدِبَ لمعاونتي "أمبروز دَفي"، الرجل الذي سبق أن علَّمني بكل صرامة لّما كان رئيساً للطلبة. ها هي الأدوارُ تنقلب! ولكنْ بعد بضع صعوباتٍ أوّليَّة، صِرنا صديقين عزيزَين. وأطلعتُه على ما كُنتُ آخِذاً في اكتشافه، فأصغى إليَّ معلّقاً بكلِّ اهتمام، وودَّ لو يعرف دوافعي. ورأيتُ فيه قناةً توصلني إلى إخواني الدومنيكانيِّين، بل أيضاً الى المُقيمين في دار المطرانية. ولما مات فجأة بنوبةٍ قلبيّة، هدّني الحزن عليه. وكنت قد اعتبرته قادراً على جلاء المأزق الذي كنت اتخبّط فيه من جهة العلاقة بين الكنيسة والكتاب المقدس، ورجوت أن يفسّر لي ثم لإخواني الدومنيكانيِّين الحقائقَ التي كان تتنازعُني. وقد ألقيتُ العظة في جنازته وبي حزنٌ شديد.

ظللتُ أُصلِّي ما جاء في فيلبي ٣:١٠ "لأعرفَه وقوَّة قيامته..." ولكنْ لكي أتعلَّم المزيد عنه، كان يجب أوَّلاً أن أعرف حقيقةكوني خاطئاً. فقد تبيَّن لي من الكتاب المقدَّس (**١**تيموثاوس ٢:٥) أنَّه كان خطأً الدَّورُ الذي كنتُ أقومُ به

بوصفي وسيطاً كهنوتيّاً، الأمرُ الذي تُعلِّمُه الكنيسة الكاثوليكيَّة بالضبط ولكنَّه مناقضٌ تماماً لِما تُعلِّمهُ كلمة الله المقدَّسة. وقد أبهجني فعلاً أن ينظر إليَّ الناسُ نظرة إكبار، وأن أكونَ في الواقع بمثابةِ صَنَمٍ عندهم. وفسَّرت خطيئتي عقلانيّاً بأنَّ ذلك ما تُعلِّمه أكبرُ كنيسة في العالم على كلِّ حال، فمَن أنا لأُشكِّك فيه؟ ومع ذلك بقيتُ أخوضُ صراعاً داخلَ نفسي. وبدأتُ أرى عبادة مريم والقدِّيسين وضلال الكهنة باعتبارهما من الخطايا فعلاً. ولكنْ بينما كنتُ مستعدّاً للتخلِّي عن مريم والقدِّيسين كوُسَطاء، لم أكُن راغباً في التخلِّي عنِ الكهنوت، لأنِّي ربطتُ به حياتي كلَّها.

سنواتُ صراعٍ عنيف

لم تكن مريم والقدِّيسون والكهنوت إلاَّ جزءاً يسيراً من الصراع الكبير الذي كنتُ أواجهه. مَن كان سيِّد حياتي: يسوعُ المسيحُ في كلمته أو كنيسةُ روما؟ هذا السؤالُ ذو الأهمِّيَّة القصوى اصطخب في داخلي، خصوصاً في آخر ستِّ سنواتٍ قضيتُها كاهنَ أبرشيَّة في "سانغْر أغراند" (من ١٩٧٩-١٩٨٥). فقدِ انطبعَ في ذهني منذُ نعومةُ أظفاري أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة مُطلقةُ السلطان في جميع قضايا الإيمان والأخلاق. وبدا لي من المستحيل أن أُغيِّر هذه القناعة. ولم تكن روما كليَّةَ السيادةِ فقط، بل كُنّا ندعوها أيضاً "الأمُّ المقدَّسة". فكيف يُعقَل أن أسلك سبيلاً مُناقِضاً لهذه "الأمِّ المقدَّسة"، ولا سيَّما لأنَّ لي فيها دوراً رسميّاً بإجراء أسرارها المقدَّسة والمحافظة على أمانةِ الناس نحوَها؟

عام ١٩٨١ كرَّستُ نفسي من جديد فعلاً لخدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة في أثناء حضوري حلقةً دراسيَّة لإنهاض الرعيَّة في "نيو أورليَنـــز". ولكنْ لَمَّا رجعتُ إلى "ترينيداد" وعُدتُ إلى الانهماك مجدَّداً في مشكلات الحياة الواقعيَّة، شرعتُ في الرجوع إلى سُلطة كلمة الله المقدَّسة. وأخيراً اتَّخذ الصراع داخل نفسي ما يُشبه لعبةَ شدِّ الحبل. فكنتُ حيناً أنظر إلى كنيسة روما باعتبارها مُطلَقةَ السُّلطان، وحيناً أنظر إلى الكتاب المقدَّس بوصفه المرجعِ الحاسم. في تلك

السنين قاسيتُ كثيراً من جرّاء آلامٍ في معدتي، وقد تنازع مشاعري قطبان. كان ينبغي لي أن أعرف الحقَّ البسيط المتمثِّل في عدم قدرة المرء على خدمة سيِّدين. إنَّما كان وضعي الوظيفي يَضطرُّني إلى وضع سلطان كلمة الله المُطلَق تحت سُلطة كنيسة روما الشاملة.

هذا التناقُض تمثَّل في ما فعلتُه بالتماثيل الأربعة التي كانت في كنيسة "سانغر اغْراند". فقد نزعتُ التمثالَين العائدَين للقدِّيسَين افْرنسيس ومارتن، وحطّمتُهما، لأنَّ الوصيَّة الثانية من ناموس الله تقولُ صراحةً في خروج ٢٠:٤ "لا تصنعْ لك تمثالاً منحوتاً..." ولكنْ لمّا احتجَّ بعضُ أفراد الرعيَّة على إزالتي تمثالَي القلب الأقدس ومريمَ العذراء، تركتُهما في مكانَيهما، وذلك لأنَّ السلطة العُليا، أيِ الكنيسة الكاثوليكيَّة، قالت في البند ١١٨٨ من قانونها العامّ: "تبقىساريةَ المفعولِ الممارسةُ المعتادَةُ بعرض الصُّور المقدَّسة في الكنائس لتكون موضعَ توقير المؤمنينَ". وما رأيتُ أنَّ ما كنتُ أُحاولُ القيام به إنَّما هو إخضاعُ كلمة الله لكلام الناس.

غلطتي الشخصيَّة

لئن كنتُ قد تعلَّمت سابقاً أنَّ كلمة الله مُطلقَةُ السُّلطان، فقد مَضيتُ رُغمَ ذلك في عناء المحاولة المتمثِّلة في إعلاء شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة كما لو كانت ذات سُلطةٍ أسمى من سلطان كلمة الله، حتّى في المسائل التي فيها تقولُ كنيسةُ روما بما يُناقِضُ تماماً ما جاء في الكتاب المقدَّس. وكيف أمكن أن تكون الحال على هذا المنوال؟ أوَّلاً، كانتِ الغلطة غلطتي الشخصيَّة. فلو كنتُ قبلتُ الكتاب المقدَّس بوصفه المرجع الأعلى، لكانت كلمةُ الله أقنعتني بالتخلِّي عن دوري الكهنوتيّ وسيطاً، ولكنَّ هذا الدّور كان عزيزاً جدّاً عندي. ثانياً، ما مِن أحدٍ ساءلني قطُّ في ما كنت أقومُ به كاهناً. فقد أمَّ القُدّاسَ مسيحيُّون من خارج البلاد، ورأوا ما عندنا من زيت مقدّس وماء مُصلًّى عليه ومدالياتٍ وتماثيل وأوشِحة وطقوس، وما قالوا كلمةً قَطّ! فقد كان آسِراً للغاية كلُّ ما ألْفَوه لدى

الكنيسة الكاثوليكيَّة من روعة الألبسة والجوِّ الرمزيّ والموسيقى والذوقِ الفنِّيّ. كما أنَّ البخور ينشر جوّاً عابقاً بالسِّحر، فضلاً عن رائحته الطيِّبة.

نقطةُ التحوُّل

ذاتَ يومٍ تحدَّتني امرأةٌ بقولها: "أنتم الكاثوليكيِّين لكُم صورةُ التقوى ولكنّكم مُنكِرونَ قوَّتها". (وكانت تلك المرأةُ هي الشخصَ المسيحيَّ الوحيد الذي تحدّاني طيلة سِنِيَّ الاثنتين والعشرين في الكهنوت).وقد أزعجتني كلماتُها مدّةً، لأنَّ الأضواء والرايات والموسيقى الشعبية والغيتارات والطبول كانت عزيزةً عندي. وربَّما لم يكن في جزيرة ترينيداد كلِّها كاهنٌ له ما لي من أرديةٍ ملوَّنه ورايات وألبسة كهنوتيَّة. فمن الواضح أنِّي لم أكُن أُطبقُ عمليّاً الحقَّ الذي رأيته نُصبَ عينيَّ.

وفي تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٨٥، تبيَّن لي أنَّ نعمة الله أكبرُ من الكذبة التي كنتُ أُحاول أن أعيشها. فقد ذهبت إلى "باربادوس" لأُصلِّي في شأنِ التسوية التي كنتُ أُرغِم نفسي على عيشها. وشعرتُ أنَّني واقعٌ في مِصيَدة فعلاً. فكلمةُ الله مُطلقة السلطان حقّاً، وعليَّ أن أُطيعها وحدَها. غير أنَّني نذرتُ أمام الله نفسه أن أُطيعَ سلطة الكنيسة الكاثوليكيَّة. وفي باربادوس قرأتُ كتاباً تناول الآية المعروفة الواردة في متّى ١٨:١٦، حيث يقول الربّ: "...أبني كنيستي". فبِلُغةِ ربِّنا الخاصَّة، الكلمةُ "كنيسة" هي "إداع" ومعناها "شَرِكة". وكنتُ قد فهمت معنى "كنيسة" دائماً بمعنى "السلطة التعليمية العُليا في جميع قضايا الإيمان والأخلاق". فإذ رأيتُ وأدركتُ أنَّ معنى "كنيسة" هو "شَرِكة"، انطلقَتْ حُرِّيَّتي للتخلِّي عن كنيسة روما الكاثوليكيَّة بوصفها سُلطةً عُليا وللاتِّكال على يسوع المسيح ربّاً. وابتدأ يتَّضح لي، بلغةِ الكتاب المقدَّس، أنَّ الأساقفة الذين عرفتُهم في الكنيسة الكاثوليكيَّة لم يكونوا مؤمنين كتابيِّين، بل كانوا في أغلب الأحوال رجالاً أتقياءَ عاكفين على التعبُّد لمريم وصلوات السُّبحة والموالاة لروما، ولكنَّ أيّاً منهم لم تكن له أدنى فكرة عن عمل الخلاص الكامل: أنَّ عمل المسيح قد أُكمِل،

وأنَّ الخلاص شخصيٌّ وكامل. وقد كرزوا جميعاً بفروض التوبة لغفران الخطايا، وبالآلام البشريّة والأعمال الدينيَّة، أي "بطريق الإنسان" لا بإنجيل النعمة. ولكنَّني بنعمة الله رأيتُ أنَّ الإنسان لا يخلص بواسطة كنيسة روما ولا بأعمالٍ من أيِّ نوع: "لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطيَّة الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

الولادة الجديدة في الثامنة والأربعين

تركتُ الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة لمّا تأكَّد لي أنَّ الحياة في يسوع المسيح ليست مُمكِنة مع البقاء على التمسُّك بتعاليم روما الكاثوليكيَّة. ولدى مغادرتي ترينيداد في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥، انتقلت إلى باربادوس المُجاورة، حيثُ أقمتُ عند زوجَين مُسنَّين، وصلَّيتُ طالباً أن يدبِّر لي الربُّ طقماً ألبسه ومالاً يكفيني للسفر إلى كندا، إذ لم يكُن لديَّ إلاَّ لباسٌ استوائيٌّ وبضعُ مئات من الدولارات باسمي. وقد استجيبت كِلتا الطِّلبتَين، بغير أن أُطلع على احتياجي أحداً سوى الربّ.

وبعد حرارةٍ استوائيَّة حارقة، هبطت بي الطائرة فوق ثلوج كندا وجليدها. ثُمَّ أمضيتُ شهراً واحداً في "فانكوفر" سافرتُ بعدَه إلى الولايات المتَّحدة الأميركيَّة. في ذلك الحين وثقتُ بالربِّ من جهة سدِّ احتياجاتي، إذ كنتُ قد بدأتُ حياتي الجديدة وأنا في الثامنة والأربعين من العمر، وليس لديَّ فلسٌ واحد، ولا بطاقةُ إقامة، ولا إجازةٌ لقيادة السيّارة، ولا توصيةٌ من أيِّ نوع، بل معي الربُّ وكلمتُه فقط.

قضيتُ ستّةَ أشهر عند زوجين مؤمِنَين في مزرعة بولاية واشنطن. وأوضحتُ لمضيفَيَّ أنّني قد تركت الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة وقبلتُ الربَّ يسوع المسيح وكلمته في الكتاب المقدَّس مصدراً كليَّ الكفاءة، وقد فعلتُ هذا، كما قُلت لهما: "كليّاً ونهائيّاً وبقرارٍ عمديٍّ حاسم". ومع ذلك لم يبدُ أنَّ هذه العبارة الأخيرة أثَّرت فيهما تأثيراً خاصّاً، إذِ استفسراني هل أُضمر أيَّةَ مرارة أو

يؤلِمُني أيُّ جُرحٍ داخليّ. ثُمَّ خدماني خدمةً عظيمة بصلواتهما لأجلي وعطفهما عليَّ، وهما أنفسُهما قد خبرا هذا الانتقالَ وعرفا أنَّ المرارة قد تتسلَّل إلى الداخل بسهولةٍ فائقة. وبعد أربعة أيّامٍ من نزولي ببيتهما، بدأتُ بنعمة الله أرى في التوبة ثمرَ الخلاص؛ الأمرُ الذي مكَّنني أن أقبل شفاء الربّ لمشاعري الجريحة في العُمق، فضلاً عن التماسي صفحَهُ عن سِنِي المساومة التي طَالت عليَّ. وأخيراً، في الثامنة والأربعين من عمري، وبناءً على سلطان كلمة الله وحدَها، وبالنعمة فقط، قبلتُ موت المسيح الكفّاري على الصليب دون غيره. فله وحدَه المجد!

وإذ تجدَّدتُ روحيّاً على أيدي هذين الزَّوجَين المسيحيَّين وعائلتِهما، رزقني الربُّ زوجةً اسمُها "لِن"، مولودةً ثانيةً وأنيسةَ المعشر ووافرةَ الذكاء. ومعاً توجَّهنا إلى "أطلنطا" حيثُ حصل كِلانا على عَمَل.

مُرسِلٌ حقيقيٌّ ذو رسالة حقيقيَّة

في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، غادرنا أطلنطا لنذهَب مُرسَلَين إلى آسيا. وقد كانت سنةَ إثمارٍ مُباركة، اختبرتُ فيها ما لم أعرف قطُّ أنَّه مُمكِنٌ من المحبَّة والفرح والسلامِ التي في الروح القدس. وأقبلَ الناسُ، رجالاً ونساءً، إلى معرفة سلطان الكتاب المقدّس وقوّة موت المسيح وقيامته. وأدهشني كم يسهل أن تكونَ نعمة الربِّ فعّالةً حينَ يُعتمَد الكتابُ المقدَّس،وحده دون سواه، لتقديم المسيح إلى الناس. وقد شكَّل ذلك مفارقةً مُذهِلةً مع أشراك التقليد الكنسيّ التي تلبَّدت بها السنون الإحدى والعشرون التي قضيتُها في ثيابِ المُرسَلين في ترينيداد: إحدى وعشرون سنةً خالية من الرسالة الحقيقيَّة.

ولتوضيح الحياة الفيّاضة التي تحدَّث عنها المسيح والتي أتمتَّع بها الآن، ليس في وسعي أن أستخدم كلاماً أفضل ممّا جاء في رمية ٨:١ –"إذاً لا شيءَ من الدَّينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ... لأنَّ ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيَّة والموت". فأنا لم أتحرَّر فقط من نظام

روما الكاثوليكيّ، بل صرتُ خليقةً جديدةً في المسيح. وبنعمة الله، بها وحدَها فقط، انتقلتُ من الأعمال الميتة إلى الحياة الجديدة.

الشهادة لإنجيل النعمة

لو أنَّ أولئك المسيحيِّين الذين علّموني عن شفاء الربّ لأجسادنا، سنةَ ١٩٧٢، فسَّروا لي السُّلطانَ الذي على أساسه تُغفَـر الخطيَّة وكيف تُصلَح حالُنا -نحن الخطاة بالطبيعة- أمامَ الله، لكان ذلك أعانَني أيَّ عون. فالكتاب المقدَّس يُرينا أنَّ المسيح قدَّم نفسه على الصليب عوضاً عنّا. ولا يُمكنني أن أزيد شيئاً على التعبير الدقيق الوارد في إشعياء ٥٣:٥ -"وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا: تأديبُ سلامنا عليه، وبجُبره شُفينا". (معنى هذا أنَّ المسيح احتمل بنفسه ما كان ينبغي أن أُقاسيه أنا جزاءَ خطاياي؛ وأمام الله الآب، أضعُ كامل ثقتي في المسيح بديلاً لي).

كُتِبت هذه الكلمات قبل صَلْب ربِّنا يسوع بسبع مئة وخمسين سنة. وبعد مدّةٍ قصيرة من ذبيحة الصليب، أكَّدت كلمة الله في ١بطرس ٢:٢٤ أنَّ المسيح قد "حملَ هو نفسُه خطايانا على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبِّر؛ الذي بجلدته شُفيتُم".

فلأنَّنا ورثنا طبيعتنا الخاطئة من آدم، أخطأنا جميعاً وقصَّرنا عمّا يُمجِّد الله. إذاً، كيف يمكننا أن نقَف أمام إلهٍ قدّوس، إلاَّ في المسيح وحده، معترفين بأنَّه مات حيث كان ينبغي أن نموت نحن. واللهُ يُعطينا الإيمان حتّى نُولَد ثانيةً، ممكِّناً إيّانا من الاعتراف بالمسيح بديلاً لنا. فالمسيح هو من أدَّى عقوبة خطايانا، إذ صُلِب مع أنَّه بلا خطيَّة. هذه هي رسالة الإنجيل الحقيقيَّة. وهل يكفي الإيمانُ وحده؟ نعم، الإيمانُ المؤدِّي إلى الولادة الجديدة كافٍ. وهذا الإيمان، إذ يجعل الإنسان مولوداً من الله، لا بُدَّ أن يُنتِج أعمالاً صالحةً ضمنَها التّوبةُ: "لأنَّنا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها" (أفسس ٢:١٠).

وعندما نتوب نُنحي جانباً، بقوَّةِ الله، طريقةَ حياتنا السَّالفة، ونُقلِع عن خطايانا السابقة. لا يعني ذلك أنَّنا لن نُخطئ البتَّة بعدُ، بل يعني حقّاً أنَّ مقامنا أمامَ الله قد تغيَّر. ونحن مدعوُّون أولاد الله، لأنَّنا هكذا نحن بالحقيقة. وإن أخطأنا، فالمسألة تتعلَّق بشركتنا مع الآب، وهذا امرٌ يُسوّى، لا بفقداننا مقامَنا كأولادٍ لله في المسيح. ذلك أنَّ مقامَنا ثابتٌ لا يُمكِن نقضُه أبداً. وفي عبرانيِّين ١٠:١٠ يقولُها الكِتابُ المقدَّس على نحوٍ رائعٍ عجيب: "... نحنُ مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة". ذلك أنَّ عمل المسيح المُنجَز على الصليب كافٍ وكامل. فإذ تثق فقط بهذا العَمَل المُتمَّم، تُعطى حياةً جديدةً مولودةً من الروح: تولَدُ من فوقُ ولادةً ثانية!

والآنَ

سُطِّرت هذه الشهادة عام ١٩٩٤، وقد أعدَّ لي الربُّ عملاً صالحاً قضى بأن أكونَ مبشِّراً مقرُّه شمال غرب الباسيفيكي. فما قاله بولس عن بني قومه، أقوله عن إخواني الكاثوليك الأحبّاء: إنَّ رغبة قلبي وصلاتي لأجل الكاثوليك أن يخلصوا. وفي وسعي أن أشهد عنهم بأنَّهم غيورون في سبيل الله، ولكنَّ غيرتَهم ليست على أساس كلمة الله، بل هي منصرفةٌ ناحيةَ تقليد كنيستهم. فإن كُنتَ واعياً التكريس والجهاد اللذين يبذلهما بعضٌ من إخوتنا وأخواتنا، في الفيلبين وأميركا الجنوبيَّة، للقيام بفروض دينهم، فلا بُدَّ أن تُدرِك صرخةَ قلبي: "ربِّ، أعطِنا حُنُوّاً حتّى نفهم الألم والعذاب المقترنَين بسعي إخوتنا وأخواتنا لإرضائك. فإذا ما فهمنا المعاناة في قلوب الكاثوليك، تنشأُ فينا رغبةٌ صادقة لإبلاغهم بشارةَ عمل المسيح الكامل على الصليب".

تُبيِّن شهادتي الصعوبةَ الفائقة التي واجهتني، وأنا كاثوليكيٌّ، بصدَد التخلّي عن تقليد الكنيسة. ولكنْ ما دام الربُّ يطلب منّا في كلمته أن نقوم بهذا، فعلينا أن نقوم به. إنَّ "صورة التقوى" التي لدى كنيسة روما الكاثوليكيَّة تُصعِّب على الكاثوليكيِّ كثيراً أن يرى أين تكمن المشكلة فعلاً. فعلى كُلِّ واحدٍ أن يحدِّد

المرجع ذا السُّلطان لمعرفة الحقّ. وروما تدَّعي أنْ بِسُلطتِها وحدَها يُعرَف الحقّ. فهاك الكلماتِ التي تقولُها هي في الجزء الأوّل من القانون ٢١٢: "إنَّ المؤمنين المسيحيِّين، وعياً منهم لمسؤوليتهم الشخصيَّة، مُلزَمون بمقتضى الطاعة المسيحيَّة، أن يعملوا بموجب ما يتولّى الرُّعاة المقدَّسون، باعتبارِهم ممثِّلين للمسيح، تعليمَهم إيّاه بوصفهم مُعلِّمي الإيمان، أو إقرارَهُ لهم بوصفهم قادةَ الكنيسة". ("دستور القوانين" المؤسَّس على المجمع الفاتيكاني الثاني، كما نشره البابا يوحنّا بولس الثاني، ١٩٨٣). ولكنْ بحسب الكتاب المقدَّس،كلمةُ الله وحدها هي المرجع ذو السُّلطة الذي به يُعرَف الحقّ. وقد كانت التقاليد التي مِن صُنع البشر هي التي حَدَتِ المُصلِحين على المُناداة: "الكتابُ المقدّس وحدَه، الإيمانُ وحدَه، النعمةُ وحدَها".

دافِعي إلى المُشارَكة

لقد عانيتُ كثيراً على مدى أربع عشرة سنة وليس من يتجرَّأ على إخباري بالحقّ. وها أنا أطلِعُك على هذه الحقائق لعلّك تعرف طريق الله للخلاص، مصلِّياً أن يُعطيَك الآبُ نعمةً كي تقبلَ أنَّ المسيح مات على الصليب عوضاً عنك، وتعرفَ أنَّ كفّارته كافيةٌ ووافيةٌ لجعلك خليقةً جديدةً فيه: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالم، حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياةُ الأبديَّة" (يوحنّا ١٦:٣).

إنَّ رحلتي في الإيمان حملتني إلى الاتّكال على الربِّ يسوع المسيح وحدَه وعلىكلمته وحدَها. فإن كان هو وحدَه راعيَك، فلن يُعوزَك شيءٌ حقّاً. إذ يغفر لك خطاياك ويجعلك خليقةً جديدةً في شخصه المبارك. فقد جاء في **٢**كورنثوس ٢١:٥ "لأنَّه جعل الذي لم يعرف خطيَّةً، خطيَّةً لأجلنا، لنصير نحنُ برَّ الله فيه". حمداً لله!

هلاَّ تطلب إلى الله أن يُعطيَك النعمةَ والإيمان كي تقبل كلمته. فإنْ طلبتَ هذا بكلِّ قلبك، يضع في داخلك الإرادة والقصد للاتّكال عليه. ثُمَّ إذ يُدنيك إلى

ذاته بالنعمة، تُدرِك أنّك قد وُلِدتَ من جديد، وأنَّ لك حياةً جديدة ومقصِداً جديداً، لأنِ "المولودُ من الجسد جسدٌ هو، والمولودُ من الروح هو روح" (يوحنّا ٣:٦).

(الكاهن المولود ثانيةً: ريتشارد بيتَر بَنِّيت)

أسقفٌ يجد أنَّ المسيح هو الحلُّ الحقيقيُّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"شارل مازينا"

وُلدتُ في بلاد النمسا لأبَوين كاثوليكيَّين، وبدأتْ حياتي في إحدى المزارِع. وقد تشكَّلَت وُلوديَّتي متأثِّرةً بإحساسٍ داخليٍّ معيَّن معيَّنٍ بالمصير، يصحبه توقٌ أعطانيهِ اللهُ لمعرفةِ ما وراءَ هذه الحياة. فقد علمتُ أنَّ هُنالك ما يتعدّى هذه الحياةَ في الجسد، وأنَّ الأبديَّة أمامنا، ولكنِّي تساءلتُ دائماً: ما موقفي منها وأين سوف أقضيها؟ وكنتُ راغباً في التعرُّف بالله، غير أنَّني لم أكن أعرفُ كيف أقتربُ إليه.

وهكذا انطلقتُ في بحثي عن الله. وبعد دراستي في الكليَّة، انصرفتُ إلى الدروس التي تُعِدّني للكهنوت، وذلك في سويسرا. ثُمَّ أعقبت ذلك بضعُ سنين قضيتُها أوّلاً كاهِناً مُلحَقاً بالجيش، ثُمَّ محامياً يتولَّى ملاحقة الدَّعاوي، ثُمَّ كاهِناً يُعلِّم التاريخ والدين.

ومرَّةً في آخرِ الخريف، نُقلتُ مع الجنود إلى الجبهة الروسيَّة في الجبال. وإذ كان موقِعُنا داخلَ كهفٍ كبير في سفح أحدِ الجبال، بدأ فجأةً تبادلُ القصف المدفعيِّ العنيف بين الجيشين، وبغير سابقِ إنذار دُفِنّا جميعُنا أحياءً. وأوّلَ مرَّةٍ في حياتي صلَّيتُ إلى الله من صميم قلبي. وقد دامت تلك المحنةُ ثمانيةَ أيّام، وحلَّ بي اليأسُ والجوعُ والعطش، إلاَّ أنَّني -على نحوٍ ما- تمسَّكتُ حتَّى الأخير باعتقادي أنَّ الله سوف يُنقِذُني. وقد كبر إيماني حتّى بدا لي أنَّني قادرٌ على زحزحة الجبال.

ثُمَّ عثر أحدهم على موقعنا؛ ولم يَنجُ أحدٌ غيري، ما عدا ولداً مؤمناً، من بين ١٣٠ نفساً. وما كان أحسَنَ أن أُلفيَ نفسي قريباً من الله!

وبعد الحرب، هاجَمني ثلاثةٌ من قُطّاع الطرقِ المتهوِّرين، وأوصلوني إلى عتبة الموت، ناوينَ أن يبيعوا ثيابي بعدَ تدفيعي حياتي ثمناً لذلك. وإذ تقدَّم نحوي أحدُهم مادّاً سكّين الموت، صرختُ إلى الله قائلاً: "ربِّي وإلهي!" فما كان منه إلاَّ أن توقَّف توّاً ورمى سكِّينَه جانباً، وهو يقول: "قتلتُ رجالاً كثيرين، ولكنَّني لا أستطيع أن أقتل هذا الرجل". ومرّةً أُخرى لمستُ رحمة الله عمليّاً.

وبذهابي إلى أميركا، أصبتُ نجاحاً لافِتاً، فتمَّ انتخابي وتكريسي أُسقفاً في الكنيسة الكاثوليكيَّة على يد رئيس الأساقفة "وليم فرنسيس" والمطران "مارزت". وإذا بسِني الازدهار والوجاهة الاجتماعيَّة والدينيَّة تملأُ رأسي معرفةً وخبرةً وتعالِياً. وهذا أيضاً فرَّغ قلبي. فما كُنتُ متقدِّماً بل متأخِّراً، ولا صاعداً بل هابطاً. وفي نهاية المطاف استظهر التعقُّل عندي، واستيقظَتْ فيَّ من جديد الرغبةُ في الْتماسِ يسوع المسيح وطريقه القويم. على أنَّ الفساد الدينيَّ خيَّب أملي، والإخوة الكَذَبة ثبّطوا همَّتي، ولكنَّ الله ساعدني.

ثمَّ قدَّمتُ استقالتي من منصِب الأُسقف، فحُرِمتُ كلَّ ما كان لي، إذ نُهِب بيتي، وجُرِّدتُ من مقتنياتي، واضطُهِدت اضطهاداً مريراً إلى أخِرِ حدّ.

بعد ذلك استولى عليَّ مرضٌ شِبهُ مُميت، فإذا بنفسي تواجه الأبديَّة مرّةً أُخرى. وقد كنتُ مسيحيّاً بالاسم فقط. إذ قرأتُ مراراً وتكراراً قول الربّ لنيقوديموس: "ينبغي أن تُولَدوا من فوق"، إلاَّ أنَّني لم أعِ معناها. وخُيِّل إليَّ خطرةً أنَّني وُلِدتُ م فوق، ولكنَّ ذلك لم يكن حقّاً. ذلك أنَّني لم ظللتُ أعيش حياةَ أهلِ العالَمِ، ولم يكُن روح المسيح ساكناً فيَّ. واعترفتُ بالحقية على أفضلِ ما أعرفُها وأفهمها، ولكنَّني لم أكن متيقّناً بها يقيناً تامّاً. كان لي بعضُ الإدراك للإيمان، غير أنَّه لم يكنِ الإيمانَ المُفضي إلى الخلاص. وبينما كنتُ قادراً على تعليم الآخرين، كنتُ عاجزاً عن إطاعةِ توجيهاتي الذاتيَّة.

كان في نيسان (أبريل) أنَّني مرضتُ مرضي المُميت، إذ أُعلن أنَّني مصابٌ بالسرطان وقيل لأُسرتي أن تتوقَّع وفاتي في غضون تسعين يوماً. وما إن سمعتُ بخبر حالتي الميؤوس منها، حتّى قرّرتُ أن أضع المسألة كلَّها في يد الربّ. فإمّا أخلُصُ الآنَ؛ وإمَّا أهلك إلى الأبد! وفي أحدِ الأيّام التالية، كنتُ أقرأ المزمور ٥١ وأُصلِّي إلى الله سرّاً. وإذا بنظري يُوجَّه نحو الجلجثة فأرى المسيح مائتاً من أجل خطاياي العديدة. إذ ذاك رفَّ الروح القدس عليَّ، فاعترفتُ بخطاياي تائباً إلى الله توبةً نصوحاً. ثُمَّ أحاط بي سكونٌ عميق ولمستُ قوَّةً قادرةً آتيةً من فوق. كانت تلك هي قوَّة المسيح. عندئذٍ وُلِدتُ حقّاً من الروح القدس، ووهبني الله طبيعةً جديدة، فصرتُ إنساناً جديداً. وقد فعل اللهُ، بفائق محبَّته، ما هو أكثر من هذا أيضاً، إذ شفاني شفاءً عجيباً. وهكذا انتهى تَطوافي، وارتوى عطشي، وتقرَّر مصيري السعيد. وها أنا للربِّ، والربُّ لي.

وما كان أبهجَ أن أختبر سلامَه وحُضورَه، وأسيرَ معه عالماً أنَّه يقودُني في حياتي. أجل، ضاعت منِّي سنونَ كثيرةٌ، أمّا الآن فليس أمامي إلاَّ المجد.

هلّ تُسلِّم قلبك لهذا المخلِّص العجيب فتنالَ وعدَه في كلمته الصادقة: "وأمَّا كلّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أيِ المؤمنون باسمه" (يوحنّا ١:١٢).

(الكاهن المولود ثانيةً: شارل مازينا)

كنتُ كاهناً في اسبانيا

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"إنريك فِرنانْدِز"

عام ١٩٦٠، كنتُ كاهناً كاثوليكيّاً ملحَقاً بدير راهبات في "نافيلغاز" وهي قريةٌ هادئة واقعة في "أستورياس" باسبانيا. وقدِ اعتدتُ أن أتناول عشائي باكراً ثُمَّ أزور كاهنَ القرية، وكان رجُلاً يكبرني سنّاً ويروقُني معشراً. وذاتَ ليلةٍ أراني كرّاسةً عنوانُها " العطيَّة" (وفيها سردٌ لجزء من السيرة الذاتية التي كتبها الكاهن الكاثوليكيُّ السابق شارل شِنكي). فاستأذنتُه أن يُعيرَني أيّاها، وقرأتُها.

ولَّدتِ الكرّاسةُ عندي رغبةً شديدةً في قراءة الكتاب المقدَّس، إذ أردتُ أن أعرفَ هل من فرقٍ حقّاً بين الكتابَين المقدَّسين الكاثوليكيِّ والبروتستانتيّ. فبعثتُ برسالةٍ إلى العنوان المذكور في الكرّاسة، كاتماً هويَّتي، وطالباً نسخةً من الكتاب المقدَّس أو العهد الجديد.

ثمَّ بدأتُ أدرسُ كتابَ العهد الجديد، ولا سيَّما سفر الأعمال والرسالة إلى العبرانيِّين. وإذا ذاك تنامَت لديَّ قناعةٌ بأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة قدِ انحرفت عن الكتاب المقدَّس وأنَّ كهنوتَها قدِ اغتصبَ مكانة المسيح.

غدا اكتشافي كلمةَ الله مغامرةً شيِّقةً. وإذ تابعتُ القراءة، شعرتُ بالحقيقة الدقيقة المؤكَّدة في عبرانيِّين ٤:١٢، "**أنَّ كلمة الله حيَّة وفعّالة**".

وُلِدتُ عام ١٩٢٩ في مدريد، لأبوين تقيَّين، وتلقَّيتُ دروسي في كليَّة أُوفيدو الميتروبوليتانيَّة لِلاَّهوت طيلة اثنتي عشرة سنة. ثُمَّ رُسِمتُ في الثلاثين من أيّار (مايو) ١٩٥٤. وفي أثناء سني دراستي اللاهوتيَّة الأربع، لم أقرإ الكتاب المقدَّس قطُّ بجدِّيَّة. فلم أكُن أرجعُ إلى الأسفار المقدَّسة إلاَّ كأحد المراجع المطلوبة

في دراسة العقيدة الكاثوليكيَّة. وما عرفتُ من الكتاب المقدَّس إلاَّ الأجزاء التي يشتمل عليها القدّاس ونصوص كتاب الصلوات المعتمد في كنيسة روما.

ذهبت كنيسةُ روما الكاثوليكيَّة إلى أنَّ الخلاص يتوقف على مغفرة الخطايا على يد الكاهن، وقالت بأنَّ كلَّ من يرفض أن يعترف بخطاياه المُميته للكاهن يهلك هلاكاً أبديّاً. ولكنّني لم أجد في سفر الأعمال ولا في سواه من أسفار العهد الجديد أيَّ نصٍّ يؤكدُّ ذلك. إذ إنَّ جميع كَتَبَةِ الوحي أكّدوا أنَّ على الإنسان أن يذهب مباشرةً إلى الله طلباً للغفران.

وفي مقابل ذلك، قرأتُ في العبرانيِّين، بصريح العبارة، أنَّ المسيح قد قدَّم نفسه عن الخاطئ مرّةً واحدة وإلى الأبد. عندئذٍ ساءلتُ نفسي: "كيف تجرأ المجمعُ التريدنتينيُّ أن يُعلِن، عامَ ١٥٦٢، أنَّ المسيح في القُدّاس يقدِّم نفسه بيد الكاهن ذبيحةً لله حقيقيَّةً وفعليَّة؟"

ثمَّ تبيَّن لي أيضاً أنَّ التبرير يكونُ بالإيمان وحدَه، ففكرَّتُ قائلاً: "ما دُمتُ لم أجد سلامَ النفس في الكنيسة الكاثوليكيَّة، فهل يُعقَل أن يكون ذلك لأنَّني توقَّعتُ أن أُحرِزه كمكافأةٍ لمجهوداتي الشخصيَّة؟"

على هذه الشاكلة، أدركتُ توّاً أنَّ المسيح لا يطلب منّي شيئاً، فنبذتُ كلَّ جهدٍ شخصيّ لكسب الخلاص. وهكذا أصبح يسوع المسيح هو ربِّي ومخلِّصي الوحيد.

ثُمَّ بواسطة إرساليّة "دي اسْبانْزي إيفا نجيلِش اتْزنْدِنغ" في هولندا، تعرَّفت بكاهنٍ كاثوليكي اسبانيٍّ سابقٍ دلَّني إلى المؤسَّسة الهولندية "إنْ دي رِختُ اسْترات" (في الطريق المستقيم)، وهي منظمَّة إنجيليَّة ما برحت تُساعد الكهنة الذين يتركون الكنيسة الكاثوليكيَّة ناشِدين مبادئَ الإصلاح التي شهدها القرن السادس عشر باعتبارها رجوعاً إلى تعاليم الكتاب المقدَّس.

وفي الثاني من أيّار (مايو) ١٩٦١، وصلتُ إلى بروكسل، ثُمَّ ذهبتُ لاحقاً إلى "هِلفِرسوم" بهولندا. وبعدئذٍ أرسلتُ إلى رئيس الأساقفة الذي كنتُ تابعاً له

رسالةً أقول له فيها: "لقدِ اكتشفتُ كلمة الله، كما أنَّ يسوع المسيح تعرَّف إليَّ بوصفه ربِّي ومخلِّصي. وفي حين تزعم روما أنَّ الكثلكة متأصِّلة في المسيح، فهي بالحقيقة قد أدارَت له القفا".

بعد ذلك ذهبتُ إلى "سان جوزيه" بكوستاريكا، حيث حصلتُ في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٣ على إجازة في اللاهوت من كليَّة اللاهوت الأميركيَّة اللاتينيَّة.

أخيراً قضيتُ بضعة أشهر في غواتيمالا أتشاور مع"سينودس ميسُّوري اللوثريّ" قبل سفري إلى الولايات المتّحدة الأميركيَّة، حيثُ ما زلتُ أكرز بالإنجيل منذ ١ حزيران (يونيو) ١٩٦٤ للناطقين بالاسبانيَّة.

إنَّ رغبتي المِلَحاح هي أن أخدم الربَّ يسوع المسيح، مشتاقاً أن أحمل بشارة النعمة إلى الناس مخبراً إيّاهم بكم صنع بي الربُّ ورحمني. وما عمله لي، يستطيع أن يعمله لهم .. ولك أيضاً.

"اخرجوا منها يا شعبي، لئلاّ تشتركوا في خطاياها، ولئلاّ تأخذوا من ضرباتها" (رؤيا ١٨:٤). "فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم" (أعمال ٣:١٩).

(الكاهن المولود ثانيةً: إنريك فِرنانْدِز)

كلمة الله أتَت لنجدتي

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جوزيف لُوليتْش"

اسمي جوزيف لوليتش. ويُسعِدُني حقّاً أن يُتاح لي إطلاعُكم علىما عملَتْه نعمة الله في حياتي. فأنا أُخاطبكم بصفتي شيخاً قضى الرَّدَح الأكبر من حياته البشريَّة كاهناً كاثوليكيّاً سابقاً وخدم الكنيسة الكاثوليكيَّة بأمانةٍ وإخلاص طيلةَ أربع عشرة سنة، وأيضاً مرسلاً استخدمه الله لنشر إنجيله المجيد في جزءٍ من عالمنا المحتاج.

وُلِدتُ علىمقربة من حدود إيطاليا الشماليَّة، حيثُ عشتُ حداثتي. وقد نشأتُ وحَولي أهوال الحرب العالميَّة الأولى، وخوفُ المستقبلِ مسيطرٌ عليَّ. وفي الثانيةَ عشرة من عمري أخذني والدي إلىديرٍ لتلقِّي العلم. وأذكرُ جيِّداً وداعي لعائلتي. كنتُ طريَّ العود، ولكنْ كان لي في قلبي توقٌ شديد لأجدَ سلامَ نفسي، ولأصير كاهناً حتّى تتسنّى لي إعانةُ الآخرين في حاجاتهم الماديَّة والروحيَّة. ثمَّ مضت خمس عشرة سنة، قضيت مُعظَمها في الدرس والصلاة وأعمال الخير، استِعداداً لأنْ أصير كاهناً. ولكنْ لمّا حان وقتُ إجرائي قُدّاسي الأوّل في مسقط رأسي، شعرتُ بخيبةٍ مُرَّة. فالسلام الذي طالما حلمتُ به لم يكُن قد جاء إلى نفسي. كنتُ مؤهّلاً جيِّداً على الصعيد التِّقنيّ، إذ كانت أُهبتي الفلسفة واللاهوت والمعرفة الطبيَّة واللغات والقُدرة علىتحمُّل المصاعب ماديّاً وروحيّاً. وقد رُسمتُ كاهِناً وكنتُ مستعدّاً لخدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة طيلةَ ما بقي من عمري. واختبرتُ المعاناة التي اجتازها مارتِن لوثر. وقضيتُ أشهُراً كثيرة في الصلوات والأصوام وما إليها، غير أنّ ذلك كلَّه لم يؤتِني أيَّ يقينٍ بأنَّ خطاياي قد غُفِرت.

وكنتُ أخاف الجحيم والمطهر. ولكنَّ التعليم اللاهوتيَّ الذي لقَّنتني إيّاه كنيستي لم يسمح لي بأن أشكَّ في شيء. إذ كان عليَّ أن أقبل عصمتها وسُلطَتها وأثق بكونها الطريقَ الوحيد للخلاص. وحينما كانت النفوس المحتاجة تقصد إليَّ طلباً لكلمة عزاء، كنتُ أشعر بعدم أهليَّتي للتكلُّم باسم المسيح. ومراراً كثيرة في ساحات المعارك، أو بعد القصف المدفعيّ، كنتُ أنسى أن أرفع يدي وأنطق بالعبارة "أنا أحلُّك" فوق رؤوس الجنود أو المدنيِّين المائتين الذين كنتُ أقوم بخدمتهم. وقدِ اعتدتُ أن أُذكِّرهم بالمسيح المصلوب فاديهم. وإذ أنظر إلى الوراء الآن، أرى أنَّني ربّما كنتُ، مثلَ النبيِّ بلعام إذ تكلَّم بوحيٍ من الروح، غيرَ عالمٍ ما أقول. وبالحقيقة أنَّ تصرُّفي ذلك كلَّه كان على نزاعٍ مع ضميري، إذ شعرتُ بذنبِ تنكُّري للتعليم الذي تلقيَّتهُ. وأذكرُ أنَّي أطلعتُ كاهناً آخر على هذا الشعور، فخاب أملُه لأنَّني لم أكُن أمارس سلطان الوسيط الذي قد منحتني إيّاه الكنيسة.

وبعد الحرب قاسيتُ الكثير تحت الحكم الشيوعي في يوغوسلافيا. وليسَ من داعٍ لإطلاعكم على الآلام الجسديَّة التي عانيتُها، إنَّما هولُ الموت تربَّص بي ليلةً بعد ليلة. فكُلَّ ليلة كان بعضُ زملائي يؤخذون إلى حيثُ لا أدري. وشعرتُ أنْ لو قتلني الشيوعيُّون لكُنتُ شهيداً من شهداء الكنيسة الكاثوليكيَّة. غيرَ أنَّ ذلك لم يؤتِني أيَّ نور أو عونٍ يُبدِّد عدم يقيني بمغفرة خطاياي. وكان من عادتي أن أُصلِّي: "أيَتُّها القدِّيسة المُباركة مريم، أُمَّ الله، صلِّي لأجلي الآنَ وفي ساعة موتي"، ولكنَّ الخوف من دينونة الله وجهنَّم والمطهر ظلَّ مُقيماً عندي دائماً.

بعد بضعة أشهر هربتُ إلى شمال إيطاليا، حيثُ قضيت ثلاث سنِين أخدم الفقراء. وقد نظمتُ جماعة قوامُها ألف نفسٍ من المشرَّدين والعاطلين عن العمل. وتولَّيت المسؤوليَّة عن مئتي ولد، معظمهم غير شرعيِّين، وفَّرتُ لهم الغذاء والكساء والتعليم. وكان لدى الناس مرارةٌ تجاه البابا والمطارنة والكنيسة، إلاَّ أنَّهم أحبُّوني، لا ككاهن، بل كرجُلٍ صالحٍ وصادق. فقد وثقوا بي وأصغَوا إليَّ، فيما

رجموا بالحجارة مطرانَ مدينةٍ قريبة حاولَ زيارتهم. وأذكرُ أنَّني كنتُ مرّةً اتكلّم في قدّاسٍ أُقيم في الهواء الطَّلق، وكان بين الحُضور فوقَ عشرين امرأةٍ من البغايا وعددٌ من الشيوعيِّين وكثيرون آخرون مِمَّن يعيشون في الخطيَّة. وقرأتُ خبر المرأة الزانية التي قال لها المسيح: "إذهبي، ولا تُخطئي أيضا". فتأثَّر الجميع، كما تأثَّرتُ أنا، إذ تبيَّن لي أنَّ المسيح وحدَه قادرٌ على غفران خطاياهم، وليس أنا الكاهنَ. إذ ذاك دعوتُهم للتوجُّه إلى المسيح الحيّ، ثُمَّ ناولتُهم بيدي. غير أنَّي علمتُ أنَّني مُذنبٌ تجاه تعليم كنيستي، فطار النوم من عينيَّ. ولكنَّ حيواتِ أفراد رعيَّتي بدأت تتغيَّر. فقد كانتِ الصحفُ تنشر أخباراً يوميَّة عن جرائم يرتكبُها قومٌ من الذين أخدمُهم. إلاَّ أنَّ تلك الأخبار توقَّفت فجأةً. وأذكر أنَّه في الليل كان الشباب يرنِّمون "لِيملكِ المسيحُ".

وعام ١٩٥٠ عُيِّنتُ كاهِناً على ظهر سفينة تُقِلُّ إيطاليِّين إلى جميع أنحاء العالم. وأبحرتُ عبرَ العالم إلى آسيا وأفريقيا وأندونيسيا وأُستراليا، وأنا ما أزال أخوضُ صراعاً داخلَ نفسي، لكنَّني اعتبرتُ ذلك من عمل إبليس. في تلك الأثناء احتككتُ بأُناسٍ من البروتستانت أوّلَ مرّة. وكُنتُ قد عُلِّمتُ أنَّ الأغصان المقطوعة من المسيح لا تحمل ثمراً، وأنَّ البروتستانت كانوا تلكَ الأغصان. ولكنْ تسنَّى لي أن أرى عدَّة أثمارٍ جيِّدة بين البروتستانت. وإن أنسَ فلَن أنسى البتَّة ذاتَ عيدِ ميلادٍ في عرض المحيط الهنديِّ، عندما اخفقت في تنظيم جوقة، فعرضت عليَّ خمس فتيات بروتستانتيّات أن يُنشِدن بعض التراتيل الميلاديّة. وقد تأثَّر جميع الكاثوليكيِّين، وتأثّرتُ أنا أكثرَ منهم. إنَّما الصراع داخِل نفسي كان يقوى أكثرَ فأكثر، إذ إنَّ إيماني وثقتي بالكنيسة الكاثوليكيَّة أخذ يتزعزع، وبات عليَّ أن أُراجع دراساتي.

كلمة الله أتَت لنجدتي

لتفهُّم مخاوفي وشكوكي، ينبغي أن تذكروا أنَّه كان محظوراً عليَّ، أنا الكاهن الكاثوليكيّ، أن أُقيم أية علاقة بالبروتستانت، وخشيتُ أن أُتَّهمَ فأُرسلَ

إلى دير في الصحراء حيثُ أُنسى وأُبلى. والعواصفُ العاتية التي كابدتُها في عرض المحيط الأطلسيّ لم تكُن شيئاً إذا قورنت بالعواصف التي هبَّت داخلَ نفسي. فما عُدتُ أومنُ بسلطان الكنيسة الكاثوليكيَّة. ولكن أين تُراني أجدُ أماناً؟ إذ ذاك جاءت كلمة الله لنجدتي، مقدِّمةً إليَّ مَعيناً روحيّاً من القوّة والشجاعة لمواجهة العالم. فبكلماتٍ بسيطة قالها المسيح، أنار الروحُ القدس نفسي وآتاني السلامَ الناشئ من غفران الخطايا، والفرحَ الذي لا يهبه إلاّ اللهُ وحده، إذ آمنتُ بقول الربِّ يسوع: "أنا هو الطريق والحقُّ والحياة". إذاً الثقة بيسوع تعطيني وجهةً جديدة في الحياة،والمسيحُ وحده يهبُني الحقّ، وفيه وحده أجدُ الحياة والفرح والسلام والرِّضى. ثمّ قرَّرتُ أن أُغادر الضُبّاط والبحّارة الذين كانوا يحبُّونني، فخابَ ظنُّهم هُم أيضاً إزاء قراري. وتعيَّن عليَّ أن أهجر رؤسائي وأقربائي وأصدقائي. وإذ حُرِمتُ من شركة الكنيسة الكاثوليكيَّة، فقدتُ كرامتي وعملي، وسُفِقَ كلُّ باب في وجهي. ولكنْ حمداً لِلّه على أنَّ السلام الذي غمر نفسي كان عظيماً جدّاً حتَّى قهرتُ تلك المرحلة من حياتي بلا خوف.

توجَّهتُ إلى كندا، حيث عملتُ تسعةَ أشهر كعاملٍ عاديٍّ في مستشفى. وقد كان ذلك العمل شاقّاً، نسبةً إلى الحياة الهيِّنة التي قضيتُها على متن السفينة، حيث كُنتُ أُسافر في الدرجة الأولى وأتمتّع بوسائل الراحة المُتاحة. ثُمّ اضطُررت للعودة إلى إيطاليا، لأنَّ تأشيرتي لم تُجدَّد. وهُناك أقمتُ مدَّةً عند أُختي التي كانت لاجئة. وأذكر الآن كيف نصحتني عائلتي بالعودة إلى كنيسة روما حتّى لا أموتَ جوعاً. في تلك الآونة تعرَّفتُ بكاهنين مولودَين ثانيةً (وكانا قد صارا قِسِّيسَين إنجيليَّين). وإذ كانا مُدركَين حقيقةَ وضعي، ساعداني كثيراً جدّاً، فدبَّرا لي عملاً كمعلِّمٍ في دارِ أيتام، ثُمَّ يسَّرا لي الاتِّصال بكليَّة الكتاب المقدَّس الغربيَّة في الولايات المتّحدة، حيثُ قضيتُ فترةً في دراساتٍ كتابيَّة. وقد كانت تلك الفترة زمنَ نموٍّ في حياتي الروحيَّة، فضلاً عن التزوُّد بالمعرفة الأكاديميَّة. ومن ثمَّ عرَّفتني الكليَّة ببعض الكنائس المحليَّة، بعدما شعرتُ بوجوب عودتي إلى إيطاليا للخدمة

التبشيريَّة. وما كان أكرم الربَّ معي إذ سدَّ حاجاتي على مدى خمسٍ وعشرين سنةً في أثنائها رجعتُ إلى الولايات المتّحدة مرّةً واحدةً فقط!

وفي إيطاليا رزقني الربُّ شريكةً أمينةً في الحياة وخدمة الإنجيل طيلة تلك السنين، هي زوجتي أغنس. ولأسبابٍ عائليَّة عُدنا إلى المكان الذي سبق أن خدمتُ فيه ككاهن كاثوليكيٍّ حيناً، حيث كان العملُ شاقّاً جدّاً جدّاً جدّاً. فكانت الشرطة تراقب تحرُّكاتنا؛ وتكلَّم المطران علينا، وحاولَ طردنا؛ وأبغضَنا الناس. وأذكرُ أنَّه كان عليَّ أن أُنظِّف باب مكان اجتماعنا الصغير من البُصاق وأدهن الجدران مراراً لتغطية العبارات البذيئة التي كُتِبت عليها.

وبمرور الزمن تمكَّنا من كسب ثقة الناس ومودَّتهم. حتّى إنَّه بعد أربع مئة سنة مرَّت على طرد آخر عيلة إنجيليَّة من مدينة "روفيغو" اضطهاداً، أعطانا الربُّ فرحةَ تأسيس كنيسةٍ لمجده في تلك المدينة التي ما نزال نقيم فيها. وكنتُ أشعر أنَّ فرصة استخدام الربِّ لي في مدينةٍ مُقاومةٍ مثل تلك ضئيلةٌ جدّاً، وذلك بسببِ ماضيَّ، ولكنَّ الربَّ برحمته وجد فيَّ آلةً يستخدمها لمجده.

تضمُّ الكنيسة الآن مجموعةً من الناس بينهم كثيرٌ من العائلات الشابَّة، ونحنُ نستمرُّ نامين في الربّ. ولمَّا وضع الربُّ في قلوبنا فكرة التوسُّع، كان علينا أن نتغلَّب على عدم اهتمام الناس ولامبالاتهم. ثمَّ شقَّ لنا الربُّ طريقاً لإنشاء محطّة إذاعيَّة مضت قُدماً رغم الصعوبات الجمَّة، إذ سُرِقت معدّاتنا، ولكنَّ الربَّ أبدى لنا جوده وعظَّم انتصارنا في كلِّ ضيقنا. وتُبيِّن رسائل كثيرة أنَّ الناس يستمعون إلى الإذاعة ويتمتَّعون بها، ونحن نعمل دائماً على تحسين نوعيَّة خدمتنا لإخواننا الذين يمكثون في الظلمة، كما كانت حالُنا في ما مضى. وكما يوحي اسم محطتنا الإذاعية، فنحن نرغب أن نكون "صوتاً في البريَّة" مثل يوحنا المعمدان، ندلُّ الناس على حمل الله القادر وحده على رفع خطايا العالم.

(الكاهن المولود ثانيةً: جوزيف لُولِيتْش)

الكاهن الذي وجد المسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جوزيف زاكِّلُو"

وُلِدتُ في "البندقيَّة" بشمال إيطاليا في ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٧. وفي العاشرة من عُمري أُدخِلتُ معهداً كاثوليكيّاً في "بياشِنـــزا". وبعد اثنتي عشرة سنةً من الدراسة، رُسِمتُ كاهناً في ٢٢ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٣٩.

بعد شهرين من سيامتي أرسلني رئيسي، الكاردينال "ر.روسِّي" لأكون راعياً مساعِداً لكنيسةٍ إيطاليَّة جديدة في شيكاغو دُعيَ اسمُها "كنيسة الأُمِّ المُباركة كابريني". وعلى مدى أربع سنواتٍ وعظتُ في شيكاغو، ثُمَّ في نيويورك. وما ساءلتُ نفسي مرّةً عن كونِ عظاتي وتعليمي ضدَّ الكتاب المقدَّس. فقد كان همِّي الوحيد وطموحي الشديد أن أُرضيَ البابا.

وحدث يومَ أحدٍ من شباط (فبراير) أنَّني شغَّلتُ الراديو والتقطتُ بالصّدفة محطَّةً تبثُّ برنامجاً دينيّاً بروتستانتيّاً، وكان قِسِّيسٌ يُلقي عظته. كدت أُغيِّر المحطَّة لأنَّه لم يكن مسموحاً لي أن أستمع إلى عظاتٍ بروتستانتيَّة، ولكنَّني بقيتُ أُصغي وأنا لا أعرف كيف جذب البرنامج انتباهي.

تزعزع إيماني اللاهوتيُّ القديم بآيةٍ من الكتاب المقدَّس سمعتُها من الراديو: "آمنْ بالربِّ يسوع المسيح فتخلص". إذاً، ليست خطيئةً إلى الروح القدس أن يعتقد المرء بأنه مُخلَّص.

لم أُولدَ من فوقُ آنذاك، ولكنْ زخر فكري بالشكوك في الديانة الكاثوليكيَّة. وكنتُ قد بدأتُ أُعنى بتعاليم الكتاب المقدَّس أكثرَ من عقائد البابا ومراسيمه. كان أناسٌ فقراء يُعطونني، كُلَّ يومٍ، ما بين خمسة دولارات وثلاثينَ

لقاءَ ثُلث ساعة من احتفالٍ يُدعى "القُدّاس"، لأنّني وعدتُهم بتحرير نفوس أحبّائهم من نيران المطهر. ولكنّني كُلّما نظرتُ إلى صورة المسيح المصلوب الكبيرة على المذبح، بدا لي أنّ المسيح كان ينتهرُني قائلاً:

"إنَّك تسرق المال من فُقَراءَ يعملون بكدٍّ مستخدماً وعوداً كاذبة. أنت تُعلِّم بعقائد ضدّ تعليمي. فنفوسُ المؤمنين لا تذهب إلى مكانِ عذاب، لأنّني قد قلتُ: "طوبى للأموات الذين يموتون في الربّ منذ الآن. نعم، يقول الرُوح، لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالُهم تتبعُهم" (رؤيا ١٤:١٣). لستُ محتاجاً إلى تكرار الذبائح على الصليب، لأنّ ذبيحتي كانت كاملة. إنّ عمل خلاصي مُتمَّمٌ وقد أثبت الله صدقيَّتَهُ بإقامتي من بين الأموات: "لأنَّه بقربانٍ واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين" (عبرانيين ١٠:١٤). فإن كنتُم، أنتُمُ الكهنةَ والبابا، قادرين على تحرير النفوس من المطهر بالقداديس والغُفرانات، فلماذا تنتظرون تقدماتٍ؟ إن رأيتَ بهيمةً في النار، فإنّك لا تنتظر أن يُعطيك مالكُها خمسةَ دولارات لاستِنقاذها!"

لم يعُد في وسعي أن أُواجه المسيح فوق المذبح. وحينما كنتُ أعظ بأنَّ البابا هو نائبُ المسيح وخليفةُ بطرسَ، الصخرةِ المعصومةِ التي عليها بنى المسيح كنيسته، خُيِّلَ إليَّ أنَّ صوتاً كان يزجرُني أيضاً قائلاً لي: "إنَّك قد رأيتَ البابا في روما: قصره الضخم الفاخر وحرّاسه، والناس يقبِّلون قدمَه. أتعتقد حقّاً أنَّه يُمثِّلُني؟ لقد جئتُ كي أخدم الناس، وقد غسلتُ أقدام بعضهم، ولم يكُن لي مكانٌ أسند رأسي فيه. انظرْ إليَّ مصلوباً. هل تعتقد حقّاً أنَّ الله بنى كنيسته على إنسان، فيما يقول الكتاب المقدَّس صراحةً إنَّ نائب المسيح على الأرض هو الروح القدس وليس أيّ إنسان؟ (يوحنا١٤:٢٦). "والصخرة كانتِ المسيح" (١كورنثوس ١٠:٤). فإن كانت كنيسة روما الكاثوليكيَّة مبنيَّةً على إنسان، فهي لا تكون كنيستي.

وكنتُ ما أزال أعِظ بأنَّ الكتاب المقدَّس ليس دليلاً كافياً للإيمان، بل إنَّنا نحتاج إلى التقليد والعقائد الكنسيَّة حتّى نفهم الأسفارَ المقدّسة. ولكنَّني أيضاً كنتُ أسمع في داخلي صوتاً يقول لي:

"إنّك تعظ ضدَّ تعليم الكتاب المقدَّس. إنّك تعظ بالهُراء. فإن كان المسيحيُّون يحتاجون إلى بابا لفهم الكلمة المقدَّسة، فإلامَ يحتاجون لفهم البابا؟ وأنا قد شجبْتُ التقليد لأنَّ كلَّ إنسانٍ يمكنه أن يفهم ما ينبغي أن يعرفه في سبيل خلاص نفسه: "وأمّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمِنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابنُ الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتُم، حياةٌ باسْمِه" (يوحنّا ٢٠:٣١).

وكُنتُ أُعلِّم رعيَّتي أن يذهبوا إلى مريم والقدِّيسين بدلاً من الذَّهاب مباشرةً إلى المسيح. ولكنَّ صوتاً في داخلي كان يسألُني:

"مَنِ الذي خلَّصك على الصليب؟ مَنِ الذي دفع ديونك بسفك دمه؟ أمريمُ أم القدِّيسون أم أنا، يسوعَ المسيح؟ أنتَ وكهنةٌ كثيرون غيرك لا تؤمنون بالأوشحة والتاسوعيّات والسُّبحات والتماثيل والشموع، ولكنّكم تُبقونَها في كنائسكم لأنّكم تقولون إنَّ البُسطاء يحتاجون إلى أُمور بسيطة تُذكِّرُهم بالله. فأنتُم إنَّما تحتفظون بها في كنائسكم لأنَّها مصدرُ دخلٍ ربِّيح. ولكنَّني أنا لا أُريد أيَّةَ تجارةٍ في كنيستي. وعلى مؤمِنيَّ أن يعبدوني أنا، بالروح والحقّ. حطِّم هذه الأصنام، وعلِّم رعيَّتك أن يأتوا إليَّ أنا ويُصَلُّوا إليَّ وحدي!"

وكان كرسيُّ الاعتراف هو المكان الذي فيه تُعذِّبُني أفكاري فعلاً. فقد كان الناس يأتون إليَّ أنا، ويجثون أمامي أنا، ويعترفون بخطاياهم لي أنا. فأنا الخاطئَ، الإنسانَ، كنتُ أحلُّ محلَّ الله وأنتحل حقَّ الله، فأرسمُ علامة الصليب وأُعلِن لهم غفرانَ خطاياهم وكأنَّ لي سلطاناً على ذلك. وإذا بذلك الصوت المروِّع يخترق كياني قائلاً:

"أنت تسلبُ الله مجدَه. فإن أراد الخُطاة مغفرة خطاياهم، يجب عليهم أن يذهبوا إلى الله، وليس إليك أنت. فإنَّما ناموسَ الله قد كسروا. إذاً، يجب عليهم

أن يعترفوا لِله؛ وإلى الله وحده ينبغي أن يُصلُّوا طالبين الغفران. ما مِن إنسانٍ يقدر أن يغفر الخطايا. غير أنَّ يسوع المسيح قادرٌ، وهو يغفرها فعلاً: "فستلد ابناً وتدعو (أنت) اسمَه **يسوع**؛ لأنَّه يُخلِّص شعبه من خطاياهم" (متّى ١:٢١). "وليس بأحدٍ غيرِه الخلاص، لأنْ ليس اسمٌ آخر تحت السماء، قد أُعطيَ بين الناس، به ينبغي أن نخلص" (أعمال الرسل ٤:١٢). "لأنَّه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسانُ يسوع المسيح" (**١**تيموثاوس ٢:٥).

لم يعُد في وسعي البقاءُ بعدُ في كنيسة روما الكاثوليكيَّة، لأنَّني ما عُدتُ قادراً على خدمة سيِّدين: البابا والمسيح. ولم يسعْني أن أُومن بتعليمين متناقضين: التقليد والكتاب المقدَّس. فكان عليَّ أن أختار إمّا المسيح وإمّا البابا؛ إمَّا التقليد وإمّا الكتاب المقدس. وقدِ اخترتُ المسيح والكتاب المقدَّس فعلاً. ثُمَّ تركتُ الكهنوتَ الكاثوليكيَّ الرومانيّ، وديانةَ روما عام ١٩٤٤. والآنَ ما زال الروح القدس يقودُني كي أُبشِّر الكاثوليك وأحثَّ المؤمنين على تأدية الشهادة أمامهم بلا خوف.

(الكاهن المولود ثانيةً: جوزيف زاكِّلُو)

دراسةُ الكتاب المقدَّس الكاثوليكي صدمَتِ الكاهنَ العريق

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

" بَنينو زونيغا"

حتّى جاوزتُ الخمسينَ من العمر، عشتُ في ظلمةٍ روحيَّة شاملة. فعلى الرغم من كوني كاهناً على مدى سنين عديدة، كانت معرفتي عن يسوع المسيح محدودةً جدّاً ومشوَّهة كثيراً. ذلك أنَّ مسيحَ الكتابِ المقدّس الحقيقيَّ كان، في واقع الحال، مخبوءاً عنّي تحت ستارٍ كثيف من التعاليم الدينيَّة الشائكة.

كنتُ أعتقد أنْ لا خلاصَ ممكناً خارج كنيسة روما الكاثوليكيَّة، وأنَّ البابا، بوصفه نائب المسيح على الأرض، معصومٌ من الخطأ. وقد كان ولائي عظيماً، حتّى إنّي كنتُ مستعدّاً لبذل حياتي دفاعاً عن البابا.

تلقَّيتُ العلم عند الآباء اليسوعيِّين؛ وفي السادسة عشرة من عمري قرَّرت أن أصير راهباً يسوعيّاً. وقد درستُ في بيرو وإكوادور واسبانيا وبلجيكا، ثُمَّ رُسِمت كاهناً في ما بعد. وعلى مدى سنين كثيرة علَّمتُ في مدارسَ كاثوليكيَّة، وشغلتُ منصب أُستاذٍ في معهدٍ دينيّ، وخدمتُ كنائبِ مستشارٍ في محكمة كنسيَّة تابعة لأبرشيَّتي، وتولَّيتُ وظيفة رجُلِ دينٍ مُلحقٍ بالجيش، كما عملتُ كاهناً في اثنتين من الأبرشيّات الكبرى ببَلدي.

ولّما كنتُ كاهن أبرشيَّة، نذرتُ نفسي لمقاومة البروتستانت في منطقتي. وقدْ عاملتُهم باعتبارهم هراطقة، كما علَّمتُ رعيَّتي أنَّهم يعتنقون أدنى المقاييس الخُلقيَّة. وبما أنَّ بعض هؤلاء البروتستانت كانوا يرجعون دائماً إلى الكتاب

المقدَّس مرجعاً ذا سُلطان، فقد عقدتُ العزم على كتابة كتابٍ أفضحُ فيه ضلالهم في ضوء الكتاب المقدَّس.

وفيما درستُ الكتاب المقدَّس فصلاً فصلاً طوال فترةٍ بلغت ثلاث سنين، كانت لي صدمةٌ عنيفة أن اكتشف أنَّني أنا مَن كان على ضلال. وعوضَ أن أتمكَّن من دحر هؤلاء "الهراطقة"، وجدتُ نفسي مدحوراً أمام كتابي المقدَّس الكاثوليكي. وأخذتُ أرى مدى ابتعاد عقائدي الكاثوليكيَّة عن الكتاب المقدَّس بُعداً شاسعاً. وبينما كنتُ أدرسُ الكتاب، غالباً ما كانتِ الدموع تنهمر من عينيَّ حين يجول في خاطري أنَّني تابعٌ أفكار الناس، لا تعاليم الله.

وكان من النتائج الأُخرى التي نجمت عن قراءتي الكتاب المقدَّس فصلاً فصلاً أنَّ ضميري استيقظ وغدا حيّاً في داخلي. فقد تبيَّن لي أنَّني شخصيّاً بعيدٌ عن الله كثيراً. إذ كنتُ بوصفي كاهناً أُعطي انطباعاً بأنَّني قدِّيس، ولكنَّني في الواقع أفسحتُ في المجال لكلِّ نوعٍ من الخطايا، وعشتُ حياةً دُنيويَّةً بحتاً. فكأنَّما الرداء الأسود الذي كنتُ ألبسه كان صورةً لظلامِ قلبي. ولم أستطعِ الحصول على السكينة والسلام اللذين أخذت نفسي تتوق إليهما، لا مِن طريق ممارسة الأسرار المقدَّسة، ولا بالصلوات إلى القدِّيسين، ولا بالاعتراف بالخطيئة لمُعرِّفٍ بشريّ، ولا بفروض التوبة واستعمال الماء المقدَّس.

وذاتَ يوم، رُغم كوني كاهناً جاوزَ الخمسين من العمر، أخضعتُ قلبي لِلّه أخيراً. جثَوتُ أمام المسيح، الذي وإن كان غير منظور غدا حقيقيّاً وحيّاً عندي. وإذ شعرتُ بأنِّي نكرةٌ، وقد غمر الحزنُ قلبي، تُبتُ إلى الربّ من إساءتي إليه بحياتي العاصية وخطاياي الرهيبة. وبمُخيِّلتي، رأيتُ الصليبَ الذي عليه سُفك دمه الثمين لتخليصي من العقاب الذي أستحقُّه أيَّ استحقاق. وكانت نتيجة هذه الصلاة أنَّ المسيح غيَّر حياتي وجدَّدها.

لقد دعاني المسيحُ للخروج من "قبر" ظلمتي الروحيَّة، وأتى بي إلى اختبارٍ فعليّ ومعرفةٍ حيَّة لشخصه الكريم.

إنَّ سرَّ الاختبار الروحي الواقعيِّ والحقيقيّ هو اللقاء الشخصيُّ بالمسيح بإيمانٍ صادق ونابضٍ بالحياة. حتّى إذا تولَّى المسيحُ السيادة على قلبِ المرء، تغدوكلُّ بركةٍ روحيَّةٍ أُخرى حقيقةً مضمونةً أكيدة.

(الكاهن المولود ثانيةً: بَنينو زونيغا)

اهتداءُ كاهنٍ كاثوليكي إلى الإيمان المسيحيّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"شارلز بَرِّي"

بوصفنا كاثوليكيِّين يجب ان نمارسَ واجباتنا الدينيَّة، خصَّصْنا نصف ساعةٍ كلَّ يومِ أحدٍ لحضور القُدّاس. ولكنّ دور الدين في الواقع كان ضئيلاً في عائلتنا. وفي سني مراهقتي كنتُ أستحي بكوني كاثوليكيّاً، فأتفادى من الذهاب إلى الكنيسة كلَّما أمكنني. ثمَّ حدث شيء بدَّلَ مجرى حياتي.

كنتُ أتولَّى مهمَّة الاعتناء بطفلٍ في عائلة بروتستانتيَّة، فاتَّفقَ أن قرأتُ كُتيِّباً موضوعه "جهنَّم والعقاب الأبديّ"، فاقتنعتُ بحقيقة جهنَّم الرهيبة، كاقتناعي بها الآن. وإذ عقدتُ العزم على أن يكون واجبي الأوّل هو العثور على طريقٍ للاقتراب من الله، عكفتُ بكلِّ جدٍّ على الغوص في الممارسة الكاثوليكيَّة لإحراز خلاص النفس. فبدأت أحضر القدّاس وأتلو صلاة السُّبحة كلَّ يوم، مرتدياً الوشاح البُنِّيَّ وغيره من الأوشحة والمداليات. وقيل لي إنَّني إذا أردتُ معرفة الطريق المُفضية إلى السماء فعليَّ أن أقرأ سِيرَ القدِّيسين الكاثوليك لأجد كيف تدبَّروا هذا الأمر. وهكذا خُيِّل إليَّ أنَّ أوثق طريقٍ إلى السماء هو أن أُنزِل الآلام بجسدي. فصار الألم رفيقي الدائم، مع أنَّي حرصتُ على ألاَّ ينمَّ مظهري البتَّة عن مبلغ آلامي. ثُمَّ دخلتُ رهبانيَّة مُتنسِّكي القدِّيس أوغسطينوس ولي من العمر تسعة عشر عاماً. وطوال السبعة عشر عاماً التالية عشتُ خاضعاً لقانون مار أُغسطينوس، متدرِّجاً من مرشَّح إلى مترهبِنٍ فإلى ناذِرٍ ثمَّ إلىكاهن.

وخلال السنين العشر الأولى من تلك السنوات السابقة للمجمع الفاتيكانيّ الثاني، لم أرَ حتّى داخلَ ديرٍ عاديّ، ولا أُتيحت لي فرصةٌ لمعاشرة الرهبان العاديِّين أو الكهنة ولا لمحادثتهم. وما كان يحقُّ لطَلَبة الكهنوت قطُّ أن يُخالطوا رؤساءهم ولا معلِّميهم. وقد كانتِ المصاعب جمَّةً، إلاَّ أنَّها خفَّت قليلاً لَمَّا تقدَّمْنا وقاربْنا الرسامة. وقلَّ مَن تذمَّر بيننا إذا كان الطعام رديئاً أو ساعاتُ الراحة قليلة أو النظامُ صارماً جدّاً، أو عنيفاً، لأنَّنا شعرْنا أنَّ ذلك هو الثمن الذي يجب علينا أن ندفعه كي نصير من رجال الله. فقد كانت إطاعة الرؤساء هي المبدأ الذي سيطر على حياتنا. ولم نتخلَّ فقط عن حقِّ التملُّك الشخصيّ، والمطامح والحياة الذاتيَّة، بل أخضعْنا أيضاً عقولنا وأذهاننا وأفكارنا الشخصيَّة. وقد قيل لنا إنَّ الله يتكلَّم إلينا مباشرةً بأفواه رؤسائنا، وإنَّ أيَّ تردُّدٍ في قبول سيطرتهم الكاملة إنَّما هو خطيئةٌ مميتةٌ تجاه الله.

كانت أوَّلُ مهمّة تولَّيتُها كاهناً كاثوليكيّاً مرسوماً مختلفةً نوعاً ما عنِ المعتاد. فبدلاً من إرسالي إلى دير للمعاونة في العمل الاكليريكيّ، أو التعليم، صدر إليَّ أمرٌ بأن أُتابع الدراسة حتّى أَحصل على دُكتوراة في الكيمياء ليُتاح لي أن أُعلِّم في جامعة كاثوليكيَّة. وكان الدير الجديد الذي أُرسلتُ إليه مؤثَّثاً ومجهَّزاً بكلِّ وسائل الراحة، يُقدَّم فيه أفخرُ طعامٍ يُمكِن شراؤه بالمال. ولكنَّني ما ضحَّيتُ سنينَ طويلةً حتّى أعيش أخيراً في رفاهيةٍ وتنعُّم، بل حتّى أصير رجُلاً حقيقيّاً من رجال الله، أي قدِّيساً. وما خيَّب آمالي وبدَّد أوهامي لدى ولوجي دوائرَ الكهنةِ الداخليَّةَ هو إلى أيِّ مدىً كان الله غير مُهِمٍّ عند أولئك الذين كان يُتوقَّع منهم أن يحوزوا قداسةً فائقة ومحبَّةً لِلّه غيرَ معتادة. فالجزء المخصَّص من كلِّ يومٍ للقيام بعمل الربّ كان يُعَدُّ الجزءَ الأثقلَ وطأةً. وقد لاحظتُ –ليس هُنالك فقط بل أينما ذهبتُ في أنحاء العالم– أنَّ الكهنة الذين ينهضون بأعباء الخدمة في الكنيسة هُم فقَط مَن يُعيَّنونَ للقيام بها ومن ثَمّ يشعرون بالأسف لأنَّ الدَّورَ كان دورهم. وبعدما طلبتُ إرسالي إلى أيِّ مكانٍ آخر، سرَّني أن أُنقَل إلى إدارة الرهبانيَّة

الأُغسطينيَّة في الولايات المتَّحدة الأميركيَّة. ولكنْ عوضاً عن أن أجد تلك الإدارة مركز قوَّةٍ روحيَّة، تبيَّن لي أنَّه المكان الذي يؤتى إليه بكهنةٍ كثيرين إذ تغدو سيرتُهم مُخزية بحيثُ تسيء إلى سمعة "الكنيسة". وساءلتُ نفسي: "تُرى، أين تلك الكنيسة التي وُصِفَت لي، والتي وهبتُها حياتي بسبب نقائها وبهائها؟ أيُعقَل أنَّها غير موجودة في الولايات المتَّحدة من جرَّاء تلويث البروتستانتيَّة؟ لعلَّها موجودةٌ بكامل طهارتها في البلدان الكاثوليكيَّة حيثُ تُتاح لها كليّاً حريَّةٌ التعبير والتحرُّر من كُلِّ قيد؟"

في تلك الأثناء سمعتُ بجامعةٍ كاثوليكيَّة في بلدٍ كاثوليٍّ كانت بحاجةٍ إلى أُستاذ علومٍ لتعزيز برنامجها المختصِّ بالعلوم والهندسة. وبحماسةٍ بالغة تطوَّعتُ، وسريعاً صرتُ مديرَ كليَّة الهندسة الكيماويّة في جامعة كوبا الكاثوليكيَّة. وغنيٌّ عن القول إنَّني لم أجد هناك الكنيسةَ التي توقَّعتُ وجدانَها. فأيُّ كاثوليٍّ أميركيٍّ يُسافر إلى بلد كاثوليكيٍّ يخيبُ أملُه ويُهَزُّ كيانه من جرّاء ما يراه. إذ إنَّ كنيسة روما الكاثوليكيَّة في الولايات المتّحدة تسلكُ "سلوكها الحسن" مقدِّمة أفضلَ صورةٍ عن ذاتها، بسببٍ من خصومها ومنتقديها. وأمّا في بلدٍ كاثوليكيّ، حيث يقلُّ خصومُها ومنتقِدوها، فالوضعُ مختلفٌ تماماً. ذلك أنَّ الجهل والخرافة والأصناميَّة تعمُّ في جميع الأرجاء، وقليلٌ من الجهد -إنْ كان من جهدٍ على الاطلاق- يُبذَل لتغيير الوضع. فبدلاً من اتِّباع المسيحيَّة التي يعلِّم بها الكتاب المقدَّس، ألفيتُ الناس منكبِّين على عبادة التماثيل العائدة لشفعائهم من القدِّيسين المحلِّيين.

على مدى عدّة سنين، وأنا كاثوليكيٌّ، دافعتُ عن الفكرة القائلة بأنَّ الكاثوليك لا يعبدون الأصنام، ولكنَّني آنذاك رأيتُ بعينيَّ أنْ لا فرقَ بين الكاثوليكيِّين بأصنامهم والوثنيِّين بأوثانهم. ولَّما قابلتُ في كوبا وثنيّاً أصليّاً يعبد الأصنام، بمقتضى دِينٍ نقلَهُ أسلافُه من أفريقيا، سألتُه كيف يُعقَل أن يؤمن بأنَّ في وسع صنمٍ من جصٍّ أن يُعينَه. فقال لي إنَّه لا يتوقَّع من الصنم أن يُعينَه، بل إنَّ

ذلك الصنم يُمثّل القوّة التي في السماء والقادِرة على إعانته. وما هالني في جوابه أنّه كاد أن يكونَ، بالحرفِ الواحد، التفسيرَ الذي يقدِّمه الكاثوليك لإكرامِ تماثيل القدِّيسين.

وشيئاً فشيئاً نذرتُ نفسي لعملي في الجامعة. وبإشرافٍ منّي، بَنينا وأثَّثْنا مجموعةً من المباني الكبيرة لإيواء كليّاتِ الهندسة الكيماويّة والهندسة الميكانيكيَّة والهندسة المعماريَّة والصيدلة وعلم النفس. وكُلَّما نهضَت كليَّةٌ وقَويَت، كُنتُ أضعُها في عهدة عميدٍ كفوء، فِيما صرتُ أنا مساعداً لرئيس الجامعة للشؤون العلميَّة وعضواً في اللجنة التنفيذيَّة الرُّباعيَّة المسؤولة عن الجامعة كلِّها. وربَّما كان أهمَّ إنجازٍ حقَّقته إنشاء "مكتب لمراقبة النوعيَّة" وافقت المؤسِّسات الصناعيَّة بملء اختيارها أن تخضع لمعاييره الدُّنيا، وتعاقدت مع مختبراتنا لفحص مُنتَجاتها دائماً لضمان جودة نوعيَّة مُثلى. وقد أمطرني النافذون والأغنياء، من الرئيس فما دون، بالهدايا والإكراميّات كي أكون صديقاً لهم وأدعم مشاريعهم ومطامحهم. لكنَّني، في صميم قلبي، كنتُ عالماً أنَّني مهما نلتُ من التشريف فلم أُحرِزْ الغاية الأساسيَّة التي كنتُ أنشدها. ولِلَّه دَرُّ أُغسطينوس إذ قال حسناً منذ قرون: "أللهمَّ، إنّك قد صنعتَ قلوبنا لأجلِك، وستبقى بلا قرارٍ حتّى تجد راحتها فيك!"

وما أكثر الشكوك التي ناوشَتْني. فقد تأكَّد لي أنَّ كثيراً من الأشياء التي كُنّا نعظ بها، وكثيراً من الأجوبة الواهية التي كُنّا نقدِّمها إلى الناس، كانت موضع نزاعٍ حامٍ بين اللاهوتيِّين ومحطّ استهزاء واحتقار عند كثيرين من الكهنة. وقد أخجلني الكهنةُ الذين نهبوا الناس طيلةَ قرون، متجاهلين الفقراء ومنحازين إلى الأغنياء، ناهيك بقصصهم الطويلة الناضحة بالسلوك الشائن.

ورغبةً منّي في إنقاذ السنين القليلة الباقية من حياتي، قرَّرتُ أن أترك الكهنوت والكنيسة حالما أحصل على الدُّكتوراة في الفيزياء والكيمياء. وأنا واثق بأنَّ كلَّ كاهنٍ يواجه مثل هذا القرار في مرحلةٍ ما من حياته. فقد وعدَتِ الكنيسة بأن تُصيِّرنا من رجالِ الله، ولكنْ يُضطَرُّ كلُّ كاهنٍ بعد سيامته، عاجلاً

أو آجلاً، أن يُحكِّم ضميره لتسوية حسابه. وذلك حين يُدرك أنَّه في حال أسوأَ بكثيرٍ من حاله يومَ بدأ، على الرغم من استخدامه كلِّ الوسائل التي قدَّمتها الكنيسة.

وقرارُ المغادرة يعني الانسلاخَ عن مُعظَمِ -إن لم يكن عن جميعِ- أولئك الذين أحبُّونا وأكرمونا واحترمونا، والأهمُّ بكثيرٍ: عن أولئك الذين أحببناهم وخدمناهم. ولا بدَّ أن يكون كلُّ كاهن قد عرفَ بضعة زملاء حاولوا كسر الطَّوق، إلاَّ أنَّهم أُرغموا، لسببٍ أو لآخر، على العودة. فأنا عرفتُ بعضَهم، وقد أخبروني كيف عادوا، لا حبّاً بالكنيسة، بل حتّى يُتاح لهم -من جُملةِ أسبابٍ أُخرى- أن يحظَوا "بثلاث وجبات معقولة يوميّاً، وبدفنٍ لائق".

وقد خطَّطتُ بدقَّةٍ لمُغادرتي، فطلبت إلى رؤسائي أن يأذنوا لي بعطلةٍ في أوروبا. ثُمَّ بعد حصولي على الدكتوراة، اشتريتُ سيّارةً مستعملة في ولاية "ميامي"، وقد راودتني فكرةُ التخفّي في بلدةٍ صغيرة لا يعرفني فيها أحد. ولكنّي لم أشعر بشيءٍ من فرحة الحريَّة والتحرُّر على ما كنتُ أرجوه. فكلُّ مَن عرفتُهم سابقاً سُلِخوا الآنَ عنّي لارتباطهم بالكنيسة. وإذا بي غريبٌ وأجنبيٌّ عند الناس أجمعين، وأكثرُ غربةً عن الله من ذي قبل.

وعند التفكير في شخصٍ قد يساعدني في الحصول على وظيفة، توجَّه فكري نحو صيدلانيٍّ عمل تحت إشرافي في "مكتب مراقبة النوعيَّة"، وبات يُقيم في المكسيك. فبعد حصولي على تأكيدٍ بوجود أصدقاءَ يساعدونني، رزمتُ أغراضي وتوجَّهت جنوبَ الريوغراندي.

كانت مرثا واحدةً من هؤلاء الأصدقاء، وكانت تُقيم مع عمَّةٍ لها من اسبانيا. وقد أبدت كِلتا المرأتين مزيداً من العطف واللطف تجاهي. وإذ توطَّدت بيننا صداقةٌ وثيقةٌ، لم أكُن أعرف إلى أيِّ مدىً ستتأثر حياتي بهما. وأخيراً تزوَّجْنا، أنا ومرثا. ثُمَّ سعَت عمَّتُها إلى جمْع الشَّمْل مع زوجها التائه؛ ولكن بعد مدَّةٍ قصيرة من عودته، وجِدَت ميتةً في سريرها. وقد توافرت أدلَّةٌ ظرفيَّة كثيرة

ضدَّ الزوج، وصِرْنا مَعنيِّين بواحدةٍ من أكثر قضايا القتل إثارةً في تاريخ المكسيك. وبسببٍ من تسليط أضواء الإعلام علينا، عرف كثيرون اسمي، وأخذ بعضُ مراسِلي الصحف الرئيسة من الكاثوليك يهاجمونني باعتباري كاهِناً مارقاً مرتدّاً.

ثُمَّ اضطُرَّ موظِّفي إلى طردي من الوظيفة، خوفاً منه على استقرار عمله.

ولّما كثرت علينا المصاعب، توجَّهنا إلى "سان دييغو" وسط المخاطر. وبعد بضعة أشهر من العمل في مكتبِ ملاحةٍ فضائيَّة، أُبلِغتُ أنَّ منصباً إداريّاً في شركة ديناميكا قد شغر ويمكن أن يُسند إليَّ. قدَّمتُ سيرةً ذاتيَّة مفصَّلة، ذكرتُ فيها مؤهِّلاتي العِلميَّة وخبرتي العمليَّة، كما أشرتُ إلى بعض معارِفي. فصَّلتُ ذلك كُلَّه، مُغفِلاً فقط حقيقة كوني كاهناً كاثوليكيّاً سابقاً. وفجأةً، قبل يومٍ أو يومين من مباشرتي وظيفتي المرموقة، تلقيَّتُ تلغرافاً يُعلِمني بإلغاء تعييني.

لم أحصل قطُّ على أيَّة بيِّنةٍ مباشرة على ما أدَّى إلى رفضي، ولكنْ بعد أيّامٍ قليلة فقط استلمتُ رسالةً من السلطات الكنسيَّة تحذِّرني من بذل أية محاولة أُخرى للحصول على أيَّة توصية من مراجع تسيطر عليها الكنيسة، لأنَّ السلطاتِ تلكَ ستُنكِر دائماً معرفتها لي. ومن ثَمَّ لم يتسنَّ لي قطُّ أن أشغل وظيفة تُناسب مؤهِّلاتي وخبرتي.

ولطالما عُلِّمتُ في ماضي عُمري أن أتوجَّس من القسوس البروتستانت ولا أمحضَهم ثقتي. وقد قيل لنا إنَّهم يتشبَّثون بالكهنةِ المهتدين كي يستعملوهم لتحقيق أغراضهم الرديئة. ولكن على الرغم من هذه الهواجس، قرَّرتُ يائساً أن أقوم بالمغامرة، فتبيَّن لي أنَّه في كلِّ مكانٍ من العالم، ومنذ أيّام الربِّ يسوع، ما برح يتواجد أُناسٌ يُمكن أن يُدعَوا بحقٍّ مسيحيِّين مؤمنين بالكتاب المقدَّس. لا مجرّد أناسٍ يؤمنون بأنَّ الكتاب المقدَّس موحىً به من الله، بل أناسٌ يعتبرون الكتابَ رسالةً شخصيَّة من إلههم المُحِبّ، ولذلك يعتمدونه بوصفه الدليلَ الهاديَ في حياتهم. وقدِ استعَرتُ دليلاً في التعليم المسيحي من أحدِ القُسوس، فتبيَّن لي أنَّ كلَّ المراجع الواردة فيه آياتٌ من الكتاب المقدَّس، ولا ذكرَ للمنطق ولا للتقليد.

وأوّلَ مرَّةٍ في حياتي تنبَّهتُ إلى عبارات الكتاب الصريحة والبسيطة التي تُبيِّن طريق بلوغ السماء وتحاشي الجحيم. وقد تأكَّد لي أنَّه ينبغي الإقبال على الأسفار المقدّسة ليس من وجهة نظرٍ علميَّة، بل من موقع أولادٍ يُصغون إلى أبيهم، قابلين ومصدِّقين كلَّ كلمة، مُدرِكين أنَّ الله يعني كلَّ كلمةٍ قالها وأنَّه يعرف كيف يقول ما يعنيه. وصفحةً بعد صفحةٍ، رأيتُ في الكتاب المقدَّس حقائقَ طالما تلهَّفتُ إلى معرفتها طولَ عمري. وما كان أوضح التعليم المختصّ بالخلاص: "لأنّكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم: هو عطيَّة الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

وإذ تحادثنا في الموضوع أنا ومرثا، أقررنا بأنّني قد عملتُ أكثر من سواي بكثيرٍ في سبيل الحصول على الخلاص. إلاَّ أنَّه كان هنالك أمرٌ واحدٌ لم أفعله قطُّ: أن أطلبه من الله كهبةٍ مجَّانيَّة. وقرَّرْنا أن نخطو خُطوةً أُخرى بعدُ في ضوء هذا المفهوم الجديد. ثُمَّ جثونا على رُكَبنا وصلَّينا معاً أوَّل مرَّة في حياتنا.

وبروحِ اتضاعٍ وانسحاقٍ طلبنا إلى الله أن يُخلِّصنا، ليس بسبب الصلاح الذي قد فعلناه، ولا الصلاحِ الذي نذرْنا أن نفعله، بل بسببِ الخير الذي فعله المسيح لَّما كفَّر عن خطايانا بموته على الصليب.

وهكذا وُلِدْنا ثانيةً من فوق، وإن كُنَّا لم نُدرِك ذلك حينئذٍ كُلَّ الإدراك؛ ولِدْنا طفلَين صغيرين بحيثُ لم نَعرِف حتَّى مَن نحنُ في المسيح! ومنذ تلك اللحظة فصاعداً، أخذنا نُلاحظ تغييراً في تفكيرنا. فقد بدأنا نُحِبُّ أُمور الله. ومنذئذٍ، بطريقةٍ أو أُخرى، ما زال الربُّ يشغلنا بالشهادة له والكرازة باسْمِه، مبارِكاً إيّانا بربح عدَّةِ مئاتٍ من النفوس إلى الإيمان بالربِّ يسوع المسيح وإلى المسيحيَّة الكتابيَّة.

(الكاهن المولود ثانيةً: شارلز بَرِّي)

وجدتُ كُلّ شيء إذ وجدتُ المسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"أنطوني بِتْزوتّا"

[طالما كان طموح "أنطوني بتْزوتّا" طيلة عمره أن يصير كاهناً مرسلاً. وقد ولد في شمال إيطاليا؛ وفي الحادية عشرة من عمره أُدخل معهداً دينيّاً كاثوليكيّاً لتحقيق هذا الغرض. وبعد أحد عشر عاماً من الدراسة حاز إجازةً في اليونانيَّة، فضلاً عن شهادةٍ أدنى في الفلسفة. ثُمَّ حملته دراستهُ لنَيْل شهادة ماجستير في اللاهوت إلى انكلترا وألمانيا واسبانيا، إلى أنَّ ألقى رحلته في روما، حيثُ سيم كاهناً كاثوليكيّاً. وفي الحال عُيِّن مرسلاً إلى جزر الفيلبين، حيث عمل على مدى خمس عشرة سنة. وقدِ اختير مديراً للمدارس المهنيَّة عند الكاثوليك، وأُسنِدت إليه رئاسة معاهدهم الدينيَّة العُليا والدُّنيا. وعند اهتدائه كان يُعلِّم اللاهوت في تلك المؤسَّسات العُليا. وها هُنا قصَّته:]

بينما كنتُ أدرس اللاهوت في إنكلترا، بدأَتْ تُساورني شكوكٌ خطيرة بشأن بعض تعاليم كنيستي التي وجدتُ من الصعب توفيقَها مع الكتاب المقدَّس. وظلَّت تلك الشكوك تُقِضُّ مضجعي حتَّى بعدَ رسامتي، ولكنَّني سعيتُ إلى خنقِها بالانهماك في مهامِّ دراستي وتعليمي. فقد غدا برنامجي حافلاً بحيثُ لم يبق للبحث أو الصلاة، إلاَّ وقتٌ قليل.

وبعد عشر سنين من العمل الشاقِّ على هذا النَّحو، وجب عليَّ أن أعود إلى موطني في إيطاليا لأقضي سنةً أستريحُ فيها وأستعيد قواي. غير أنَّ شكوكي

آنذاك استيقظت من جديد وتضاعفت، مَثَلُها مَثَلُ عزمي على وجدان أجوبةٍ شافية بشأن التعاليم التي أزعجت روحي كثيراً. ومن ثمّ عكفتُ على القراءة والتأمُّل في كلام لاهوتيّينا الكبار، إلاَّ أنَّ جميع شكوكي ظلَّت تلازمني وبعضُها أقوى من ذي قبل.

ولدى عودتي إلى الفيلبين، أذكرُ أنّي وضعتُ جانباً جميع كتبي اللاهوتيَّة، عازماً أن أُركّز كلَّ انتباهي على **كتاب** واحدٍ دون سواه، أي على كلمة الله، ولا سيَّما العهد الجديد. وفي سبيل كلِّ غرضٍ عمليٍّ، غدا الكتاب المقدَّس مصدري الوحيد للحكمة في الوعظ والتعليم والتأمُّل والقراءة. ولم يمضِ طويلُ وقتٍ حتّى أخذت شكوكي تنجليَ إذ لقيت الإجابات عنها واحداً فواحداً من طريق دراستي للكتاب المقدَّس.

في آخر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤، كنتُ في "سانتاكروز" إلى الجنوب من "مانيّلا"، حيث كانت قد بُنيت حديثاً كنيسةٌ معمدانيَّة مُحافِظةٌ جميلة. لم يسبق لي أن دخلتُ كنيسةً إنجيليَّة، فدخلتُ بهدوءٍ إلى مبنى الكنيسة للاطِّلاع. وفي الحال تقريباً رحَّب بي مؤمنٌ وَدودٌ أصرَّ على تعريفي بالقسِّيس "إرنستو مونتالِغْر" أحدِ رجال الله الرائعين جدّاً.

تحادثْنا معاً نحو ساعتين، وأنا أُحاول بكلِّ طاقتي أن أجعله كاثوليكيّاً صالحاً، فيما كان هو يجيب بهدوءٍ عن جميع أسئلتي. وبالطبع لم أُفلِح في هدايته إلى الكثلكة، لكنَّه هو أيضاً لم يحوِّلني إلى البروتستانتيَّة. غير أنَّ بعض أجوبته أثَّرت فيَّ بقوَّةٍ بالغة، بحيث إنّي غادرتُ بعدَ الساعتين والشكوكُ قد تضاعفت في قلبي. ومنذ ذلك اليوم بدأتْ رحلةُ عذابٍ عانيتُ منها الكثير: ليالٍ من الأرق،وحيرةٌ مُضنية، وقِلَّةُ شجاعةٍ مروِّعةٌ حالَت دون اعترافي بحقِّ الكلمة المقدَّسة. وبالتدريج بدأتُ أُدرك ما هو **الحقّ**، ولكنّي لم أعلم ماذا أفعل، حتّى حلَّت لَيلةُ العشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٤.

كنتُ في تلك الليلة وحدي في غرفتي، وأوّلَ مرَّةٍ في حياتي صلَّيتُ فعلاً، طالباً إلى المسيح أن يتولَّى أمري لأنَّني لم أكن أعرف حقّاً ماذا أفعل. وأوّلَ مرّةٍ شعرتُ أنَّني أوّلُ الخطاة. ولكنْ قد تسألُني: أيُّ نوعٍ من الخُطاة؟ حسناً، أُصارِحُكَ القولَ إنِّي لم أُدخِّن قطُّ، ولا شَربتُ الكحولَ القويَّة، ولا نكثتُ بنذري البتوليَّةَ طوال السنين التي قضيتُها في ممارسة الكهنوت. ولم يكُن سجلِّي سيِّئاً، بل كنتُ بالحريِّ فخوراً بإنجازاتي ككاهن أبرشيَّة. إلاَّ أنَّ خطيئتي كانت بالحقيقةِ كبريائي. فقد حالت كبريائي دون سماحي للمسيح بدخول حياتي خشيةً ممّا قد يقولُه مطراني أو يظنُّه فيَّ. وكم ساءلتُ نفسي: "إنِ اتَّخذتَ المسيح مخلِّصاً لك، فماذا يقول رؤساؤك؟ وماذا يظنُّ زملاؤك، أو تلامذتك، بك؟ إنَّهم يحترمونك، فكيف تتنكَّر لهم؟" فلقد أعوزتني الشجاعة لأكون صادقاً تجاه أولئك الناس، وقد عَنى لي تقديرُ البشر أكثر مِمّا عَنَتهُ محبَّةُ الحقّ. ولكنْ حين كنتُ أُصلِّي بعد ذاك، وقعت عيناي على الآية الواردة في إنجيل يوحنّا والقائلة: "ولكنْ مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً، غير أنَّهم لسبب الفرِّيسيِّين لم يعترفوا به، لئلا يصيروا خارج المجمع" (يوحنّا ١٢:٤٢).

هذه العبارة الأخيرة اخترقت قلبي كسيفٍ ذي حدَّين، إلاَّ أنَّها أيضاً ملأت نفسي قوّةً وجُرأةً. لقد تحرَّرتُ! وفي تلك الليلة نمتُ بغير ألمٍ وحيرةٍ مُنهكة، على خلاف تلك الأسابيع الرهيبة. وإذا استيقظتُ في اليوم التالي صباحاً ارتسمت أمامي صورةُ ذلك القسِّيس المعمداني الودود. فلبستُ ثيابي مستعجلاً، وقُدتُ سيّارتي صوب كنيسته، حيثُ تحدَّثنا فترةً لا بأس بها. وأعطاني بضع كرّاساتٍ وكُتيِّبات فأخذتُها بسرور. وبينما كان يودِّعني، التفتُ إليه توّاً وسألته: "إذا تركتُ كنيستي، فهل تقبلونني ضيفاً عندكم؟" فابتسم وقال: "على الرُّحب والسِّعَة! عندنا غرفةٌ لك، والمؤمنون يعتنون بك".

استغرق اتّخاذي القرارَ خمسة أيّام قضيتُها في الصلاة والمزيد من القراءة. وفي ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٧٤، قبلتُ المسيحَ بوصفه المخلِّصَ والربَّ لي

شخصيّاً. وطلبتُ إليه أن يتسلَّم زمام حياتي فيما أنا تاركٌ كلَّ شيء: سيّارتي ومكتبتي وجميع ممتلكاتي. ثُمَّ كتبتُ رسالةَ استقالتي وبعثتُ بها إلى المطران، وذهبتُ لأعيش مع أصدقائي الروحيِّين الجُدد الذين عثرتُ عليهم منذ عهدٍ قريبٍ في سانتاكروز.

ثمَّ في الثالث من آذار (مارس)، الساعةَ الحادية عشرة صباحاً، اعترفت علناً بإيماني الإنجيليِّ وعُمِّدت في نهر سانتاكروز الجاري خلف مبنى الكنيسة. والأمرُ المهمُّ أنّني منذ يوم قبلتُ المسيحَ حتّى هذه اللحظة لم تمرَّ بي ثانيةٌ واحدة من تأنيب الضمير، أو الشوق أو الحنين إلى حياتي السالفة. فقد غمر الفرح قلبي فعلاً وخبرتُ تحرُّراً من الشكِّ يفوق الوصف. وأذكرُ أنَّ كاهناً زارني بعد بضعة أيَّام وسألني:

"طوني، كيف تجرؤ على اتّخاذ مثل هذا القرار في غضون خمسة أيّام؟ كيف تركتَ الكنيسةَ الكاثوليكيَّة،وعشرينَ قرناً من الحضارة والبابَوات والقدّيسين، وكلَّ ما تعلَّمتَه وأحببته سنينَ طويلةً؟" فما كان منّي إلاَّ أن أجبتُه الجوابَ الذي طلع من قلبي: "لا أعتقد أنّني تركتُ أيَّ شيء حقّاً، بل بالحريِّ وجدتُ كلَّ شيء إذ وجدتُ المسيح!"

إنَّ الكاثوليكيَّ الذي يتَّخذ المسيح مخلِّصاً له وربّاً لا بدَّ أن يترك كنيسته لأنَّه لا يظلُّ كاثوليكيّاً رومانيّاً.

فإن كُنتَ تؤمن بأنّك مخلَّص بسبب إيمانك بالمسيح، وتقبلُ كلمته بوصفها السُّلطة الفاصلة، فلا تبقى بعدُ كاثوليكيّاً رومانيّاً، بل أنت بروتستانتيّ، ولو كنتَ لا تحبُّ الكلمة "بروتستانتيّ". ذلك أنَّ أساس البروتستنتيَّة بالذات هو الخلاصُ بالإيمان وقبولُ سُلطة الكلمة المقدَّسة وحدَها، نقيضاً للخلاص بالأعمال وسُلطة التقليد المعهودَين في الكثلكة.

خِتاماً أودُّ إطلاعَك على أنَّ كثيرين جدّاً من الكاثوليك مرتبطون بكنيستهم مجرَّد ارتباطٍ وجدانيٍّ، وقد تعوَّدوا الإشارة إليها بوصفها "أُمَّنا

الكنيسة". فهذا التعبير الشائع، بما يصاحبه من شعور، يدلُّ على حقيقة كونهم يعتقدون أنَّهم يدينون بالفضل للكنيسةِ التي صيَّرتهم مسيحيِّين بالمعموديَّة وتُبقيهم أحياءً روحيّاً من طريق سائر "الأسرار المقدَّسة". إنَّما يؤكِّد الكتاب المقدَّس أنْ ليس الكنيسة تصنعُنا بل نحن نصنعها، وأنَّ المسيح هو باني الكنيسة الحقيقيُّ، ما دُمنا نصيرُ حجارةً حيَّةً في كنيسته بواسطة الإيمان وحدَه ومن طريق النعمة.

(الكاهن المولود ثانيةً: أنطوني بِتْزوتّا)

طريقي إلى فرح المسيح الكُلِّيِّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"شارلز أ. بُلطُن"

أذكرُ أنِّي ذاتَ مرَّة كنتُ أشتغل في حقل قَشٍّ منذ شروق الشمس حتى غروبها في يومٍ قائظ، ثُمَّ توجَّهتُ إلى بركةِ ماءٍ صافية، وأنا مُنهَكٌ وقد سفعت جسمي الحرارةُ اللاهبة، حيث خلعتُ ثيابي المبلَّلة بالعَرَق واستحمَمْتُ بالمياه المنعشة؛ فكان ذلك كأنه معجزة شفاء وجعلني أشعر بأنَّني إنسانٌ جديد. مثلُ هذا الشعورِ عينه بعد تَركي الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة، وكُنتُ قد عملتُ كعبدٍ لها وعرقتُ كثيراً في خدمتها. فإذ تجرَّدتُ من خُرافاتها الدَّبقة وأحابيل ذلِّها الزائفة، تطهَّرتُ بالمياه الحيَّة النابعة من محبَّة المسيح الفائقة. وإنَّما فرحُ الشفاء وسلامُ الخلاص اللذان نناهلما عطيَّةً مجّانيَّةً من عند الله، وبغير استحقاق منّا، يُماثِلان بلسماً شافياً يُسكَب على الجراح المؤلمة -كما صبَّ السامريُّ الصَّالح زيتاً وخمراً على جراحات الرجل المتروك بين حيٍّ وميْت في الخندق على قارعة الطريق- ويوفِّران أيضاً تجديداً وإنعاشاً للذهن والقلب. فالشكر لِلّه على رحمته المخلِّصة. وها أنا الآن أُردِّد بإدراكٍ أوفى الكلماتِ التي كانت مطبوعةً كتذكارٍ على بطاقة رسامتي: "الذي وإن لم ترَوه تحبُّونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكنْ تؤمنون به، فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطق به ومجيدٍ" (**١**بطرس ١:٨).

وُلدتُ في مقاطعة "لانكَسْتَر" بشمال إنكلترا، وهناك تلقَّيتُ دراستي في ثانوية يسوعيَّة. وقد أنهيتُ بعض دروسي الفُضلى في جامعة "أُكسفورد"، حيث تخرَّجت بدرجتَي ماجستير في الفنون وإجازة في الآداب من طريق الأبحاث التاريخيَّة. كذلك أيضاً حُزتُ "دبلوم أُكسفورد في التربية" كمعلِّم ذي كفاء.

وإعداداً للكهنوت درستُ في "المؤسَّسة الكاثوليكيَّة" بباريس، وفي جامعة "لوفاين" في بلجيكا، وهي معهدٌ كاثوليكيٌّ شهير، حيثُ حصلتُ على إجازة في اللاهوت. وقد تمَّت سيامتي كاهناً على يد رئيس جامعة لوفاين، المطران "بولينوس لاديوز"، في الثلاثين من نيسان (أبريل) ١٩٣٠. آنذاك كنتُ آملُ أن أصير كاهناً مُرسلاً، ورسولاً من قبل كنيسة روما الكاثوليكيَّة إلى الشعب الروسيّ، ولكنَّ ذلك الأمل كان رجاءً باطلاً كلَّ حين لأنَّ الحكومة السوفييتيَّة لم تكن قطُّ راغبةً في استقبال كهنةٍ مُرسَلين على هذه الشاكلة.

وهكذا حصل أن تولَّيت على مدى السنين العشرين التالية وظيفة أُستاذٍ في كليَّة "القدِّيس بيدي" في مانشستر ببريطانيا، حيثُ صرتُ كبير أساتذة التاريخ، مع أنَّني علَّمتُ أيضاً بعضَ اللغات الحديثة. وهكذا تعرَّفت علىمرِّ السنين إلى عدَّةِ مئاتٍ من الطَّلَبة، كما سافرتُ إيضاً في جميع الأنحاء بشمال إنكلترا كواعظٍ خاصّ في سبيل قضايا البِّر والإحسان. بعد ذلك تولَّيتُ أبرشيَّة ريفيَّة كي أتمكَّن من إكمال دراستي. وقد كان من آثاري المنشورة تاريخُ أبرشيَّتي الرسميُّ ودراساتٌ حول القدِّيس باتريك وسواه من القدِّيسين الأوائل في الجزر البريطانيَّة.

وفي ما بعد أثَّرتْ أبحاثي التاريخيَّةُ أبلغَ التأثير في ذهني ونظرتي، ولا سيَّما دراستي للمُصلحين اليانسنيِّين داخل الكنيسة الكاثوليكيَّة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحيث شاركتُهم في حبِّهم للكتاب المقدَّس وللكنيسة الأولى، وسبرتُ أغوار التطوُّر في اللاهوت والعبادة العامَّة منذ القرون الوسطى. وكان من جرّاء ذلك أنَّني عندما كنتُ أعظ لم يكُن في وسعي قطُّ أن أُعظِّم البابَواتِ من حيثُ السلطانُ والسيادة والعصمة، الأمورُ التي تبيَّن لي أنَّ شجبَها سبق أن تمَّ في القرن الثالث بعد المسيح على يد الشهيد المسيحيِّ العظيم، القدِّيس قبريانوس القرطاجيّ. وما كان يسعُني قطُّ أن أُحرِّض العوامَّ أيضاً على تلاوة صلوات السُّبحة ذات التكرار الرتيب، إذ وجدتُها مناقضةً للمفهوم الذي أكَّده المسيح إذ

قال: "وحينما تصلُّون، لا تكرِّروا الكلام باطلاً كالأمم؛ فإنَّهم يَظنُّون أنه بكثرةِ كلامهم يُستجابُ لهم" (متّى ٦:٧).

وتبيَّن لي أنَّ بعضاً من مراحل درب الصليب التي تُعرَض على جدران الكنائس الكاثوليكيَّة لم تُذكَر في الأناجيل، ومنها مثلاً "مَسح فيرونيكا لوجه المسيح". وفيرونيكا شخصيَّة خياليَّة، غير أنَّها موقَّرةٌ في كلِّ كنيسة كاثوليكيَّة تقريباً. ولم يتأتَّ لي أن ألمس أيَّة قيمة لصكوك الغفران التي تُوزَّع كعملةٍ متضخِّمة؛ إذ إنَّ صلاةً قصيرةً واحدةً توازي أيّاماً بل شهوراً من تأدية فروض التوبة التكفيريَّة. وتبيَّن لي أيضاً أنَّ المداليات والتماثيل الصغيرة والأوشحة تُستخدم كالتعاويذ والطَّواطِم الوثنيّة. كما أنَّ إيقادَ المصابيح والشُّموع النَّذريَّة ورشَّ الماءِ المقدَّس ظهرا لي من الأعمال التي لا تمتُّ بأيَّة صلةٍ إلى الديانة الحقّ.

وبينما نُثمِّن ممارسة كسر الخُبز كما أرساها المسيح بُعَيدَ العشاء الأخير تذكاراً لآلامه وتقديمِه نفسَه على الصليب، لا نجد يقيناً أيَّ مُسوِّغ شرعيّ، لا في الكتاب المقدَّس ولا لدى الكنيسة الأولى، لجعْل خبزِ الاشتراك رقائق بيضاء تُعبَد كوثن ويُبخَّر لها وتُحمَل في زيّاحات عامَّة، كجاري العادة في عِيد الجسد (أو عيدِ القُربان). فقد قدَّم المسيح في الخبز والخمر رمزاً إلى جسده ودمه منفصِلَين، إلاَّ أنَّ كنيسة روما ما انفكَّت طوال قرونٍ تستبدل بها قطعةً قَصِمةً من البسكويت المجفَّف لا يميِّزها حتَّى المخوِّرُ جوعاً بأنَّها طعام. هكذا تُحافظ روما على تقليدِ الفريضة التي أرساها المسيح، ذلك التقليد الذي تزعم أنَّها الوصيَّةُ الشرعيَّةُ الوحيدة على صونه!

وقد بيَّنت لي دراساتي أنْ لا سُلطةَ حقيقيَّة تسند عقائدَ مثلَ الحَبَل بلا دنس أو صعود مريم إلى السماء بجسدها. وما فتئت كنيسةُ روما الكاثوليكيَّة في السنوات القريبة العهد تُجاري هوساً عامّاً، تُعزِّزه إلى أبعد حدٍّ الظهورات المزعومة في لُورد وفاطِمة، يُحيل مريمَ العذراء على نحوِ متزايدٍ إلاهةً عُليا تسود السماء والأرض. وكثيرٌ من الأساقفة الكاثوليك واللاهوتيِّين المريميِّين المزيَّفين

يأملون أن يروِّجوا العقيدة القائلة بأنَّ مريمَ افتَدتِ العالم، على الرغم ممّا أعلنه الرسول بولس صراحةً من "أنَّه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الانسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسَه فديةٌ لأجل الجميع: الشهادةُ في أوقاتها الخاصَّة" (١تيموثاوس ٢:٥و٦). وهذه الآية الصريحة مخالِفة أيضاً للمحاولة التي يقوم بها بعضُ اللاهوت الممذوق في كنيسة روما للبرهنة على أنَّ جميع النِّعم ينبغي أن تأتي إلينا بوساطة مريم؛ في حين يوضح الكتاب المقدَّس بأجلى بيان أنَّه بالمسيح وحدَه لنا الخلاص: "وليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأنْ ليس اسمٌ آخرُ تحت السماء قد أُعطيَ بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال الرسل ٤:١٢).

ولّما كنتُ تلميذاً للكتاب المقدَّس ودارساً لتاريخ الكنيسة، تكشَّفتْ لي أسرارٌ كثيرة يتجاهلُها معظم المسيحيِّين وكثيرٌ من الكهنة الكاثوليك. ولم أستطعْ سابقاً أن أنشر مثل تلك الأسرار بسبب قوانين الرقابة الكاثوليكيَّة. فإذا رأيت كتاباً ممهوراً بعلامة الموافقة، فليس ما يؤكِّد أنَّه يمثِّل فكرَ الكاتبِ الأصليَّ وأنَّه لم يجرِ فيه أيُّ تحريف من قِبَل أهل الرقابة للحفاظ على سلامة عقيدتهم. وإنْ أفلت أيُّ كتابٍ من الرُّقباء، فقد يوضع في فهرس الكتب المحظورة بموجب أحكام محكمة التفتيش التي لا يمكن استئنافُها. كما أنَّ دكتاتوريَّة محكمة التفتيش، وما تزال لها اليدُ العُليا في حُكم الكنيسة، ما هيَ إلاَّ مثلٌ واحد على أساليب روما الوحشيَّة الاستبداديَّة والمُنافية للمسيحيَّة على نحوٍ فاضح. فلا أحدَ بمأمنٍ من جواسيسها المبثوثين في كلِّ أبرشيَّة، والمكلَّفين التبليغَ عن كُلِّ من يُتَّهم بعصيان روما.

ونواجهُ اليومَ في روما واحِداً من أغنى المجالس البلديَّة الدُّوليَّة في العالم كُلِّه. ومصدرُ غِناها ملايين التّقدمات المُسمّاة "فلس بطرس"، ومبيع التطويبات (التكاليف الأوَّلية يُفترَض أنَّها خمسون ألف دولار، والتطويبُ الفعليُّ خمسون ألف دولار). كما أنَّ المطارنة يدفعون عند تعيينهم مبالغَ ضخمة، فيما يُقال أنَّ كُلَّ مونسنيير يدفع بضع مئاتٍ من الدولارات. ثُمَّ إنَّ تَحِلاَّتٍ كثيرةً، ولو فرضتها

القوانينُ الكنسيَّة، يُوجَبُ دفْعُ مالٍ لقاءها، كما تُدفَع أيضاً تقدماتٌ نظيرَ البركات البابويَّة، إلخ ... وبينما لا يُسمَح ببيع الذّخائر، تُقدَّم تقدماتٌ في سبيل صناديق الذّخائر؛ وفي كلِّ كنيسة كاثوليكيَّة تقريباً مذبحٌ تُصان فيه ذخائر الشُّهداء المأثورة. وقوامُ هذه الذَّخائر رُفاتُ عظامٍ من سراديبِ شهداءَ غير معروفين. وقد سبق بعضُ رجالِ الكنيسة المتعلِّمين، في القرن السابع عشر، فشجبوا ما جرت عليه العادة في كنيسة روما من الافتراضِ خطأً أنَّ العظام المجلوبة من المدافِن التي تحتَ الأرض تعودُ لشهداء مسيحيِّين. فمِمّا لا شكَّ فيه أنَّ عدداً هائلاً من "المذابح المكرّسة" يضمُّ ذخائرَ غير موثوقة.

ومِمّا أثار نفسي على إساءة استخدام كنيسة روما للسُّلطةِ، الطريقةُ التي بها عذَّبت وأحرقت قدّيسين أتقياء مثل جاندارك، ومئات الشهداء الألبيجنسيِّين في فرنسا إبّان القرن الثاني عشر، وفرسانِ الهيكل، وجان هُسّ، وسافانارولا الدُّومنيكانيِّ، وجيوردانوا ابْرونو الدومنيكانيّ، والأساقفةِ الأنغليكانيِّين اكْرامَر ورِدلي ولاتيمر. وقد حرَّضت محكمةُ التفتيش، بالأقلِّ، على مجزرتين عامَّتين: آلاف الولدنسيين البروتستانت في شمال إيطاليا، وآلاف الهوغونوتيِّين البروتستانت الذين صُرعوا في مذبحة القدّيس برثلماوس في فرنسا. فإنَّ أكثر من ثلاثين ألف نفس من بروتستانتيِّي فرنسا المثقَّفين كثيراً ذُبِحوا بحدِّ السيف ليلة عيد القديس برثلماوس في الرابع والعشرين من آب (أغسطس) ١٥٧٢. وعند وصول أخبار المجزرة أمر البابا بإطلاق نار المدافع، ونادى بيوبيل، وأمر بإنشاد تسابيح الشكْر، وسكَّ مدالياً خاصَّة تخليداً لذكرى ذلك "النَّصر" المجيد. وقد دأبتُ عدَّةَ سنينَ في تخصيص عيد القديس برثلماوس يومَ صلاةٍ وتضرُّعٍ لأجل البروتستانت، كفِعل محبَّةٍ وتعويض.

"ورأيت المرأة سكرى من دم القدِّيسين ومن دم شهداء يسوع. فتعجَّبتُ لَمّا رأيتُها تعجُّباً عظيماً" (رؤيا ١٧:٦).

إنِّي أشكر الله إذ يسَّر لي أن أقرأ معلِّماً لوثريّاً عظيماً هو البروفسُّور "ف هايلَر"، وهو كاهنٌ كاثوليكيٌّ سابقٌ اهتدى إلى المسيح، وقد علَّمني أهميَّة الإيمان بالمسيح والخلاص بالنعمةِ وحدها. فقد عكفتُ على قراءة كتابٍ رائعٍ يضمُّ عظاتِ هايلَر، وتأمّلتُ فيه عدَّةَ سنين قبل أن يمدَّني الروح القدس بالجرأة الحاسمة كي أعمل بموجب هذا التعليم الصحيح لتخليص نفسي بالذّات. وفي الواقع أنَّ ترْكَ المرء الكنيسةَ التي وُلدِ فيها وعملَه المُعتاد، وتحوُّلَه عن الأهلِ والأصدقاء، يصاحبُهما صراعٌ عنيف، إلاَّ أنَّهما أيضاً من أعمال نعمة الله العجيبة.

ثُمّ إنَّ بعض أصدقائي الذين سبق أن تركوا الكهنوت الكاثوليكيّ، ولاقَوا ترحيباً من قِبل إخوةٍ لهم في المسيح، قد أخبروني إلى أيِّ مدىً يختلف جوُّ الكنيسة المسيحيَّة الحقيقيَّة عن ذاك السائد في ظلِّ نظام الكثلكة حيث تُمارس المكايد والتجسُّس والاتِّهام والإدانة. "من ثمارهم تعرفونهم" (متّى ٧:٢٠). فلا بدَّ أن تتحمَّل روما المسؤولية أمام محكمة التاريخ، وفي ما بعد أمام عرض دينونةِ الله، عن تأسيسها محكمةَ التفتيش الجائرة وتعزيزها والإبقاء عليها حتّى اليوم، كما عن الحركة اليسوعيَّة التي قُمِعت حيناً، ولكنَّها –واأسفاه!– ما لبثت أن أُعيدت إلى موضع نفوذٍ أقوى.

لقد كان طريقي إلى فرح المسيح طويلاً وصعباً أحياناً، إلاَّ أنَّه كان رحلةً تستحقُّ عناءها. وينبغي لي أن أُقِرَّ بعرفاني بالجميل لأنَّني بعد التعليم في واشنطن العاصمة، وغيرها من مدن الولايات المتّحدة الأميركيَّة، تيسَّر لي الدخولُ إلى ملء الفرح في المسيح بوصفه مخلِّصي الشخصيَّ وفادِيَّ الأبديَّ، وإلى الشركة مع أصدقاء مسيحيين حقيقيّين، خدَّامٍ للإنجيل ومؤمنين أُمناء، شباباً وشيباً، كانوا لي مصدراً عظيماً للقوّة والعون والفهم. فإنَّ لنا، بين المسيحيِّين الإنجيليين المولودين ثانيةً في محبَّة المسيح المفتدية من طريق الإيمان بذبيحته الدمويَّة الكاملة، لَمحبَّةً وفرحاً وسلاماً وصبراً وحِلماً ووداعة وثقةً متبادلة. كما أنَّ تلك البساطة التي أشار إليها المسيح إذ قال: "سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة

فجسدك كلُّه يكون نيِّراً" (متّى ٦:٢٢) فذلك النور، وهو من المسيح، إنَّما هو نورُ الحقِّ المُبهجِ الذي يملأُنا، نحن المفديِّين المُنوَّرين، فرحاً لا يُنطق به ومجيداً جدّاً.

لهذه الأسباب كُلِّها قد سلَّمت نفسي ليسوع المسيح باعتباره مخلِّصي الكلِّيِّ الكفاية، وبقبولي له انتقلتُ من الموت إلى الحياة: "فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر (نبتهج) على رجاء مجد الله" (رومية ٥:١و٢).

فيا قارئي العزيز، إن كنتَ حتّى الآن غيرَ حاصلٍ على يقين خلاصك الأكيد وفرحه الوطيد، وإن كنت ما تزال تضع ثقتك في الشعائر والطقوس وأعمال التقوى، فهيّا أقبِلْ إلى التعرُّف بيسوع المسيح مخلِّصاً. صلِّ طالباً عطيَّة الإيمان السماويَّة في قلبك حتّى يُتاح لك أن تُسلِّم المسيحَ نفسك كليّاً ودون أيِّ تحفُّظ، وهو بدوره يقبلك ويحفظك الآنَ ودائماً وإلى الأبد:

"لأنك إنِ اعترفتَ بفمك بالربِّ يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصتَ" (رومية ١٠:٩).

(الكاهن المولود ثانيةً: شارلز أ. بُلطُن)

خروجي من الجحيم والمطهرِ المزعوم

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"بيتر ألفونْسُ سِكْوين"

وُلِدتُ في منطقة "ريغانْد" في مقاطعة "فاودرِويّ" بولاية "كُوبك" الكنديَّة. وكان والِداي كاثوليكيَّين فرنسيَّين. وأنا التاسع بين أولادهما العشرة، وكُنّا ثمانية بنين وبنتين اثنتَين. وقد كان والدي متمسِّكَين جدّاً بأهداب الكثلكة، كما كانا وَرِعَين وصالحَين وذَوي خُلقٍ متَّزن وجدٍّ كثير، فبذلا أقصى جهدهما لتربية اولادهم في سبيل الله والوطن؛ ولكنْ كما كانا جاهلَين! فكلُّ ما عرفاه كان تلاوة سُبحتَيهما، وممارسة الاعتراف، وحضور القُدّاس، وفَعْل مشيئة كهنتِهما ومرضاتهم.

إنَّني لا ألوم الكاثوليكيَّ الفرد، بلِ النظامَ الكاثوليكيَّ الرومانيَّ والقيِّمين عليه. ففي اليوم التالي لولادتي أُخِذتُ إلى كنيسة البلدة، حيثُ عُمِّدتُ. وفي سنِّ السابعة أُرغِمتُ على الذَّهاب والاعتراف بخطاياي للكاهن. وقد طرح عليَّ الكهنةُ أسئلة دنسة أعفُّ عن ذكرها ههُنا. ثُمَّ حصلتُ على مُناولتي الأولى وجرى تثبيتي كالمُعتاد على يد مطران "مونريال".

وبعد أن قضيتُ نحو عشر سنين في كليَّة "بُورجيه" قال لي الكاهن "شارل إدوار"، وكان آنذاك مُستشاراً للمطران بُورجيه الشيخ، إنَّ الله يدعوني لأصير كاهناً وإنَّه هو أيضاً يُريد. فقرَّرتُ أن أُطيع رئيسي وتوجَّهت إلى معهد اللاهوت الكبير في مونريال، حيثُ طويتُ أربع سنين طويلة، من ١٨٦٢ إلى ١٨٦٦. وفي تلك الآونة لم يجرِ أيُّ اتِّصالٍ بيني وبين العالم الخارجيِّ. ويوماً بعد يومٍ عكفتُ على دراسة آراء "لِغْيوري" و"بيرُّون" اللاهوتيَّة. وقد كنتُ دقيقاً جدّاً في دروسي ومعنيّاً كُلِّياً بواجباتي طالباً لِلاّهوت. ثُمّ في الثاني والعشرين من كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٦٦ تمَّت سيامتي كاهِناً على يد المطران بورجيه يحيط به ستُّون كاهناً.

في غضون أربع عشرة سنةً قضيتُها في الكهنوت رأيتُ أُموراً كثيرة أزعجتني. وفي نهاية المطاف بلغَ انزعاجي أشُدَّه من جرَّاء الخطايا والشرور التي شهدتُها في أبرشيّات "مونريال" و"نيو برونزويك" و"ماسّاشوستِس" و"نيويورك" و"مِنِّيسوتا"، حتَّى إنَّني نظمتُ وثيقةً من ١٥٠ صفحة أرسلتُها إلى البابا ليو الثالث عشر، وفيها أبلغتُه مدى سقم ممثِّليه في القارّة الأميركيَّة.

أخيراً خرجتُ من كنيسة روما الكاثوليكيَّة، "أمُّ الزواني". وكان ذلك في أثناء زيارة مدَّتُها أُسبوعٌ كنتُ أقومُ بها إلى "ديترويت" بولاية "ميشيغان" الأميركيَّة. هنالك جاهرتُ برأيي المناقض للكثلكة، أوّلَ مرَّة، في كنيسةٍ معمدانيَّة فرنسيَّة. وقد كان موضوع عظتي العقيدة الجديدة المؤكّدة عام ١٨٧٠ والتي تقول بعصمة البابا. وفي ذلك الحين كنتُ ما أزال غير مخلَّص. وحينذاك أيضاً نمى إليَّ خبر "شارل شنكي" الذي استخدمه الله لهداية كثيرٍ من النفوس الضالَّة وإخراجها من كنيسة روما الكاثوليكيَّة إلى المسيح. وعلمتُ أنَّ عند شارل شِنكي بيتاً للكهنة الذين بدأوا يرون النُّور، شأنُهم شأني، والذين ما عادت أكتافهم تُطيق حَمْلَ نيرِ البابا الثقيل.

كتبتُ إلى شارل شِنكي مُتضيِّفاً، سائلاً نزولي ببيته وملتمساً غِنى خبرته لمعالجة الرِّيَب التي انتابتني آنذاك. وكان شارل شِنكي قد قضى خمساً وعشرين سنةً كاهناً كاثوليكيّاً. فكان ردُّه على رسالتي: "هلمَّ يا أخي العزيز سِكوين، وأنا أعتني بك بكلِّ سرور". وهكذا فعل حقّاً، وبكلِّ محبَّة ونُبل، كما يليق دائماً بخادمٍ حقيقيٍّ للمسيح. وقد تبيَّن لي أنَّ كاهنَين آخرين قد سبقاني إلى هناك، وكانا مثلي يبحثان عن ذلك السلام الذي يفوق كلَّ عقل.

وكم صلَّى شنكي الشيخ كي يبعث الله إلى قلبي تبكيتاً يقنعني بأنَّني هالكٌ ما لم أتُب وأخضع للذي جاء لكي يخلِّص الخطاة مسلِّماً له الحياة. وذاتَ يومٍ بعد الغداء، قرأنا كالمعتاد فصلاً من الكتاب المقدّس، ثُمَّ كانت صلاة. وأوّلَ مرَّةٍ في

حياتي أُتيح لي أن أرى كيف جعلتني خطاياي بشعاً في نظر الله. فإذا بي أجثو على رُكبتيَّ وعيناي مغرورِقتان، صارخاً إلى الله: "ماذا ينبغي أن أفعل؟"

وطيلةَ عصر ذلك النَّهار توسَّلتُ إلى الله، وأنا جاثٍ، لكي يُريَني، باسمِ ابنه الحبيب، الطريقَ الذي يُوصِلني إليه. وما إن فتحتُ كتاب العهد الجديد، حتّى قرأتُ: "لأنَّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان؛ وذلك ليس منكم: هو عطيَّة الله؛ ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩). وتوّاً رأيتُ أنَّ الخلاص إنَّما هو عطيَّةٌ من عند الله، فالتفتُّ إلى الربِّ يسوع المسيح، فخلَّصني الله.

في ساعةِ اهتدائي إلى الله، تلك الساعةِ المَهيبة، عندما انقشعتِ الغمامة وبلغتني أشعَّةُ الشمس الساطعة، بكيتُ كثيراً، ولكنْ ليس من الحزن، بل من الفرح، شأني شأن تلك المرأة المذكورة في الإنجيل. ثمَّ ركضتُ واخبرتُ صديقي شِنكي، ودعوتُ الأصدقاء والأحبّاء، وقلتُ لهم: "افرحوا معي لأنَّي اليومَ وجدتُ السلام، وجدتُ الجوهرة الضائعةَ التي كنتُ أنشدُها. لقد وجدتُ عطيَّة الله الثمينة". فكان فرحٌ عظيمٌ في أرجاء البيت كلِّه!

(الكاهن المولود ثانيةً: بيتر ألفونْسُ سِكْوِين)

كنتُ أعمى أقودُ عمياناً

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"سالفاتوري غارغِيولو"

"هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟ أمَا يسقطُ الاثنان في حفرة؟" (لوقا ٦:٣٩).

اسمي "سالفاتوري غارغِيولو". وقدِ اهتدَيتُ إلى إنجيل الربِّ يسوع في العام ١٩٧٧، وأنا الآن أخدمه في المكان عينه الذي سبق أن مارستُ فيه دعوةَ كاهنٍ كاثوليكيّ. على أنَّ اهتدائي حصل تدريجيّاً، وعلى نحوٍ بطيءٍ عبر سنين كثيرة، وقد كان واحدةً من العجائب التي لا يُجريها أحدٌ سوى الله.

رُسِمتُ كاهناً عام ١٩٥١، وعقدتث العزمَ على أن أكون ابناً وفيّاً للبابا طولَ عمري. فقد كنتُ مقتنعاً تماماً بأنَّه خليفةُ بطرس، والرأسُ المنظور للكنيسة كلِّها، ونائبُ المسيح –أو ممثِّله ذو السلطان– على الأرض.

وفي الواقع أن كنيسة روما الكاثوليكيَّة هي كنيسةٌ تتبعُ مريمَ، عِوَضَ أن تكون كنيسةً مسيحيَّة، وذلك ما فعلتُه أنا أيضا. فلم أكفَّ قطُّ عن دعوة الناس إلى تلاوة السُّبحة (صلواتٌ رتيبة تُرفَع إلى مريم). وكنت أروي للآخرين بحماسةٍ بالغة قصصاً عن المعجزات التي يُقال إنَّها أجرَتها، وهي ليست في الحقيقة إلاَّ من عمل قوّات الظُّلمة الماضية قُدماً في إضلال ملايين النفوس ومنعهم من التلامس مع **الحقّ** (**٢**كورنثوس ١١:١٤ ؛ **٢**تسالونيكي ٢:٩-١٤).

ومهما يكن، فقد صُبَّت حياتي في قالب نظام الضلالات هذا، و لم تكن لي إلاَّ معرفةٌ سطحيَّة للكتاب المقدَّس. من ثَمّ كُنتُ مُضَلاًّ ومُضِلاً (**٢**تيموثاوس

١٣:٣). فبالحقيقة أنَّ دراستي اللاهوتيَّة كانت مؤسَّسة على الفلسفة السكولاستيَّة وليس على الكلمة الإلهيَّة.

وبدافعٍ من تعصُّبي الدينيِّ وولائي لبنود القانون الكنسيِّ الرسميِّ الذي يُقدِّس حقوق الكهنة، أحرقتُ يوماً كتاباً مقدَّساً "بروتستانتيّاً"، لأنَّه لم يكن مدموغاً بالترخيص البابويِّ الذي يُجيز قراءته.

غير أنَّ كلَّ ثقتي وإيماني بالكثلكة لم تَحُلْ دون بقاء قلبي خاوياً في الصميم. فكنتُ أُقدِّم الأسرار المقدَّسة حينما يأتي دَوري، ولكنْ كانَت تُعوزني العطيَّةُ العُظمى التي يرغب الله في إعطائها للإنسان، ألاَ وهي معرفةُ كونه مقبولاً عند الله لأنَّ خطاياه قد غُفِرت في صليب الجلجثة مرَّةً وإلى الأبد. كذلك كان لديَّ خوفٌ عظيم من الموت ودينونةِ الله. وقد حفزَتْني ديانتي على القيام بأمورٍ معيَّنة لكسب الحُظوة أمام الله كالقُدّاس والأسرار والسُّبحة والإماتات والاستغفارات إلخ)، ولكنَّني كنتُ في أعماق قلبي أشعرُ بأنَّني هالك. والمؤسِفُ أنَّني، على الرُّغم من حيازتي شهادةً في اللاهوت، لم أختبْر شيئاً من السلام والسكينة اللَّذَين يوفِّرهما الخلاص بالنعمة. فإنَّ آبارَ الأسرارِ المقدَّسةِ المشقَّقةَ عجزت عن إمدادي **بالماء الحيِّ** الذي كانت نفسي في مسيس الحاجة إليه.

وفي العقد السابع من القرن العشرين بدأتُ أُعنى بالحركة المسكونيَّة. وكان رجائي الكبير، بطبيعة الحال، أن تحمل الحركةُ المسكونيَّة "إخوتنا المنفصلين" على الاعتراف برأس الكنيسة الكاثوليكيِّ والإقرار بأنَّ مشيئة المسيح قَضَت بأن يكون البابا هو الراعيَ الأعلى على الخراف كلِّها، حتّى إذا أطاعوه تتحقَّقُ رغبةُ المسيح بأن يكون هناك راعٍ واحدٌ ورعيَّةٌ واحدة.

وقد أوجب ذلك عليَّ أن أعرف حقيقةَ الآراء التي كانت لدى المسيحيِّين المنفصلين عن روما. فبدأتُ في سبيل ذلك أستمع إلى برامج إنجيليَّة مُذاعة بالراديو أو التلفزيون. وأذكرُ على الخصوص سلسلة من الرسالاتِ الصباحيَّة قدَّمها مسيحيٌّ إنجيليٌّ ألمانيٌّ، هو "فِرنَر إيوشلْباخ"، وقد أُذيعت من راديو لكسمبورغ.

وقدِ اعتادَ الواعظُ، في ختام كلِّ رسالة، أن يُلقي دعوةً تمسُّ القلوب يعقبُها قولُه: "إنَّ ما تحتاج إليه حقّاً هو الربُّ يسوع المسيح!" وكان ذلك الواعظ في نظري مجرَّد ممثِّلٍ لطائفةٍ من الطوائف وواحدٍ من الهراطقة، غير أنَّ الجِديَّةَ الظاهرة في صوته أثَّرت فيَّ، وقد كان لبَّ رسالته المسيحُ وحده.

وذاتَ يومٍ من العام ١٩٧٥، بينما كنتُ أسير في أحد شوارع فلورنسه، لفتَتِ انتِباهي مكتبةٌ إنجيليَّة، فدخلتُ لمجرَّرِ الاستطلاع، وصعقَني عنوانُ أحدِ الكُتب "الكثلكة الرومانيَّة في ضوء الكتاب المقدَّس". فاشتريتُ ذلك الكتاب، ولم يكن من السهل إخلاء ذهني في لحظةٍ واحدة من جميع التعاليم الزائفة المتأصِّلة فيه بعُمق. غير أنَّ الروح القُدس جعل نور الحقّ، شيئاً فشيئاً، يخترق ذهني المظلم.

ثُمَّ مرَّت سنتان أُخريَان حافلتان بالشكوك والحيرة والبحث. وفي الأخير لم يُفلِح شيءٌ سوىكلمة الله، التي هي سيفُ الروحِ الحقيقيُّ، في استئصال جميع الضلالات التي سبق أن كبَّلتني بقيودها سنينَ مديدَة.

يعتقدُ بعض الإنجيليِّين اليوم أنَّ الأحوال تغيَّرت وأنَّه يُمكِن الآنَ إجراءُ حوارٍ مع كنيسة روما الكاثوليكيَّة والتعاونُ معها في سبيل تحقيق الوحدة المسيحيَّة. إلاّ أنَّ هذه خِدعةٌ من الشيطان. فتعاليمُ هذه المؤسَّسة الكنسيَّة لم تتغيَّر قطّ. بل إنَّ رجالها الآن يزيدون ضلالاتٍ جديدةً على الضلالات القديمة، وهم يعملون على نحوٍ خاصٍّ لأجل الإتيانِ بأتْباعِ المذاهِب الأُخرى، الأمر الذي سينتهي سريعاً إلى إقامة "بابل العظيمة" على ما جاء في الأصحاح السابع عشر من سفر الرؤيا.

ولذلك فمن الأهميَّة القُصوى بمكانٍ كبير أن نُطيع اليومَ تحريض كلمة الله لنا أنْ "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنَّه أيَّة خلطة للبرِّ والإثم؟ وأيَّة شركة للنور مع الظلمة؟ وأيُّ اتِّفاق للمسيح مع بليعال؟ وأيُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأيَّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنّكم أنتم هيكل الله الحيّ، كما قال الله: "إنِّي سأسْكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً.

لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا -يقول الربّ- ولا تمسُّوا نجساً فأقبلَكم، وأكونَ لكم أباً؛ وأنتم تكونون لي بنينَ وبناتٍ -يقول الربُّ القادر على كلِّ شيءٍ! (**٢**كورنثوس ٦:١٤-١٨)".

وفي ما خصَّني، فإذ ألتفتُ عبرَ السنين لأنظرَ زمان عيشتي تحت سلطة الأكاذيب والضلال، لا يسعُني إلاَّ أن أشكر الآبَ السماويَّ بفرحٍ عميق وعرفانٍ بالجميل جزيل، من أعماقِ قلبي، لأنَّه أنقذني من سلطان الظلمة ونقلني إلى ملكوت ابنه الحبيب.

(الكاهن المولود ثانيةً: سالفاتوري غارغِيولو)

هذه قصَّتي

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"هنري غريغوري آدَمْز"

ما كان أعظمَ الراحةَ والفرحَ السماويِّ اللذين غمرا نفسي لمّا وجدني المسيحُ، أنا الخاطئَ الضالّ! وهاكُم قصَّتي:

وُلِدتُ لأبَوين كاثوليكيَّين في "وُلْسلي"، "ساسْكاتشيْوان"، وتربَّيتُ على الإيمان الكاثوليكيّ بكلِّ صرامة. ومنذ صغري كنتُ أُحاول أن أكون صالحاً، غير أنَّني كثيراً ما وقعتُ في الخطيَّة وتردَّيتُ في مَهاويها، وكنتُ متوجِّهاً صوب الهلاك مع سائر الناس. وقيلَ لي إنَّني إذا صرتُ راهباً وكاهناً أستطيعُ أن أتفادى من الخطيَّة وأغدو أكثر يقينيَّةً من جهة خلاص نفسي. ولأنَّني كنتُ أنشد الخلاص بإخلاص، دخلتُ الرهبانيَّة البازيليَّة، وتسلَّمتُ الرداء الأسود الطويل، وسُمِّيتُ اسماً رهبانيّاً على سبيل التَّيمُّن، هو اسمُ "القدِّيس هيلاريون العظيم"، ثُمَّ نذرتُ نُذوري. ولمّا كنتُ راهباً طالباً، دُعيتُ "الأخ هيلاريون"؛ وبعد رسامتي صرتُ "الأب هيلاريون".

وقد كنتُ في غاية الشَّوق لخدمة الربِّ يسوع المسيح. فإذ عشتُ حياة التَّرهبُن ظنَنْتُ أنَّني محقِّقٌ ذلك. وقد أتممتُ واجباتي الرهبانيَّة بحذافيرها. كما جَلَدتُ نفسي كلَّ أربعاء وجمعة مساءً حتّى يَدمى ظهري أحياناً، وكنت أُقبِّل الأرض غالباً كفرضٍ من فروض التوبة، وكثيراً ما تناولتُ وجبتي الوضيعة جاثياً على الأرض، أو حرمتُ نفسي الطعامَ كليّاً. وعكفتُ على القيام بإماتاتٍ مختلفة، إذ كنتُ أسعى إلى الخلاص فعلاً. فقد عُلِّمتُ أنَّ في وسعي أن أستحقَّ السماء أخيراً، ولم أكن أعلم أنَّ كلمة الله تقول: "لأنَّكم بالنعمة مخلَّصون؛ بالإيمان؛

وذلك ليس منكم: هو عطيَّة الله؛ ليس من أعمال، كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

وبعد سني الدراسة والعمل اليدويِّ في الدَّير، رُسِمتُ كاهناً. وقد خدمت خمس أبرشيّات في "لامونت" بمنطقة "ألبرتا"؛ فأقمتُ القداديس كلَّ يوم،وعرَّفتُ الناس، وتَلَوتُ سُبحةَ مريم وصلواتٍ عديدة إلى قدِّيسين كثيرين، كما تلوتُ الصلوات التقليديَّةَ كلَّ يوم، وبصفتي راهباً أدَّيتُ فروضَ توبتي بحرارةٍ زادت عن ذي قبل. على أنَّ ذلك كلَّه لم يَروِ غليل نفسي التَّعِبة، بل كنتُ أنحدر إلى ضيقٍ نفسيٍّ فاقَ ما عهدتُه صغيراً. ولكنَّ المسيح كان يُراقِبني وينتظرني.

اشتملت دراستُنا الإعداديَّة للكهنوت على ثلاثة كُتب عن الكتاب المقدَّس، دونَ الكتابِ نفسه. وبعدما صرتُ كاهناً تعرَّفتُ بالكتاب المقدَّس في ترجمته الكاثوليكيَّة، فإذا فيه آياتٌ مُدهِشة مُناقضة لمعتقداتي وممارساتي بالذَّات. فبينما قال كتابُ الله شيئاً، قالت كنيستي غيره. إذاً، مَن كان على حقّ: ألكنيسة الكاثوليكيَّة أمِ الله؟ أخيراً آثرْتُ أن أُصدِّق كلمة الله، مؤمناً بها وحدَها دون سواها.

إنَّ حياة الرهبنة والأسرار المقدَّسة التي تُوصي بها كنيسةُ روما الكاثوليكيَّة لم تساعِدني على أن أتعرَّف بالمسيح شخصيّاً فأجدَ الخلاص. وبعد سنين طويلة بلغت اثنتي عشرة ونصفاً فررتُ من الدير خاطئاً ضالاًّ يُعوزه سلامُ النفس. وكانَت ما تزالُ فيَّ طبيعةُ "الإنسانِ العتيقِ" القديمةُ. فكُنتُ محتاجاً إلى طبيعةٍ جديدة وقلبٍ جديد. "كما هو حقٌّ في يسوع، أن تخلعوا ... الإنسانَ العتيق الفاسد بحسبِ شهوات الغرور، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسانَ الجديد المخلوق بحسب الله في البرِّ وقداسةِ الحقّ" (أفسس ٤:٢١-٢٤). وهذا الأمرُ لا يُمكن أن يحدث إلاَّ بالولادة الثانية من روح الله، من طريق الإيمان بيسوع المسيح فقط، وليس بالتكرار الرتيب للصلوات والإماتات والقرابين والأعمال الحسنة.

"إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنّا ٣:٣). "آمن بالربِّ يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال الرسل ٣١:١٦).

لقد تبيَّن لي أنَّ الأسرار المقدَّسة التي صنعها البشر، والتي تقولُ بها كنيستي، وأعمالي الصالحة، كانت جميعاً باطلةً في سبيل الخلاص، وليس من شأنها إلاَّ أن تُفضي إلى يقينٍ مُزيَّف. وبُعيدَ ذلك آمنتُ بأنَّ المسيح ماتَ عوضاً عنِّي لأنِّي عاجزٌ عن تخليص نفسي، ووثقت به وحدَه لأجل خلاصي. وعندما تُبتُ عن خطاياي وقبلتُه في صميم حياتي، مؤمناً بأنَّه على الصليب أدَّى كاملَ العقوبة الواجبة عليَّ لقاء خطاياي، تأكَّدَ لي أنَّ خطاياي ما غُفِرت فقط بل نُسيَت أيضاً وأنَّني قد تبرَّرتُ أمام الله: إذِ الجميعُ أخطأوا وأعوزهم مجدُ الله" (رومية ٣:٣). "لأنَّ أُجرة الخطيَّة هي موت؛ وأمّا هبةُ الله فهي حياةٌ أبديَّة بالمسيح يسوع ربِّنا" (رومية ٢٣:٦). وقد طهَّرني دم المسيح من خطاياي كُلِّها. "دمُ يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كلِّ خطيَّة" (١يوحنّا ٧:١). وآنذاك صار لي سلامٌ مع الله: "فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوع المسيح" (رومية ١:٥).

فيا صَديقُ، إن كنتَ أنت أيضاً تُحاول الوصولَ إلى السماء بجهودك الخاصَّة، فهلاَّ تسمحُ لي بأن أقول لك إنَّ ذلك "ليس من أعمال، كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٩:٢). إنَّ السماء غيرُ محدودة ولا يُمكن البتّةَ أن تُكتسَب اكتساباً، ما دُمنا نحنُ محدودين وخُطاةً. فالمسيح وحده هو الطريق، وهو الحلُّ الوحيد. "لأنَّه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع؛ الشهادةُ في أوقاتها الخاصَّة" (١تيموثاوس ٥:٢و٦). فأقبل إليه الآن، كما أنت تماماً ، معترفاً له بخطاياك. اطلبْ منه المغفرة، واقبَلْهُ بوصفه المخلِّص والربَّ لك شخصيّاً. باشرِ الاتِّكالَ عليه لأجل خيرك الأبديِّ، لأنَّه هو اشترى لك الخلاص. إنَّه يدعوك الآن، قائلاً: "تعالَوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم" (متّى ٢٨:١١).

وعندئذٍ يُتاح لك أنت أيضاً أن تبتهج معي بالصَّديقِ والمخلِّص الذي وجدتَه حديثاً، بالمسيح الحيِّ المُبارك!

(الكاهن المولود ثانيةً: هنري غريغوري آدَمْز)

مواجهتي لِلحقّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"إنْريك غارسِيا"

في الثانيةَ عشرة من عُمري دخلتُ ديراً كبُّوشيّاً. ومضيت أبحثُ عن الحقِّ في مُحيطٍ ظنَنْتُ أنَّه سيُعينني على الاهتداء إلى الله. كان الدَّير في ضواحي "مدريد" الاسبانيَّة، المدينة التي فيها وُلِدت. وهكذا، بهذه الحياة في الدَّير، شرعتُ في رحلتي نحو الله من طريق نكرانِ جميع حقوقي الذاتيَّة. فإنَّ نظرية الإماتة قديمةٌ جدّاً، ومرتبطةٌ على أوثقِ ما يكون بالفكر الكاثوليكيِّ الرومانيّ. ثُمَّ إنَّ صوفيَّة اسبانيا الفلسفيَّة تعتنق ممارسة الإماتة باعتبارها السبيل الذي به يُتاح للمرء أن يهتديَ إلى الله. ومعنى "الإماتة" الموتُ البطيء. فما يموت إنَّما هو شخصيَّةُ المرء بالذات.

بعد سِنِي الإعداد، نذرتُ نذور الطاعة، متخلِّياً عن جميع الحقوق بالسيطرة الشخصيَّة على أيِّ شيء، وكان عُمري آنذاك سبع عشرة. والطائعُ كُليّاً يخضع لفكرٍ واحدٍ ومشيئةٍ واحدة، هُما فكرُ رئيسه ومشيئته. ففي الدير، يستحيل أن تقومَ بأيِّ شيءٍ لا يخضع للمراقبة، حيثُ القوانين المحدَّدة بدقَّة والفرائضُ المعلومة تُشكِّل المعيار الذي ينبغي للجميع أن يحيوا بمُقتضاه والذي لا ينبغي للمرء أن يجرؤَ على تخطِّيه.

ولا يقتصر نذرُ البتوليَّة على التخلّي طوعاً عن حقوق الزواج، بل يُوجِب الامتناعَ أيضاً عن جميع المسَّرات والصَّداقات غيرِ المُستحبَّة. ففي سبيل اكتساب السيطرة الكاملة والإخضاع الكُليِّ لكلِّ شهوةٍ بشريَّة، جرَت مراعاة جُملة من ممارسات التعذيب على نحوٍ منتظِم، وفي ما يلي أمثلةٌ عليها:

أربعةُ أصوام في السنة، مدَّةُ كُلِّ واحدٍ منها أربعون يوماً بلا انقطاع.

التأديبُ الدّامي ثلاث مرَّاتٍ في الأُسبوع، يُنفَّذ باستعمال بضعة أسلاك فولاذيَّة موصولة بقبضة.

لبسُ مسوحٍ خشنة تلامس الجسم مباشرةً نهاراً وليلاً.

سريرُ ألواحٍ فيه أوراقٌ من نبات الذُّرَة وسوى ذلك، لتعذيب الجسد.

وكان مقصوداً بتلك الممارسات أن تُعِدَّ جسدي للتقشُّف الشامل الذي تستلزمه دعوتي في الحياة. أمَّا نذر الفقر، فَبهِ تعهَّدتُ ألاَّ أمتلك أيَّ مالٍ تحتَ تصرُّفي. وقد كانَّ عليَّ بالحريِّ أن اعيش معتمداً كليّاً على أولئك الذين يسمحون لي باستخدام الأشياء الضروريَّة للبقاء على قيد الحياة. فالكبُّوشيُّ التقيُّ لا يُسمَح له بأن يستخدم إلاَّ ما يُوضَع في متناول يده، ويُحظَر عليه أن يمتلك أيَّ شيء.

إنَّ ذلك النَّهج القاسيَ الذي يشتمل على ممارساتٍ زُهديَّة شتَّى، والذي انخرطْتُ فيه منذ نعومة أظفاري، لم يلحقه أيُّ تحسينٍ يُذكَر. وانتظرتُ راجياً أن أجنيَ ثمار آلامي وعذاباتي. غير أنَّ تلك الثمار المرجوَّة جدّاً لم تُصبِح قطُّ حقيقةً واقعة! وما كان في كياني الداخليّ سوى الوحدة والوحشة والخوف. فقد كنتُ خائفاً من كُلِّ شيء، خائفاً من الحياة، خائفاً من المحبَّة. وكنتُ خائفاً من قراري الخاصّ، ومن الله أيضاً. حتّى إذا بلغتُ الثالثةَ والثلاثين من عمري، تبيَّن لي أن نَمَط حياتي كلَّه يمكن أن توضحَهُ كلمةٌ واحدة، ألا وهي "لا": "لا تعملْ هذا، لا تقلْ ذاك، لا تُفكرِّ هكذا ... لا، لا، لا!"

على أنَّ الفنون الجميلة شكَّلت أبهجَ نقطةٍ في حياة الدير عندي، إذ أُتيح لي فيه أن أتعلَّم الموسيقى وأُمارسها. وقد غَدَتِ الموسيقى ضرورةً حتميَّة في حياتي، بها استطعتُ أن أُنفِّس عن الضغط الهائل الذي كانت تُعانيه نفسي في الصميم. وبعدما صرتُ كاهناً قرَّرتُ أن أُخصِّص مزيداً من الوقت لدراسة البيانو، استِكمالاً لدروسي الموسيقيَّة. فبحثتُ عن معلِّم كفوء، وهكذا دخل "أمريكو غراموتا" حياتي، وأصبح جزءاً من ذلك العالَم الصغير والمنغلق الذي عِشتُ فيه.

وقد علمتُ لاحقاً أنَّه مسيحيٌّ إنجيليٌّ وعضوٌ في كنيسة معمدانيَّة. أمّا من جهة نفسي، فقد بقيَت حياتي سائرةً في خطِّها وسط الظلمة المطبقة. ولكنْ في الوقت نفسه تنامى في داخلي الاشتياق لأن أحيا حقّاً. فنوعيَّة الحياة التي سبق أنِ اختبرتُها باتت غير مقبولةٍ عندي بجملتها. ورغبتُ في هجرانها كليّاً، إلاّ أنَّني كنتُ خائفاً. وكنتُ في حاجةٍ إلى مَن يوجِّهني ويُرشدني من جديد وينفحني بالقوَّة. فكان أمريكو هو ذلكَ الرجل. فقد أطلعتُه على محنتي العميقة، ومضى يُجيب عن أسئلتي، في أثناء محادثاتنا، من الكتاب المقدَّس، كلمةِ الله. وعلى نحوٍ بطيء أخذت أشعَّةُ النور تترامى على نفسي، إذ أدركتُ أنَّ المعتقدات العديدة التي كنتُ أعتبرها معصومةً لم يكن لها أيُّ أساسٍ ثابت في كلمة الله، ومن جملة تلك المعتقدات الكثيرةِ الكهنوتُ وعصمة البابا والأسرارُ المقدَّسة.

من ثَمَّ تأكَّد لي أنَّه لا بُدَّ من أن أنفصل عن كلِّ ما يتعلَّق بالكثلكة. ولكنَّني إذ نظرت إلى العالم الخارجيّ، أخذ الذُّعر يستبدُّ بي. ففي الثانية عشرة دخلتُ الدير، وها أنا الآنَ في الثالثة والثلاثين، وقد عشتُ حياتي كلَّها في هذا الجوّ، ودراساتي كلُّها كانت وثيقة الصِّلة بهذا النَّمط من الحياة. فماذا أفعلُ، يا ترى، خارجَ هذه الحياة التي قضيتُ فيها أفضل سني عُمري؟ إذ ذاك غدا كلُّ شيء سؤالاً كبيراً: عائلتي وصداقاتي ومستقبلي كلُّها استلزمتِ الأجوبةَ الشافية. غير أنَّني، رُغمَ كل شيء، صمَّمت تصميماً حاسماً، فتركتُ الدير والكنيسة الكاثوليكيَّة.

ومن ثَمَّ أخذتُ أحضر خدمات العبادة في الكنيسة المعمدانيَّة بمدريد؛ ويومَ الأحد التالي لبَّيتُ دعوة القسِّيس، فغمرني فرحٌ قلبيٌّ عظيم. وبينما كنتُ وحدي أمامَ الله، في بيتي، نبذتُ جهودي العقيمة لكسب الخلاص بأعمالي الخاصَّة، بعدما تأكَّد لي أنَّ الأعمال لن تقوى على التخليص البتّة، وقد كانت حياتي كلُّها أدمغ بُرهان على هذه الحقيقة. إذ ذاك سلَّمتُ نفسي للربّ بعزمٍ قلبيٍّ جديد ووطيد.

لقد قبلتُ المسيح باعتباره مخلِّص نفسي الواحدَ الأحَد، ودخل حياتي في سلامٍ بسيطٍ لكنْ أكيدٍ جدّاً لم أعهدَ مثله من قبل. وهكذا غدوتُ للمسيح وتمتَّعتُ بمحبَّته. والسرُّ في ذلك أنّي تعمَّدتُ في الكنيسة بمدينة مدريد.

بعد ذلك تسجَّلتُ في معهد اللاهوتي المعمداني ببرشلونة، حيثُ أنجزتُ دروسي في اللاهوت والتربية الدينيَّة. وقد دعاني الربُّ لأكون خادماً في كنيسته، ويسَّر لي "مركزُ الاهتداء" في "هافرتاون" بولاية "بنسلفانيا" الأميركيَّة أن أذهب إلى الولايات المتّحدة لمتابعة دراستي في الكتاب المقدّس والموسيقى.

كان عليَّ أن أدفع الثمن في سبيل الاهتداء إلى الحقّ، ولكنَّني ما ندمتُ على ذلك يوماً. فقد مرَّت سبع سنين طويلة حافلة بالجهاد والكفاح. إلاَّ أنّني في الأخير تمكَّنتُ من الشهادة لحقيقة المسيح في حياتي، وهو القائل: "أنا هو الطريق والحقّ والحياة" (يوحنّا ١٤:١٦).

أأنت واثقٌ بأنَّ السماء موطنك؟ أرجو أن تُسلِّم المسيح قلبَك الآن: "لأنّ أُجرة الخطيَّة هي موت؛ وأمّا هبة الله فهي حياةٌ أبديَّة بالمسيح يسوع ربِّنا" (رومية ٦:٢٣).

(الكاهن المولود ثانيةً: إنْريك غارسِيا)

لماذا تركتُ كنيسة روما

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جان ابْرَسْتُن"

"الحقُّ يُحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣٢). إنَّ حقَّ إنجيل المسيح ما انفكَّ يحرِّر ملايين النفوس من خطاياهم وأثقالهم وهمومهم. وفي هذا أوضحُ بُرهانٍ على أنَّ كلمةَ الأسفار المقدَّسة ما تزال هي "قوَّة الله للخلاص، لكلِّ مَن يؤمن" (رومية ١:١٦). وليست قصّة تحريري من ظلمة الكثلكة إلى "حرّية مجد أولاد الله" (رومية ٨:٢١) سوى شهادةٍ أُخرى لتلك القوَّة عينها!

ليس في اهتدائي أيُّ عُنصرٍ خارق، إذ لم يحدثْ لي أيُّ تغيير مفاجئ أو حادثة عجيبة اضطَرَّتني إلى ترك كنيسة روما الكاثوليكيَّة والخُضوع للمسيح. فما كان ذلك إلاّ بفضل عملِ نعمة الله الهادىءِ والثابت، وإدراكي اليوميِّ لضلالِ نظامٍ يُدعى زوراً كاثوليكيّاً (أي جامعاً) ومسيحيّاً.

وُلِدتُ في شمال إيطاليا لأبَوين كاثوليكيَّين، وعُمِّدتُ وتثبَّتُّ على المذهب نفسه. وفي الثانية عشرة من عمري شعرتُ بأنَّ الله يدعوني إلى الكهنوت، فدخلتُ مدرسةً حبريَّة قضيتُ فيها تسع سنوات من التعلُّم والتدرُّب الصارمَين المكثَّفَين. وفي أثناء تلك السنين عملَت أزمةٌ عميقة وطويلة على إقناعي، أوّلَ مرَّة بعُقم الاعتراف السرِّيّ. فقد أظلمت نفسي من جرّاء الخطيَّة، واضطربت روحي بفعل الشكوك. ورُحتُ ألتمس النور والسلام يائساً، فكنتُ أذهبُ إلى الاعتراف كُلَّ يومٍ تقريباً، كما عُلِّمتُ، ظانّاً أنّي واجدٌ فيه المغفرة والسلام. ولكنْ مهما حاولتُ جاهداً وأكثرتُ من الاعتراف بخطاياي لكاهِنِ اعترافي، ما كان ليأتيَني أيُّ يقينٍ بالغفران، ولا كانت لتفيضَ في قلبي أيَّة قوَّة تحفظهُ طاهراً من خطايا أكثر وأفدح.

ولكنْ ما أبهج الحالةَ المُناقضة التي أعيشُها الآن في حياتي الراهنة! فها أنا قد وضعتُ ثقتي كلَّها في المسيح، وأنا الآن عالمٌ بمن آمنتُ وكُلِّي يقينٌ بأنَّه قادرٌ على حفظ وديعتي "إلى ذلك اليوم". فإذ أعترف بخطاياي لِلّه مباشرةً، يُطهِّرني ويُعطيني قلباً جديداً، ويجعلني مخلوقاً جديداً، بفضل قوَّة دم المسيح المطهِّرة.

وفي سبيل الخروج من تلك الأزمة الداخليَّة، قرَّرتُ أن أنذر نفسي لحياة أكثّر تضحيةً أقضيها بين شعب أفريقيا. وعندئذٍ التحقتُ برهبانيَّة إرساليَّة تُفاخِر في إيطاليا باسمِها الشريف "أبناء قلب يسوع الأقدس"، فيما تُعرَف في بريطانيا بِاسْم "آباء فِيرونا".

ولئن كنت مَديناً بالفضل "لآباء فيرونا" لقاء المعونة التي قدَّموها لي خلال السنين الخمس الأخيرة من تدرُّبي، فلا يسعني أن أغضَّ النظر عن الطريقةالتي بها يُعِدُّون مُرشَّحيهم للاعتراف الديني والكهنوت. ذلك أنَّ الإعداد بكامله يتركَّز على الأعمال، أي على إنجاز أُمورٍ معيَّنة، زعماً أنَّ الخلاص كلَّه يتوقَّف على ما نعمله نحن، لا على ما عمله المسيح، وأنَّنا نكسب بأيدينا إمَّا حياتنا الأبديَّة وإمَّا دينونتنا الأبديَّة. وهكذا لا يعود الربُّ يسوع عندهم "رئيس الإيمان ومكمّله"، ولا "الألف والياء" و "الأوَّل والآخِر". فإنَّ أعمالنا، واستحقاقاتنا، وصلواتنا، وصدقاتنا السنويَّة، وفروض توبتنا، هي التي تأخذنا إلى السماء، وليس يسوع المسيح. ولذلك حُرِّضتُ خلال سنَتَي تَرَهْبُني على جلد جسدي العاري بالسِّياط، وتقبيل أرضِ غُرفة الطعام وقَدَمي شخصٍ سواي.

وبعد انتهاء فترة تَرَهْبُني، خضعتُ لِمُقرَّرٍ يدوم أربع سنين من الدرس والتدرُّب، ثُمَّ رُسمتُ كاهناً في "ميلانو" عام ١٩٥٢. حتّى إذا انقضت سنةٌ واحدة من الخدمة والمهمّات الإرساليَّة في شمال إيطاليا ووسطها، أُرسِلتُ إلى "أسمرة" في "إريتريا" مُرسلاً ومعلِّماً في معهدٍ كاثوليكيٍّ كبير. هُنالك جرت أوَّل احتِكاكاتي الشخصيَّة بمُرسلين بروتستانتيِّين أعطوني بعض مطبوعاتهم لأقرأها.

وهنالك أيضاً أدركتُ، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، كم قد يكون النظام الكاثوليكيُّ الرومانيُّ طاغياً وباغياً.

وإذ جئتُ لندنَ بعد سنتين لتحسين لُغتي الانكليزيَّة، رحتُ أفحص الإيمانَ البروتستانتيَّ، مصلِّياً إلى الله في طلب النُّور. وهناك اتَّفق أن سمعتُ، بين الفينة والفينة، متكلِّمين إنجيليِّين في "زاوية المتكلِّمين" بهَايْد بارك. فعملَت شروحُهم الجريئة وغير الهيّابة لضلالات روما على تَركي أخيراً للكنيسة الكاثوليكيَّة. ومن الذين تأثَّرتُ بهم كثيراً "بي بِنغِلي"، وكان "كبيرَ المتكلِّمين في الهواء الطّلق لدى الاتِّحاد البروتستانتي".

كذلك حدث أنَّني لمّا كنتُ في لُندن تعرَّفتُ أوّلَ مرَّة بالقِسِّيس الراحل "تِي آر هوران" مدير "جمعيَّة الإرساليَّات الأيرلنديَّة" (٥ش تاونسَند، دَبلن). وهناك، بعض بضعة أشهر من التعلُّم المكثَّف المقترِن بالصلاة، قُبلتُ رسميّاً إلى شركة كنيسة أيرلندا في كنيسة الإرساليَّة التابعة للجمعيَّة. ومِن ثَمَّ عرَّفني القسِّيس "هوران" إلى القِسِّيس "ماريانو رُوغي"، وهو أيضاً كاهنٌ كاثوليكيٌّ إيطاليٌّ سابق، وقد كان آنذاك قسِّيساً مسؤولاً عن كنيسة القدِّيس بولس في "هاليول" ببُولْطُن. وفي ما بعد عرَّفني "رُوغي" إلى أُسقف "مانشستر"، فيسَّر لي إكمال سنةٍ واحدة من التدرُّب في "كليَّة القدِّيس آيدِن اللاهوتيَّة" في "ابْريكِنهِد" (شيشايَر).

ختاماً، أودُّ أن أوكِّد أنَّني، فيما أُدوِّن هذه الشهادة، لا أُضمر أيَّ غِلٍّ تُجاه أحد. بل على العكس، فإنَّ "مسرَّة قلبي وطلبتي إلى الله" أن يتنبَّه كثيرون من الكاثوليك إلى نور الإنجيل فيرَوه كما رأيتُه ويُقبِلون إلى الابتهاج بمعرفة الربِّ يسوع مخلِّصاً شخصيّاً لحياتهم. وما دفعني إلى كتابة هذه الأسطر إنَّما هو فرحُ هذا الاكتشاف الروحيِّ العظيم، مقروناً بالرغبة في إطلاع الآخرين عليه وإشراكُهم فيه؛ ولي ملءُ الثقة بأن يعود المجدُ كلُّه لِلّه.

(الكاهن المولود ثانيةً: جان ابْرَستُن)

لم أكُن معانداً للحقّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"ابْرونو بُطِّيسِن"

وُلِدتُ في "فيسَنـــزا" بإيطاليا عام ١٩١٧. وفي سنِّ الحادية عشرة أُدخِلتُ المعهدَ الفرنسيسكانيَّ كي أدرس للكهنوت. وبعد رسامتي خدمتُ ككاهن أبرشيَّة صغيرة في "كاسْتَغْنارا". وعامَ ١٩٥٤ نُقِلتُ إلى أبرشيَّة أكبر في مدينة "شياتي". ثُمّ دعاني المطران بياسنتيني إلى التعليم في كليَّة اللاهوت في "شِيُوغِّيا" وكلَّفني أيضاً رعاية كنيسةٍ هُناك.

خُيِّل إليَّ أخيراً أنَّني عثرتُ على المكان المناسب لخدمتي. فقد كنتُ معلِّماً في معهد اللاهوت، وراعياً لأبرشيَّة جيِّدة، وقد حُزتُ رضى المطران. ونظَّمتُ مجموعة عمل فعّالة، وعملتُ ليل نهار في خدمة شعبي بحماسةٍ فائقة، ولكنَّني ما لبثتُ أن شرعتُ أُدرِك أنَّ مُجمَل نشاطاتي وتعليمي دروسَ التعليم المسيحيّ وعقيدةَ روما لم يُفلِح في تغيير حياة رعيَّتي. كانوا يأتون إلى الكنيسة كُلَّ يومِ أحد، فيحضرون القُدّاس ويقومون أيضاً بالاعتراف السرِّي وسائر الأسرار المقدَّسة، إلاّ أنَّهم ما كانوا ليتبعوا تعاليم إنجيل المسيح. فكيف أستمرُّ في مُناولة أُناسٍ لا يقبلون التخلِّيَ عن خطاياهم؟ لقد تظاهروا بأنَّهم مسيحيُّون، ولكنَّهم فعلواً ما يُضادُّ ما علَّمنا المسيحُ فعلَه في الإنجيل. ومعظم أبناء رعيَّتي الذين لم يكونوا راغبين في التضحية بأيِّ شيء لأجل المسيح كي يُغيِّروا أُسلوب حياتهم الخاطئ أخذوا يُعارضونني، وكثيرون منهم قالوا: "ما هذا التعليم السخيف الذي نُعلِّمه؟ لماذا نُغيِّر حيَاتَنا ونحن فاعلون ما تطلبُه منا كنيسةُ روما الكاثوليكيَّة؟ ها إنَّنا نتناول، ويُعمِّد الكهنة أطفالنا ويُثبِّتونهم؛ وقد زوَّجَنا الكهنة، ونحن ننقطع عن

اللحم أيّام الجمعة ونذهب إلى الكنيسة أيّام الأحد. فماذا يُريدُ منّا كاهنُنا الجديد بعدُ؟ إنَّنا مسيحيُّون لأنَّنا ننتمي إلى كنيسة روما!"

وشكاني أحدُهم إلى المطران، فاستدعاني إلى مقرّه وأبلغني أنَّ عليَّ أن اعتزلَ وظيفتي معلِّماً وراعياً، لأنَّني لم أكن أتبع تعاليم أُمِّنا الكنيسة الكاثوليكيّة ولا توجيهاتِها. وقال لي إنَّني كُنتُ أقول للناس أن يذهبوا إلى المسيح ويتّكلوا عليه بدلاً من نُصحِهم بالاتّكال على قدّيسي كنيسة روما، والأسرارِ المقدسّة، والكهنةِ الذين لهم سلطةُ غفران الخطايا عينُها التي كانت للمسيح. وحاولتُ عبثاً اقناع مطراني بأنَّني لم أكُن أُعلِّم بدَعاً بل الإنجيلَ فقط، وأنَّ الناس لا يُمكن أن تُغفر لهم خطاياهم إن لم يتوبوا إلى الله، لأنَّ بين الله والناس وسيطاً واحداً، هو الإنسان يسوع المسيح. فاستاء المطران جدّاً وعزلني من وظيفتي معلِّماً وكاهناً. وقلتُ له إنَّني أنوي استئناف دعواي إلى روما، إلى البابا، فأوصاني بأن أفعل. ثمَّ غادرتُ متوجِّهاً إلى روما بعد بضعة أيّامٍ، وقد أعددتُ دِفاعي، وقصدتُ إلى الفاتيكان، حيث عرضتُ دعوايَ أمام البابا بيوس الثاني عشر. ولم يَصِلني جوابٌ في غضون أيّام قليلة، ثُمَّ أُبلِغتُ أنَّ وقت البابا لا يسمح له بسماع دعواي وأنَّ عليَّ أن أرفعها إلى "اللجنة المقدَّسة". عندئذٍ تأكَّد لي أنّني تُرِكتُ وحيداً، وأنَّه قد خذلني حتّى مَن يدعو نفسه نائب المسيح والأب الأقدس. وخلاصة القول أنَّ اليأس استولى عليَّ، وبدأتُ ألمس الفرق بين الإنجيل ومجرَّد منَّظمة كنسيَّة. فإنَّ الإنجيل هو لعامَّة الناس، ولكنَّ مؤسَّسة الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة ليست قائمةً لخير الفرد بل لمصلحة قادتها السياسيِّين والاجتماعيِّين.

ثُمَّ غادرتُ روما ورجعتُ إلى رعيَّتي، ولكنْ لّما رجعتُ لم تكُن لي كنيسةٌ ولا وظيفةٌ تعليمية. لم أستسلِم، بل وضعتُ ثقتي في الربِّ بكلِّ ثبات. وبقيتُ مُقيماً في المدينة وسط شعبي، حيث أعطاني أحدُ الأصدقاء غُرفة. وهُناك، في سكون تلك الغرفة، وبعد عدَّة استجوابات ومحاكمات لدى المطران ثُمَّ في روما أخيراً، بدأتُ أقرأ الإنجيل طلَباً للعزاء والراحة. وما سبق لي قطٌّ أن قرأتُ أيَّ كتاب بمثل ذلك الإقبال. ولشدَّ ما أدهشني، لدى قراءتي الإنجيل، أن أجد الجواب لكثيرٍ من التساؤلات التي داخلَتني حولَ تعاليم كنيسة روما. وسريعاً جدّاً أخذتُ

أُدرك، بنعمة الله، أنَّ معظم العقائد والتعاليم التي كنتُ -وأنا كاهنٌ- أحثُّ رعيَّتي على الإيمان بها ليست في الإنجيل، بل هي من صنع البشر، بل مُناقضةٌ أيضاً للكتاب المقدَّس. وأخذ يتراءى لي أنَّني كُنتُ على مدى سبع عشرة سنةً، لا خادماً ليسوع المسيح، ولا كاهِناً له، بل خادِمَ مُنظَّمةٍ ذات نفوذ.

قد يبدو مُدهشاً أن يستغرق اكتشافي للحقّ وقتاً طويلاً هكذا. ولكنْ ينبغي أن تتذكَّروا أنَّ المرشَّح للكهنوت يدخل المدرسة الاكليريكيَّة وهو صبيٌّ طريُّ العود ويكون راشداً حين يُنهي تدرُّبه الكامل. ونتيجةً لذلك لا يسهلُ عليه أن يعزم على الوقوف ضدَّ كنيسة روما الكاثوليكيَّة. هل تعتقدون أن جميع الكهنة يؤمنون بما يُعلّمونه؟ كثيرٌ منهم لا يؤمنون، ولكنَّهم يَبقَون في الكهنوت لأنَّهم يخافون الخروجَ منه. أمّا أنا فلم يكُن يسعُني أن أخدم سيِّدين: البابا والمسيح.

لقدِ اخترتُ المسيح وقبلتُه مُخلِّصي الشخصيَّ. وأنا الآن أكرز بالإنجيل الحقيقيّ في حُرِّيَّة وبلا قيود، في المدينة عينها التي كُنتُ كاهناً فيها. ولَئن كانتِ الاضطهاداتُ كثيرة، فإنَّ الربَّ قدير، وقدِ اختبر كثيرون الولادة الجديدة.

فيا أعزّائي الكهنة، إن كان أحدُكم يقرأ هذه السطور، فلا يكُن معانداً للحقّ، بل ليَلتمسْه في الإنجيل، وليَعظِ بالحقِّ من الكتاب المقدّس وحده. إذ لا ينبغي لنا أن نُكيِّف الإنجيل بمقتضى تعاليمنا، بل علينا أن نُغيِّر أنفسنا بموجب الإنجيل. وإن كُنّا، نحن الكهنة، لا نعود إلى حقائق الإنجيل، فلن يكون لنا ولا لرعايانا رجاءٌ وسلام، بل ظلامٌ وحُزن وخطيَّةٌ فقط.

"إنَّ أبي وأُمي قد تركاني، **والربُّ** يضمُّني. علِّمني يا **ربُّ** طريقك، واهدني في سبيل مستقيم، بسبب أعدائي. لا تسلِّمني إلى مَرام مُضايقيَّ، لأنَّه قد قام عليَّ شهودُ زورٍ ونافثُ ظُلم" (المزمور ٢٧: ١٠-١٢).

(الكاهن المولود ثانيةً: ابْرونو بُطِّيسِن)

كنتُ كاهناً رومانيّاً

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جان زانون"

وُلِدتُ عام ١٩١٠ لأبوين فقيرَين، لكنْ كاثوليكيَّين وَرِعَين، مُقيمَين في شمال إيطاليا. وفي أعقاب رسامتي على يد الكاردينال روسِّي، في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٣٥، أُرسِلتُ إلى الولايات المتّحدة الأميركيَّة.

وبعض بضع سنين من ذهابي إلى ذلك البَلَد، أُهديتُ جهاز راديو يُوضَع على الطاولة كهديَّةٍ في عيد مولدي. وأوَّلَ مرَّة في حياتي، أُتيح لي أن أجلس وأسمع وأستمتع. وممّا أدهشني وأبهجني أنّني وجدتُ بضعة برامج للإنجيليِّين تُذاع يوميّاً، وأكثر منها تُذاع يوم الأحد. وقد استمالَتْني رسالاتُهم وترنيماتُهم من أوَّل الأمر. والذي أثَّر فيَّ أكثرَ من كلِّ شيء كان تشديدهم البالغ علىكلمة الله. وبدا لي واضحاً أنَّ أولئك الوعّاظ كانوا بالحقيقة يتمِّمون تفويض المسيح من جهة الكرازة بالإنجيل دون استحياء "لأنَّه قوَّة الله للخلاص، لكلِّ مَن يؤمن" (رومية ١٦:١).

ومحاولةً منِّي لبرهنة كوني على حقٍّ في انتمائي إلى كنيسة روما الكاثوليكيَّة، وكونِ الذين خارجَها على ضلال، عكفتُ على قراءة الكتاب المقدَّس باشتياق وبروح الصلاة. وكُلَّما زدتُ من القراءة واجتهدتُ أكثر في الصلاة إلى الله، اتَّضح لي أكثر فأكثر مدى ضلال كنيسة روما. ففي إنجيل يوحنّا قرأتُ: "وأمّا كلُّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يوحنّا ١٢:١). وأيضاً: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنّا ١٦:٣). وسألتُ

نفسي: هل يُمكن أن يكون الكتاب المقدَّس أكثرَ من هذا وضوحاً في مسألةِ الخلاص هذه الكُلّيةِ الأهميَّة؟

فرُغمَ صيرورتي كاهناً تابعاً لكنيسة روما، لم أتيقَّن خلاصَ نفسي. وقد بتُّ مدركاً أنَّ غيرتي وأعمالي الصالحة، وأنا كاهن، لم تكُن تقوى على تخليصي، إذ قرأتُ في الكتاب المقدَّس الكاثوليكيّ: "فإنكّم بالنعمة مخلَّصون بواسطة الإيمان، وذلك ليس منكم، إنَّما هو عطيَّة الله، وليس من الأعمال لئلاّ يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

هذا النصُّ زعزع إيماني بتعاليم كنيسة روما الكاثوليكيَّة. وكنت حتّى ذلك الحين قد قبلت جميع تعاليم روما قبولاً أعمى. وليس بيد الكاثوليكيِّ خيارٌ: فإمّا يقبل تعاليم روما بِلا نقاش، وإمَّا يُقصَى عن شركتها. ولمَّا كنتُ قد بدأتُ أشكُّ في كلِّ شيء، فقدَ شرعتُ أُفتِّش في أسفار الكتاب باجتهادٍ أكثرَ من ذي قبل. وتبيَّن لي أنَّ تقدمة يسوع المسيح على الصليب كانت كُلِّيَّة الكفاية: "وبهذه المشيئة قد قُدِّسنا نحن بتقدمةِ جسد يسوع المسيح مرّةً واحدة"(عبرانيين١٠:١٠). "لأنَّه بتقدمة واحدةٍ جعل المقدَّسين كاملين إلى الأبد" (عبرانيين ١٠:١٤). "لا حاجة أن يُقرِّب كلَ يوم، مثل الأحبار، ذبائح عن خطاياه أوّلاً، ثمَّ عن خطايا الشعب، لأنَّه قضى هذا مرّة واحدةً حين قرَّب نفسه" (عبرانيين ٧:٢٧). إذاً، فلا حاجةَ إلى القُدّاس، ولا إلى الاعتراف، ولا إلى المطهر.

إذ ذاك جعلتُ أعي أنَّ جميعَ تعاليم تلك المدعوَّةِ الكنيسة الواحدةَ الحقيقيَّة ليست سوى اختراعاتٍ رومانيَّة. ولدى متابعة دراستي في الكتاب المقدَّس الكاثوليّ، أدركتُ أنَّ الصلواتِ إلى مريمَ، أُمِّ مخلِّصنا، وإلى القدِّيسين لم يَرِد أيُّ ذِكرٍ لها في الكتاب المقدَّس. فإنَّ مريم نفسَها طلبت إلى الحُضور في عُرس قانا أن يتوجَّهوا إلى المسيح: "فقالت أُمُّه للخُدّام: مهما يأمرْكم به، فافعلوه"(يوحنّا٢:٥). والمسيح يدعونا للذهاب إليه مباشرةً بغير توسُّلِ القدِّيسين، على حدِّ ما تُعلِّمه كنيسة روما: "تعالَوا إليَّ يا جميع المُتعبين والمُثقَّلين، وأنا أُريحكم" (متّى ١١:٢٨).

"قال له يسوع: أنا الطريق والحق والحياة؛ لا يأتي أحدٌ إلى الآب إلاّ بي" (يوحنّا ٦:١٤). "وإن سألتُم شيئاً باسْمي، فإنِّي أفعله" (يوحنّا ١٤:١٤). وقد كتب الرسول بولس بوحيٍ من روح الله: "لأنَّ الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو الإنسان يسوع المسيح" (١تيموثاوس ٥:٢).

ومرَّةً أُخرى أيضاً انبغى لي أن أستنتج من دراستي للكتاب المقدَّس أنَّ الصلوات الواحدة والألف للقدِّيسين كانت كلُّها ابتداعاتٍ من قِبَل كنيسة روما. وأوَّلَ مرَّةٍ في حياتي اتَّضح لي بكلِّ جلاء أن تعاليم كنيسة روما الكاثوليكيَّة كانت على ضلال. فشكرتُ الربَّ على إنارته لذهني. ولم يعُد أمامي سوى خِيار واحد، وهو تركُ كنيسة روما. فبدأتُ أصوغُ خططي، إلاَّ أنَّ القرار روَّعني؛ إذ تأكَّد لي أنَّ والديَّ وإخوتي سوف يستاؤون، وأن الكاثوليك سيشعرون بأنِّي أهنتُهم. وكان من شأن ذلك أيضاً أن يُكلِّفني أصدقاءَ العُمر والطمأنينةَ والاعتبارَ والحياةَ الهانئة. فتريَّثتُ وعكفتُ على الصلاة، فإذا بصوتِ الربِّ يجيئُني واضحاً وقاطعاً: "مَن أحبَّ أباً أو أُمّاً أكثر منِّي، فلَن يستحقَّني؛ ومن أحبّ ابناً أو بنتاً أكثر منِّي، فلن يستحقَّني" (متّى ٣٧:١٠).

وفي سبيلِ إسكات هذا النَّذير الإلهيّ، طرحتُ كتابي المقدَّس جانباً، وأخذتُ اشتغل باجتهادٍ فاقَ كلَّ ما كان. واسترجعتُ ذكرى النُّذور التي قطعتها في المعهد الاكليريكيّ، ولا سيَّما في يوم رسامتي، متعهِّداً أن أكون واحداً من أحسن الكهنة. وقد آتاني ذلك سلامَ ذهنٍ نسبيّاً بضعَ سنين.

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥، حدثت لي مفاجأةٌ سارَّة. إذ إنَّ القسِّيس "جوزيف زاكِّلو"، مُحرِّر "مجلَّة المُهتدي" جاء يزورُني حينَ كان في مدينة كَنساس بولاية مِيسُّوري. وقد تحيَّرتُ جدّاً لَمّا سألني هل أنا مُخلَّص. فأخذ هذا السؤال يُطاردني، وصلَّيتُ إلى الله كي يُريَني من جديد طريقَ الخلاص. وإذا بصوت الربِّ يتناهى إليَّ واضحاً وموبِّخاً: "لا تظنُّوا أنِّي جئت لأُلقيَ على الأرض سلاماً؛ لم

آتِ لأُلقيَ سلاماً لكن سيفاً" (متّى ١٠:٣٤). فما كان منّي إلاَّ أنِ استخدمتُ ذلك السيفَ لأفصلَ نفسي عن كلِّ قريبٍ إليَّ وعزيزٍ عليَّ.

واليوم، بعدَما اتّخذتُ ربَّنا يسوعَ مخلِّصاً شخصيّاً، أختبرُ صدقه الكُلِّيَّ إذ قال: "الحقَّ أقول لكم إنَّه ما من أحدٍ ترك بيتاً أو والِدَينِ أو إخوةً أوِ امرأةً أو بنين، لأجل ملكوت الله، إلاّ ينالُ في هذا الزمانِ أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياةَ الأبديَّة" (لوقا ١٨:٢٩و٣٠).

(الكاهن المولود ثانيةً: جان زانون)

لقد دعاني الربّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"سِبريانو فالدِس جايمِس"

لا شكَّ أنّكم رأيتُم، كما رأيتُ أنا، بين الفينةِ والفينة، رجلاً لابساً رداءً طويلاً أسود، وأحياناً أبيض، يسير طاوياً يديه، وعلى وجهه أماراتُ الجدّ. ولربَّما كان انطباعنا الأوَّل أنَّنا نرى "إلهاً في زيٍّ إنسان"، على حدّ ما يقولُ بعضهم في أوساطٍ معيَّنة. ولكنَّ ذلك الشخص ليس سوى كاهنٍ كاثوليكيّ، رَجُلٍ يُغلِّفُه الغموض.

وأنا، سِبريانو فالدِس جايمِس، كنتُ واحداً من أولئك الكهنة. وقد وُلِدتُ في "مِتْشواكان" بالمكسيك، لعائلةٍ كاثوليكيَّة تقيَّة، ثمَّ تلقَّيتُ تعليمي الابتدائيَّ تحت الرعاية الحثيثة من قِبَل من علَّموني مراعاة الاعتراف المتكرِّر والتناول اليوميَّ. حتّى إذا بلغتُ الثانية عشرة من عمري، قرعتُ أبواب "سِمْنار الأبرشيَّة في شيلاّيا" بولاية "غِيورِّيرو". وعلى مدى خمس سنواتٍ طويلة درستُ لاتينيَّةَ شيشرون وفِرجيل. ثمَّ على مدى ثلاث سنين أُخرى حُشي ذهني بفلسفة الكتّاب الإغريقيِّين. وبعنايةٍ فائقة تلقَّيتُ أربع سنين من اللاهوت، حيث تعلَّمت جميع عقائد الكثلكة. أخيراً رُسِمتُ كاهناً في الثامن عشر من تشرين الأوّل (أُكتوبر) ١٩٥١، في عيد القدِّيس لوقا البشير.

في ذلك اليوم أُعطِيتُ، بوضع يَدَي المطران عليَّ، القُدراتِ الخارقةَ الخادعةَ الزائفة، تلك التي تزعم الكنيسة الكاثوليكيَّة أنَّها تُقلِّدُها إنساناً يصير قادراً على تضليل الآخرين. وقد وُهِبتُ القدرةَ على غفران خطايا الناس، داخلَ كُرسيِّ الاعتراف الرهيب وخارجه على السواء. ويومذاك تلقَّيتُ السُّلطةَ على تقريب

المسيح مراراً جديدة فوق مذبحٍ مزعوم، وفقاً لِما أهوى وأتصوَّر. وغدوتُ آنذاك قادراً على إطلاق النفوس من المطهر، ذلك المكانِ الذي ابتدعَته روما، بواسطةِ طقسٍ كاذب هادفٍ إلى الربح. ذلك هو التعليمُ الذي لا تُنكِره كنيسة روما والذي يزعم أنَّ نفوس البشر لا بُدَّ أن تجتاز قبلَ ذهابها إلى السماء في بُحيرة النار تلك. وما أبعد هذا عن الحقّ! بل يا له من ضلالٍ عظيم! ومع ذلك فقد كان هذا هو ما آمنتُ به في أعقاب أربع سنين من الدراسة الجادّة والمُضنية للعقائد الكاثوليكيَّة. وهكذا، فلّما قيل لي إنِّي صرتُ حائزاً السُّلطة على غفران خطايا إخواني البشر، تقبَّلتُ ذلك الواقع من صميم قلبي، غيرَ عالمٍ أنَّ مغفرة الخطايا من مزايا الله وحده؛ ومن غير الممكن أن تُسند إلى إنسان. فالكتاب المقدَّس يقول: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها" (إشعياء ٢٥:٤٣). "... مَن يقدر ان يغفر خطايا إلاّ الله وحده؟" (مرقس ٧:٢). وعلى مدى عشرين سنة في الكهنوت الكاثوليكيِّ، مارستُ تلك الممارسة السخيفة والمخزية والمخالِفة للكتاب المقدَّس، المتمثِّلة في الاستماع إلى زلاَّتِ أهل المجتمع، بمن فيهم رجال الجيش وأصحاب المهن وأرباب السياسة. وقد كُنتُ المُرشِدَ الرُّوحيَّ في المدراس. وبعدما شغلتُ سنةً واحدةً وظيفةَ مساعدِ كاهنِ رعيَّة، ظللتُ تسع عشرة سنةً كاهنَ أبرشيَّة. وكان لي مُعاونون وكهنةٌ مُساعِدون وضعوا أيديَهم معي في إنجاز مهامِّي العبثيَّة.

وفي سبيلِ تكرارِ ذبيحة المسيح غير الدَّمويَّة على المذبح، مُنحتُ السُّلطة لتحويل الخُبز إلى جسده والخمر إلى دمه بواسطة كلمات التقديس السحريَّة. وبفرحٍ غامر واحترامٍ عميق، تقبَّلتُ هذه السُّلطة. فبينَ يديَّ سيُوجَد خالق الكون بالذات، الإله الأزليُّ الذي صار بشراً لأجلنا. أمِن المعقول أنّي بقيتُ أُقرِّب المسيح طيلةَ عشرين سنة؟ وقد فعلتُ ذلك حتّى أربع مرَّات أيّامَ الأحد! يا لها من مهزلةٍ مُروِّعة مُخزية، قمتُ بها أنا وجميع المُشاركين في ما تدعوه روما القُدّاس. إنَّ الإنسان لا يستطيع البتَّة أن يُكرِّر عمل المسيح على الصليب. وإن ظنَّ أنَّه يستطيع

ذلك، فيكونُ الأمر من ابتداعِ إبليس. فالكتاب المقدَّس يقول في رومية ٦:٩ "عالمين أنَّ المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً؛ لا يسود عليه الموت". إذاً، كيف يقدر الكاهن أن يُميته موتاً غير دمويّ؟ وينصُّ كاتب العبرانيّين على أنَّه "بدون سفك دمٍ لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩:٢٢). فماذا يُنجز القُدّاس إذاً؟ هل يُنقّي النفوس ويُنقذها من المطهر، فيما يقول الكتاب المقدَّس إنَّ "دم يسوع المسيح، ابنه، يطهِّرنا من كل خطيَّة" (١يوحنّا ١:٧).؟

وتزعم العقيدة الكاثوليكيَّة أنَّه في كلِّ جُزءٍ من الخبز المقدَّس وفي الخمر المقدَّسة يحضر حضوراً كليّاً جسدُ المسيحِ الألهيِّ ودمُه. فما أفدح هذه الضلالة! وقد قال المسيح: "لأنَّه حيثما اجتمع اثنانِ أو ثلاثةٌ باسمي فهناك أكون في وسْطِهم" (متّى ١٨:٢٠). إلاَّ أنَّ الزَّيفَ التّدنيسيَّ والخداعَ السافر يبلغان ذروتَهما حينما يرفع الكاهنُ، بعد تلاوة الكلام الجوهريِّ التقديسيِّ كما يُقال، الخُبزَ والكأسَ فيما ينحني الناس ويقرعون صدورهم، أو يرفعون أنظارهم نحو السماء ويقولون: "ربِّي وإلهي!" فما هذا إلاَّ عبادةُ أصنام، وسجودٌ لمادّةٍ مخلوقة. ذلك أنَّ الله ليس قطعة من الخُبز. "الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحقِّ ينبغي أن يسجدوا" (يوحنّا ٤:٢٤).

غير أنَّني آمنتُ بتعاليم روما وعلَّمتُها ووعظتُ بها ودافعتُ عنها، سواءٌ وافقت كلمةَ الله أو خالفَتها. وفي ذلك الحين كانت الكنيسة، بمجامعها وتقاليدها، أعلى منـــزلةً عندي من الأسفار المقدَّسة. كما كان صوتُ البابا ذا سلطةٍ أسمى من سلطةِ صوتِ الروح القدس. أفما كانت كنيسة روما هي الواحدة الوحيدة التي ينبغي للناس أن يصدِّقوها ويُطيعوها؟ لِهذا السبب عكفتُ، شأني شأن بولس، على اضطهاد كنيسة الله بلا هوادة (غلاطية ١:١٣). فقد تحدَّيتُ القُسوس الإنجيليِّين، أوِ البروتستانت كما تدعوهم الكثلكة الرسميَّة، في أماكن عبادهم بالذات. فدأبتُ في إهانتهم وإذلالهم وطردِهم من الأبرشيّات التي كنتُ فيها سيّداً مُطلَقَ اليد. ولستُ أدري كم أتلفتُ من مطبوعاهم. وتعودُ بي الذاكرة

إلى حادثة معيَّنة معيبة. فقد صادفتُ، وبعضَ الرجال الأتقياء(؟)، شابَّةً مؤمنةً بالمسيح تحيط بها مجموعةٌ تُصغي إليها بانتِباه وهي تقدِّم كلمة الله إليهم. فاقتحمتُ الجمهرة وأخذتُ أستهزئُ بالمرأة وأهينُها في شخصها والعمل الذي تقومُ به كخادمةٍ لله. وهدَّدتُ المتجمهرين حولها بقولي لهم إنَّهم سيموتون محرومين أسرارَ كنيستنا الأُمِّ المقدَّسة. وأمرتُ الذين معي بجمع الكتب المقدَّسة التي سبق أن وزَّعَتْها الشابَّة، لكَونها كتباً مزيَّفة لا تحمل دمغة موافَقةِ الكنيسة الحقيقيَّة: لا خاتمَ الرقابة الكنسيَّة ولا إجازة الطبع البابويَّة. فجمع مُرافِقيَّ ستَّةً وستين كتاباً مقدَّساً صادرةً حديثاً من المطبعة، وبيديَّ مزَّقتُها وجعلتها طعماً للنار. إلاَّ أنَّني فعلتُ ذلك كُلَّه في جهل، في حينِ يقول مخلِّصي: "مَن رذلني ولم يقبل كلامي، فله مَن يدينه: الكلام الذي تكلَّمتُ به هو يدينه في اليوم الأخير"(يوحنّا١٢:٤٨).

"ولكنْ لما سرَّ الله، الذي أفرزني من بطن أُمِّي، ودعاني بنعمته" (غلاطيه ١:٥)، سمعتُ صوته هاتفاً في داخلي: "يا سِبريانو، ليس هذا مكانك، فاتركْ كلَّ شيء!" فما كان منِّي إلاّ أن أطعتُ وتركْت. واستدعاني المطران، ثمَّ عدتُ إلى أبرشيَّتي، معتذراً ببعض الأعذار المعروفة جيِّداً. غير أنَّ صوت الربَّ ظلَّ يُلِحُّ عليَّ. فبينما كنتُ أُصغي إلى الاعترافات، كان يقول لي: "لا تُصغِ إلى ضَعفات الآخرين، فأنت لا تستطيع أن تغفرها لهم على كلِّ حال!" وإذا احتفلتُ بالقدّاس أو عمَّدتُ الأطفال، كان صوت الربِّ يعترضني. فتركتُ منصبي ثانيةً، واستدعاني المطران ثانيةً. ولكنَّ صوت الله الذي لا يُقاوَم لم يكن ليُفارقَني، حتَّى لم أعُد أقوى في الأخيرِ على الاحتمال. فقصدتُ إلى مكتب المطران وأعلمتُه بعزمي على تركِ الكنيسة. فقال لي: "ماذا تقول؟ أتترك الكنيسة؟ إن كُنتَ غير مسرورٍ بهذه الأبرشيَّة أنقلك إلى أفضلَ منها!" ولكنَّ جوابي كان: "لا، فأنا أبغي إعلامكَ بأنِّي ساقطع كلَّ علاقةٍ لي بالكنيسة". فكان ردُّه: "ماذا أنت فاعل؟ وأين أنت ذاهب؟" وأجبته ببساطة: "لستُ أدري ما سأفعل، ولا أين أمضي، بل كلُّ ما أعرفه أنَّ عليَّ المُغادرة". فسخط المطران ووقف، ثُمَّ أحضر استمارةً كي أُدوِّن

فيها طلبَ إعفائي مرفوعاً إلى روما. وقد كان سبب سخطه خسران رجُلٍ درسَ ثماني عشرة سنة وخدم عشرين سنة أكسبته خبرةً غنيَّة، أكثر ممّا كان استياءً شخصيّاً منّي. والحالُ أنَّني لم أُطرَد من الكهنوت في كنيسة روما، بل أنا تركتُها **لأنَّ الربَّ دعاني**. وبعد شهرٍ كنتُ في مدينة "تيجوانّا" في خليج كاليفورنيا بالمكسيك. وهناك دبَّر الربُّ لي مُرسلاً مستعدّاً، بإرشاد الروح القدس، لإعلان المسيح لي بوصفه المخلِّص الوحيد. أخيراً تمكَّنتُ من فهم الآية القائلة: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنّا ٣:١٦). فوضعتُ ثقتي في المسيح، وقبلتُه مخلِّصاً لي وربّاً على حياتي. وبسبب ذلك أنا متيقِّنٌ بأنَّ لي حياةً أبديَّة. فالإنسان لا يدخل السماء بسببٍ من أعماله، أو تضحياته، أو فضائله، مهما كانت عظيمة. إذ إنَّ الطريق الوحيدةَ إلى الآب هي عبر استحقاقات المسيح غير المحدودة. ولا قِبَل لأيِّ طقسٍ، ولا لأيَّة شعيرة، ولا لأيِّ سرٍّ مقدَّس، بأن تخلِّص إنساناً واحداً.

فيا قارئي الكريم، أُصلِّي طالباً أن يُعطيَك روحُ الله النور والحكمة والإدراك. وبعد قراءة شهادتي، هلاَّ ترى أنَّ السبب الوحيد الذي دفعني للإدلاء بما هو رجائي أن تعرف أنَّ الله يستطيع أن يُغيِّر الذِّهن والقلب والحياة لدى أيِّ إنسان، كائنةً ما كانت حالتُه الخُلُقيَّة أو الروحيَّة. فهو تعالى قد غيَّرني أنا. وهو قادرٌ أن يُغيِّرك أنت أيضاً. ولم أُصرِّحْ بهذه الحقائق إعثاراً لك أو لسواك. فإنَّ في قلبي وحياتي الآن محبَّةً عظيمة، لأنَّني مسيحيٌّ مولودٌ ثانيةً. أما تُقِرُّ بحقيقة كونك خاطئاً وتعترف بخطاياك لِلّه مباشرةً، كما فعلتُ أنا ذاتَ يوم؟ اطلبْ إليه تعالى أن يغفر لك خطاياك، وادعُ المسيح للدخول إلى قلبك وحياتك، فيُعطيك حياة أبديَّة. وأنا الآن أكرز بالإنجيل في الكنائس والأماكن العامَّة والسُّجون والبيوت.

(الكاهن المولود ثانيةً: سِبريانو فالدِس جايمِس)

خروجي من هاويةٍ مروِّعة

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"سيمون كُتُّور"

إنَّ محبَّة المسيح تَضطرُّني لأنْ أُقدِّم شهادةً مختصَّةً بتحوُّلي من الكهنوت الكاثوليكيِّ الرومانيّ إلى حياةِ الولادة الجديدة في الربِّ يسوع المسيح. فعلى مدى خمسٍ وعشرين سنةً كنتُ كاهناً كاثوليكيّاً أتبعُ بكلِّ صرامةٍ طقوسَ نِظامٍ طوَّقني كحصنٍ عالٍ وعاصٍ من الظلام والجهل لكلمة الله المكتوبة.

ولطالما "عمَّدتُ" أطفالاً كُثُراً، ساكباً الماء على رؤوسهم، وأجريتُ زيّاحاتٍ جمهوريَّةً تكريماً "لقدّيسين" موتى، رافعاً تماثيلَهم الخشبيَّة، غيرَ عالمٍ أنَّ الوصيَّة الثانية من وصايا الله تُحرِّم تحريماً جازماً حتَّى صُنعَ التماثيل المنحوته. وكنتُ أُقيم القدّاس اليوميَّ معتقداً عن ضلال أنَّه تكرار لذبيحة يسوع المسيح على الصليب، وأنَّ الخبز والخمر صارا، حرفيّاً، جسدَ يسوع ودمَه. ولم تنفتح عيناي إلاَّ في ما بعد، لمَّا درستُ بروحِ الصلاة كلمات المسيح كما جاءت في الكتاب المقدَّس. فقد علَّمني الربُّ أنَّه لا يمكن أن يكون تكرارٌ لقُربان المسيح الكامل على الصليب، وأنَّ المسيح لم يُحوِّل حرفيّاً الخبز والخمر إلى جسده ودمه عندما رسم العشاء الأخير.

وقد كنتُ، بكلِّ جدِّيَّة ومواظبة وإخلاص، ألتمس شفاعة القدِّيسين "الموتى"، وأُصلِّي لأجل الأموات الذين في المطهر، جاهلاً تعليم الكتاب المقدَّس أنَّ هنالك فقط إلهاً واحداً ووسيطاً واحداً بين الله والناس، ألاَ وهو الإنسانُ/الإلهُ يسوع المسيح. فهو وحده قد مات لأجل جميع البشر وأدَّى الفدية عن الخطيَّة كاملةً. أمَا، والحالُ هذه، نفهمُ لماذا لا يُذكر في الكتاب المقدَّس أيُّ مكانٍ

للتكفير، اسمُه المطهر، تُطلق منه النفوسُ بعذابات الأحياء على الأرض وصلواتهم؟ ولكوني كاثوليكيّاً مُخلِصاً، فقد كان لي إيمانٌ عظيم في توقير الذّخائر والموادِّ المقدَّسة التي تُعزى إليها قوَّةُ شفاعةٍ إلهيَّةٌ حيثُ تُستخدم لتلبية الحاجات الروحيَّة.

وبينَما كنتُ كاهناً، سمعتُ اعترافاتٍ كثيرة ونطقتُ للآخرين "بالتحليلة" من خطاياهم، جاهلاً تعليم الكتاب المقدَّس أنَّ الله وحده قادرٌ على مغفرة الخطايا. فالكتاب يقول: "إنِ اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كلِّ إثم" (**١**يوحنا ١:٩).

ولقد تمسَّكتُ بهذه المعتقدات والممارسات، وغيرها، ليس فقط لأنِّي وُلِدتُ وتربَّيتُ في ذلك النظام التقليديِّ، بل في الأساس لأنِّي كُنتُ مُجبَراً أن أُطيع، تصديقاً منِّي للأُكذوبة القائلة بأنْ: "لا خلاصَ خارجَ كنيسة روما الكاثوليكيَّة". فإنَّ تعليم الكنيسة المدعوَّ "المأموريّة الكنسيَّة"، والمؤسَّسَ على التقليد،كان مقبولاً عندي باعتباره الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحقّ، بدلاً من كلمة الله المكتوبة، أي الكتاب المقدَّس (وقد كان سِفراً مُغلَقاً حتَّى عند مَن يَدرسون استعداداً للكهنوت).

وقد تلقَّيتُ دراستي إعداداً للكهنوت الكاثوليكيّ في روما. ثُمَّ حُزتُ على الدكتوراة في اللاهوت عام ١٩٥٤، ثُمَّ أنجزتُ الدراسات العُليا في الاقتصاد بكندا. وعلى مدى ثماني سنين شغلتُ وظيفة أُستاذ الاقتصاد في كُليَّة "بي سي أم" بكُوتّايام. كذلك تولَّيتُ أيضاً رئاسة "كليَّة القدِّيس اسْتفانوس" بأُزهافور، طيلةَ تسعِ سنوات. وكان ذلك كلُّه من قبيل المناصب المرموقة، فآتاني اعتباراً في المجتمع ونجاحاً مادِّيّاً. ولكنْ في أثناءِ السنين الخمس والعشرين التي قضيتُها كاهناً لم يكن لديَّ فرحٌ روحيٌّ ولا سلامُ النَّفس، حتَّى حالَ قيامي بالشعائر المختلفة. فقد أخذ يتنامى داخلَ نفسي شعورٌ بالظلامِ والخَواءِ متفاقمٌ، إلى أن تأكَّد لي أنْ لا جدوى في تعميد الأطفال، والاعتراف بالخطايا، و"حضور المسيح الفعليّ" في القُدّاس، ولا في أيِّ طقسٍ آخر. ولم أكُن أدري ماذا أفعل. فانصرفتُ إلى التدخين

والشُّرب والأكل وحضور المسرحيّات، ونشاطاتٍ دنيويَّة أُخرى، سعياً منِّي لإسعاد نفسي واختبار السَّكينة. إلاَّ أنَّ شيئاً ما من ذلك كُلِّه لم يقوَ على تلبية حاجة نفسي. فكانت تلك السنون سني عذابٍ وقلقٍ روحيّ، إذ إنَّ ما كنتُ أحتاج إليه حقّاً هو الخلاصُ الأبديّ.

وعلى نحوٍ ما، بدأتُ أصرف انتباهي ناحيةَ الكتاب المقدَّس. فاستحوذت عليَّ آياتٌ معيَّنةٌ، منها: "السماء والأرض تزولان، ولكنّ كلامي لا يزول" (مرقس ١٣:٣١). وتبيَّن لي أنَّ سبب ذلك هو أنْ "كلُّ الكتاب هو موحىً به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ؛ لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهِّباً لكلِّ عملٍ صالح" (**٢**تيموثاوس ٣:١٦و١٧).

والشُّكرُ لِلّه على إدخاله إلىحياتي بعضَ المولودين ثانيةً الذين ساعدوني في دراسة كلمة الله. فقد هَدَوني بواسطة كلمة الله التي هي "سراجٌ لرجلي ... ونورٌ لسبيلي". وهكذا صرتُ مقتنعاً بالسبب الكامن وراء جفاف روحي وخواء نفسي: "كلُّ مَن تعدَّى ولم يثبتْ في تعليم المسيح، فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً" (**٢**يوحنّا ع٩). فمع أنَّني كنتُ متديِّناً، فلم أكُن ثابتاً في تعليم المسيح. إذ ذاك انفتحت عيناي، وعقدتُ العزم على ألاَّ استحيي بتعليم المسيح الموجود في الكتاب المقدَّس، "قوّة الله للخلاص" وحدَه دون سواه. وفي الواقع أنَّ السؤال الأبديَّ والأكثر معنىً ومغزىً هو ما قاله المسيح في متّى ١٦:٢٦ "لأنَّه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالَمَ كُلَّه وخسر نفسه؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟" هذا الآية طنَّت بها أُذناي كما بدا لي.

وبواسطة كلمة الله صرتُ مقتنعاً بأنَّ صيرورة المرء مسيحيّاً يستوجب أكثرَ من المعموديَّة. فمعموديَّة الأطفال، يقيناً، لا تجعل الإنسان مسيحيّاً بالحقّ. ذلك أنَّ الطفل لا يستطيع أن يؤمن ويختبر التبكيت ويعترف بالخطيَّة، ولا يمكنه أن يتّكل على المسيح ويقبله بصفته مخلِّصَه الشخصيَّ. ثُمَّ إنَّ رشَّ الماء لا يتضمَّن ما يشتمل عليه التغطيسُ من رمزٍ إلى موت المسيح ودفنه وقيامته. وما أسرعَ ما

أدركتُ حاجتي الروحيَّة، وتبكَّتُ على خطيَّتي مقتنعاً باحتياجي إلى برِّ المسيح. وإنِّي أحمد الربَّ على إعطائي الجرأة والقدرة على ترك كلِّ شيء ورائي، والاتكال على يسوع المسيح باعتباره مخلِّصي وربِّي شخصيّاً. هذا القرار اتَّخذتُه في الخامس من نيسان (أبريل) ١٩٨٠. وبعدما وُلِدتُ ثانيةً بروحِ الله، ثُمَّ اعتمدتُ بالماء، ملأني الربُّ بسلامٍ إلهيّ وفرحٍ قلبيّ، وأضفى على حياتي معنىً حقيقيّاً. فإذا بِخَواء النفس الذي مرَّرني طويلاً قد تلاشى، وبتُّ أعرف ما معنى أن يصير المرء خليقةً جديدة: "الأشياء العتيقة قد مضت؛ هوذا الكلُّ قد صار جديداً" (**٢**كورنثوس ١٧:٥).

غير أنِّ الشيطان ما كان لِيَدعَني وشأني، فإذا به يجول كأسدٍ يزأر. وقد بدأ يستخدم زبانيتَه لاضطهادي من خلال الهجوم عليَّ لإيذاء جسدي، وعزلي وإقصائي، والافتراء عليَّ. فقد كابدتُ كلَّ ما هو موصوف في المزمور ٦٤:٤و٨و١٢. ولكنْ في أثناء ذلك كُلِّه ظلَّ الربُّ سَنَدي وعزائي وقوَّتي. فهو ما خذلني وما هجرني قطّ. وكلامُه في المزمور ١٠:٢٧ ولوقا ٢٢:٦و٢٣ آتاني ثقةً مضاعفة، وزادني إلهاماً، وفرحاً أيضاً.

وقد باركَني الربُّ بزوجةٍ مولودةٍ ثانيةً (كانت راهبةً مدى اثنتي عشرة سنة). وما زلنا نعيش معاً بالإيمان ونخدم الربَّ منذ زواجنا. وسافرتُ إلى أماكن كثيرة في الهند وخارجَها للكرازة بالحقِّ المختصِّ بقدرة يسوع المسيح المخلِّصة، وللشهادة للربّ أمام الناس في اهتدائي إليه. وزُرتُ عائلاتٍ وأفراداً كثيرين سعياً منِّي للإتيان بهم إلى الربّ. وإنَّه ليَبدو عجيباً أن أُدرك كيف نقلني الربُّ مع عائلتي من مكانٍ إلى آخر في الهند رُغم الاضطهاد. وأخيراً، في السنة ١٩٨٧، يسَّر لي السبيل لاصطحاب أُسرتي إلى أميركا. وسريعاً تولَّى الدكتور "بارت ابْروار"، العاملُ في "الإرسالية إلى الكاثوليك حول العالم"، تعريفنا إلى القسِّيس "تَد دُنكان" المسؤول عن كنيسة "ليبرتي" (الحريَّة) المعمدانيَّة في "سان جوزيه" بكاليفورنيا.

وسأظلُّ أبداً مديناً بعرفان الجميل لهذين الرّجُلين نظير إحساهما إلينا ومساعدتنا روحيّاً، إذ تصرَّفا معنا تصرُّفَ "السامريِّ الصالح".

وقد باركنا الربُّ أيضاً إذ رزقني وزوجتي ابناً وابنةً، "جيمون" و"جِنتومول". وقدِ استقرَّت عائلتنا في سان جوزيه ونحنُ على شركةٍ مع كنيسة ليبرتي المعمدانيَّة. ولمَّا كُنتُ مواطناً كبير السنّ وسيئ الصحَّة، كما أن زوجتي تعوزها البراعة التقنيَّة، فنحنُ نعيشُ في وضعٍ مُذِلٍّ ناجمٍ عن عدم حصولنا على دَخْلٍ ثابت، غير أنَّ اتِّكالنا هو على الربِّ الذي يُلبِّي احتياجاتنا الماسَّة بواسطة أولاد الله إخوتنا في الأُسرة الإلهيَّة الكبيرة.

إنَّ رغبتي المُلِحَّة هي الكرازة بحقِّ كلمة الله وتقديم شهادة اهتدائي أمام الجميع. ولا غِنى لنا البتّة عن مؤازرة إخوتنا وأخواتنا في المسيح بالصلاة والإعانة!

(الكاهن المولود ثانيةً: سيمون كُتُّور)

لم أكُن قدِ اهتديتُ
إلى الله شخصيّاً
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً
"هِرمان هِغَّر"

كثيراً ما سمعتُ في صِغَري القولَ إنَّ واحدةً من أفضل الطُّرُق للنجاة من الجحيم الأبديّ هي دخول الدَّير. وعقدتُ عزمي على العمل بهذه النصيحة.

يُراد بحياة الرهبنة تنشئةُ إرادةٍ قوِّية وتمكينُ المرء من السيطرة على جميع الأهواء والشهوات. وفي الدَّير الذي دخلتُه مورست أشكالٌ شتّى من العذاب البدنيّ في سبيل الحُصول على مثلِ تلك الإرادة. فكنّا نجلد أنفسنا بضع مرّاتٍ في الأُسبوع، فنضربُ أجسادنا العارية بحبالٍ ذات عُقَد. وفي رُغم الألم المبرِّح، قيل إنَّ تحمُّل الجَلْد بهدوء يُنيلُنا قوّةً لمقاومة كُلِّ ميلٍ حسِّيٍّ أو جسديّ. كما قيل لنا أيضا إنّ جَلْدنا لأنفسنا يمكّننا من التكفير عن الخطايا التي سبق أن ارتكبناها، ويُقصِّر تالياً فترة عذابنا المستقبليّ في المطهر. وقد لبسنْا حول خصورنا وأفخاذنا وأذرعُنا حلقاتِ إماتةٍ ذاتَ مساميرَ تنغزز في لحمنا. كذلك مورِست أيضاً أنواعٌ كثيرةٌ أُخرى من "التأديب البدنيّ".

وإلى جانب العذابات التي كُنّا نُنـــزِلها بأنفسنا، كانت لنا أيضاً أنواعٌ أُخرى من ممارسات الإذلال الهادفة إلى إخماد كبريائنا وغرورنا. ومن هذه الممارسات المُعتادة أن ينطرح كاهنٌ على أرضيَّة ممشى بحيث يدوسُه الكهنة الآخرون وهُم مارُّون. وكُلَّما فعلتُ ذلك، كنتُ أشعر بأنَّي أُشبِه دودةً يدوسُها

الناس، ولكنْ خُيِّل إليَّ أنَّ اللهَ لا بُدَّ أن يكون راضياً عنِّي كثيراً نظير هذا الإذلال الذاتيِّ الطَّوعيّ.

وقد انطوى أسوأُ نوعٍ من الإذلال على تنظيف قسمٍ من أرضيَّة الدَّير لحساً بالألسُن. وحين كنتُ أفعلُ ذلك، كان يُساوِرني شعورٌ بأنَّني مثلُ حيوانٍ، أو خنـــزير يتمرَّغ في الوحلَ أو كلبٍ يتشمَّم الأرض. بل إنَّني كنتُ أشعر أحياناً بأنَّني أُشبِه حشرةً تزحف في التُّراب.

ولكنْ، مهما عاقبتُ نفسي وأذلَلْتُها، لم أتمكَّن من ملاحظةِ أيِّ تغيُّر أو تحسُّن في أخلاقي أوتصرُّفاتي. وإنَّما تبيَّن لي فقط أنَّ طبيعتي الضعيفة والأثيمة كانت حيَّةً وناشطةً جدّاً. فمثلاً، حين كنتُ ألحس الأرض لتنظيفها، حينئذٍ بالذات كانت تثورُ فيَّ أقوى مشاعر الغرور والكبرياء. فكنتُ أقول لنفسي: "يا لكَ من رجُلٍ عظيم! ما أقوى الإرادة التي تمتلكها! إنّك تُنـــزِل بنفسك هذه الآلام المُذلّة والمبرِّحة. فما أروعَك!" وتبيَّن لي أنَّني بتلك الممارسات الباطلة إنَّما كنتُ أنفخ ذاتي بالكبرياء. والحقُّ أنَّ حياة الدَّير هي مجهودٌ شريفٌ مصيرُه الفشل الحتميّ. وذلك لأنَّ الراهب أو الكاهن يصطحب إلى المحبسةِ طبيعته الخاطئة.

وبعد سبع سنين من الخدمة كاهِناً، رُقِّيتُ إلى رتبة أُستاذ فلسفة في معهدِ لاهوتٍ كاثوليكيٍّ بالبرازيل. على أنَّ شكوكاً خطيرة كانت قد بدأت تتولَّد فيَّ.

في أحيانٍ شتَّى كنتُ أقرأُ في الكتاب المقدَّس، وأسأل نفسي: "هل كنيستي عاملةٌ حقّاً بمُقتضى هذا الكتاب؟" فالكتابُ المقدَّس ينصُّ صراحةً على أنَّ الوسيط الوحيد بين الله والناس هو يسوع المسيح الذي أدّى عنّا عقوبة الخطيَّة وأبعدها منّا على صليب الجلجثة. غير أنَّ كنيستي علَّمت بوجود عدّة وسطاء، ولا سيَّما مريم "وسيطةِ كُلِّ النِّعم". كذلكَ بدأتُ أشكُّ في إعطاء الله البابا سلُطةً وقُدرة معصومتَين على تفسير الكتاب المقدَّس، وفي أنَّ من واجب كلِّ مسيحيٍّ أن يقبل رأي البابا. فهل يُعقَل أن يكون صحيحاً الزَّعمُ بحيازة البابا سلطاناً مُطلقاً يُخوِّله الهيمنة على الكتاب المقدَّس والنَّصَّ من جديدٍ على كلماتِه الصريحة؟

وإذ قامت في قلبي شكوكٌ من هذا النَّوع، اتَّضح لي أنَّه لا يُمكِنني البقاءُ كاهناً في الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة. وقد بلغ "الموتُ الحَيُّ" في الدير نهايتَه عندي. فخرجتُ من حياةٍ ملؤها الظِّلالُ والمظاهر الباهتة إلى عالمٍ خلاّبٍ بحقيقته تيسَّر لي فيه أن أتنفَّس بحريَّة في آخِرِ الأمر. إذ تخلَّيتُ عن وظيفتي أُستاذاً وتركتُ الكنيسة الكاثوليكيَّة، طارحاً جانباً ردائي الكهنوتيَّ الذي طالما كان يُعرِّقني في حرارة البرازيل الاستوائيَّة، منطلقاً بحريَّةٍ وتخفُّفٍ وأنا مُرتدٍ قميصي القصير الكُمَّين، ولكنَّني في قرارة نفسي كنتُ ما أزال أحملُ عبءَ ذنوبي الثقيل.

كنتُ حُرّاً من الخارج، ولكنْ في الداخل لم يقرَّ لي قرار، لأنَّ نظري كان قد زاغ عن الله كُلِّيّاً. وقد تلقَّيتُ عوناً كبيراً من كنيسة "إنجيليَّة" في "ريو دي جَنيرو"، وهي كنيسةٌ محليَّة ركَّز المؤمنون فيها حياتَهم على تعاليم الكتاب المقدَّس وحدَها. فإنَّ عطفهم عليَّ آزرني كثيراً جدّاً، إذ أمدُّوني بثياب مدنيَّة لم يكن في جيبي مالٌ لشرائها، كما وفَّروا لي مأكلاً ومأوىً؛ وسأبقى دائماً عارفاً بجميلهم. غير أنَّ أكثر ما أسرني كان وعظُ خادمهم، وقد كان جديداً عليَّ تماماً أن أسمع تفسيراً للكتاب المقدَّس من ذلك النوع. ولكنْ، أيُعقَل أن يُساعِدَني واعظٌ غيرُ كاثوليكيّ؟

طبعاً، كنتُ قد سمعتُ مراراً، في أثناء دراستي اللاهوتيَّة وممارستي الكهنوتيَّة، بتعاليم تلك الكنائس، الزائفةِ كا يزعمون، ولكنَّني ما فهمتُ قطُّ حقيقة ما تُعلِّمه.

وفي "رِيو دي جَنيرو" سمعتُ ذلك الواعظ يَشرح أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يُخلِّص نفسه، ولا أن يستحقَّ دخول السماء، بأيِّ مجهودٍ يبذله لأنَّه هالكٌ كُليّاً ولا رجاء له في ذاته. وكان في وسعي أن أوافق على ذلك كلِّه، لأنَّني شخصيّاً قد اختبرتُ بكلِّ يقينٍ عجزي عن تغيير نفسي. فعلى الرُّغم من أعظم المجهودات، وفروضِ التوبةِ من كلِّ نوع، لم أُوفَّق لأنْ أصير شخصاً مختلفاً. ثمَّ أردف الواعظ فبيَّن أنَّ للتحرُّر من الخطيَّة طريقاً وحيداً، وهو أن يمنحنا الله صفحاً

كليّاً وحياةً جديدةً مجّاناً بنعمته. وأوضح كيف ينبغي الحصول على هذا الاختبار مباشرةً من يد المسيح الذي يَهَبه مجّاناً وبكلِّ يقين لجميع الذين يسلِّمونه أنفسهم بثقةٍ كاملة.

وجدتُ ذلك، في الأوَّل، أمراً يصعب تصديقُه، إذ كان شبهَ حكايةٍ من حِكايات الجِنّ، جميلاً جدّاً بحيثُ لا يُعقَل أن يكون صحيحاً. كان في وسعي أن أعيَ جمالَ تسليم النفس للمسيح. وقد بدا لي رائعاً ومُدهشاً، إلاّ أنَّه في الوقت عينه بدا سهلاً ورخيصاً للغاية. فبصفتي كاثوليكيّاً، كنتُ أعتقد أنّ الخلاص هو أصعبُ أمرٍ في الحياة، إذ هو مسألةُ جهادٍ مستميت لاستحقاق الحُظوة لدى الله. ولكنَّني آنئذٍ بدأتُ أفهمُ ما يُعلِّمه الكتاب المقدَّس حقّاً. بل، إنَّ الخلاص لهو أصعبُ أمر في العالم، وينبغي أن نغدو مستحقِّين له بالطاعة الكاملة لجميع مطالب ناموس الله، وبعبارةٍ أُخرى: بالبراءة من الخطيَّة كُليّاً. لكنَّما الحقيقةُ المُذهِلة هي أنَّ الربَّ يسوع المسيح، ابن الله، هوَ وحدَه من وفى بتلك المطالب كُلِّها، وهو يُضفي علينا برَّه إن نحنُ وثِقْنا به.

وفي الأخير حصل التغيُّر الكُليُّ العجيب. إذ فتحت نفسي ذاتها كُليّاً لتستقبل المسيح بثقةٍ كاملة. وأُتيح لي أن أرى أنْ ليس اليهود مَن صلبوا المسيح، بل أنا؛ وهو قد حمل خطاياي وأبعدها عنِّي. وهكذا أشرقَ على حُطام حياتي السابقة نورٌ عارمٌ باهر.

ألفَيتُ نفسي أمامي كمدينةٍ دمَّرتها القنابل، وأخذَ فيَّ الكربُ الشديد إذ رأيتُ الخطيَّة المتغلغِلة في كياني كُلِّه. ولكنَّني، فوق كومة الدَّمار، أدركتُ وتيقَّنتُ أنَّ المسيح قد غفر لي خطاياي، وصيَّرني مسيحيّاً حقيقيّاً. إذ ذاك صرتُ شخصاً جديداً.

لقد عبَّر المسيح عن العلاقة بينه وبين المسيحيِّين الحقيقيِّين بهذه الكلمات: "أمّا أنا فإنِّي الراعي الصالح، وأعرف خاصَّتي، وخاصَّتي تعرفني" (يوحنّا١٠:١٤). وقد بدأتُ حياةً جديدة مختبراً الشعور الكُليَّ بالعلاقة الوثيقة بالله على نحوٍ لم

أعرفه يوماً طيلةَ السنين التي قضيتُها كاهناً كاثوليكيّاً. فإذا بالناموسيَّة الميّتة المميِّزة لكنيسة روما قد باتت ورائي، فيما المستقبلُ الممتدُّ أمامي ينطوي على علاقة حيَّة شخصيَّة بإلهنا العجيب.

(الكاهن المولود ثانيةً: هِرمان هِغَّر)

الحياة تبدأ بالنسبة إلى كاهنٍ يسوعيّ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"خوسيه ريكو"

في الخامس عشر من نيسان (أبريل) ١٩٥٦، وصلتُ آمناً إلى شطِّ السلام مع الله بواسطة ربِّنا يسوع المسيح، بعد ثماني عشرة سنة من المخاطرة المستمرّة بتحطُّم سفينة الحياة في خضمِّ الكهنوت الكاثوليكيّ.

وكان من أسباب مغادرة مسقط رأسي في اسبانيا دعوةُ الأساقفة الأميركيِّين لمجابهة المدِّ البروتسنتيِّ في أميركا اللاتينيَّة. وفي نفسِ الاسبانيّ أمرٌ فطريٌّ يحرّكه للتصرُّف غريزيّاً على نحوٍ مُناهض للبروتستانتيَّة. فمِن حُكم شارل الخامس وفيليب الثاني فما بعد، يحفل تاريخُ اسبانيا بكثيرٍ من الأحداث المتعلِّقة بالدين: حروب وقوانين إيمان ومحاكم تفتيش. وكلُّ ما يُشكِّل جزءاً من الحياة الاسبانية "الدونكيخوتيّة" يبلغ قمَّة التطرُّف في بغضته للبروتستانت. فحينما أبلغ البابا الاكليروسَ الاسبانيَّ أن أميركا اللاتينيَّة هي الحقل الإرساليُّ للكهنة الاسبانيِّين، تلقَّيتُ بذلك دعوةً واضحةً جدّاً. وقد عزّزت هذا السببَ رغبتي في الخدمة في ذلك الجزء من العالم الذي أحببتُه مع أنَّني لم أرَه، لأنَّه كان أغلى مناطق إمبراطوريَّتنا الغابرة.

وسرعان ما أدركتُ أنَّ أميركا اللاتينيَّة عالَمٌ مختلفٌ وجديدٌ من كُلِّ وجه. ففي ساو باولو بالبرازيل، ثم في الأرجنتين، وأخيراً في التّشيلي، رأيتُ الكنيسة البروتستنتيَّة إلى جانب الكنيسة الكاثوليكيَّة، مُطالِبةً بحقِّها في أن يُعترَف بها

اجتماعيّاً. ومن وجهة نظري المتحاملة، شعرتُ بأنَّ في ذلك تعدِّياً وعسفاً لا يُحتملان. غير أنَّ العناية الإلهيَّة كانت على وشك إنارة ذهني بشأن ذلك كُلِّه.

نزلتُ في "أنتوفوغَستا" التشيليَّة، حيثُ أُتيحت لي فُرَصٌ ممتازة لممارسة أفكاري المُضادَّة للبروتستنتيَّة من موقعي كاهناً في الكاتدرائيَّة. وكنتُ على أُهبة البدء بمعركتي لّما أخذت بعض المطبوعات الإنجيليَّة تصلُني تباعاً. فقرأتُها بازدراء. ولاحقاً قرأتُ بعض الكتب البروتستنتيَّة التي كنتُ قد تجرَّأتُ على الاحتفاظ بها في مكتبتي الخاصَّة. وإذا بتيّارٍ من العطف قد أخذ يحلُّ شيئاً فشيئاً محلَّ المقت الشَّديد الذي كان يعتمل في داخلي حتّى ذلك الحين من نحو البروتستانتيَّة. فتبيِّن لي بجلاء أنَّ البروتستانتيَّة ليست ما تُنعت به، ولا هي ما يُعلَّم به من جهتها، في قاعات التعليم اللاهوتيِّ الكاثوليكيَّة. فإنَّ تلك الكتب الإنجيليَّة كانت تنطوي على تعليم عميق مستمدٍّ من أسفار الكتاب المقدَّس. ولم أرَ بينها وبين الكتب الكاثوليكيَّة فرقاً ملحوظاً سوى خلوِّها من "دمغة الترخيص" التي تُمهَر بها الكتب التي تحظى بموافقة روما. ولكنَّ حياة المؤمنين الإنجيليِّين، كما لاحظتُ، كانت تختلف اختلافاً بيِّناً عن حياة الكاثوليكيِّ العاديّ. وكم تمنَّيتُ لو يعيش أبناء رعيَّتي المؤمنون حياةً مستقيمةً أدبيّاً وخُلقيّاً على غرار أولئك البروتستانت الممقوتين.

وقدِ انتقلتُ من التّشيلي إلى "بُوليفيا" بفعلِ ظروفٍ غير متوقَّعة. فبعدَ بضعةِ أشهُر عُيِّنتُ في منصبٍ مرموق إذ صِرتُ المُرشِد الأعلى لمنظَّمة الطلاّب الكاثوليكيَّة المعروفة باسْم "جيٍ إي سي". وقد تمَّ تعييني وجرى توقيعُه بيد رئيس أساقفة "لاباز". فتيسَّر لي الاحتِكاك بخيرةِ أهلِ بوليفيا، أعني بشبيبتها الرائعة في حركة "جي إي سي". وكان هؤلاء يفيضون حيويّةً وحماسةً، فشكّلوا قوّةً مُتعاظمة داخل صفوف "العَمَل الكاثوليكيّ". عندئذٍ عوَّقت مسؤولياتي الكبيرةُ حيناً التطوُّرَ الإيجابيَّ الذي كان قد بدأ داخل نفسي تجاه الإنجيليِّين. غير أنَّ الله أكمل العمل الذي سبق أن شرع فيه، فأُتيحت لي الفُرصة لمقابلة بعض المبشِّرين الأقوياء، فضلاً عن التعرُّف بالمزيد من كُتبهم ونشراتهم الدينيَّة.

بات إيماني وكهنوتي الكاثوليكيّان على شفير الهاوية، وأردتُ أن أبذل جهداً فائقاً لإنقاذهما. ألا يُعقَل أن يكون ذلك كلَّه تجربةً شيطانيَّة من قبيل الحالات المماثلة التي سمعتُ بأمرها؟ كتبتُ كتاباً عنوانه "الكاهن والجمهور"، لم أنشره لكنّه حظي بالتصديق الرسمِّي من قِبَل الأُسقفيَّة. وقد توجَّهتُ نحو الرسالة إلى العبرانيين أستلهمُها في كتابة ذلك الكتاب، فلم أجد فيها الكهنوت الكاثوليكيَّ الذي كُنت أبحث عنه. إذ إنَّ الكاهن الوحيد الذي تتحدَّث عنه الرسالة كان يسوع المسيح الذي "قد أُظهِر مرّةً عند انقضاء الدُّهور ليُبطِل الخطيَّة بذبيحة نفسه" (عبرانيين ٩:٢٦). ثُمَّ إنَّني قرأت في عبرانيين ١٠:١٧و١٨ عن استحالة تقديم قُربانٍ آخرَ عن الخطيَّة. فكيفَ يُعقل أن يُكرَز من على المنابر الكاثوليكيَّة بأنَّ القُدّاس هو الإحياءُ غيرُ الدَّمويِّ لذبيحة الصليب بعينها، فيما تُعلِّم هذه الرسالة استحالة تكرار ما فعله المسيح مرَّةً واحدةً وإلى الأبد؟ وما قيمة الذبيحة غير الدمويّة ما دام الكاتب يؤكِّد أنْ "بدونِ سفك دمٍ لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩:٢٢)؟ لهذا السبب يقولُ الكاتب إن الكاهِن الأعلى الأزليَّ المرتبط بالعهد الجديد، بعد إتمامه عمل الفداء الأبديّ، صعد إلى العلاء حيثُ يشفع فينا الآن أمام الله (عبرانيين ١:٣؛ ٧:٢٥). حتّى إذا فرغت من دراسة الرسالة إلى العبرانيِّين، شعرتُ أنَّ يداً غير منظورة وكليَّةَ القُدرة خلعَت عنِّي ثوبي وجرَّدتني من خُلُقي الكهنوتيِّ. فالكهنوت الوحيد الموجود هو ذاك الذي يذكره الرسول بطرس إذ يقول: "كونوا أنتم أيضاً مبنيِّين -كحجارة حيَّة- بيتاً روحيّاً، كهنوتاً مقدَّساً، لتقديم ذبائح روحيَّة مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١بطرس ٢:٥). وهو عينُه المشار إليه في الرسالة إلى العبرانيِّين: "فلنقدِّم به في كلِّ حينٍ لِلّه ذبيحةَ التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه" (١٣:١٥).

ثُمَّ تبيَّن لي بُطلانُ القولِ بالمطهر وعدمُ جدواه، ما دام الكاتب عينُه يقول بمُنتهى الدقَّة إنَّ يسوع المسيح هو "مطهرُنا"، بتقديمه حياتَه على الصليب: "بعدما صنع بنفسه **تطهيراً** لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين ١:٣).

فإن كان المسيح يطهِّر خطايانا، فكيف يُعقَل أنَّ النفوس المخلَّصة الآن ينبغي أن تذهب إلى المطهر كي تتطهَّر؟ أيُّ مطهرٍ هذا الذي لا يذكره الكتاب المقدَّس مرَّةً واحدة ومع ذلك يتمسَّك به الكاثوليك؟

بعد ذلك لم يعوزْني إلاَّ الفرصةُ المؤاتية لبلوغ الهدف الذي لاح لي واضحاً جدّاً من بعيد. ثُمّ تدخَّل الله إذ عرَّفني بقسِّيسٍ شابٍّ اقترن ذكاؤه الفطريُّ بمحبَّةٍ لله عميقة، ومعرفةٍ للكتاب المقدَّس فائقة للمعتاد. ذلك هو "صموئيل يشوع اسْمِث"، وقد كان مدير مؤسَّسة الكتاب المقدَّس الهنديَّة في "لاباز". وكان ذاك هو أوّلَ لقاءٍ شخصيٍّ لي "بهرطوقيّ". وبفضل محادثته لي، استنار ذهني وتبدَّدت شكوكي واستراح قلبي، بل غدا شُجاعاً إلى أبعد الحدود.

وفي اليوم التالي، زرتُه مجدَّداً، وفي نهاية لقائنا قال: "ماذا يؤخِّرك عن قبول المسيح مخلِّصاً لنفسك وحيداً وكُليَّ الكفاية؟ "فشعرتُ بقلبي يذوب بغبطةٍ سماويَّة غمرتني واجتاحت كياني كُلَّه، فيما فاضت دموعي على خدَّيَّ. ولم أكُن في حاجةٍ لأكثرَ من إعلانِ خضوعي قائلاً: "لقد قبلتُه باقتناعٍ كُلِّيٍّ!"

هكذا صار المسيح مخلِّصي "الوحيد" لأنَّ أحداً غيره لم يمُت على الصليب عوضاً عنِّي. كذلك صار هو مخلِّصي "الكُليَّ الكفاية"، لأنَّ دمه قادرٌ كُلِّيّاً على تطهير نفسي من خطاياي. وكم أخفقت إخفاقاً ذريعاً الطقوسُ والشعائر، وتقاليدُ روما البشريَّةُ، في تطهير النفس أمام الله! عندئذٍ فقط أدركتُ معنى قول المسيح: "أنا هو الطريق والحقُّ والحياة: ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يوحنّا ١٤:٦). فالتمستُ المغفرة لتيهاني سنين كثيرةً جدّاً في سُبُل الضَّلال، وعقدتُ العزم على السير في ذلك **الطريق** وحده، تابعاً الرّبَّ يسوع دون سواه.

منذ تلك اللحظة عرفتُ نفسي خليقةً جديدةً في المسيح يسوع (**٢**كورنثوس ٥:١٧). وأدركتُ في الوقتِ عينه أنَّ الله قد برَّرني، ورفع عن قلبي حملَه الثقيل الذي كان رازحاً تحته حتَّى ذلك الحين. أجل، لقد انتقلتُ "من الموت إلى الحياة".

وقد انبغى لي أن أبقى شهرين بعد مواصلاً نشاطاتي العاديَّة في الكثلكة. إذ كان ذلك ضروريّاً لتقويم جميع التفاصيل قبل قيامي بخطوةٍ محدَّدة. لكنَّ ذينك الشهرين كانا أكثر أيّام حياتي ظلاماً، حتَّى قطع الله في الأخير الحِبال التي طالما قيَّدتني. فذاتَ عصرٍ مُشمِس، وصلتُ إلى الكنيسة الإنجيليَّة في "ميرافلورِس" بلاباز، حيث خلعتُ ردائي حالاً، ولبستُ ثياباً مدنيَّة، وجلستُ أتناول فنجان شايٍ مع الإخوة، متجاذِباً معهم أطراف حديثٍ روحيٍّ بسيطٍ حميم، شاعراً كأنَّني أعرفهُم منذ زمن بعيد.

على هذا النحو انسدلت الستارة التي وضعت حدّاً للمأساة التي عشتُها طيلة ثماني عشرة سنة في الكهنوت.

(الكاهن المولود ثانيةً: خوسيه ريكو)

اتِّباع المسيح
بِلا مساومة
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً
"فيكتور جون أفُّونسو"

لماذا التحقت بجمعيَّة يسوع

في الثالثة والعشرين من عمري، كنتُ فنّاناً تجاريّاً محترفاً وناجحاً على أُهبة السفر إلى الخارج للإقامة الدائمة حيث ينتظرني عملٌ واعد. وكنتُ سعيداً لتمكُّني من مغادرة الهند بحيثُ يُتاح لي أيضاً أن أتفادى من الانزعاج الرهيب الذي تُثيره في داخلي رؤيةُ بؤس الفقراء في شوارعنا.

لقد أخفق المُنقِذون السياسيُّون، أمثال غاندي ونهرو، في منح الفقراء، الذين يشكِّلون أغلبيَّة سُكّان الهند، الحريَّةَ والعدالة الحقيقيَّتين. فالقتل والانقسامات اكتسحتِ الهند "المستقلَّة"، وما تزال الحالُ على هذا المنوال حتّى يومنا. وما كانتِ الأعمالُ الاجتماعيَّةُ كلُّها إلاَّ نقاط ماء قليلة في صحراء شاسعة. ولكنَّ حلاًّ واحداً بعدُ كان باقياً؛ فإنَّ كلمات المسيح "أنَّ **كُلَّ** شيءٍ مُستطاعٌ عند الله" (مرقس ١٠:٢٧) ظلَّت تطرق مسمعيَّ دائماً عند الصلاة. إذاً، "لا تهرب!" وفي يومٍ آخر سمعتُ هذه العبارة: "اِتبعْ ابني، يسوع!" هذه العبارة حملتني في الأخير على ترك العالم والانضمام إلى "جمعيَّة يسوع"، وهي أخويَّة إرساليّة وعدت -من خلال اسمها ورياضاتها الروحيَّة ودستورها- بأنّ تخدم المسيح مهما كان الثمن، وبأن تقتاد جميع الناس إلى معرفته واختبار سلامه وعدله ...

ولّما التحقت بتلك الجمعيَّة، كانت رؤياي أن أعرف المسيح معرفةً وثيقة، وأن أدرس كلمته وأُطيعها، متحرِّراً من كُلِّ عائقٍ جانبيّ، كي أتبع يسوع بِلا مساومة، فتخلّيتُ حتّى عن فتاةٍ كنتُ أُحِبُّها. ومثلَ الرسول بولس، كانت رغبتي أن أكرز بالإنجيل وأُحضِر الهند إلى المسيح. فقد آلمني شقاء الهند، وراودني الأمل بأنّي، وآخرين من المسيحيِّين المكرَّسين تماماً، أستطيع المساعدة في اقتياد أهل الهند إلى المسيح حتّى يُخلَّصوا روحيّاً واجتماعياً ويعيشوا حقّاً عيشة أولادِ الله. عندئذٍ فقط يتيسَّر للهند أن تختبر عناية الآب وعدالته الكاملتين نحو شعبها المعذَّب.

وحين درستُ عِلمَ التواصُل لاحقاً، بعد أن صرتُ كاهناً يسوعيّاً، وعلَّمتُ في كليَّة القدِّيس زافييه، كان ذلك كُلُّه في سبيل الغاية نفسها: أن أُقدِّم الإنجيل لأهلِ الهند. وكم أشكرُ الله اليوم ليس فقط على بقاء تلك الرؤيا لأجل الهند بل أيضاً على كونها أكثرَ نبْضاً بالحياة وأقربَ إلى التحقُّق. فهذا هو إيماني إذ أرى يسوع المسيح ماضياً في إنجاز نُصرته التي سبق أن أحرزها، من خلال "قطيعه الصغير" المكوَّن من عامَّة الناسِ، المولودين ثانيةً" والمؤيَّد بقوَّة روحه القُدُّوس. هؤلاء هم حقّاً جسده المنظور على الأرض، نواةُ الكنيسة المسيحيَّة الحقيقيَّة. وتفيدنا كلمةُ الله أنَّ الله نفسه، بيسوعَ المسيح، سوف يُحقِّق أخيراً بسيادته المطلقة قصدَه من جهة الأرض إذ "يُخرِج الحقَّ للأُمم ... إلى الأمان يُخرِج الحقّ. لا يكلُّ ولا ينكسر حتّى يصنع الحقَّ في الأرض" (إشعياء ٤٢:١،٤).

"لأنَّه فيه [أي في المسيح] سُرَّ أن يحلَّ كلُّ الملء، وأن يُصالِح به الكُلَّ لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته؛ سواءٌ كان ما على الأرض، أم ما في السماء" (كولوسي ١:١٩و٢٠).

وعليه، فعندما يتمُّ ذلك، يعود لِلّه -بيسوع المسيح- **كلُّ** الحمد والمجد لأجل إنقاذ شعبنا. فما الناس إلاَّ عبيدٌ بطّالون وغير مستحقِّين. فعند الناس، لا يُستطاع إنقاذ الفقراء، "ولكنْ عند الله كلُّ شيء مُستطاع" (متّى ١٩:٢٦)، على أن نؤمن فقط بذاك الذي أرسله، أي بالمسيح.

وقد بدا لي، في أثناء زمن دراستي الذي بلغ أربعة عشر عاماً أنَّ رؤسائي وزُملائي اليسوعيِّين يُشاركونني أيضاً في الرؤيا عينها، وقد كرَّسوا الحياة للهدف عينه، ألا وهو معرفة يسوع وخدمتُه، وإعلانُه للعالم أجمع كي يصير الناسُ تلاميذ له ... وكنتُ أيضاً واحداً من أولئك اليسوعيِّين القليلين الذين حَظُوا بامتياز السفر والإقامة في الخارج لمتابعة دروسهم، وكانت لهم حريَّة التصرُّف بمسؤوليَّة. فمن الناحية البشريَّة، شعرتُ بتحقيق الذات والرضى. إلاَّ أنَّ أمراً بالغ الأهميَّة كان ينقصني، إذ لم أستطِعْ أن أُشبِع جوعَ قلبي إلى اختبار يسوع المسيح، الربِّ القائم حيّاً من الموت، كما اختبرَه الناسُ البُسطاء العاميُّون و"عديمو العِلم" في كنيسة القرن الأوَّل، زمنَ الرُّسُل، على ما جاء في الكتاب المقدَّس ...

بحثي ومِحنتي

في أوائل ستِّينيّات القرن العشرين وسبعينيّاته، حينما كنتُ أدرسُ في الخارج، أقمتُ على التوالي في الفيليبين وعدّة بلدانٍ أُوروبيَّة، ثمَّ في الولايات المتّحدة الأميركية. وقد شهدتُ رحيلَ الناس عن كنائس روما الكاثوليكيَّة وإخلاءَها في أوروبا في أثناء الستِّينيّات، حينما كنتُ أدرس في اسبانيا. إذ إن ستَّةً بالمئة فقط كانوا يحضرون قُدّاس يوم الأحد. ولاحقاً في "لوس أنجِلِس" بالولايات المتّحدة الأميركيَّة، رأيتُ الحياة ذات الوجهين لدى الكاثوليك الأحَديِّين، بِمَن فيهم أنا والكهنة والراهبات الآخرون. ومن ثَمَّ فحصتُ مسيحيِّتي، المُستورَدة من الغرب، مُسائلاً نفسي هلِ المسيحُ والكتابُ المقدَّس حديثُ خُرافةٍ وقفتُ له حياتي عبثاً.

لم أكن قد تعرَّفتُ بأيَّة كنيسةٍ أُخرى غير كنيسة روما الكاثوليكيَّة، حيثُ جرى غسْل دماغي فبتُّ أعتقد أنَّها هي الكنيسة الحقيقيَّة الواحِدة والوحيدة والتي ليس من خلاصٍ خارجَها. وكان المجمع الفاتيكاني الثاني قد خفَّف من حدَّة هذا التشديد، إنَّما على نحوٍ ضئيل جدّاً. فلئن كان البروتستانت قد صاروا يُسمَّون "إخوةً" وكنائسُهم تُدعى "تجمُّعات كنسيَّة"، فإنَّهم ما زالوا يُعامَلون باعتبارهم

"هرطوقيِّين" وما برحت كنائسهم تُعَدُّ غير كاملة، باعتبارها "مقطوعة". وهكذا بقيتُ مناهضاً للبروتستانت، وتحاميتُ الاحتكاك بتعاليمهم الهرطقيَّة وبرامجهم التلفزيونيَّة. وفي المُقابل، حثَّني يسوعيُّو الهند على زيادة الانفتاح تجاه غير المسيحيِّين، من هندوسٍ ومسلمين، حتّى إنَّهم دعَوهم "أولاد الله" وليس "ذرِّيته" فحسب، وحرَّضوني على دراسة دياناتهم وتقديرها في سبيل الحوار الإيجابيّ، معتبرين أنها تهدف إلى تخليص الإنسان.

ولّما كنتُ أدرسُ في كاليفورنيا، عام ١٩٧١، أحاط بي جوٌّ حافلٌ بالهيبيِّين والغُورو (معلِّمي الهندوس) والمخدِّرات والطلاق ونشْدان المتعة الجنسيَّة والانحرافِ والشذوذ. ولم تُفِدِ "الخُطاةَ" في شيءٍ جميعُ جلساتِ الإرشاد النفسانيّ التي عقدتُها والصلوات التي أقمتُها. فشعرتُ بأنَّني بِلا حَولٍ ولا قوّة. وكان آلاف الكهنة والراهبات حينذاك يتركون الكنيسة في بُلدانِ الغرب. فيما عكف آخرون، شأنُهم شأني، على التخصُّص في التواصل والإرشاد النفسانيّ، أو البرامجِ الاجتماعيَّة، تسويغاً لدعوتنا الكهنوتيَّة الساعية إلى تخليص العالم بأيَّةِ وسيلةٍ أُخرى من دون "قوّة" يسوع الروحيَّة.

في أواخر العقد الرابعِ من عمري، كان قد مضى على صيرورتي يسوعياً زمنٌ مدّتُه سبعة عشر عاماً، وكنتُ أحمل بضع شِهاداتٍ جامعيَّة، و"البطاقةَ الخضراء" التي تسمح لي بالإقامة الدائمة في الولايات المتّحدة الأميركيَّة. ففكَّرتُ في ترك الكهنوت العاجز وغير المشوِّق، أُسوة بتارِكيه الآخرين. ولكنْ، في حال وجود سماءٍ ودينونة، أبقى كاثوليكيّاً أحَديّاً وأدفع مساهمتي في ضماني السماويّ. فحسبَ الظّاهر، كُنتُ في نظر الكاثوليك ذلك الكاهنَ الشعبيَّ النشيط و"السعيد" الذي يدرس السينما والتلفزيون في جامعة كاليفورنيا بلُوس أنجِلِس، والذي يعيش "حياة رخاء" في كنيسة القديس مارتن التُّوريّ في "ابْرَنتْوود" قُرب "بفرلي هِلْز" و"هوليوود". وقد خالطتُ نجومي المفضَّلين في حفلات أُنسِهم، ولم أشعر قطُّ بأيِّ تمييز عنصريٍّ من قِبَل تلك الرعيَّة المقتصِرة على "البِيض". بل شعرت، على

العكس، بأنّني محبوب، كما شعرتُ بسعادةٍ غامرة علىالصعيد المادِّيّ. وبضميرٍ صالحٍ، لكنْ مخدوعٍ، آمنتُ أيضاً بالأبراج، وعلّمتُ شبّاناً أميركيِّين تمارين اليوغا في حَرَم الجامعة، ولم أعرف قطُّ أنَّ الكتاب المقدَّس يَنهى عن أنشطة التنجيم والسِّحر التي كنتُ قد غُصتُ فيها، حتّى بتُّ في حاجةٍ إلى العون.

وعلى غير علمٍ منِّي، كان بعض الكارزماتيِّين الكاثوليك وغيرهم من المؤمنين، مِمَّن هاجمتُهم في الوعظ ناعِتاً إيّاهم بأنَّهم "متعصِّبون" بروتستنتيُّون وقدِّيسون "مُترنحِّون"، يصلُّون لأجلي كي يُنقذني الربُّ من ضلالي. ولقد صلَّوا بقوَّة حتّى تلقّيتُ نعمةَ الوصول إلى نقطةٍ من الارتباك واليأس بشأن إيماني ودعوتي، وصرختُ إلى الربِّ قائلاً: "أللهمَّ أَرِني إن كُنتَ حقيقيّاً، وإن كان يسوع هو ابنَك، والكتاب المقدَّس كلمتَك."

إهتدائي

عامَ ١٩٧٢، وبالتحديد في "أحد العنصرة"، خلَّصني الربُّ على نحوٍ دراميّ. فقد حضَّرتُ موعظةً عن الروح القدس، ناوياً أن أُلقيَها في خمسة قداديس متتالية في "ابْرَنْتْوود" وأنا غيرُ مؤمنٍ بما أعِظه.

ولكنَّ ظهري تصدَّع باكراً في ذلك الصباح، أوّلَ مرَّةٍ في حياتي، فلم أعظ. ونقلتني سيّارة إسعافٍ على جناح السرعة إلى مستشفى القدِّيس يوحنّا. وقد شَخَّص جرّاحُ عظامٍ كبيرٌ حالتي الخَطِرة بأنَّها التواءٌ منذ الولادة في العمود الفقري. وبينما كنتُ منطرحاً على ظهري بلا حراك، متألِّماً ومرتبكاً، رتَّب الربُّ أن يعودَني في غُرفتي بعضُ الكارزماتيِّين وأن يُصلُّوا عليَّ. فعلى الرغم من إرادتي وضعوا أيديَهم عليَّ، وإذِ احتملتُ "حماقتهم" صابراً حاولتُ أن أُسامح أولئك "الهراطقة" الكاثوليك الذين بدأوا يصلُّون لأجلي ... وزفرتُ زفرةً حرَّى: "يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما هم فاعلون." غير أنَّ الربَّ، بطريقته الخاصَّة، كان قد سمع صرختي الأولى، وكان آنذاك يستجيبها بواسطة عبيده، أولئك الذين كنتُ أرفضهم بالذات. ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، فتح الربُّ قلبي

لأختبر يسوع في العُمق بوصفه مخلِّصي وربِّي شخصيّاً. ولا تقوى الكلمات الآن على شرح كلِّ ما كان، وكيف اختبرتُ الربَّ يسوع بصفته شافيَّ ومُعلِّمي ومُفرِّحي.

في أثناء ذلك الشهر بالُمستشفى، سقطت القشورُ عن عينيَّ شيئاً فشيئاً. فإنَّ الربَّ المُقام، بمطلق سلطانه بدَّد من قلبي كلَّ الشكوك والارتيابات في صحَّةِ قيامته وحقيقة الحياة الأبديَّة. كما أنَّ الكتاب المقدَّس، بعدما حاولتُ جاهداً في الماضي أن أدرسه على سبيل المعرفة المهنيَّة، أصبح آنذاك إعلاناً روحيّاً مُبهجاً ذا علاقةٍ بالحياة الواقعيَّة، حيّاً وفعّالاً عندي. وقد بات ميسوراً عليَّ أن أفهم الكلمة المقدَّسة وأتمتَّع بها وأتذكرها بالروح القدس.

وخلال فترة التَّعافي والاهتداء تلك، بدا لي أنَّ الربَّ بلَّغني رسالةً واضحة: أنَّه لا ينبغي لي الاستمرار في تلاوة العِظةِ نفسها خمس مرَّات على التوالي أيّامَ الأحد. كما خُيِّل إليَّ أنَّه يقول لي: "في كُلِّ خدمة أناسٌ جُدُد. وأنا أُعطيك الرسالة المناسِبة لكلِّ خدمة، استناداً إلى النصوص الكتابيَّة عينها. فثِق بي. إنَّني أعرف خرافي، ولكلٍّ منهم حاجتُه الخاصَّة. فاحترِمْهم واهتمَّ بهم، وأنا أُلهِمُك وأمدُّك بالقوَّة في سبيل تجديد قلوبهم."

اذذاك تبدَّدَت سنو التَّحامُل على الإنجيليِّين، وتشوَّقتُ إلى لقائهم باعتبارهم إخوتي وأخواتي الذين طالَما افتقدتُهم. وكأنَّما شاشةٌ سوداء أُزيلَت من ذهني فصرتُ قادراً على رؤية الحقّ بكلِّ وضوح ... وقد اختبرتُ فرحَ خلاصٍ ومحبَّةً للربِّ يسوع أضرما فيَّ حماسة وجُرأةً لإعلان الإنجيل للعالم كُلِّه بلا خوف. وكان في وسعي أيضاً أن أومن بالربِّ لأجل شفائي. كان لي إيمانٌ بالأطبّاء والجرّاحين طبعاً، ولكنَّني بالإيمان خرجتُ من ذلك المستشفى ماشياً بلا عمليَّة جراحيَّة، وفي ذلك مخاطرةٌ كبيرة. وقد شُفيتُ من التواءِ العمود الفقريّ شفاءً عجيباً بغير جراحة، الأمر الذي أدهشَ الجرّاح. ذلك أنَّ عمودي الفقريَّ الذي كان على شكل "S" تقريباً قد غدا مستقيماً تماماً في غضون سنة واحدة. وهذا الأمرُ أيضاً

شدَّد إيماني وإعلاني. فانطلقتُ إلى جميع الكنائس، مبتدئاً بالبروتستنتيَّة، ولقيتُ محبَّةً عظيمةً بين أولئك المؤمنين.

"انتظاراً انتظرتُ الربَّ، فمال إليَّ وسمع صراخي. وأصعدني من جبِّ الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرةٍ رِجْليَّ؛ ثبَّت خطواتي. وجعل في فمي ترنيمةً جديدة، تسبيحةً لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكّلون على الربّ" (المزمور ٤٠:١-٣).

ها قد أجاب الربُّ عن أسئلتي. فيسوع المسيح قام من الموت حقّاً، وهو حيٌّ وناشطٌ في العمل جدّاً، ولَسوف يأتي ثانيةً سريعاً! "يسوع المسيح هو هو، أمساً واليوم وإلى الأبد" (عبرانيِّين ١٣:٨)، وهو معَنا اليوم مثلما كان مع قدِّيسي عصر الرُّسل، بل كما كان قديماً مع يشوع ...

لقد صلَّى أحدُهم لأجلي بإيمان، فوُهِبتُ النعمةَ كي أصرخ إلى الربّ. على هذه الشاكلة سأظلُّ أُصلِّي لأجل جميع المُضلَّلين كما كنتُ أنا قديماً، ولم أكُن أدري أين أمضي. فأطلبُ إلى الله أن يسمع صراخهم حتّى يمتلئوا فرحاً وقوّةً في الشهادة للمسيح. هذا أُصلِّيه خصوصاً لأجل اليسوعيِّين والكاثوليك في الهند، عسى أن تُنقَذ أُمَّتُنا سريعاً من كلِّ شرّ، بدمِ يسوع المسيح.

ولسوف تتحقَّق هذه الرؤيا ذاتَ يوم، فيستظهِرُ الربُّ يسوع، الذي هو الحقّ.

وأذكرُ أنَّ السُّلطة الكاثوليكيَّة طلبت منِّي التوقُّفَ عن التعليم لأنَّني اعترفتُ علناً بأنَّ بعض تعاليمهم وممارساتهم مُناقضة لكلمة الله في الكتاب المقدَّس، ممَّا يجعل الكاثوليكيَّة ديانةً منفصلةً عن كنيسة المسيح الواحدة الحقيقيَّة. فالكنيسة الحقيقيَّة قوامُها مؤمنون يتمسَّكون بكلمة الله ويجلّوُنها بغير تزوير ولا تحوير.

كنتُ، بأقصى ما أوتيتُ من قُدرة، قدِ احترمتُ دائماً وأطعتُ قادةَ كنيسة روما الكاثوليكيَّة كما للربّ. ولكنَّ ضميري آنذاك أقنعني بأنَّ بقائي خاضعاً

للسلطة أو الرئاسة الكاثوليكيَّة يُرغِمني على الإذعان لتعاليمَ زائفةٍ هي أكاذيبُ صادرةٌ من الروح المضادِّ للمسيح. وفي يوحنّا ٨:٤٣و٤٤ انتهر الربُّ الفرِّيسيِّين سائلاً إيّاهم: "لماذا لا تفهمون كلامي؟" ثُمّ أجاب: "لأنّكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أبٍ هو إبليس ... ذاك كان قتّالاً للناس من البدء ... لأنّه كذّاب وأبو الكذّاب". هذه الصفحات ظهرت واضحةً في الكنيسة الكاثوليكيَّة خلالَ محاكمات التفتيش وقتْل المصلِحين. والعقائد الزائفة لم يُغيِّرها المجمعُ الفاتيكاني الثاني الذي أيَّد ما طلع به مجمع "اترانت" تأييداً كُليّاً. وقد كان الكاثوليك -وما يزالون- يُشجِّعون على قبول مذاهبَ باطلة باعتبارها "هادفة إلى الخلاص".

وقد رجا منِّي كاردينال "بومباي" والقادة الكنسيُّون ألاَّ أترك الكنيسة الكاثوليكيَّة، وأنا كنت أُحبُّهم، وقد سبق أن عاونوني كليّاً في ما مضى على إقامة أوَّل مؤتمر كارزِماتيّ كاثوليكي في الهند. إنَّما كان ذلك عملَ الربّ، وبعدَه انفتحت الأبوابُ رسميّاً أمام جميع الكاثوليك في أنحاء الهند كلِّها لاقتبالِ مواهب الروح القدس بعد حصولهم على "الولادة الجديدة" واختبار يسوع المسيح، الربّ القائم حيّاً.

لقد آلمني في الصميم أن أترك الشعبَ الكاثوليكي بمن فيه جميع أصدقائي وأقربائي، وألاّ استطيع ان أُعلن لهم بشارة الإنجيل واعلّمهم الحقّ. ليتَ الربَّ القادر على كلّ شيء يُبارِكهم بمعرفة حقِّه الثمين، ويُحرِّر المأسورين لاتِّباع يسوع بلا مساومة.

(الكاهن المولود ثانيةً: فيكتور جون أفُّونسو)

<u>وثيقةُ استعفاء وتخلٍّ</u>

القرار النهائيُّ من قِبَل "فيكتور جون أفُّونسو" بأن يستقيل من كنيسة روما الكاثوليكيَّة ورهبنتها اليسوعيَّة.

أنا المدعوَّ فيكتور جون جوزف أفُّونسو، تلميذٌ وخادمٌ للربِّ يسوع المسيح **مُخلَّصٌ بدمه** الثمين **وممسوحٌ** بروحه القدّوس **ومُعيَّنٌ** مِن قِبَله **لأعيش إنجيله** وأكرز به **لجميع** الشعوب، بينما أبقى عُضواً في **الكهنوت الملوكيّ الواحد** الذي قِوامُه جميعُ شعب الله في المسيح يسوع، **أُعلِن في هذه الوثيقة استقالتي من عُضويَّة كنيسة روما الكاثوليكيَّة**، ومن أخويَّتها الدينيَّة المدعوّة "جمعيَّة يسوع"، إطاعةً لكلمة الله حسب تمييز ضميري. ومن الآن فصاعداً لستُ أقبل رئاسة السلطات الكاثوليكيَّة الرومانيَّة، لأنَّ أصحابها يُنكرون الكتاب المقدَّس ويُعيقون **إرساليَّتي** القاضية بأن أكرز **بالإنجيل** بلا مساومة.

وفي قرار ضميري، أعتقد أنَّ كثيراً من التعليم والممارسات **الرسميَّة** في الكنيسة الكاثوليكيَّة مناقضةٌ لكلمة الله المكتوبة. وقد نتجت هذه الضلالات من "أصلٍ فاسد"، وهو أنَّ الكنيسة –حتّى بعد اكتمال قانون الأسفار المقدَّسة– تذهب إلى أنَّ للحقِّ المُعلَن من الله **مصدرين** هُما الكتاب المقدَّس والتقليد. ففي الممارسة العمليَّةِ زاد التقليدُ على **الإعلان الكامل المعصوم الذي يتمثَّل في الكتاب المقدَّس**، وناقضَهُ أيضاً. وإنِّي أرى **أنَّ الكتابَ المقدَّس هو المعيار الحاسم** لاستجلاء كلمة الله لَنا اليوم. فإرضاءً لِلّه ينبغي أن أُطيع ما يقوله. وفي كلمته المنـــزَّهة عن الخطإ يقول: "طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" (لوقا ١١:٢٨). كما أنَّ المسيح يُعارِض إبطالَ الناس كلمةَ الله بتقليدهم الذي يتوارثونه (راجع مرقس ٧:١٣).

وإنّني أعتقد أيضاً، بناءً على الكلمة المقدَّسة، أنَّ "النذور الدينيَّة" و"الهَرَميَّة الاكليركيَّة"، كما تُمارَس اليوم في كنيسة روما الكاثوليكيَّة على نحوٍ يجعل الاكليروس طبقةً بَرَهميَّة عُليا منفصلة باعتبارها أقدس من باقي الكهنوت الملوكيّ، هي مضادَّةٌ للكلمة المقدَّسة ومنافية للمِثال الكتابي الذي وضعه الله لكنيسته. كما أنَّ النذور الدينيَّة غير ضروريَّة بالنسبة لأيِّ عضوٍ حقيقيٍّ في جسد المسيح، إذ يتضمَّن نذرُه المعموديُّ بأن يموت مع المسيح عن قِيَم العالم كونَه **مسكيناً** بالروح، غير مُشتهٍ لممتلكاته بل مشاركاً فيها المُحتاجين، **وعفيفاً**، **ومُطيعاً** بالفكر لكلِّ سُلطةٍ أقامها الله، اجتماعية أو دينيَّة، في كلِّ شيءٍ ما عدا الخطيَّة.

من ثَمَّ أتخلَّى بموجب هذا الاقرار عن جميع النذور الدينيَّة التي قطعتُها في "جمعيَّة يسوع"، ومن جملتها النَّذْرُ القطعيُّ بالطاعة لبابا روما الكاثوليكيّ. كما أتخلَّى ايضاً عن جميع النذور والتعهُّدات الزائفة لمريم، أو لأيِّ قدِّيس آخرَ مُتوفَّى، أو لأيِّ روحٍ مخلوقة، سواءٌ قطعتُها أنا أو أيُّ شخصٍ آخر نيابةً عنِّي ، بعلمٍ منِّي أو بغير علم.

وثيقةٌ وقَّعها فيكتور جون أفُونسو، بتاريخ
٢٠ حزيران (يونيه) ١٩٨٨ في بومباي الهنديَّة

مُخلَّصٌ من نيران جهنَّم

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"روبرت فِي جُولْين"

لقدِ اخترتُ أن أصير لا كاهناً كاثوليكيّاً فقط، بل أكثر من ذلك: كاهناً كاثوليكيّاً مُرسلاً. وسببُ ذلك أنَّني أردتُ أن أُحقِّق مآثرَ في سبيل الله. وقد خُيِّل إليَّ أنَّ كوني مرسلاً في بلادٍ نائية وتعلُّمي لغةً غريبةً وعاداتٍ غريبةً من شأهما أن يكونا مغامرةً عظيمة. حتَّى إنَّني علَّلتُ نفسي بفكرةٍ طالما راودتني، وهي أنَّني ربَّما كنتُ مُختاراً من قِبَل الله لأتألَّمَ وأموت شهيداً لأجل قضيَّة المسيح. في هذا الإطار دارت أفكاري خلال سني الدراسة الطويلة التي قضيتُها في معهد اللاهوت مُحضِّراً نفسي لأصير أباً مُرسَلاً تابعاً "لجمعيّة الإرساليّات الأجنبيَّة الكاثوليكيَّة في أميركا".

وإذ أنظرُ الآن إلى الوراء، أُدرِكُ الدافعَ الحقيقيَّ الذي كان يحدوني طوال تلك السنين. فما كنتُ أطلبُه حقّاً إنَّما كان رضى الله واليقين القلبيّ بأنِّي سأُحرز الدرجة المطلوبة وأكون مستحقّاً دخولَ سماء الله عند موتي. وطيلة تلك السنين لم يكن في قلبي سلامٌ حقيقيٌّ، حتّى في أثناء السنين العشر التي قضيتُها كاهناً مُرسلاً في "تَنــزانيا" بشمالِ أفريقيا. فمثلَما فعل آدم إذ حاول ستر عُريه بأوراق تينٍ (تكوين ٣:٧)، هكذا جاهدتُ أنا دائماً لستر عُريي الروحيّ بأوراق تينِ النشاطاتِ الدينيَّة والإرساليَّة.

لا يَسرُّني أن أستعيد ذكرى سني حياتي الماضية، فقد كانت مُخزية جدّاً. إذ كنتُ شخصاً خاطئاً ومُنافِقاً للغاية. رُبَّ قائلٍ إنَّني فعلتُ كثيراً من الخير لأجل أولئك الأفريقيِّين، إذ ذهبتُ إليهم، وبنيتُ مدارسَ لأولادهم، وأحضرتُ الأدوية

لأمراضهم، وعلَّمتُهم الدين. ولكنَّني أعرف اليومَ أنَّ جميع هذه الأفعال المدعوّة "أعمالاً صالحة" لم تكُن في نظر الله إلاَّ خِرَقاً باليةً نجسة (إشعياء ٦٤:٦). فقد كنتُ خاطئاً مسكيناً ضالاًّ في حاجة ماسَّة إلى خلاص الله، ولم أكُن أعلمُ ذلك. بل كلُّ ما كنتُ أعلمُه آنذاك كان أنَّني مُخلَّصٌ، على نحوٍ ما، بحقيقةِ كوني كاثوليكيّاً، لأنِّي اعتقدتُ فعلاً أن جميع الكاثوليك خُلِّصوا لحظةَ قبولهم سرَّ المعموديَّة.

كم أنا نادمٌ على تلك السنين الضائعة التي لم أكُن في أثنائها أعرف الله الحقيقيَّ ولا ابنَه يسوعَ المسيح المخلِّص والربَّ الحقيقيَّ. وكم كان مقدار انخداعي عظيماً حتَّى اعتقدتُ إنَّ في وسعي استحقاقَ السماء بأعمالي الصالحة وجهودي الكهنوتيَّة والإرساليَّة. وقد كنت في السابعة والثلاثين لَمّا أعلن إلهُ الكتاب المقدّس نفسه لي. وما كان أسخى نعمتَه وأوفر رحمته من نحوي. لقد سامحني بجميع خطاياي، وآتاني سلاماً في قلبي وأشبع كلَّ جوعي حقّاً. ففي لحظةٍ واحدة تغيَّرتُ تغيُّراً جذريّاً داخلَ كياني، إذ بالحقيقةِ وُلِدتُ ولادةً جديدة، وُلِدتُ من إله السمّاء بنفسه. "الحقَّ الحقَّ أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوتَ الله" (يوحنّا ٣:٣).

لَقدِ اختارني الله في الأزل، قبل الزمان، لأكونَ له تعالى. لِهذا السبب تدخَّل في حياتي على النحو الذي تدخَّل به، ووضع حدّاً نهائيّاً لسيري الحثيث نحو الجحيم. بلى، فإلى هُنالك كنتُ متوجِّهاً حقّاً، على الرغم من كوني كاهناً مرسلاً. فقد كنتُ في طريقي إلى جهنَّم النار، إلى الانفصال الأبديِّ عن إلهٍ مُحِبّ. إلاَّ أنَّه كشف لي حقيقتي وأراني ما كُنتُ تحتَ ظاهرِي التَّقَويِّ: خاطئاً نجِساً! "إذِ الجميعُ أخطأوا، وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣:٢٣).

ولكنّ "الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبَّته الكثيرة التي أحبَّنا بها" خلَّصني بنعمته. "لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم؛ هو عطيَّة الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٤و٨و٩). ولَكَم أسعدني أن

أكشف أنَّ خلاص الله هبةٌ مجّانيَّة. إنِّي أشكرُ الله كُلَّ يومٍ على "عطيَّته التي لا يُعبَّر عنها" (**٢**كورنثوس ٩:١٥).

وكان في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ أنَّني تركتُ كنيسة روما الكاثوليكيَّة وكهنوتَها إلى غير رجعة. وقد قال قومٌ إنَّني تركتُ لأنَّني أُريد التزوُّج، إلاَّ أنَّ ذلك خطأٌ بِرُمَّته. فأنا لم أكُن راغباً في الزواج، لأنَّ كبريائي الزائدة حالت دون تفكيري فيه. وقد كنتُ أنظر إلى الزواج نوعاً ما نظرَة احتقار، ظنّاً منِّي أنَّه أمرٌ أدنى من كرامتي. غير أنَّ الله الذي خلَّصني بنعمَته أوضح لي في الوقت المناسِب أنَّ مشيئته لي تقضي بأن أتزوَّج. فكلمته واضحةٌ جليّاً: "ليكن الزواج مكرَّماً عند كلِّ واحد، والمضجع غير نجس" (عبرانيِّين ١٣:٤). وأيضاً: "ولكن لسبب الزِّنا، ليكن لكلِّ واحدٍ امرأته" كما أنَّ "التزوُّج أصلح من التحرُّق" (**١**كورنثوس ٧:٢و٩). ولقد دبَّر لي الله زوجةً مؤمنة، مَثَلُها مثلي، تعرف وتُحِبُّ الربَّ يسوع المسيح؛ ومنذ عهدٍ قريبٍ احتفلْنا بذكرى زواجنا الخامسة والعشرين.

ولكنْ لماذا تركتُ كنيسة روما الكاثوليكيَّة وكهنوتها؟ سؤالٌ طالما طرحه عليَّ الناس، وكان جوابي: "لأنَّ الله قال لي أن أتركها!"

إنَّني لا أكذب. فمع أنَّ الله لم يكلِّمني بصوتٍ مسموع، فقد كلَّمني بكلمته المكتوبة في سفر الرؤيا، حيث يقول بمنتهى الوضوح: "اخرجوا منها يا شعبي ..." (رؤيا ١٨:٤). فإنَّ المسيحَ الحقَّ يدعو شعبه إلى الخروج من الكثلكة وما إليها. وبالطبع، ليس في وسع الذين هم مِن غير شعبه، أي خرافِه أن يتلقَّوا هذه الدَّعوة ويُلبُّوها، وهو القائل: "خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها، فتتبعني" (يوحنّا ١٠:٢٧). فقبلَ أن يخلِّصني الله بنعمته، لم يكن في وسع أحدٍ أن يُقنعَني بالخروج من نظام روما. ولكنَّه لَمَّا خلَّصني وأعلن لي محبَّته العظيمة، وسمعتُ صوته الرقيق اللطيف أوَّلَ مرّة، كان سهلاً جدّاً عليَّ أن أُطيع أمره وأتبعَه. وأنا أُحِبُّه جدّاً، لأنَّه هو أحبَّني أوَّلاً.

كنتُ في زمنٍ مضى أعتقد أن كنيسة روما هي كنيسة المسيح الحقيقيَّةُ الواحدة الوحيدة على الأرض. وإذا قال لي واحدٌ من البروتستانت: "المذاهبُ الدينيَّة صالحة كلُّها بعضُها مثل بعض!" فإنِّي أُجيبه: "أجل، صحيحٌ أنَّ أيَّ مذهبٍ دينيٍّ قد يكون صالحاً كالآخر، إلاَّ أنَّ ديانةً واحدةً فقط هي الديانة الحقيقيَّة، وتلك هي الديانةُ الكاثوليكيَّة (أي الجامعة) حقّاً!"

وإنِّي أشكر إلهي لأنَّه فتح عينيَّ. فأنا أُدرك الآن أنَّ كنيسةً تُفاخر بأنَّ لها رئيساً منظوراً (بابا روما)، ووسائط نعمة منظورة (الأسرار المقدّسة)، وخُلَفاءَ للرسل منظورين (الأساقفة والكهنة)، وتطلبُ صُوَراً وتماثيل لتذكِّرَ الناس بالله، لا يُمكن بأيَّة حال أن تكون هي كنيسة يسوع المسيح الحقيقيَّة. ذلك أنَّ المسيحيِّين الحقيقيِّين المولودين ثانيةً لا يحتاجون إلى بابا "منظور" لأنَّ لهم بالفعل ربّاً غير منظور، هو الرأسُ الواحد للكنيسة الحقيقيَّة "ذلك، وإن كنتم لا ترونه الآن، لكن تؤمنون به، فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطق به ومجيد" (**١**بطرس ١:٨). وشأنهم شأن موسى، يرون "من لا يُرى" (عبرانيين ١١:٢٧).

ولا هُم في حاجةٍ إلى علاماتِ نعمةٍ منظورة، كالقُدّاس وسائر الأسرار، لأنَّ خلاصَهم قد تحقَّق في قلوبهم بقوَّة الروح القُدس إذ وضعوا كامل ثقتهم في يسوع المسيح وحده باعتباره مخلِّصهم الشخصيَّ. كما أنَّهم لا يحتاجون إلى خُلَفاء للرسل منظورين، لأنَّهم يعرفون من الكتاب المقدَّس أنَّ الله هو مَن يُقيم القادة الروحيِّين الذين يُريدهم وحين يُريد منهم أن يُغَذُّوا كنيسته بكلمة الله الثمينة. ثُمَّ إنَّهم، أخيراً، لا يحتاجون إلى صُوَرٍ أو تماثيل تُذكِّرهم بالله، لأنَّهم يرون صورة المسيح الحقيقيَّة في كلمة الكتاب المقدَّس المكتوبة. أضِفْ أنَّ الله قد شجبَ صُنع الصُّوَر والتماثيل والسُجود لهنَّ بوصفهما وثنيَّةً سافرة (خروج ٢٠:٣-٥).

أمّا حاليّاً، فأنا موظَّفٌ، ولي ثلاثٌ وعشرون سنةً في وظيفتي المختصَّة بالطباعة التجاريَّة. كما أخدم كمعلِّم كتاب مقدَّس للبالغين في كنيسة إنجيليَّة

محليَّة. وفي هذه الكنيسة عددٌ من الكهنة الكاثوليكيِّين السابقين الذين مِثلي خلَّصَتْهم نعمةُ الله المُدهشة وهم يعرفون ويحبُّون مسيح الكتاب المقدَّس الحقيقيَّ.

"وهذه هي الحياة الأبديَّة: "أن يَعرفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنّا ١٧:٣).

(الكاهن المولود ثانيةً: روبرت في جُولْين)

لَم تنجح أساليبُ الأُستاذ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"سِلزو مُونيز"

منذ نعومة أظفاري بحثتُ عن الحقيقة واليقين بلا كَلَل ولا مَلَل. وفي رأيي شابٌّ كان الكهنوتُ أفضلَ طريقٍ لاختبار الحقّ والحصولِ على خلاص النفس. وقد قال لي مُعلِّمُ مدرسةٍ مرَّة: "أنْ يَطفوَ حجرٌ على وجه الماء أيسرُ من أن يهلك كاهن!"

دخلتُ معهداً دينيّاً مُدَّة اثنتي عشرة سنة قضيتُها في الدرس، وعكفتُ كُليّاً على حياةٍ موافقة لقوانين كنيسة روما الكاثوليكيَّة. فقُمتُ بجميع التمارين التنسُّكيَّة، بل علَّمتُ التنسُّكَ أيضاً لمّا كُنتُ أُستاذاً لِلاّهوت الصوفيّ والتنسُّكيّ ورئيساً لكليَّة اللاهوت الميتروبوليتانيَّة في "أُوفيدو" بإسْبانيا. (والتنسُّك هو فنُّ إخضاع "الذات" والسيطرة على جميع الأهواء والرغبات والشهوات من طريق الانضباط الشديد والتقشُّف، أو من طريق إنزال العقوبات بالجسد).

غير أنّي، على مدى السنين، لم أستطع أن أُحرز لنفسي الانضباط والسلام واليقين التي علَّمتُ الآخرين أن يُحرِزوها. وقد نشأ في داخلي صراعٌ متزايدٌ، من جرّاء قلقي الداخليِّ مُضافاً إلى الخيبات الكثيرة التي عانيتُها من الكنيسة الكاثوليكيَّة لدى مقارنة تعليمها بالكتاب المقدَّس. وبينما انتابني هذا الاضطرابُ الروحيُّ الشديد، اجتذبَتِ انتباهي برامجُ إذاعيَّة بروتستانتيَّة كانت تُبثُّ من خارج البلاد. وقد جعلتني تلك البرامجُ متعطِّشاً لرسالة الله الحقيقيَّة، ومن ثَمَّ غدا الكتابُ المقدَّس نورَ نفسي وغذاءَها.

وإذ دفعَتْني رغبتي في فهم ما علَّمه المسيح بالتحقيق، التمستُ الاتِّصال بكنيسةٍ كنتُ قد سمعتُ بها، حيث كان الكتابُ المقدَّس مصدرَ التعليم الوحيدَ عند المؤمنين. وإذ مضيتُ أدرسُ الكتابَ المقدَّس وأتحدَّث مع أولئك المسيحيِّين المؤمنين، رأيتُ يسوع المسيح بطريقةٍ جديدة كُلِّيّاً، بصفته المخلِّص الكامل الذي ينبغي أن يتوجَّه الإنسانُ إليه مباشرةً بالإيمان فقط.

وفيما واظبتُ على تفتيش الكتاب المقدّس، أدركتُ أوضحَ فأوضحَ ضلالات الكثلكة، ورغبتُ في اختبار التحوُّل الذي يتحدّث الكتابُ عنه. وفي المقابل، أردتُ الحصول على هذا الاختبار من دون الخروج من الكنيسة الكاثوليكيَّة، وذلك بسبب ارتباطي الوثيق بكنيستي.

بيدَ أنَّني أخذتُ أقتنع تدريجيّاً أنَّ كنيسة روما الكاثوليكيَّة قد نحَّتِ المسيح جانباً بتعليمها المغلوط وتنظيمها الكنسيِّ المعقَّد للغاية. ولَكَم آلَمني كثيراً أن أصل إلى هذه النتيجة!

وإن أنسَ فلن أنسى ليلةَ تَحوُّلي أوِ اهتدائي الفعليّ. وكنتُ قد قضيتُ يوماً آخر من أيّام الصراع الداخليِّ الحادِّ، فلجأتُ إلى الربِّ وكلمته المقدَّسة، ولم يغمض لي جفن.

لم أجتهدْ كي أُصلِّي، ولكنَّ الصلاة انبثقت من قلبي، ولم أستطع كبحها. وأكثر من أيِّ وقتٍ مضى، شعرتُ بحِمل خطاياي الثقيل الذي تكوَّم عليَّ في أثناء ماضي حياتي. وفكَّرتُ في قرارة نفسي، فتبيَّن لي أنَّني خاطئٌ كليّاً. شعرتُ أنَّني مهجورٌ في وهدة اليأس، وساءلتُ نفسي كيف يتسنّى لي الخروج من حالتي الزريَّة. وجال في خاطري أنَّني لا أقوى على إنقاذ نفسي، فأنا عديم النفع والصلاح في نظر الله. وما سبق لي قطُّ أن شعرتُ بمثل ذلك العجز عن فَعْل أيِّ صلاح. وفكَّرتُ كم مرَّة في الكتاب المقدَّس دعا الربُّ يسوعُ المسيح الضالِّين الهالكين للإقبالِ إليه. وإذا بي أُحِسُّ أنَّني منجذبٌ إليه بقوَّة، إذ إنَّه قدَّم للجميع

عرضاً سخيّاً بالغُفران المجّانيِّ غيرِ المُستحَقّ. فبالحقيقة أنَّ المسيح جاء طوعاً واختياراً ليُكابد عقوبة خطيَّة البشر عوضاً عنهم!

وفي الأخير، بغير أن أرغبَ بعدُ في القيامِ بأيِّ شيءٍ شخصيّاً، طرحتُ نفسي على ذراعي الله الآب الذي قدَّم المسيحَ لأجل خلاصي. وصلَّيتُ: "تعالَ إليَّ، أيُّها الربُّ يسوع. إنَّني أُسلِّمك نفسي باعتبارك مخلِّصي الشخصيَّ الوحيدَ الكُليَّ الكفاية". ثُمَّ مضتِ الساعاتُ كأنَّها دقائق، فشعرتُ -على نحوٍ لم أعهده قبلاً- بأنَّني في وئامٍ كُلِّيٍّ مع الربِّ إلهي. وحدَّثتُ نفسي في قرارةِ كِياني قائلاً: "أنتَ لي، يا ربُّ، وأنا لك. إنَّني مِلكُك إلى أبد الآبدين".

لستُ أدري كيف حدث ذلك. ولكنَّ الحقيقة هي أنَّ كُلَّ اضطرابي وشكِّي وارتيابي قد تلاشى، وسعادتي أضحَت كاملة. ها قدِ اتَّخدتُ قراري، وإذ وقفتُ أمام اختيار الربِّ يسوع المسيح أو كنيسة روما الكاثوليكيَّة، اخترتُ اتِّباعَ المسيح مهما كانتِ العواقب. وقدِ اكتشفتُ حقيقةً رائعة: أنَّ المسيح تسلّم حياتي ووحَّدني به، فقط لأنَّني أودعتُه نفسي. فالربُّ ليس مجرَّد إنسانٍ صالح يدلُّنا على الطريق، بل هو ذاتُه الطريق. وليس هو مجرَّد معلِّم للحقائق، بل هو نفسُه الحقّ. ولا هو بطلاً بذل حياته في سبيل قضيَّة إنسانيَّة، بل إنَّه المخلِّص الوحيد الذي هو الحياةُ لكلِّ التائبين إليه!

[إنَّ الأُستاذ مونيز، بوصفه أُستاذاً في اللاهوت التنسُّكي، درس إخضاع النفس والسيطرة على جميع الأهواء البشريَّة. ومن جُملة ما درسه التعمُّق في الأساليب المستخدمة في الديانات الأُخرى، كما عند الرهبان البوذيِّين. وبعبارة وجيزة، كان متضلِّعاً من جميع الأساليب التي ابتكرها الإنسان لإنتاج قداسة في الحياة. فإنَّه لأَمرٌ عظيمُ المعنى والمغزى إذاً أن يخضع عالِمٌ مِثلُه لأوامر الله. وفي معرض حديثه عن اختباره، غالباً ما استخدم الإيضاح التالي:]

"لمّا أدركتُ فساد طبيعتي البشريَّة وعجزها الكُلِّيَّين، شعرتُ شعور مَن تحطَّمت به السفينة إذ يرى الشاطئ المتألِّق مِن بُعد. فإنِ استطاع أن يبلغ الشاطئ

فقط، يكون في أمان. ولا يبدو له الشاطئ بعيداً جدّاً، إلاَّ أنَّ سبب ذلك أنَّ الأشياء تبدو أقربَ إذا نظرنا إليها عبر الماء. فيبدأ الرجل بالسباحة، ويُبلي حسناً في أوّل الأمر، لكنَّه ما إن يقترب من الشاطئ حتّى يحسُّ بأنَّ تيّاراً جرفه وأعاده إلى عُرض البحر.

"ويروح يُجاهد من جديد، لأنَّ عليه أن يخرج من التيّارات واللُّجَج، وإلاَّ هلك. فيُحاول، ويُحاول، لكنَّه لا يقوى على الإفلات، وأخيراً يتأكدُّ له الاستنتاجُ الحتميُّ: أنَّ قاموس الطبيعة لن يُفلِته كي يبلغ غايته.

"إذ ذاك يبلغ منه اليأس والفشل كلَّ مبلغ، فلا يبقى له إلاَّ أن ينتظر نهايته. هذا هو اختبار الإنسان الذي يكتشف عدم كفاية قوَّته البشريَّة الخاصَّة لإرضاء الله أو للوصول إليه، والذي يُدرك عجزه الكليَّ عن تخليص نفسه من يوم الدَّينونة.

"وعلى الشاطئ يُقيمُ إلهٌ قُدّوس. هذا الإلهُ القُدُّوس يصون حدود قداسته بوصاياه. وهي أشبه بالأمواج العالية والتيّارات العاتية المتلاطمة حول الساحل الأزليّ، ولا قِبَل للإنسان البتَّةَ بأن يجتازها بمجهوداته الذاتيَّة، لأنَّه ضعيفٌ جدّاً وخاطئٌ كُليّاً بطبيعته.

"توسيعاً لهذه الصورة، تصوَّر أنَّ طائرة هليكوبتر تُشاهَدُ مُقلِعةً من على الشاطئ. فهل يرى الطيّارُ الرَّجُلَ الغارق؟

"ثُمَّ تقترب الطائرة من المكان الذي فيه يُصارع الرجلُ الأمواجَ وحيداً، ويتدلَّى حبلٌ فوق رأسه مُباشرةً. فإنِ استطاع الغارِقُ فقط أن يُمسك بالحبل، يُمكِن أن ترفعه الهليكوبتر من الماء وتحمله فوقَ الأمواج المُرغية والمزبدة إلى شاطئ الأمان".

هذه صورةٌ كاملة لِما قد فعله المسيح. فقد كان جالساً في بلاد الأبديَّة إلى يمين الآب. ثُمَّ جاء إلى هذه الأرض من هُناك حتّى يُخلِّصَنا. وخاضَ لُجَجَ غضبِ الله الغامرةَ الثائرةَ، حين كابد عقوبة الخطيَّة على صليب الجلجثة.

ومنذئذٍ ما يزال، مراراً وتكراراً، يُغادر جبالَ مجده كي يأتي (روحيّاً) لإنقاذ "الخُطاة الذين تحطَّمت بهم السفينة". ومرّاتٍ لا تُحصى رأى الخاطئَ يُصارعُ أمواجَ ناموس الله، ومدَّ إليه يدَ الخلاص. فكلُّ شخصٍ هالكٍ يؤمن بكلمة الربِّ واثقاً بها كلَّ الثقة، يُنقَذُ من بحر الدينونة ويؤتى به إلى شاطئ الحياة الجديدة.

فإذا افترضْنا أنَّ الرَّجُلَ الغارق تجاهل الحَبْل وظلَّ يبذل كُلَّ جهدٍ محاولاً بلوغ الشاطئ بقوَّته الخاصَّة، فماذا يكون؟ إنَّه يغرقُ لا محالة!

أو هَبْهُ وثِقَ بمُنقِذه نصفَ ثِقة، فمدَّ إحدى يديه للإمساك بالحبل وظلَّ يسبح بالأُخرى. عندئذٍ أيضاً يُخفِقُ في كِلا الأمرين، ويغرق.

فلن يتأتّى لنا البتَّة أن نجد الخلاص فيما جُزءٌ منّا يثق بما فعله المسيح كي يرفع عنّا عقوبة الخطيَّة، والجُزءُ الآخر يظلُّ يثق بالأسرار والغُفرانات والأعمال الصالحة المنشودة.

إنَّ الخلاص الحقيقيَّ يأتينا فقط حين نثق بالربِّ يسوع المسيح ثقةً كُليَّة ونُسلِّمه نفوسنا.

(الكاهن المولود ثانيةً: سِلزو مُونيز)

لم أفحص عقائدي طيلة عشرين سنة

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"ريناتو دي لُورينـــزو"

لم أكن أعتقد قطُّ أنَّني قد أُغادِر كنيسة روما الكاثوليكيَّة، ولا سيَّما كهنوتَها. ولو تنبَّأ لي أحدٌ بذلك، لاعتبرتُ الأمر مستحيلاً.

دخلتُ الرهبانيَّة الساليزيَّة وأنا في الخامسة عشرة، ولمّا حان الوقتُ رُسِمتُ كاهِناً. ثُمَّ خدمتُ أساساً بين الشبيبة، وراقني هذا العملُ كثيراً. وبعدما أمضيتُ في الكهنوت نحو عشر سنين فرض عليَّ الأبُ الرئيس الذي كنتُ في عهدته عقاباً صارماً، إذ أرسلني إلى روما مُدَّة شهرٍ واحد للقيام برياضةٍ روحيَّة إلزاميَّة.

أمَّا سببُ ذلك فكان إطلاعي له على عاطفةٍ داخَلت قلبي نحو امرأةٍ شابَّة. وقد فصمت تلك العلاقة، جُزئيّاً لأنَّني لم أكن واثقاً بأنَّني أُحِبُّها حقّاً، ولكنْ أيضاً لأنَّني كُنتُ قد نذرتُ حياتي لِلّه و لم أكن على استعداد للرجوع إلى الوراء.

لقد غلَّف قراري بالطبع كثيرٌ من الكبرياء والأنانيَّة. فقد كان من المُذِلِّ لي نوعاً ما أن أعترف بعدم أمانتي لدعوتي الكهنوتيَّة. وكنتُ قد طلبتُ إلى رئيسي أن ينقلني إلى ديرٍ آخر، ولكنْ بدلاً من تلقِّي حديثٍ أبويٍّ متفهِّم، وصلتني بُعيدَ ذلك رسالةٌ تُعلِمني بمعاقبتي. وتأكَّد لي أن تلك الوصمة سوف تلوِّث صيتي دائماً وتجلب عليَّ العار والارتياب.

في أثناء الشهر الذي قضيتُه في روما، جالت في خاطري أفكارٌ يائسة وسوداء. وكنت أُريد أحياناً أن أهرب إلى أيِّ مكانٍ كان. وأحياناً كنت أحنُّ

إلى خدمتي في "نابولي". وقد مررتُ في أوقات اكتئاب شديد. وصرختُ إلى الربِّ بالصلاة، إلاَّ أنَّ كلَّ ما فيَّ وحواليَّ بقي غارقاً في الصمت المطبق. شعرتُ أنَّني وحيدٌ كليّاً، كما لو كنتُ في سجن، وكنتُ محزوناً كلَّ حين، شعوراً منِّي بالظُّلم واقتناعاً ببراءتي.

كان الدَّير قائماً على جبل سيلي، قربَ روما القديمة، ومُشرِفاً على كامل روما والكولوسيوم. ومِنه تسنّى لي أن أُراقب مجرى الحياة العاديَّة دوني، فرأيتُ كيف كان الناس يتمتَّعون بعضُهم بصحبة بعض ويحبُّون أحدُهم الآخر، وساءلتُ نفسي هل كانوا يُغيظون الله حقّاً بتصرُّفهم على ذلك النحو. وقد رغبتُ في مخالطة أولئك القوم، وتُقتُ إلى خلع ردائي الأسود وغفّارتي، إذ جعلاني أشعر بأنَّني شخصٌ غيرُ سويٍّ. ولَكَم رغبتُ في أن أكون إنساناً بكلِّ معنى الكلمة، شأني شأنُ سِواي.

وأفضيتُ بدخيلة نفسي إلى أب شيخ، مصارِحاً إيّاه بحقيقة مشاعري. فاقترح عليَّ أن أكتب إلى رئيسي مستأذِناً إيّاه أن يُعيدني إلى خدمتي السابقة. وأجابني الرئيسُ بأنَّ عليَّ احتمال جميع تلك الاختبارات السلبيَّة كفرضٍ من فروض التَّوبة تكفيراً عن خطيَّتي وخيانتي. غير أنَّه أذِن لي بأن أُغادِر الدَّير نهاراً.

فخرجتُ من الدَّير نهاراً، ولكنْ لم أجُل في أنحاء روما حاجّاً كما قصد لي رئيسي، بل سائحاً. وقد ابتعتُ صحفاً ومجلاّتٍ مُزوَّقة، إلاَّ أني لم أنعم بالرضى. وانتهزتُ الفرصة لالتماس النُّصح من كهنةٍ آخرين، فكانت محاجَّتُهم تنتهي دائماً عند النقطة عينها: ما كان عليَّ قطُّ أن أطرح مشكلتي أمام رئيسي، بل كان عليَّ أن ألوذ بالصمت. وقد تصرَّف رئيسي بما يوافق القانونَ الكنسيَّ، وإن كان قد فسَّره على الطريقة الأكثر حزماً وشدّة.

ثُمَّ عُدتُ إلى نابولي، لا لأستأنف عملي هناك، بل بالحريِّ كي أعود إلى أهلي.

في أثناء المدّة التي قضيتها برُوما، كنتُ قد عكفتُ حيناً على إعادة النظر في بعض تعاليم روما الكاثوليكيَّة، مُقَارناً إيّاها بتعليم الكتاب المقدَّس، وبدأت أعي أنَّ الكتاب يُساء اقتباسُه تعسُّفاً لمجرَّد تسويغ التعاليم الدارجة.

لقد عُلِّمتُ أن أُومن بالكنيسة الكاثوليكيَّة على أساس كونها الكنيسة الوحيدة التي تُيسِّر لي الاهتداء إلى المسيح. وفي مفهوم التعليم الكاثوليِّ أنَّ معنى الطاعة للمسيح هو الخُضوع لنائبهِ على الأرض، أيِ البابا. ولكنْ فيما أخذتُ أقرأ في الأناجيل داخل "زنزانتي"، تبيَّن لي أنَّ هذا التعليم مناقضٌ للكتابِ المقدَّس.

وغالباً ما راجعت دليل التلفون في روما طلباً لعنوان كنيسة إنجيليَّة، وإن كانتِ البروتستانتيَّة آنذاك لم تملأْ قلبي ثقةً. وإنَّما كان السبب الوحيد الذي جعلني ميّالاً إلى الاتِّصال بالبروتستانت أن استعين بهم للخروج من كنيستي والشُّروع في حياةٍ جديدة. وما دار في خَلَدي أنَّهم يستطيعون معاونتي في صراعي الإيمانيِّ.

وبينما كنتُ مقيماً عند أهلي في نابولي، عاودتني فكرةُ الاتِّصال بالبروتستانت، وبدأتُ أُسائل نفسي عن احتمال كونهم على حقٍّ في نهاية المطاف. وكان مسموحاً لي آنذاك أن أقوم بمهامّي الكهنوتيَّة كلِّها. ولكن في غُضون سبعة أشهر أقمتُ القُدّاس عشرين مرَّةً فقط، وسمعتُ اعترافاتٍ مراراً أقلّ، ولم تكن لي أدنى رغبة في الوعظ.

وذاتَ أحدٍ تفاديتُ من القُدّاس وذهبتُ أتنـــزّه. وبينما أنا امشي، إذ لفت نظري مبنىً يعرض مطبوعاتٍ ذاتَ علاقة بالكتاب المقدَّس. وكان ذلك مدخل كنيسة "إنجيليَّة". لكنَّني لم أجرؤ على الدُّخول إذ خُيِّل إليَّ أنَّني قد أُثير لغطاً بدخولي لابساً الثوب الاكليريكيّ الكاثوليكيّ، فاتَّصلتُ بخادم الكنيسة تلفونيّاً ثُمَّ زرتُه سرّاً لمحادثتي في حالتي.

عرَّفني الخادمُ ببضعة كهنةٍ كاثوليكيِّين سابقين، فقدَّموا لي عوناً كثيراً، إلاَّ أنَّني لم أكن راغباً في مغادرة كنيستي الأُمّ. فقد كنتُ أخشى أن أتَّخذ قراراً ربَّما

يكون متأثِّراً بعقوبتي الحاليَّة. ومن ثمَّ استأنفتُ مهامّي كاهناً ومُرشِداً للشبيبة. ولكنْ على رغم انصرافي الكليِّ إلى العمل الديني بكلِّ أنواعه، تبيَّن لي أنَّه قد تنامى لديَّ نفورٌ متزايدٌ منه.

ما عُدتُ أومن بالقُدّاس، ولا في سماع الكهنة للاعتراف. وكانت لي أحاديث مع رئيسي الجديد، فأبدى تخوُّفه الشديد من انجرافي نحو البروتستانتيَّة بسرعة. ونصحني بأن أُصلِّي لمريم كثيراً، قائلاً إنَّها ستُعينُني على استعادة إيماني.

ثُمَّ بات تَركي للكهنوت امراً لا مفرَّ منه. وفي فترةٍ قصيرة غادرتُ نابولي متوجِّهاً نحو "الملاذ" الشهير للكهنة المولودين ثانية، في "فَلْب" بهولندا. وفي ذلك البيت، من جرّاء قراءة الكتاب المقدّس والصلاة إلى الله طلباً للغفران والعون، أقبلتُ إلى معرفة المسيح بطريقة شخصيَّة، وحصلتُ على اختبار الاهتداء إليه حقّاً على النحو الذي يُسمِّيه هو نفسُه (في إنجيل يوحنّا) الولادة الثانية، أوِ الولادة من فوق.

وكلُّ ولادةٍ تنطوي على جهدٍ وألم. فقدِ اعترضَت في سبيل بحثي عن الله ووجداني له عوائقُ كُبرى تتمثَّل في عشرين سنةً من حياةِ الدير مشفوعةً بتربيتي اللاهوتيَّة الكاثوليكيَّة وطبعي العنيد. ولكنْ في الأخير استسلمتُ للربِّ بخضُوعِ الأطفال، وقلتُ بكلِّ بساطة: "يا ربّ، إنِّي أُومن!"

وما كان الربُّ ليتركَني وحدي منذئذٍ. فقد شدَّد إيماني في السرّاء والضرّاء معاً، وأعلَن لي ذاته حقّاً بوصفه الصديقَ والمخلِّص الحيَّ والشخصيّ.

(الكاهن المولود ثانيةً: ريناتو دي لُورينـــزو)

ثلاث وعشرون سنة
في الرهبنة اليسوعيَّة
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"لويس بادروزا"

"لقد تبيَّن لي أنْ ليس في الإنجيل أيُّ أساسٍ لعقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة!" [هذا التصريحُ الذي ندَّت عنه شفتا الأبِ المحترم لويس بادروزا، وهو مرتدٍ ثوبه الكهنوتيَّ، كاد يعقد -من فرطِ الدَّهشة- لسانَ القسِّيس الإنجيليّ "صموئيل فِيلاّ"، وقد قصد إليه الأوَّلُ ملتمساً النُّصحَ في أوّلِ لقاءٍ لا يُنسَى بينهما. وبدا لي واضحاً من كلامه أنَّه مقتنع بقوَّة الحقِّ، ومنحصرٌ بروحِ الله، ومتشوِّقٌ للتعبير عمَّا كان قد اكتشفه بنفسه على صفحات الكتاب المقدَّس، كلمة الله المكتوبة. وها هو قد عقد العزم على أن يخطوَ تلك الخطوةَ الشاقَّة والخَطِرة، ولاَ سيّما في اسبانيا، المتمثَّلةَ في التخلِّي عن منصبه ووظيفته، والتضحيةِ بالشهرة التي كان قدِ اكتسبها بصفته مُحاضِراً ومديراً في مؤسَّستَي لُويُولا ببرشلونه وترَّاصة، رغبةً منه في أن يكون أميناً بالنسبة إلى الاستنارة التي كان قد حصل عليها.]

وهاك ما كتبه لويس بادروزا: "لا يكمن وراء قراري الخطير هذا سببٌ واحدٌ، بل عدَّةُ أسباب. فبعدما قضيتُ أربعين سنةً كاثوليكيّاً مُخلِصاً، وخمس عشرة سنةً في التدريب الاكليريكيِّ المكثَّف، وعشر سنين كاهِناً وواعظاً ذا شعبيَّة لجموعٍ غفيرة، وثلاثاً وعشرين من الحياة المتديِّنة في الرهبانيَّة اليسوعيَّة، توصَّلتُ إلى قناعةٍ راسخة مؤدّاها أنَّ كنيسة روما الكاثوليكيَّة ليست هي كنيسة يسوع المسيح الحقيقيَّة. ثُمَّ إنَّ ثلاث عشرة سنةً من الدراسة الحثيثة لِلاَّهوت الدِّفاعيّ

أوصلتني إلى اقتناعٍ لا يُنقَض، وأنا علىعِلمٍ بالحجج التي يتذرَّع بها كِلا الجانبيَن، وقد أنعمتُ النظر فيها عن كثب.

"تناولت الكتاب المقدَّس وأخذت أُفتِّشه، سائلاً نفسي: أينَ التعليمُ بالعصمة البابويَّة؟ فما وجدتُ هذه العقيدة في أيِّ موضعٍ منه ... أينَ كلُّ ما يُقال عن الصَّومِ المُتعلِّق بالمُناولة وعن القُدّاس؟ وأيضاً لم أجدْ شيئاً عن ذلك! وكُلَّما استزَدْتُ درساً زدتُ يقيناً بأنَّ المسيحيَّة شيء والكثلكة شيءٌ آخر، بعيدٌ كلَّ البعد؛ وكُلَّما أكثرتُ من تفتيش الكتاب المقدَّس زاد اقتناعي بهذه الحقيقة. ففي الكثلكة الرومانيَّة، يُعرَض يسوع المسيح كأثَرٍ من الآثار البائدة، وكجثَّةٍ هامدة، رجُلاً مسمَّراً على صليب، ميْتاً غيرَ حيٍّ البتَّة. ومِن ثَمَّ لا تقدر الكنيسة الكاثوليكيَّة أن تدفع الكاثوليكيَّ إلى محبَّة يسوع المسيح، وحيثُ لا محبَّة فلا إمكانيَّةَ للخلاص، مهما حاز المرءُ من قداديسَ وأوشِحةٍ وأوسمةٍ ومداليات وتماثيلَ وصُوَر. فذلك كُلَّه عديم النفع حيثُ لا محبَّةَ صادقةً ولا إيمانَ خالصاً. وما كانت مثلُ هذه المحبَّة لِتُوجَد ما لم يرَ الإنسانُ الربَّ يسوع المسيح حيّاً وقد ماتَ لأجله بالذات. فبحسب الفكر الكاثوليكيّ، يتوقَّف خلاصُك كليّاً على ذاتِك ومجهوداتك، على تلاوتك صلواتٍ كثيرةً، وعلى استخدامك ذخائرَ عديدةً، وعلى تعبُّدك للعذراء المطوَّبة، وعلى تناوُلِك "جسدَ المسيح". مِن هذا، ومن كثيرٍ سواه، بتُّ مُدرِكاً أنَّ التعليم الكاثوليكيَّ لا يُعقَل أن يكون هو الحقّ. وما أخطر هذا الأمر!

"ذلك أنّك تجد نفسك في مواجهة التقليد الذي طالما تمسَّكتَ به طوالَ عمرك، وفي مواجهة بيئتك المعهودة وعائلتك وأقربائك وأصدقائك الذين سيقولون عنك أمراً منِ اثنين، أو كليهما معاً، إذ ليس عندهم من حجَّةٍ أُخرى يزعمونها بشأنِ من يترك الكثلكة في سبيل المسيحيَّة الحقّ: إمّا إنَّك مجنون، وإمّا إنَّك واقعٌ في الحُبّ.

"أوّاهِ لو تعرفون عذاب النفس الذي يُعانيه الكاثوليك! ناسٌ يذهبون إلى القُدّاس كلَّ يوم، ويؤمُّون الكنائس كلَّ حين، ولكنْ يعيشون في عذابٍ نفسيٍّ مُقيم، مُسائلين أنفُسَهم: "هل أكون بين المُخلَّصين أو بين الهالكين؟ هلِ اعترفتُ اعترافاً صالحاً أو لم أعترفْ؟ "وهكذا يُحرَمون السلامَ والسَّكِينة. أفهذا هو الدينُ الحقّ؟ وما هذا كُلُّه؟ وفي أيِّ موضعٍ من الأناجيل نجد هذا الأُسلوبَ في تعذيب الخاطئ؟ بل مَتى عذَّب يسوعُ المسيحُ أو رسلُه الخُطاةَ بأسئلتهم؟

"ما أروعَ أن تتحقَّق في صميم قلبك بأنَّ يسوع المسيح ربَّنا قد افتداك، وأنَّنا بالنعمة مُخلَّصون! أمَا يقول الرسول بولس: "إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب"؟

"لا يسعني البتَّة أن أشكر الربَّ يسوع شُكراً كافياً لإتيانه بي إلى شخصه وإلى حقِّه. إنَّ أبي وبعض أقربائي الآخرين حَزانى جدّاً بسببي، ظنّاً منهم أنَّي ارتدَدْتُ عنِ الإيمان. غير أنَّ اتِّباع الربِّ يسوع وقراءةَ كلمة الله بكلِّ نقاوتها، بمعزلٍ عن الإضافات والتحريفات التي تراكمت عبر القرون بفعل الكثلكة، ليسا من الارتداد عن الإيمان المسيحيِّ في شيء."

(الكاهن المولود ثانيةً: لويس بادروزا)

لا تكتمْ شكوكك

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"توفيق خوري"

وُلِدتُ في لبنان، وعُمِّدتُ بالتغطيس ثلاثاً حسب الطقس الذي جَرَت عليه العادة في الكنيسة الكاثوليكيَّة السريانيَّة. ولمّا كُنتُ في الثالثة من عمري تُوفِّيت والدتي، فأُرسلتُ إلى مدرسة داخليَّة في مدينة القُدس تديرها راهباتُ الرَّحمة.

وقد أصرَّ أحدُ الرِّجال، ويُدعى جرمان، على أنَّ من الواجب أن أصير كاهناً. فلمّا كنتُ في الثالثة عشرة من العمر، اخترتُ دخول مدرسة إكليريكيَّة في سبيل الاستعداد للكهنوت.

بعد تخرُّجي وسيامتي كاهناً، ثارت لديَّ شكوكٌ كثيرة. ولكنَّ رؤسائي دَعَوا تلك الشكوك "فضيلةً ملائكيَّة". وقالوا لي: "إذا واجهتك أيَّة صعوبات بشأن العقائد، فلا تقلق، بلِ اقتدِ بشفيعك، مار منصور دي بول".

ويُحكى أنَّ مار منصور كتب قانون الإيمان على ورقةٍ ثمّ لفَّها. وكان إذا ساورته الشكوك يُقبِّل تلك الورقة ويضمُّها إلى صدره قائلاً: "يا ربّ، لستُ أفهم، إلا أنّني مع ذلك أُومِن!" فعملتُ بهذه النصيحة، وأحرزتُ بعض السلام. غير أنَّ هذا العلاج لم يكُن من القوَّة بحيثُ يدوم طويلاً.

ثمّ جاء تعييني مُحاضِراً في معهدِ اللاَّهوت ليُثير صعوباتٍ جديدة في وجهي، إذ بات عليَّ آنذاك أن أبذل أقصى جهدي لأكون قُدوةً صالحة لتلاميذي.

ورحتُ ألتمس ما لزمَني من قوَّةٍ في الأسرار الكنسيَّة، إلاَّ أنَّها لم تمدَّني بالعون، وبدأتُ أُشكِّك جِدِّيّاً بقيمتها. منذ ذلك الحين بدأتْ تُراوِدني فكرةُ الاستعفاء من الكهنوت.

ثمَّ تحدَّثت إلى كاهنٍ اعترافي، وهو فرنسيسكانيٌّ متقدِّم في العُمر كان يقيم في دَير جثسيماني. فما كان منه إلاَّ أن قال لي: "يا بُنيَّ، حتَّى أعظمُ القدِّيسين أقلقَتْهم تجاربُ بشأن معتقداتهم. فليس هذا سبباً وجيهاً للاستعفاء. ما عليك إلاَّ أن تواصِلَ مسعاك بكلِّ هدوء."

وبعد خمس سنين عُيِّنتُ كاهناً لأبرشيَّة في بيروت، الأمرُ الذي أتاح لي الاحتاك عن كثب بعامَّة الناس، وببؤسهم طبعاً. فبتُّ مطَّلعاً على معاناة الفقراء؛ وبينما كنتُ راغباً في نفعهم ببعض الخير على الصعيد الروحيّ، شعرتُ بعجزي عن ذلك لأنَّني لم أستطِعِ الحصولَ على السلام لنفسي المعذَّبة.

في الأخير قصدتُ إلى المندوب البابويِّ وطلبتُ إليه أن يُعفيَني من مهامِّي الكهنوتيَّة. ومرَّةً جديدة لم يُلبَّ طلبي، إذِ اعتقد المندوب أنَّني أُعاني اكتئاباً أو إحباطاً لا غير، ومن ثَمَّ نقدني مبلغاً من المال –نحو عشرين ليرةً– رفعاً لمعنويّاتي. فغدا جيبي أكثرَ امتلاءً، فيما ظلَّ قلبي أشدَّ خواءً.

كنتُ أُريد أن أترك الكهنوت بغير حقدٍ ولا جدال ولا إزعاج، ولكنَّ كنيستي لم تَدَعْني أُغادِر بسلام. وصرتُ أشعر بأنَّني عبدٌ للنظام الكنيسيِّ وأنَّ رئاستي لن تُفلِتَني من يدها. وكنتُ أخشى أن أعمد إلى ترك الكهنوت مباشرةً، لأنَّ المعتقدات الكاثوليكيَّة كانت ما تزال تُسيطر عليَّ. فمثلاً، كنتُ ما أزال أعتقد أنَّ روما هي مُعطية الخلاص وحدَها، وأن لا رجاءَ بالخلاص خارجاً عنها.

وما أكثر ما سمعتُ من التشهير والشَّجب للكهنة المرتدِّين. فكانوا يُصوَّرون دائماً بأنَّهم أمثلة فاضحة للكبرياء، أو عبيدٌ للغرائز الحيوانيَّة. وبالطبع، لم أكُن أرغبُ في أن أصير واحداً منهم. وما كنت أعلم آنذاك أنَّ آلافاً عديدة

من الكهنة الكاثوليك قد تركوا كنيسة روما، لأنَّ ضمائرهم لم تسمح لهم بقبولِ ادِّعاءاتها.

وذاتَ يومٍ ذهبتُ إلى كنيسة أبرشيَّتي، حيث جثوتُ وقلتُ، داقّاً بيدي على المذبح: "يا ربُّ إن كنت هُنا الآن حقّاً، فأرجوا أن تُساعدني!" وفي غمرة توهُّمي الكُلِّي بصحَّة عقيدتي الكاثوليكيَّة، قرَّرت أن أزور دار الكتاب المقدَّس في بيروت للعثور على كتابٍ يتناول مختلف المذاهب الدينيَّة.

ثُمَّ توجَّهتُ إلى دارِ الكتاب المقدَّس، وأنا أعي أنَّني أزور "هراطِقة"، مرتدياً ثوبي الكهنوتيَّ. وقرعتُ جرس الباب، ثمَّ طلبتُ كتاباً في الدِّين. ولشدَّ ما أدهشني أنَّني لقيتُ ترحيباً حارّاً، ثُمَّ حدَّثني مُستقبِلِيَّ بكلِّ بساطةٍ عن يسوع المسيح، وأعطَوني كُتيِّباً عنوانه "نحو اليقين". عُدتُ بذلك الكتاب إلى غُرفتي، وقرأتُ فيه يوماً فيوماً. وإذ رحتُ أقرأُ معَ العهد الجديد، بتُّ أدرك الطبيعة الحقيقيَّة للرسالة المسيحيَّة.

كان في مكتبتي بضعُ طبعاتٍ من الكتاب المقدَّس، بالعربيَّة والسريانيَّة واللاتينيَّة والفرنسيَّة. ومع ذلك لم يسبق لي أن قرأتُ الكتابَ المقدَّس بتمعُّن أو تفكير. ولم أكُن أُقدِّر الكتاب المقدَّس أيَّ تقديرٍ بوصفه كلمة الله. إلاّ أنَّني آنذاك أقبلتُ على الكتاب المقدَّس بكلِّ لهفة، كما من قلبٍ جائعٍ بالفعل.

ثمَّ جاء اليوم الذي فيه ركعتُ وسلَّمتُ نفسي بجُملتِها للمسيح، تماماً مثلما حثَّتني كلمةُ الله أن أفعل. أغمضتُ عينيَّ وقلتُ للربّ: "ربِّي يسوع، أنت وحدك المخلِّص. واسمُك معناه المخلِّص. إنَّني أُسلمُّك ذاتي بوصفك المخلِّص. ومن هذه اللحظة فصاعداً، لن أبنيَ على أيِّ أساسٍ آخر!"

وهكذا حدثَتِ المعجزة التي كنتُ في مسيس الحاجة إليها، فصرتُ شخصاً جديداً، ولَداً من أولاد الله. وبفضل الحياةِ الجديدة التي صارت في داخلي، كانت لي الشجاعةُ على ترك الكنيسة. فبغير أيِّ خوف، وبغير أذيَّةِ أحَد، قلتُ لمطراني: "يا سيادة المطران، لقد نويتُ أن أترك الكنيسة." ثمَّ أعقبت هذا محادثة طويلة مع

المطران، قال في ختامها: "ما أغربَ الأفكار التي عندك!" "ولكنْ، يا سيادة المطران، ليست هذه أفكاري، بل هي في الأناجيل!" لا، لا! إنَّها ضلالاتُ بروتستانتيَّة. لماذا لا تُريد أن تسمع الاعترافات في ما بعد؟" أجبْتُ: "لأنَّ يسوع المسيح وحده صاحب السُّلطان على مغفرة الخطايا. فهو سفك دمه لأجلنا. وهو وحدَه أوكلَ إليه الله السُّلطان كي يكونَ مخلِّص الناس وغافر خطاياهم. وليس من حقِّي أن أنتهك حقوقَ يسوع المسيح."

أراد مطراني أن أتكلَّم مع كاهنٍ يسوعيٍّ على أملِ أن يُغيِّر فكري، فأرسلني إلى أُستاذ كليَّة اللاهوت في بيروت. وساءلني الأُستاذ في حال نفسي، قال: "كيفَ حياةُ الصلاة لدَيْك؟" "آه، إنَّ الصلاه هي انسكابٌ لنفسي!" "هل تُصلِّي إلى مار منصور دي بول؟" "كلاَّ البتَّة، أيُّها الأب". "هل تُصلِّي إلى العذراء المقدَّسة؟" لا، أيُّها الأبُ، إنَّني أُصلّي إلى يسوع المسيح فقط، كما أُصلِّي إلى الآب باِسْم يسوع." ولكنْ أما عُدتَ تؤمن بالعذراء الطاهرة بعد؟" "بلى، وأحترمُها كَلَّ الاحترام، ولكنَّني لا أُريد أن أُعطيَها أيّاً من الحقوق التي تخصُّ الربَّ يسوع." فقال: "واضحٌ عندي تماماً أنَّك بروتستانتيٌّ إلى أبعد الحدود، ولَن أُكلِّمك بعد!"

لقد تركتُ الكنيسة، ولكنَّني تركتُها وفي قلبي سلامٌ تامٌّ، لأنَّني قابلت الربَّ يسوع مقابلة شخصٍ لشخص. وما المسيحيُّ الحقُّ إلاّ امرؤٌ اختبر المسيحَ اختباراً شخصيّاً واقتبل حياةً جديدة بالكُليَّة هبةً من الله مجانيَّة. هذا الأمر يحدث يومَ نتَّكل على الربِّ يسوع المسيح ونكفُّ عنِ الاتِّكال على مجهوداتنا في سبيل اكتساب الخلاص. إنَّه يحدثُ يومَ نضعُ كاملَ ثقتنا في ما قد عمله المسيح ليرفع عنّا الخطيَّة وينــــزعَها، ونطلبُ إليه أن يصير هو مركز حياتنا ورفيقَ عُمرِنا.

(الكاهن المولود ثانيةً: توفيق خوري)

نَفْسُ كاهِنٍ

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"لِيو لِيهْمان"

لقد أُتيح لي أن أرى الكثلكة في حيِّز العمل في ثلاث قارّات. وقد ركبتُ مع الكرادلة في سيّاراتهم الفخمة وهم يتجاوزون الحَرَس السويسرانيَّ إذ يؤدِّي لهمُ التحيَّة فيما يعبرون "بوّابة دمشق" في الفاتيكان وصولاً إلى أرباض الحبر الأعظم الخصوصيَّة. وبمشهدٍ منِّي تُوفِّي أحدُ البابَوات ودُفِن، ثُمَّ انتُخِب خليفتُه وتُوِّج. ووقفت إلى جانب البابا الراحل بيوس الحادي عشر حين نصَّبه البابا بنديكت الخامس عشر كَردينالاً، واضعاً على رأسه تلك القلنسوة الغريبَة الشكل، وأنا حاملٌ الذيلَ الأُرجوانيَّ لكردينالٍ قد نُصِّب توّاً. وخدمتُ كاهناً، ليس فقط في كاتدرائيّاتِ أوروبا الخلاّبة، بل أيضاً في المزارع الهولنديَّة المتناثرة على المروج الأفريقيَّة الفسيحة، وفي أكواخِ الكنائس المتداعية المُقامة في غابات فلوريدا البعيدة.

وُلِدتُ عام ١٨٩٥ في "دَبلِن". وليس لي ذكرياتٌ سعيدة عن سني حداثتي. فإنَّ إحساس خوفٍ دائماً خيَّم آنذاك على كلِّ شيء. وفي الواقع أن الخوف كان يُلازم كلَّ عملٍ دينيٍّ يقوم به الكاهن، سواءٌ تعلَّق بالاعتراف أو حضور قُدّاس الأحد أو ما يُباح أكلُه أيّام الصوم والقطاعة، أو بجهنَّم أو السماء أو المطهر أو الموت أو يوم الحساب أمام إلهٍ غاضب.

وقد كان الكتاب المُقدَّس كتاباً مُغلقاً، في غرفة الدرس وفي الكنيسة وفي المنزل. فلم يكن لنا مالٌ لنشتريَ نسخةً كاثوليكيَّة، وهي باهظةُ الثمن عادةً، ولا كُنَّا نتجاسرُ على قبول كتاب مقدَّسٍ مجّانيٍّ من جمعيَّة بروتستانتيَّة.

وعلى نحوٍ أساسيٍّ، كان الخوف المرتبط بكلّ شيء في الديانة الكاثوليكيَّة هو الذي أسهم في دفعي لاتِّخاذ القرار بأن أصير كاهناً. فقدَّمتُ طلباً بشأن ذلك وتمّ قبولي في معهد "مَنغْرِت" الإرساليّ على مقربة من مدينة "لِيميريك".

وفي أثناء سني دراستي الاكليريكيَّة في روما، ساورني أوَّلَ مرَّةٍ الشكُّ والارتياب في الممارسة البابويَّة للمسيحيَّة. ومن الأفكار التي جالت في خاطري آنئذٍ: إذا كانت روما هي المركز الوحيد للإيمان الصحيح، فلماذا تكاد الديانة الحقيقيَّة تنعدمُ بين مواطنيها؟ وما سببُ ما كان مستشرياً من إلحادٍ وانحطاط وفجور؟ حتّى اللياقةُ العامَّةُ لم تُبدِها لنا العامَّةُ ونحن نمرُّ في شوارع المدينة، بل كان حتّى الصغارُ يشتموننا عَلَناً بعباراتٍ بذيئة! ثُمَّ لماذا تلك المطالبةُ الشديدة بأن يعمد كهنةٌ في ايرلندا وسواها إلى نفي أنفسهم في الصين والهند وأفريقيا، مرسَلينَ في سبيل الدعاوة البابويَّة، في حين تعجُّ روما نفسُها بعشرة آلافِ كاهنٍ قابعينَ بتراخٍ في مكاتب الفاتيكان ولا يكاد يُتاح لهم أن يجدوا ما يكفيهم من المذابح في كنائس المدينة الأربعمئة لإقامة القداديس؟ كما ساءلتُ نفسي أيضاً لماذا ينبغي أن يُمثِّلَ الثلاثَ مئة مليون من الكاثوليك، الذين يُتباهى بهم في جميع أنحاء العالم، كرادلةٌ في روما ثُلثاهم تقريباً من الإيطاليِّين؟ وقد كان أهلُ إيطاليا البالغُ عددُهم أربعين مليوناً كاثوليكيِّين بالاسْم فقط وليس لديهم أيُّ توجُّهٍ دينيّ على الإطلاق. ولكنَّ الكاثوليك العشرين مليوناً الذين في الولايات المتَّحدة الأميركيَّة، مثلاً، لم يكونوا يواظبون فقط على حضور القداديس، بل كانوا أيضاً يتبرَّعون لصناديق الفاتيكان بأموالٍ كثيرة. إلاَّ أنَّ ثلاثةً من الأميركيِّين فقط سُمح لهم بأن يصيروا كرادلة، وهم متوسِّطو المستوى غير أنّهم خُدّامٌ مُوالُون لروما لن يجرؤوا أبداً على التعبير عن أيَّة معارضة لِما تُمليه عليهم. وقد تنامى إليَّ خبرُ الدَّسائس بين اكليريكيّي روما في سبيل اكتساب رضى ذوي السُّلطة في الفاتيكان، واطَّلعتُ على تهافُتهم في سبيل الظفر بالإكرامات البابويَّة والترقية إلى المناصب العليا. وتبيَّن لي أنَّ نزاعاتٍ مريرة كانت مستحكمة بين ذوي المناصب الكنسيَّة الرفيعة.

ومررتُ كلَّ يومٍ معالـم تشهد على الأفعال الفاسدة الصادرة عن بابَواتٍ جشعين، محاربين، ذوي طموحٍ فائر، وعلى سياساتهم الأثيمة. ومنها حصن سانت أنجيلو، أو قلعة هادريان، حيث الحيطان ملطَّخة بالسَّواد من جرّاء القصف المدفعيّ الذي أمر به بابا تحصَّن في معقل الفاتيكان، ردّاً على بابا آخر رفض الحرم الذي أصدره بحقِّه.

أخيراً جاء يومُ رسامتي، فكان احتفالُ طويل لا يكاد ينتهي. ولو كنتَ مكاني لأذهلتك الأفعال الكثيرة التي تؤدّى لك، والصلواتُ العديدة والتراتيل الرتيبة الطويلة. ثُمَّ تُكرَّس أصابعك لإجراء القُدّاس، وتُلَفُّ بقماشٍ فاخر من الكتّان، كما يُمسَحُ رأسُك ويُلفُّ أيضاً بقماشٍ من كتّان. وتُقدَّم إليك كأسُ القربان كي تلمسه متبرِّكاً، وتُمنَحُ السلطانَ على غفران الخطايا ومسْح المُحتَضَرين ودفن الموتى. وأوّلَ مرَّة تذوق الخمرَ من كأس القُدّاس التي يذهب الاعتقاد الكاثوليكيّ إلى أنّك أسهمت توّاً في تحويلها إلى دم المسيح بتلاوة صيغةِ التقديس الجوهريَّة. وقد كان الأُسقف الذي تولَّى الرسامة هو الكاردينال باسيليو بومبيلي، وجرى الاحتفال في كنيسة مار يوحنّا اللاتِرانيّ.

إلاَّ أنَّ أيَّة فرحةٍ خبرْتُها يومذاك بدَّدَتْها حادثةٌ مؤسفة شهدتُها في ليلةِ ذلك اليوم. فإنَّ واحداً من زملائي أُصيب بمسٍّ في عقله بسبب إجهادُ الروتين الآليِّ والقيودُ التي لا تُحصى، وتكرار نوعٌ من الصلوات يُعرف "بالوسْوَسة المُفرطة".

وأذكرُ حادثةً أُخرى شبيهة بهذه. ففي فلوريدا بعد مُدَّة، اعتدتُ أن أزورَ مؤسَّسةً للأولاد المتخلِّفين عقليّاً، في ضواحي مدينة "غاينسفِلّ". وأحضر إليَّ الطبيبُ المسؤول فتاةً كاثوليكيَّة في نحو الرابعة عشرة من عمرها تمثَّل وسواسُها في تلاوةٍ محمومة تردِّد وتُعدِّدُ "السلام عليك يا مريم!" وقد تخيَّل عقلُها بتوهُّمها أنَّ عليها أن تتلو تلك الصلاة مئة مرّة كلَّ يوم، ولكي يتأكدَّ لها أنَّها تتلوها في أوانها جاوزَتِ الألفَ مرَّة. ولا شكَّ في أنَّ أحد الكهنة قد فرض عليها هذه الصلوات كفرضٍ تكفيريّ من فروض التوبة بعد الاعتراف.

بعد ثلاث سنين ونصف من خدمتي كاهناً في جنوب أفريقيا، استُدعيتُ إلى روما للعمل في الفاتيكان. وعلى مرِّ الزمن ظلَّتِ الشكوك تُساورني حول أُصول البابويَّة، وما انفكَّت تُقِضُّ مضجعي الرِّيبةُ المتفاقمة في كون الممارسات الكاثوليكيَّة مسيحيَّةً حقّاً، ومعرفتي عن كثب بحيوات إخواني الكهنة المُحطَّمة، وأملي الخامد في أن تشهد الكنيسة أيَّ تحسين تحت السيادة البابويَّة. وبسرعةٍ أخذت تتداعى وتتصدَّع في داخلي صورةُ البابويَّة الرومانيَّة -بوصفها الحارسةَ التي عيَّنها الله على المسيحيَّة- وذلك على مختلف الصُعُد: روحيّاً وعقائديّاً وقضائيّاً وشخصيّاً. وهكذا واجهتُ الإدراكَ اليقينيَّ المؤلم بأنَّ عليَّ أن أقطع كلَّ علاقةٍ لي بها إن أردتُ الإبقاء على إيماني بالمسيحيَّة.

ومِن روما نُقِلتُ إلى أميركا. وإذ ألفَيتُني وافداً جديداً في بلدٍ غريب، فكَّرتُ في إنقاذ نفسي من اليأس الكُليّ بالانصراف الدائب إلى العمل المتواضع في تلبية الحاجات الروحيَّة للبسطاء من الناس.

والحادثة التالية توضِّح الإحساس بالفشل الذي عانيتُه: فقد كابدتُ ذات مرَّة محنةً محزنة تمثَّلت في مساعدة شابٍّ محكوم عليه بالإعدام بالكرسيِّ الكهربائي في سجن ولاية فلوريدا في "راينفورد"، وكانت داخلةً في نطاق أبرشيَّتي في "غاينسْفِلّ". كان ذلك الشاب من مدينة في شرق البلاد، وقد وُلِد وعُمِّد كاثوليكيّا، وتخرَّج في مدرسة تابعة للأبرشيَّة. وفي صباه عُلِّم جميعَ الممارسات الكاثوليكيَّة المعتبَرة جوهريّةً في سبيل حياةٍ تتميَّز بمخافة الله. وتمَّ اعتقالُه في "تامبا" بتهمة المساعدة في جريمة من الدرجة الأولى خلال سرقةِ مطعمٍ قُتِل المالِكُ في أثنائها. وفعلتُ كلَّ ما كان في وسعي لتحضير هذا الشاب لاجتياز "المِيل الأخير". وأجريتُ له كُلَّ شعيرة من الشعائر التي رسَمَتها الكنيسة الكاثوليكيَّة والتي يُقال إنَّ النعمة والقوَّة تغمران بفضلها النفوسَ المُحتاجة. حتّى إنَّني، وهو جالسٌ على الكرسيّ الكهربائي بلا حراك بُعيدَ إنجاز التيّار المُميت عملَه، مسحتُ جبينه بالزيت كما تقضي ممارسة سرِّ "مسحة المُحتضَر". ومع ذلك كُلِّه أخفقتُ

في الإتيان بأيَّة تعزية حقيقيَّة لنفس ذلك الشابِّ المسكين، تلك المضطرِبةِ والموصومة بالخطيَّة!

وقد سبق أن زرتُ الشابَّ في زنزانة الموت، خلال أُسبوعه الأخير الرهيب، ووسمْتُه بصيغة التَّحِلَّة مرَّةً بعد مرَّة. وفي ذلك الصباح الأخير وصلتُ إلى أبواب السجن عند شقِّ الفجر حاملاً جميع الأدوات المُرِبكة الضروريّة للاحتفال بالقدّاس. ثُمَّ رتَّبت الأدوات على طاولة قربَ القضبان الحديديَّة المزدوجة أمام زنزانته. وارتديتُ ثوب القُدّاس البرَّاق، ومضيتُ أحتفل "بذبيحة" القُدَّاس على أكمل نحوٍ، بكُلِّ الجلال الذي يُمكِن أن يوفِّره ذلك الجوُّ المُنذِرُ بالشؤم والمخيِّمُ على زنزانةٍ حُكِم على نزيلها بالموت. وكان الشابُّ المسكين، بتوقُّعٍ رهيبٍ محموم، يذرعُ أرض الزنزانة جيئةً وذهاباً، مدخِّناً سيكارةً في أعقاب الأُخرى. وقد رمى أحدى السكاير ليتناول برأس لسانة برشانةَ العشاء الربّانيِّ المقدَّسِ التي ناولتُه أيّاها من وراء القضبان. ولم يكُن لها أيُّ أثرٍ إيجابيّ، فيما هدَّأتهُ قليلاً حقنةُ المورفين التي حقنه بها الطبيب قبل عشر دقائق من سَوْقه إلى الكُرسيّ. وفجأةً خطر لي هذا الخاطر: أنَّ حقنةَ الطبيب الوحيدةَ أراحَتِ الفتى إراحةً ظاهريَّةً فاقَت ما حقَّقته كلُّ إجراءاتي التي تقتضيها أسرارُ كنيسة روما الكاثوليكيَّة والتي يُقال إنَّها تُريح الجسم والنفْس معاً. ثُمَّ لحقْنا بالفتى إلى الكرسي الكهربائيّ.

وفيما التيّار القاتل، بكامل قوّته، يجتاحُ جسم الفتى فيهزُّه هزّاً عنيفاً ويجعله مُتصلِّباً ومتجَّمداً وكأنَّه معلَّقٌ في الهواء، راحت يدي تتحرَّك صعوداً وهبوطاً راسمةً علامة الصليب، مصحوبةً بكلمات الحلِّ من الخطايا، باللاتينيَّة، وكأنَّني أنا أيضاً أستيطع أن أبثَّ تيّاراً من النعمة الغافرة في نفسه المُفارِقة. حتَّى إذا توقَّف التيّار، همد جسدُه وغدا عديمَ الحياة، فتقدَّمتُ إلى الأمام وبيدي قُمقُم الزيت. ثمّ طلبتُ إلى الجلاّد أن ينـــزع القبَّعة الحديدية من على رأس الفتى، ومسحتُ جبينه، الذي ما زال رطباً بعَرَق الموت، بالزيت الذي يُستعمَل في الطقس الأخير من طقوس الكنيسة الكاثوليكيَّة. ولمّا لم يكن أحدٌ من أقرباء الشابّ حاضراً، طلبتُ جُثمانَه

ودفنتُه في المقبرة الكاثوليكيَّة، مُجرياً مراسِم الجنازة كاملةً، رُغم احتجاج بعض الكاثوليكيِّين الأتقياء في رعيَّتي مِمَّن اعترضوا على دَفن قاتلٍ مُعدَم بين أقربائهم المتوفَّين. وقد كان عليَّ أن أُذكِّرهم بأنَّ يسوع المسيح مات بين لِصَّين مُجرمَين.

بيد أنَّني شعرتُ حقّاً بأنَّي خذلتُ ذلك الفتى المسكين ساعةَ كان في أمسِّ الحاجة إلى المعونة، على الرُّغم من قيامي الدقيق بجميع الشعائر التقديسيَّة التي أجريتُها بأصابعي المكرَّسة. وربَّما كان ذلك كلُّه أيضاً من جرّاء غَلَطي أنا، إذ لم يكُن عند أيُّ شيءٍ ذي قيمة حقيقيَّة لأُعطيَه إيّاه، وقد بدا كلُّ شيء تافهاً وفارغاً ومُحزِناً. ومع ذلك كان عليَّ تقبُّل إطراء الكاثوليك لأنَّني نجحتُ حسب الظاهر في القيام بعملِ كاهنٍ حقيقيّ لخير شابٍ مسكينٍ محكوم.

وعلى الطريق الطويل، بعيداً من كنيسةِ حداثتي وكهنوتها، كان عليَّ أن أُسافِر وحيداً، بغير توجيهٍ ولا عطفٍ من البشَر. ولكنَّ الربَّ يسوع المسيح ما برح رفيقي ومُرشدي الوحيد. فبعزمٍ وطيد أمسكتُ بيده الممدوة إليَّ واتَّبعتُه حيثما سار بي.

وبعد مغادرتي كنيسة روما الكاثوليكيَّة نهائيّاً، أعلن المسيح نفسه لي مخلِّصاً شخصيّاً. فمن جرّاء قراءة كلمة الله تكشَّفت لي ضلالاتُ الكثلكة الكثيرة. وكان عليَّ أن أجثو على ركبتيَّ، هابطاً من علياء اعتزازي الكهنوتيّ، كي أعترف بأنَّني -أُسوة بجميع الناس- خاطئٌ محتاجٌ لأن يُخلِّصه الربُّ يسوع المسيح.

(الكاهن المولود ثانيةً: لِيو لِيهْمان)

لقد رُحِمتُ!

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"إدواردو لابانْشي"

لّما كنتُ فتىً في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، فتىً عاديّاً للغاية، كان هدفي أن أصير معلِّم مدرسة. ولكنَّ انقلاباً كبيراً كان حاصلاً آنذاك في حياتي. فقد كنت أرتاد الكنيسة الكاثوليكيَّة وأتقبَّل الأسرار المقدَّسة بانتظام، مواظباً على حضور القُدّاس والاعتراف المتكرِّر، ولكنَّ الطقوس التقليديَّة والصلوات بَدَت لي فارغةً. وأثار اشمئزازي الجوُّ الدينيُّ المصطنعُ وخُرافات الكثيرين من مُرتادي الكنيسة. ولمستُ الحاجةَ إلى حياةٍ روحيَّة أسمى، كما شعرتُ أيضاً بانجذاب نحو الأمور الأبديَّة. ولئن كُنت في مطلع شبابي، فقد تنبهَّتُ جيِّداً إلى حقيقة المَوت. وكثيراً ما فكَّرتُ" هذه الأمور سوف تزول، ثُمَّ ماذا يحدث لي في الآخرة؟"

كانت الديانة الوحيدة التي عرفتُها هي ديانة كنيسةِ روما الكاثوليكيَّة. وهكذا قرَّرت أن أصير كاهناً مترهبناً، فالتحقتُ بالرهبانيَّة اليسوعيَّة. وبدا لي أنَّ رؤسائي راضون عنِّي للغاية، فسمحوا بي بنَذر النذور التي لم تكن تؤخذ إلاَّ بعد سنتين من الاختبار. وقد آتاني ذلك نوعاً من الاكتفاء، ولكنْ عليَّ الاعتراف بأنَّه كان مجرَّد اكتفاء بشريّ. ذلك أنِّي أحسستُ بأنَّني فاعلٌ أموراً تختلف عمّا يفعله سواي، وشأني شأنُ الفريسيِّ الذي وقف في الهيكل قدّام المذبح ناظراً إلى العشّار باستعلاءِ شعرتُ بأنَّني لستُ مثل باقي الناس. فقد كُنتُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة ومعتبَراً شخصاً سائراً نحو الكمال. وفي الواقع أنَّني كنتُ بالغَ الطّموح حتَّى طلبتُ إلحاقي بخدمةٍ إرساليَّة، إذ تراءى لي أنَّ في تلك الخدمات حياةً روحيَّةً أكثر سموّاً. وهكذا حصل أن أُرسِلتُ إلى جزيرة سيلان.

حالما وصلتُ إلى سيلان، ولم أكُن كاهِناً مرسوماً آنذاك، أُرسِلتُ للعمل في إحدى الكليّات قبل الشروع في دروسي اللاهوتيَّة. واليسوعيُّون لديهم فترةُ تدريب وإعدادٍ طويلة. لكنَّني سرعان ما تردَّيتُ في هوَّة اليأس من جرّاء افتقار الإرساليّات الكاثوليكيَّة إلى الحماسة في مجال هداية الوثنيِّين إلى المسيح. وقد رأيتُ المرسَلِين مُنهمِكين بالتعليم في المدارس، ولفتتني كنائسُهم الفخمة، ولكنَّني رأيتُ قدراً قليلاً جدّاً من "التبشير" كما فهمتُه في ذلك الوقت. وقد تأكَّد لي أنَّ الجوَّ الروحيَّ يُعاني أعراض الموت.

وفي الأوانِ أُرسِلتُ إلى الهند لمتابعة دروسي اللاهوتيَّة، ثُمَّ رُسِمت كاهناً في الأخير. وخلال دراستي قابلتُ وجهاً لوجه الأديانَ الأُخرى، من هندوسيَّة وبوذيَّة وإسلام، وأخذتُ أواجه تحدِّياتٍ في العُمق بشأنِ ديانتي، وأُسائل نفسي عن الفرق الجوهريّ بين المسيحيَّة وتلك الأديان. فقد كان لأتباع تلك الأديان كُتُبُهم وأسفارُهم المقدَّسة، وكانت لديهم مثلٌ عُليا ووصايا خُلقيَّة حاولوا أن يعيشوا بموجبها. وكان ممكناً للهندوسيِّ أن يضع صورةً أو تمثالاً للمسيح بين آلهته الأُخرى، ويبقى مع ذلك هندوسيّاً تقيّاً. فهل من فارقٍ أساسيٍّ بين هذه الأديان والمسيحيَّة، أوِ الدِّياناتُ كلُّها سواءٌ؟

نحوَ ذلك الوقت تقريباً بدأتُ أرى النُّور شيئاً فشيئاً، ولا بُدَّ لي من الإقرار بأنَّ ذلك حصل على الرغم من كوني ما زلتُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وقد كُنت أُشارف الانتهاءَ من دروسي اللاهوتيَّة، على أنَّ إشراق النور عليَّ لم يكُن بكلِّ يقينٍ من جرّاء تلك الدروس، ولا كان ذلك بفضل أساتذتي، أو تأمُّلاتي، أو طاعتي للبابا. إنَّ في وسعي تأكيد ذلك. فالواسطة التي استخدمها الله في إنارتي إنما كانت قراءة كلمته المقدَّسة ودراستها. حتَّى إني، قبلَ ذلك الحين، شعرتُ في داخلي بانجذاب مميَّز نحو الكتاب المقدَّس بطريقةٍ لا أستطيع تفسيرها، إذ شاقتني كلمةُ الله بوصفها أمراً نقيّاً وحقيقيّاً يُخاطِب قلبي ويُمكنني فهمُه، أمراً يتعدَّى كونَه مجرَّدَ كلامٍ رواه البشر. فعكفتُ آنذاك على قراءة الكتاب المقدَّس ودراسته عن كثب، وإذ فعلتُ ذلك بدأتُ أُدرك أنَّ الفارق الجوهريَّ بين المسيحيَّة

والأديان الأُخرى لا يكمن أساساً في الوصايا والعقائد بل في شخص يسوع المسيح. ومن ثَمَّ أخذت أتمعَّن في ما يقوله الكتاب المقدَّس عنِ المسيح وعن عمله الكفّاري، وفيما أنا فاعلٌ ذلك أخذت أتمثَّله حيّاً أكثرَ فأكثر. وبالتدريج بدأ المسيح يصير كالشمس، آخِذاً في الإشراق شيئاً فشيئاً على أُفق حياتي. فعلى الرغم من كوني ما أزال أُراعي حينذاك كثيراً من العقائد الكاثوليكيَّة، كان أمرٌ عجيبٌ يحصلُ لي.

بعد رسامتي أُرسِلتُ ثانيةً إلى سيلان عام ١٩٦٤، كاهناً هذه المرّة، وفي ذلك الحين بُعِثتُ إلى مدينة في وسط الجزيرة لتقديم سلسلة محاضرات عن الكتاب المقدَّس لبعض متعلِّمي الدِّين الكاثوليك، إذ عرف رؤسائي باهتمامي بالكتاب وبدراستي له دراسةً خاصَّة. وفي سياق إحدى تلك الزيارات دخلت الكنيسة الإنجيليَّة في المدينة. وكنتُ قد رأيت تلك الكنيسة الصغيرة بالطبع في ما مضى، إلاَّ أنَّني احتقرتُها دائماً. وقد كان على مقربة منها كنيسةٌ كاثوليكيَّة فخمة، ممّا جعلني أفكِّر: "ما يظنُّ هؤلاء البروتستانت الضئّال أنَّهم قادرون أن يفعلوا؟" ولكنْ في ذلك اليوم بالذات دفعني حافزٌ خفيٌّ إلى دخولِ الكنيسة الصغيرة. لعلَّ الحركة المسكونيَّة الجديدة هي ما جعلني أشعر بأنَّ علينا الآن أن نكون ودودين ولُطَفاء تجاه "إخوتنا المنفصِلين". وكان جليّاً أنَّهم فوجئُوا برؤيتي داخلاً، إلاَّ أنَّهم استقبلوني بترحاب وقدَّموا إليَّ بعض الكُرّاسات والمطبوعات. وما استطعتُ إلاَّ أن أتأثَّر بحماسة أولئك القوم وتكريسهم. كان بعضُهم مرسلين سويديِّين، وبعضُهم مؤمنين سيلانيِّين وعُمّالاً. وكانوا يقومون بحملة تبشيريَّة، موزِّعين النُّبَذ والدَّعوات في الشوارع، كما كان حتّى الأولادُ بينهم يُساعدون بحماسةٍ في تلك المهمَّة. ولم أكُن قد رأيت في الكنيسة الكاثوليكيَّة مثل تلك الحماسة. وقد تبيَّن لي أيضاً أنَّهم يُحاوِلون أن يَهدوني إلى إيمانهم.

ومن المَطبوعات التي أعطَوني إيّاها، استحوذَت واحدةٌ على اهتمامي الشديد. وكانت مجلَّةً تأمُّلية تُدعى "بشير مجيء الربّ"، وهي الآن تُطبَع في بضع لُغاتٍ، بينها نسخة إيطاليَّة تصدر في روما. وقد ركَّزت مقالات هذه المجلّة دائماً

على الولادة الجديدة، وتسليمِ النفس شخصيّاً للمسيح، وعلى حياةٍ جديدة يعيشها المرء بالشركة معه. وكنتُ مُطَّلِعاً نظريّاً على مثل هذه الأُمور، إلاَّ أنَّها بدت لي في تلك المجلَّة نابضةً بالحياة وواقعيَّةً وشخصيَّة. فقلتُ لنفسي: "ذلك هو لُبُّ الإنجيل بالحقيقة، وهو ما ينبغي أن تدور البشارة حوله!" وواظبتُ على لقاء أولئك الإنجيليين في بضع مناسبات، وقد أعطَوني نُبذاً وكراريس تبشيريَّة أُخرى أصدرَت بعضَها "إرساليّةُ الأسفارِ المقدَّسة المجّانيَّةِ"، فضلاً عن أعداد لاحقة من مجلَّة "بشير مجيء الربّ". وأسهمت تلك المطبوعات في تقريبي من الربّ. ثُمَّ عُدتُ إلى الهند بضعةَ أشهر لإكمال دراساتي اللاهوتيَّة، حيث كان لي اتّصالاتٌ بإنجيليِّين آخرين.

في ذلك المفصل من حياتي بدأ الربُّ يعملُ فيَّ على نحوٍ أوضح من ذي قبل. وتنامى لديَّ شعورٌ بوجوب العودة إلى أيطاليا صاحَبَهُ تطوُّرٌ آخر حصل في الوقت عينه. إذ قرَّرت الحكومة السيلانيَّة أن تُغادر الإرساليّاتُ الأجنبيَّة كُلُّها البلد تدريجيّاً، ورفضت بدايةً تجديد تأشيرة الدخول إلى سيلان للموجودين خارج البلد. ولم أتمكَّن أيضاً من البقاء في الهند لأنَّ رخصة الإقامة لا تسمح لي بالبقاء هناك بعد إتمام دراستي، بما أنَّني لستُ عضواً في الكومُنولث. ومن ثَمَّ قرَّر رؤساؤنا أن يُعيدونا إلى بلداننا، فطُلِب إليَّ الاستعداد للعودة إلى إيطاليا. وقبل مغادرتي، كتبتُ رسالةً إلى مدير الطبعة الإيطاليَّة من "بشير مجيء الربّ" في روما، قائلاً إنَّني -بروح الحركة المسكونيَّة ورُغم كوني كاهناً كاثوليكيّاً- قد قرأتُ هذه المطبوعة فأعجبتني كثيراً، وإنَّني راغبٌ في التعاون معهم لدى عودتي إلى إيطاليا إلى الحدِّ المُمكِن والموافق لوظيفتي وخدمتي في الكهنوت.

وعند وصولي إلى إيطاليا، بعد نحو شهرين قضيتهما في مسقط رأسي "نابولي"، أرسلني رؤسائي إلى روما للتخصُّص في الكتاب المقدَّس. فقد علموا أنَّني كنتُ معنيّاً في الهند بالكتاب المقدَّس وأنَّني راغبٌ في الاستزادة. وبدا لي أنَّ السلطات الكاثوليكيَّة اعتقدت أنَّ الكتاب المقدَّس قد يُشكِّل جسراً إلى الكنائس البروتستانتيَّة في سياق الحركة المسكونيَّة. وتبعاً لذلك أُرسِلتُ إلى ما كان بالفعل

أعلى مؤسَّسة للكتاب المقدَّس في روما. وإدراكاً منِّي أنَّ ذلك امتيازٌ وشرف كبير، عقدتُ العزم على عدم الاتِّصال مجدَّداً بأولئك الإنجيليِّين أو البروتستانت بعد وصولي إلى روما. وما عادت لي أيَّةُ رغبة في التعاوُن معهم، ولا مع هيئة تحرير "بشير مجيء الربّ". وضعت في نيَّتي أن أنصرف آنذاك كليّاً إلى دراسة الكتاب المقدَّس وإعدادِ نفسي لخدمتي في المستقبل. فلا وقتَ عندي البتَّة لإجراء مزيدٍ من الاتِّصال بالبروتستانت.

كان ذلك بالطبع هو السببَ الذي حاولتُ التذرُّع به. ولكنْ إذ أنظر إلى الوراء الآن، أرى أنَّ السبب الحقيقيَّ هو أنَّني كنتُ أُحاول إقناع نفسي بأنَّهُ ينبغي أن أكُفَّ عنِ التواصُل مع الإنجيليِّين إذ كنتُ أعلم جيِّداً، في قرارة نفسي، أنَّني إنِ التقيتُهم فقد أُضطرُّ لمواجهة قرارٍ لا بدَّ منه والقيام بخطوةٍ حاسمة: الأمران اللذان أخافني حتّى مجرَّدُ التفكير بهما.

ومن ثمَّ تابعتُ دروسي، وطُلِبَ إليَّ في الوقت عينه أن أُعاوِن بصفتي كاهناً في كنيسةٍ بروما، حيثُ دأبتُ في الوعظ أيّامَ الآحاد والأعياد أمام ألف شخصٍ تقريباً. وكنتُ أسمع الاعترافات وأقوم بالأُمور التي يعملُها الكاهن الكاثوليكيُّ عادة. وفي عظاتي حاولتُ تقديم رسالة الإنجيل الصريحة؛ أمَّا في كرسيّ الاعتراف فحاولتُ إسداء المعونة والنُّصح الروحيَّيَنِ فعلاً إلى جميع المعترفين مُحدِّثاً إيّاهم عن الولادة الجديدة. وقد شعرتُ بالمسؤوليَّة والأهميَّة المنوطتَين بتلك اللقاءات الشخصيَّة، وفكَّرتُ في أنَّه من الخير أن أُعطيَ الناس ما يأخذونه معهم ويقرأونه، فضلاً عن تحدُّثي إليهم. واتَّضح لي أنَّه ينبغي أن يتوافر كُتيِّبٌ بالإيطاليَّة البسيطة، وينبغي أن يُقدَّم إليهم مجّاناً بحيث يقبلونه بلا صعوبة. إنَّما واجهتني مشكلةٌ عمليَّة: من أين أحصل على مثل هذه الكتيِّبات؟

ثُمَّ تذكَّرتُ الكتيِّب والكراريس التي تلقيَّتُها في الهند وسيلان والصادرة عن "إرسالية الأسفار المقدّسة المجانيَّة" وسواها، وساءلتُ نفسي عن وجود شيء من ذلك بالإيطاليَّة في روما. وعندئذٍ تذكَّرتُ أنَّه كان في إحدى ساحات روما معرضُ كُتبٍ دائمٌ يعرض ويبيع كُتباً من أنواعٍ شتَّى. وتذكَّرتُ أنَّ بين مناضد

الكتب واحدة يعرض عليها أخٌ مسيحيٌّ مجموعةً من الكتب المقدّسة والكتب والكراريس المسيحيَّة. حتّى إذا سنحت لي أوَّلُ فرصة، قصدتُ إلى تلك الساحة وتوجَّهتُ إلى المنضدة المنشودة، واستعرضتُ الكتبَ ثُمَّ سألتُ الأخَ هل لديه أيَّة كتيِّباتٍ أو نُبَذ من النَّوع المطلوب. فأجابني بالإيجاب، لكنَّه قال إنَّه لا يستطيع أن يزوِّدني بعددٍ كبيرٍ منها. إلاَّ أنَّه استدرك قائلاً: "ولكنّك تجد عند منعطف الشارع مكتبةً "إنجيليَّة، حيث يمكنك الحصول على أيَّة كميَّة واختيارُ ما تريد."

تردَّدتُ في الذِّهاب أوّلَ الأمر، إلاَّ أنَّني عُدتُ فذهبْت، قائلاً لنفسي: "مهما يكُن، فإنَّها مجرَّدُ مكتبة، وفي وسعي أن أدخل وأُنهي عملي ثمَّ أخرج في الحال!" وإذ دخلتُ المكتبة استقبلني المسؤول بالترحاب. وكانت هُنالك امرأةٌ عرفتُ في ما بعدُ أنَّها زوجته. وقد توافرت مجموعة جيِّدة من الكراريس، فاخترتُ مِن بينها ما اعتبرتُه مُناسباً. وبينما كان الرجل يرزم الكتيِّبات، تحادثْنا قليلاً وذكرتُ أنَّي كنتُ مرسلاً في الهند وسيلان.

ثُمَّ لاحظتُ أنَّ شيئاً غريباً بدا حاصلاً إذ ذاك. فقد أخذ الرجل وزوجته ينظران إليَّ أوّلاً، ثُمَّ بعضُهما إلى بعض. وتبادلا النظرات وبعض الكلمات، فخُيِّل إليَّ أنَّ ثمَّة سوءاً ما ذا علاقةٍ بثوبي الأسود، أي ردائي الكهنوتيّ. ثمَّ سألني الرجل: "بالمناسبة، ما اسمك؟" فأجبته "اسمي إدواردو لا بانْشي!" فقال: "آهَه، إذاً أنت هوالرجل. وسألتُ نفسي: "ماذا يعني بقوله إنِّي أنا الرَّجُل؟ إنَّني لا أعرف هذين الإنسانين، وعنوانُهما مجهولٌ عندي تماماً!"

ولكنْ ما لبث التفسيرُ أن حصل. وما كان أعجبه! إذ سألني الرجل: "هل سبق أن كتبتَ رسالةً إلى مدير تحرير "بشير مجيء الربّ" هُنا في روما؟" فقلت: "نَعَم، كتبت!" وأنا أُفكِّر: "لا يُعقَل أن يكون هذا هو مدير تحرير المجلَّة، فهو لا يبدو مديراً، وليست هذه مكاتب دار نشر، ولا إلى هذا العنوان أرسلتُ رسالتي!" وكأنَّما كان يقرأ أفكاري، تابع الرجل: "لقد وصلت رسالتك إلى هنا. فالمدير هو الممثِّل الرسميُّ للمجلَّة، وهو أيضاً أشبه بمدير عامّ لعدَّة أُمور أُخرى، ولكنَّنا

بالفعل نطبع المجلَّة هُنا. وأنا المحرِّر، وهذه رسالتك!" ثُمَّ أراني الرسالة فعلاً، وقال: "ها أنت تقول هُنا إنّك مستعدٌّ للتعاون معنا!"

أظنُّ أنَّ في حياتنا لحظاتٍ فيها نشعر كما لو كان الله يحشرنا في زاوية. وقد كان هذا القاء، في جانبٍ من جوانبه، مجرَّد حصيلةٍ لأحداثٍ بشريَّة متعاقبة. ولكنَّني في تلك اللحظة شعرتُ بأنَّ أمراً غير مألوف قد حدث في حياتي. إذ شعرتُ أنَّ الله أراد لي أن أحتكَّ بأولئك القوم. ومن ذلك اليوم فصاعداً أخذتُ أُقابل باستمرار الأصدقاء المتواجدين في المكتبة التي كانت أيضاً مكتبَ إدارةِ "لمركز الخدمة المسيحيَّة" حيثُ تُتابع أنشطةٌ تبشيريَّةٌ شتَّى. وقد دعَوني أيضاً، بمنتهى اللطف، إلى اجتماعاتهم التي تُقام في البيوت، فبتُّ أحضرها بانتظام، وتعرَّفتُ بمؤمنين آخرين. وأغنى ذلك اختباري الروحيَّ الخاصَّ كثيراً، إنَّما الأهمُّ من ذلك بعدُ أنَّهم بدأوا يصلُّون لأجلي، لا في إيطاليا فقط بل في بريطانيا أيضاً. فإذ كان لهم أصدقاء في كلِّ مكان، وصلهم خبرٌ بأنَّ كاهناً كاثوليكيّاً يجتمع معهم في مركزهم بروما، وطُلِبت الصلاة في ذلك.

حتّى إذا حلَّ العام ١٩٦٦، كنتُ قد أصبحتُ إنجيليّاً في قلبي وعقلي، أو بالأحرى: كان المسيح قد بدأ يصير، أكثر فأكثر هو أساسَ لحياتي. وأخذتُ أنبذ جميع تلك التعاليم والممارسات الكاثوليكيَّة التي لا علاقة لها بالإنجيل أو ذات العلاقة الضئيلة جدّاً به. وفي الوقت نفسه كنتُ أُسهِم في ترجمة مقالاتٍ لمجلَّة "بشير مجيء الربّ" بالإيطاليَّة، لكنَّني لم أكُن قد وصلتُ نهاية المطاف في اهتدائي. آنذاكَ كان المجمع الفاتيكاني تحت الأضواء، والحديثُ عن الحركة المسكونية آخِذاً في التزايُد، ففكَّرتُ قائلاً لنفسي: "لماذا أترك الكنيسة الكاثوليكيَّة، ما دُمنا الآن بعضُنا مثل بعض عمليّاً" سوف نتلاقى جميعاً، ويُمكِنني الآن أن أعمل في الكنيسة الكاثوليكيَّة على نشر الإنجيل وأنا ما أزال تابعاً لها." تلك كانت فكرتي، ولكنْ بعد حين خاب أملي كثيراً بالمجمع الفاتيكانيِّ والحركة المسكونيَّة، فساءلتُ نفسي عمّا أفعل. لقد كان وضعي، كما ترى، صعباً للغاية. فلم أكن ما يدعوه الكاثوليك علمانيّاً عاديّاً، بل كنتُ كاهناً مرسوماً، أنتمي إلى أكبر رهبنة في

الكنيسة الكاثوليكيَّة. وقد أُرسِلتُ إلى روما لأجل دراساتٍ خاصَّة، وكانت أعيُن رؤسائي عليَّ بالطبع. وفي الوقت عينه شعرت بأنَّي مُستعبَد من جرّاء النُّظُم والتعاليم الشكليَّة، فبدأت أُدرِك أنَّه يستحيل عليَّ أن أظلَّ مقيَّداً مدَّةً طويلة دون الكشف عمّا أعتقده في أعماق قلبي، ودون المساومة مع ضميري بطرقٍ كثيرة. ثُمَّ حاولتُ حيناً أن أُكيِّف نفسي تبعاً للظروف، ظنّاً منّي بأنّي أستطيع أن أُحسِن عملاً ببقائي حيثُ كنت. ودأبتُ في التكلُّم عن المسيح والخلاص، مشيراً إلى مريم بوصفها قُدوةً لا غير. ولكنْ ما إن كان منصبي كاهناً يضطرُّني إلى المساومة على ما أعرف أنَّه حقّ، حتّى كنتُ أعرف أيَّ قرارٍ عليَّ أن أتَّخذ، ولكنَّني مع ذلك كُنت أُحاوِل إرجاءه. ثُمَّ أراني الربُّ نفسُه أنَّه ينبغي لي أن أتصرَّف، وأن أتصرَّف في الحال. إذ تذكَّرتُ ما قاله إيليّا للشعب في الكتاب المقدس: "حتّى متى تَعرُجون بين الفرقتين؟" (١ملوك ١٨:٢١). وبالحقيقة أنَّه عند هذا الحدّ تولَّى الله زمام أمري وأيَّدني بالقوّة. وعلى الرُّغم منّي تقريباً ذهبتُ إلى أصدقائي في المكتبة ووجدتُني أقول لهم: "لقد قرَّرتُ أن أترك الكنيسة الكاثوليكيَّة. وإن كنتم تعتقدون أنَّ عليَّ ذلك، فإنّي أرغب في مساعدتكم بعملكم في المركز هنا بِروما." وقد فوجئ "توريو" بقراري، مع أنَّه كان يتوقَّعه منذ مدّة. وبعد بضعة أيّام تركتُ رهبانيَّتي.

وأُريدُ أن أُشدِّد تشديداً بالغاً على نقطةٍ مهمَّة في ختام شهادتي هذه، ألا وهي أنَّ أهمَّ ما في قصَّتي، وقصَّةِ غيري مِمَّن ساروا في الطريق نفسه، ليس هو أنَّنا تركْنا الكنيسة الكاثوليكيَّة، أو تركْنا مؤسَّسةً أو مذهباً، بل إنَّ أهمَّ ما في الأمر هو أنَّنا وجدنا حياةً جديدة في يسوع المسيح. ولئن كان أمامي طريقٌ طويلٌ، ومع الرسول بولس أقول: "ليس أنّي قد نلتُ، أو صرت كاملاً ..." (فيلبّي ٣:١٢)، فقد شعرتُ أنَّني لحظةَ قبلتُ المسيح مخلِّصاً لي وربّاً، وهو مَن مات من أجل خطاياي، حدث شيءٌ ما في داخلي. ذلك أنَّني بدأتُ أصير -وأنَّني بالفعل صائرٌ أكثرَ فأكثرَ- خليقةً جديدة. وكنتُ قد درستُ الكتاب المقدَّس في الماضي من وجهة نظر تقنيَّة، مثلما يدرسه كثيرون فعلاً في كنيسة روما الكاثوليكيَّة، ومثلما

درسه أساتذتي وزملائي في "مؤسَّسة الكتاب المقدَّس" إلاَّ أنَّه الآن قدِ اكتسب عندي معنىً جديداً: معنىً لا يتأتَّى من مجرَّد الدراسة البشريَّة، ولكنَّني واثقٌ كلَّ الثقة أنَّه يأتي من فوق.

وفي الواقع أنَّ حياتي كمسيحيٍّ إنجيليٍّ لم تكن سهلة، غير أنَّ الله ما انفكَّ يهديني كي أنمو روحيّاً وفي معرفة أُمور الله معاً، وإن كان ذلك أحياناً من طريق التجارب القاسية. وقد مضى على زواجي السعيد أكثر من عشرين سنة، وزوجتي منهمكة أيضاً في العمل المسيحيّ. ولنا ابنةٌ تزوَّجت مؤخَّراً من شابٍّ مسيحيٍّ طيِّب.

أمّا من جهة خدمتي الحاليّة، فإنَّني أُمارس خدمة الرعاية بدوامٍ كامل في كنيسةٍ رسوليَّة، ولكنَّني أعمل أيضاً جنباً إلى جنب مع عددٍ من الكنائس والمنظَّمات الإنجيليَّة. وأنا مُقيمٌ في "غروزيتُّو"، حيث أتولّى مسؤوليَّة مركز الدراسة اللاهوتيَّة الذي يهدف إلى مساعدة الناس على الإحاطة جيِّداً بما تُعلِّمه كلمةُ الله. ونحن نقوم بذلك من خلال دروسٍ بالمراسلة حول الكتاب المقدَّس، ومجلَّة كتابيَّة للطلاّب سمَّيناها "تأمُّلات" ومازلنا نُصدرها منذ نحوِ ستِّ سنوات. فِللّه المجد على كلِّ ما قد فعله!

(الكاهن المولود ثانيةً: إدواردو لابانْشي)

لو بقيتُ في الكثلكة
لَما وجدتُ المسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"أنيبال بِيريرا دُس رَيس"

"ساو يُواغِين دي بارّا"، داخل مقاطعة ساو باولو البرازيليَّة، هي مسقط رأسي. وقد وُلِدت في التاسع من آذار (مارس) ١٩٢٤ لعائلةٍ متأصِّلة في الكثلكة. كان أبي برتغاليّاً، ولكيلا يكون استثناءً للقاعدة وقف في صفوف المعجبين بسيِّدةِ فاطمة والقَدَر والخمر الجيِّدة. أمّا أُمِّي فكانت إيطاليّة الأصل، ولطالما فاخرت بعرش البابا الذهبيِّ في شبه الجزيرة الإيطاليَّة.

وقد دأب جدِّي لأُمِّي، وكان معنيّاً كثيراً بالممارسات الدينيَّة، في اصطحابي منذ نعومة أظفاري لحضور الطقوس الكاثوليكيَّة المهيبة في الكنيسة الأُمّ. وحتّى قبلَ بلوغي السابعة من العمر، كنتُ أحضر بانتظامٍ دروس التعليم الدينيّ في الأبرشيَّة، حيث كلَّمنا ذات مرَّة كاهنٌ بدين عن الجحيم حديثاً ملؤه الحماسة والحيويَّة. وقد عرَّفنا بالخطر، إلاَّ أنَّه لم يُعطِنا ولو لمحةً واحدةً عن رسالة الخلاص من هذا الخطر الرهيب.

أمّا مناولتي الأولى، في الأوّل من أيّار (مايو) ١٩٣٢، فقد جرت وفقاً للبرنامج المعهود، واشتملت على طاولةٍ ملأى بحلوى القهوة. وقد تناولتُ البرشانة فيما أصفى المشاعر تُساوِرُني. إلاَّ أنَّ حادثةً معيَّنة عكَّرت جوَّ الوقار الذي ساد في تلك الساعة. فإنَّ واحداً من رفقائنا، كُنَّا نسمِّيه "الضفدع"، حالما وضع الكاهن البرشانة على لسانه بدأ يصرخ: "علقت البرشانة يا أبتِ!" فاقترب

الكاهن مسرعاً إلى الصبيِّ المتوتِّر وطلب إليه أن يلوذ بالصمت وألاّ يُخرِج البرشانة بأصابعه من "سماء الحلق". إذ إنَّ لمس البرشانة بإصبعه يُعَدُّ تدنيساً. وبعد مغادرة الكنيسة أخذ الصبيان والبنات يلومون الصبيَّ المستهتر بأقسى العبارات لأنَّه أبدى قلَّة احترامٍ تجاه الربِّ القدُّوس.

أنهيتُ دروسي الأولى عام ١٩٣٦. ثُمَّ انتقلت أُسرتي لتُقيم في "أورلانديا" في الجوار، بحيث يُتاح لي ولإخوتي الالتحاق بمدرسةٍ ثانويَّة. وقد كان والدي راغباً في أن يُتيح لابنه الفرصةَ لدراسةِ شيءٍ لم يكن يمتلكه قطّ. إنَّما لازمتني مسألةٌ خطيرة منذ صغري، ألا وهي خلاصُ نفسي الأبديّ. وطالما كنتُ أُفكِّر في هذه المسألة كلَّ حين. وقد سرى الخوف والرعدة في أوصالي إذ تذكَّرتُ كلمات الكاهن حين كان يُحضِّرنا للمناولة الأولى، مفصِّلاً لنا جميع أعمال التقوى التي يوصي بها الأبُ الكاهن. فقد كان هو الكاهنَ في أورلانديا أيضا، وكان كاهناً اسبانيّاً صارماً للغاية، فوالى توجيهاتِه بكلِّ حذافيرها المتشدِّدة.

ولقد استيقظ في داخلي، ولو صغيراً، شوقٌ عظيم لخدمة الله. فإذ لم أعرف إلى ذلك سبيلاً آخر، انتظمت في سلك الكهنوت.

دبَّرتُ الالتحاقَ بمعهدٍ اكليريكيّ في السابعة عشرة من عُمري، بُعيَدَ إنهائي مقرَّر المرحلة الثانوية في أورلانديا. على أنَّني، في ذلك المعهد، لم أُوفَّق إلى بيئة مثاليَّة. وما عهدتُ في حياتي مكاناً يتميَّز بالكسل مثل ذلك المكان. لكنَّني عكفتُ كليّاً على دراسة جميع الموضوعات، فيما استمرَّ عدم رضائي على كلِّ حال.

ثُمَّ رُسمتُ كاهناً في الثامن من كانون الأوَّل (ديسمبر) ١٩٤٩، في مدينة "مونتي كلاروس" إلى الشمال من "ميناس جيرايس". وقد عهد إليَّ مطران الأبرشيَّة بإنشاء حلقةٍ للعمّال وإدارتها. وبالحقيقة أنَّ هذه المهمَّة جاءت لِتَفي بتطلُّعاتي. إذ وجدتُ في الانصراف إلى العمل الاجتماعي مُتنفَّساً للهموم الروحيَّة التي أقلقتني. وهكذا بعثتُ نشاطاً موفوراً ، فاكتسبتُ عطف العمّال من كلِّ مكان، وكثيراً من ثناء السلطات الكنسيَّة.

في أوائل ١٩٥٢، نقل البابا مطران "مونتي كلاروس" إلى "ريسيف" ورقّاه إلى منصب رئيس أساقفة كاثوليكيّ. وقد شملني ذلك التغيير، فكان عليَّ أن أُقيم في "ريسيف". وفي تلك العاصمة، تقبَّلت كهبةٍ من السماء مهمَّة إحياء "مؤسَّسة خيريَّة"، تضمُّ شبكة من دور الأيتام ومراكز ثقافية كاثوليكيَّة، كانت عرضةً لأزمة ماليَّة. فعملتُ بكلِّ جدٍّ وكدٍّ لابتعاث السمعة العامَّة لتلك المؤسَّسة. أضِف أنَّ تلك الظروف أثقلت كاهلي بمسؤولية جسيمة يُحجم أيُّ كاهن عن المبادرة إلى تولِّيها. وبُعيدَ سنتين من العمل الدائبَ، عولِجت المشاكل الماليَّة في تلك المؤسَّسة وجُزِّئت باكتِتاباتٍ جديدة ضمن خطَّة شاملة. واستقبلت دور الأيتام والعجزة كميَّة كُبرى من الأولاد والمسنِّين. كما تبنَّى العاملون في حقل التربية مفهوماً وتوجُّهاً جديدَين. وظهر اسمي غير مرَّة في الصحف، ممّا وفَّر لي دعايةً وحماية. ولكنْ على الرُّغم من هذه الانتصارات البشريَّة، وتصفيق المعجبين، لم أشعر بأيِّ سلامٍ داخل نفسي. وما توافر لي حلٌّ لعذاباتي الروحيَّة، لا في إبداء الإحسان، ولا في انتذاري الكليِّ لمهمّاتي، ولا في إطراء السلطات الروحيَّة. فقد كنتُ متشوِّقاً جدّاً للتيقُّن من خلاصي الأبديّ، ولم يكن في وسع أحدْ أن يؤتيَني ذلك.

عامَ ١٩٦٠، نُقِلتُ إلى "غاراتِنغوتا"، في داخل ولاية ساوباولو، على مقربة من "أباريسيدا دو نُورت". وقد ابتهجتُ أيضاً بهذه النقلة، لأنّي سأكون في جوار "شفيع البرازيل"، فضلاً عن كوني سأتولّى، أوّلَ مرَّة، مهمَةً مرتبطة بالإدارة الاجتماعيَّة. فحتّى ذلك الحين كان العمل الاجتماعي قد أخذ منّي كل مأخذ. وكان مُفتَرضاً أن أجد في واجباتي ككاهن حلاًّ لِقَلَقي الروحيّ. وهكذا أُوجدتُ أبرشيَّة جديدةً في منطقة "بدْرِغولْهو" في "غاراتِنغوتا"، واستحسنت أن أُطوِّر أحوالها. فعكفتُ على هذه المهمَّة. وتمثَّل انتذاري لها في بناء بيتٍ للأبرشيَّة مع قاعة فسيحة، وثلاث كنائس، في غضون ثلاث سنين فقط.

ولئن كنتُ قد بلغتُ هذه القمّة في حياتي، وبات لي سجلٌّ حافلٌ بالخدمات التي أدَّيتُها للكثلكة، فلم أكن قد تيقَّنتُ بعدُ من خلاص نفسي.

وفي تشرين الأوّل (اكتوبر) ١٩٥٦ مات والدي بسرطان الرئة. وكنتُ آنذاك مديراً لمؤسَّسة الإحسان في "ريسيف"، فقضيت سنةً كاملة أُقيم قدّاساً كلَّ يوم لراحة نفس والدي. وأيضاً أُسرتي أقامَت في ذلك الوقت قداديس لأجله. ولكنْ حتّى القُدّاسُ الكاثوليكيُّ بكامل طقسه ذي القيمة غير المحدودة لم يؤتِنا اليقين بخلاص نفس والدي.

وكثيراً ما كنت أصرخ إلى الربّ طالباً هذا اليقين لنفسي أيضاً. ولكنَّني لم أجد أيَّ جوابٍ شافٍ، لا في العمل الاجتماعيّ المتطوِّر، ولا في بناء الكنائس، ولا في الاحتفالات التي أجريتُها، ولا في الطاعة العمياء للسلطات الاكليريكيَّة، ولا في الكثلكة بجملتها.

وإذِ انطبعت نفسي على الخضوع الكُلِّي للتعاليم الكاثوليكيَّة، راعيتُ ضغينةً شديدة تجاه الإنجيليِّين، وكنت أنعتُهم في مواعظي "بالجِداء" فيما أُشير إلى الكاثوليك باعتبارهم "خراف المسيح". وفي إحدى الحوادث ما يُبرهِن على مناهضتي للبروتستانتيَّة بِلا هوادة. فبمناسبة تذكار الموتى، وفي ساحة مقابر منطقة "بدريغولْهو"، كان المؤمنون يقومون بخدمتهم التبشيريَّة بتوزيع كرّاسات ونُبَذ كتابيَّة.

وفي سبيل إعطاء المجد لِلّه (و"المجد لِلّه" هو شعار اليسوعيِّين)، ودفاعاً عن "أُمِّنا الكنيسة الكاثوليكيَّة المقدَّسة" عقدتُ العزم على تخريب تلك الخدمة. فجمعتُ أولاد كنيستي وقسَّمتهم فِرَقاً للصلاة ساعةً بعد ساعة داخل ساحة المقابر. وكانت الفكرةُ ان يأخذوا المطبوعات الإنجيليَّة ويُتلِفوها بإحراقها بنيران الشموع المُضاءة في الباحة.

على أنّني ذات ليلة، بعدما اجتزتُ عذاباً لا يُطاق، دخلتُ مكتبتي لعلّي أجدُ كتاباً يُسلّيني. وبنعمة الله العجيبة، عثرتُ على الكتاب المقدَّس (بترجمة

ماتوس سُواريس). وفي الحال فتحتُ هذا المجلَّد النفيس الموحى به، وقرأت الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنّا. فأحسستُ عزاءً يُلطِّف حُزني المعنويّ، وطاقةً متجدِّدةً تُذهِب كآبتي الروحيَّة. وقد تابعتُ القراءة باهتمامٍ متزايد. ثُمَّ عكفتُ على التأمُّل في ذلك الفصل مراراً. وبالتدريج بدأتُ أُحِسُّ آفاقاً جديدة تمتدُّ أمام نفسي.

ثُمَّ عقدتُ العزم على دراسة الكتاب المقدَّس متخلِّياً عن مفاهيمي المسبَّقة. وبغير تدخُّل من أحد، بل بنعمة الله وحدها، اكتشفتُ من خلال تلك الدراسةِ الخُطَّةَ الحقيقيَّة التي أعدَّها الله لخلاصنا. ولَشدَّ ما أدهشني أن أكتشف أنَّنا نستطيع أن نحصل على يقين مُطلقٍ وثابت من جهة ذهابنا إلى السماء بفضل قبولِ تلك الخُطَّة. غير أنَّني قاومْتُ مُعانِداً، إذ كانت نفسي مُشاكِلةً لنموذجٍ من الممارسة الكاثوليكيَّة تأبى التنكُّرَ له.

إلاَّ أنَّ أمراً واحداً كنتُ متيقِّناً منه، وهو أنَّني أردتُ أن أكون صادقاً وصريحاً عند محادثتي المطران. وقدِ ارتبك ذلك المرجعُ الكاثوليكيُّ من أسئلتي. أخيراً قال لي إنَّني نُقِلتُ إلى "أباريسيدا" لأتولّى بناء الكاتدرائيَّة الجديدة، ولكنَّ انشغالاتي أعاقت شراء الباطون والأحجار وموادِّ البناء وأدواته. وبعد ذلك كُلِّه صلَّيتُ إلى "سيِّدة أباريسيدا" طالباً معونتها.

في تلك الأثناء، كان المؤمنون يوزِّعون النَّشرات التبشيرية في "غارانتينغوتا". وكانت إحداها تتناول موضوع الصَّنميَّة الكاثوليكيَّة المتمثِّلة في عبادة الصُّور ، إلخ. فللإجابة عن تلك الادِّعاءات الكثيرة، قرَّرتُ اعتلاء المنبر لتقديم تفسيرٍ لتلك العقائد، ولأقول لجمهور العابدين إنَّ الله لا يُحرِّم عبادة الصُّوَر. وقد أخذتُ كتابي المقدَّس، وبدأتُ التفسير بقراءة الأصحاح العشرين من سفر الخروج، متخطِّياً الآيتين ٤و٥ حتّى أُزوِّد خصومي بسلاحٍ فعّال. ولّما نزلتُ من على المنبر، خجلتُ بنفسي أيَّ خجَل. ومن ثَمَّ نويتُ أن أُجريَ مقارنةً

مُخلِصةً بين العقائد الكاثوليكيَّة وتعليم الكتاب المقدَّس، فتبيَّنت لي الهوّة السحيقة بين هذا وتلك.

لو بقيتُ في الكثلة
لَما وجدتُ المسيح!

في كانون الأوّل (يناير) ١٩٦٣، تلقيَّتُ دعوةً لأكون كاهناً في مدينةِ أورلانديا، حيث سبق لي أن قضيتُ سِنِي مراهقتي. وقد سُررتُ جدّاً بالعودة إلى هنالك، حيثُ كان لي أصدقاء كثيرون. على أنَّ ذلك الرضى لم يكُن كافياً لتبديد قلقي الروحيّ. وتالياً، كرَّستُ نفسي كليّاً للعمل في تلك الأبرشيَّة الكاثوليكيَّة، وقد كانت حافلةً بجميع الضعفات التي تشكو منها أبرشيَّةٌ قديمة ذاتُ تقاليد بالية. ورغمَ معارضةِ جماعةٍ من النِّساء التقيّات المتشكِّيات سرّاً، نجحتُ في إنشاء خدمةٍ مميَّزة كان كلُّ ما فيها موافِقاً، بقدر الإمكان، للمبادئ الكتابيَّة. كما نظَّفتُ الكنيسةَ من الأصنام كلِّها، وكان وعظي كلُّه كتابيّاً، إذ تكوَّنت برامجي الإذاعيَّة اليوميَّة فقط من تفسير كلمة الله، وكان كثير من التراتيل التي تُنشد في الخدمات ترانيمَ مسيحيَّة.

وقد حصل لي حادثٌ مؤثِّر، بعدما تحوَّل حقدي السابق على الإنجيليين إلى خوفٍ منهم. ذلك أنَّي رغبتُ في محادثةِ خادمٍ إنجيليّ، ولكنْ لم تكن لديَّ الجُرأة. ولّما كنتُ في "غارانتِنغوتا"، عقدتُ العزم على الذهاب إلى ساوباولو وليس لي غرضٌ سوى حلِّ وضعي البئِس. وما إن ترجَّلتُ من الباص عند المحطَّة، حتَّى سألتُ عن مكتب البريد لأُرسِلَ برقيَّة. في تلك اللحظة كان في ساحة مكتب البريد إنجيليٌّ يكرز. وحالما رأى ردائي، حتّى شنَّ عليَّ هجوماً مفاجئاً مُشيراً إليَّ بالإصبع، ومعرِّضاً بي بكلامه الساخر الفظّ. إنَّه لم يدرِ بما كان يدورُ داخل نفسي، وما استطاع أن يتصوَّر داعيَ زيارتي إلى "باوليشيا". ومن جرّاء هذه الحادثة، ترسَّخ لديَّ الاقتناعُ الزائد بأنَّ أيَّ قِسِّيسٍ إنجيليٍّ لن يُسهم في تحريري من معاناتي. بعد ذلك رجعتُ في الحال إلى مقرِّ إقامتي.

وفي السنة ١٩٤١ شارفتُ النهاية. فما عاد في وسعي أن أبقى على ما كنتُ عليه. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ذهبتُ إلى "سانطوس" في زيارة خاصَّة، بعدما نسجتُ خطَّتي المُحكمَة. فقد لبستُ ثياباً مدنيَّة، وحضرتُ خدمة يوم الأحد في الكنيسة المعمدانيَّة الأولى، وكدتُ لا أُصدِّق أنَّ النصَّ الكتابيَّ المعتمدَ أساساً للعظة لم يكُن إلاَّ الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنّا.

في اليوم التالي دبَّرتُ لقاءً بالقسِّيس "إليسيو زيمينيس". وقد كانت ردَّة الفعل من قِبَل خادمِ الله هذا لطيفةً جدّاً بحيثُ أُسِرتُ وحُرِّرتُ من جميع انطباعاتي السالفة. ثُمَّ بدأنا نُخطِّط معاً لِتَركي الكثلكة. ولم تكد مُغادرتي تلك أن تكون رسميَّة، إذ جرَت على مدى فترةٍ من الزمان طويلة.

وفي الثاني عشر من أيّار (مايو) ١٩٦٥، بمعونةِ الله، تدبَّرتُ أمرَ قطعِ كلِّ علاقةٍ كانت تربطني بالطائفة الكاثوليكيَّة. ثمَّ في الثالث عشر من حزيران (يونيو)، وفي الكنيسة المعمدانيَّة الأولى بِسانطوس، عُمِّدتُ بالماء، شاهداً في العَلَن لإيماني التامِّ بالربِّ يسوع المسيح بوصفه مخلِّصي الوحيدَ الكليَّ الكفاية.

وفضلاً عن إتيان الله بي إلى ملكوته، وضَع تعالى في قلبي فكرة الكرازة بكلمته المقدَّسة، فكرَّستُ نفسي لهذه الخدمة دون سواها. وقد بارك الله مؤخَّراً عمل خادمهِ الوضيع بإعطائنا فرحَ رؤيةِ المئاتِ من النفوس يُقبلون إلى المسيح.

وما برحتُ في عظاتي أُشدِّد على خطَّةِ الله الخلاصيَّة التي تولاَّها الربُّ يسوع المسيح وحدَه، وكُلَّما وعظتُ يتاح لي أن أشعر بشركة أوثق معه.

لم يسبق لي أن أحسستُ سعادةً روحيَّةً غامرة كالَّتي أُحِسُّها الآن، لأنَّني متيقِّن بخلاصي الأبديّ. فإنَّ نفسي قد تطهَّرت بدم الكفّارة الذي سفكه الربُّ يسوعُ المسيح فاديَّ الكريم، له كُلُّ المجد إلى جميع أجيالِ الدهور!

(الكاهن المولود ثانيةً: أنيبال بِيريرا دُس رَيس)

"النعمةُ والحقُّ
صارا لي بيسوع المسيح"
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً
"الدكتور أرنالدو أُشوُا كافالْكانتي"

لمجد الربِّ يسوع المسيح أُقدِّم شهادتي الشخصيَّة عن تحوُّلي من الكثلكة الرومانيَّة إلى الإيمان الإنجيليّ.

تستغرق قصَّتي بكاملها أربعين سنة، وها أنا أُحاول تلخيصها هنا. لقد دخلتُ الكُلِّيَّة الحبريَّة طواعيةً واختياراً، عازماً على خدمة الله كاهناً. ولم تكن أُسرتي تملك موارد مادِّيَّة تمكِّنها من تحمُّل نفقات دراستي، غير أنَّ صديقاً مُحسناً تولَّى الأمر، فكان من الخير أنَّني تمكَّنتُ من دفع الرسوم. ودرستُ طيلة اثنتي عشرة سنة لبلوغ الهدف المنشود، وتركَّزَت دروسي على الفلسفة واللاهوت واللغات، عاكفاً بطريقةٍ خاصَّة على التعمُّق في الفلسفة وحقِّ الكتاب المقدَّس. أخيراً، في الخامس عشر من آب (أُغسطس) ١٩٤٥ صرتُ كاهناً مرسوماً في كاتدرائيَّة "ماسِيُو" المركزيَّة، وبتلك المناسبة تلقيَّتُ وظيفتي الكهنوتيَّة بوضع يد الأُسقف عليَّ. غير أنَّني متيقِّن بأنَّني لم أتلقَّ آنذاك ما كنتُ محتاجاً إليه حقّاً، أعني النعمةَ التي تهبط من فوقُ والسُّلطة التي يمنحُها الله للكرازة بكلمته بكلِّ سلطان! وقد كنتُ ما أزال مثل توما الذي لم يؤمن بقوَّةِ قيامةِ الربِّ يسوع فاضطُرَّ لأن يطلب لمس جسد معلِّمه بإصبعه حتّى يؤمن. على هذه الشاكلة لم أتمكَّن من الإيمان بالكلمة التي قرأتُ ودرسْت، فكنتُ في حاجةٍ إلى إعلانٍ خاصٍّ من الربِّ يسوع.

على مدى تسع سنوات، من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٤، مارستُ خدمة كاهنٍ في مدينتَي "ماسِيُو" و "ريسيف"، موزِّعاً "الأسرار المقدَّسة" وكارزاً بالربِّ، لكنْ بلا سلامٍ ولا اقتناعٍ بعدُ، وبغيرِ أن أشعر شخصيّاً بالخلاص من طريقِ ما لم أقدِر أن أومن به. وكان قلبي يصبو إلى ما هو أعظم وأفضل. في تلك الفترة شغلتُ مهامَّ شتَّى، فكُنتُ معاوناً أُسقفيّاً في الأبرشيَّة الأُمّ، وأميناً عامّاً لأبرشيَّة الأوساط العمّاليَّة، وأُستاذاً في التاريخ الكنسيِّ واليونانيَّة الكلاسيَّة والكتابيَّة، وأُستاذاً في كُليَّة "غِدّ دي فوتغالاند" وكليَّة "ساو خوسيه"، كما في كليَّة "إستادْوال دي آلاغواز"، حيث حاضرتُ فيهنَّ في مادَّة الفلسفة. وقد أدركتُ يقيناً آنذاك أنَّني غيرُ واجدٍ ما تصبو إليه نفسي، لا في خدمة المذبح ولا على المنابر ولا في الكاتدرائيَّة. وعام ١٩٥٤ عقدتُ عزمي على خلع رداء الكهنوت، والانطلاقِ بحثاً عن السلام الروحيّ، ويقينِ خلاصِ نفسي من طريق الإيمان بذبيحة المسيح الحاسمة والإذعان لتعليمِ الكتاب المقدَّس.

عجيبةٌ هي العناية الإلهيَّة، فقد هيَّأتْ لي النـــزولَ إلى وادي البركات حيث اختبرت الخلاصَ والسلام! وقد أثبت إلهي أنَّني كنتُ في نظره أغلى من العصافير ومن زنابق الحقل.

كيف تركتُ أبرشيَّتي وخلعت ردائي الكهنوتيّ؟

يومَ تحرَّرتُ من ثوبي الأسود، كنتُ أُمارس دوري ككاهنٍ في مصنع بمدينة "ماسِيُو". وبعد أن خطَّطتُ لكلِّ شيء كما أملى عليَّ ضميري، توجَّهتُ إلى "ريسيف" مستقلاًّ الطائرة. ومن المحالِّ هناك اشتريتُ بعض الثياب التي احتاج إليها بدلاً من الغفّارة، ناوياً تغيير ثيابي على عجل قبل البحث عن فندق. فماذا أفعل؟ استأجرتُ سيّارة تاكسي كانت عابرة، وقلتُ للسائق إنَّني أُريد الوصول إلى ضاحيةٍ من المدينة، منبِّهاً إيّاه إلى أنَّني سأُغيِّر ثيابي على الطريق. وعندما ترجَّلتُ من السيّارة كنتُ مختلفاً وحُرّاً، ثُمَّ بحثتُ عن فندقٍ بِتُّ فيه ليلتي. وفي

الغدِ خرجتُ صباحاً، فلمحتُ زميلاً عابراً، هو رئيسُ الدير الكرملي، إلاَّ أنَّني تفاديتُ منه.

وفي الحال توجَّهتُ إلى مدينة "ناتال"، ومنها إلى مدنٍ أُخرى، راجياً أن أهتديَ قريباً إلى الطريق الأفضل الذي طالما صَبَوتُ إليه. ولكنَّ المؤسف أنَّني عشتُ تحت سيطرة شعورٍ غير منضبطٍ قوامُه بغضةُ الإنجيليِّين الذين كنتُ أُسمِّيهم بروتستانتيِّين. لقد كنتُ، شأني شأن شاول الطرسوسيّ، متديِّناً لكنْ مُضطهِداً للمسيحيِّين الإنجيليِّين. ولكنَّ الأكيد أنَّني لم أكُن قد رجعتُ إلى المسيح في القلب، فكنتُ بالطبع مختلفاً عن الرسول بولس. ولم أبلغِ الاهتداءَ الحاسمَ إلاَّ بعد شيءٍ من التأخُّر. وبعد ثلاث سنواتٍ تزوَّجتُ في العاشر من أيّار (مايو) ١٩٥٨، ثُمَّ وُلِد ابنُنا البِكر في السنة التالية.

في السنين التي انصرمت، حتّى ١٩٦٠، حضرتُ وتعرَّفتُ فِرَقاً شتّى من الأرواحيِّين البرازيليِّين، بينها الاكْزانغو والأُمباندا والكوُيمباندا والغارديسيَّة، متجنِّباً دائماً الكنائس المدعوّة إنجيليَّة. غير أنَّني ظللْتُ أُحِسُّ في نفسي الخَواءَ عينَه والتعطُّشَ اللاّهِب إلى الخلاص والسلام.

وفي العام ١٩٦٠ ذهبتُ إلى مدينة "بيلو هورونتي" ومنها إلى "أُغواي". وفي شهر أيلول (سبتمبر) ركبتُ إلى "كامينياس" للبحث عن عملٍ أفضل، وبينما أنا ماشٍ في الشوارع إذ صادفتُ مبنى "كنيسة الناصري". فبحثتُ عن المدخل واستَرقْتُ النظر إلى الداخل، وفي تلك اللحظة فاجأني قسِّيس الكنيسة. كانتِ الساعة الثانية عشرة ظهراً تماماً. واستقبلني القسِّيس كمن كان يتوقَّع قدومه، بإلهام من العناية الإلهيَّة. وقد أسفر ذلك اللقاء عن بركاتٍ ثمينة لنفسي، وكان حاسماً بحيثُ وضع رجليَّ على سبيلٍ جديدٍ ومجيد.

وبعد مرور بضعة أيّامٍ على لحاق عائلتي بي في "كامبيناس"، تبيَّن لي أنَّ المعتقد الإنجيليَّ سليمٌ وكتابيٌّ. وفي أعقاب سماعي بضع عظاتٍ ألقاها القسِّيس "موسْتَلر"، قبلتُ قبولاً كُليّاً إنجيلَ يسوع المسيح الصحيحَ، وبمشهدٍ من الجميع

أيضاً، وذلك في الثامن عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠، الساعة التاسعة مساءً. في ذلك التاريخ شعرت فعلاً بأنَّني انتقلتُ إلى عَيْش الحياة المسيحيَّة الحقيقيَّة، وقد نلتُ روحَ الله وسلام المسيح في القلب.

واليومَ أحمدُ الله وأُباركُ الربَّ يسوع، وأكرز برسالة الإنجيل. وعلى الرغم من اجتهادي في الدرس، أتمتَّعُ بالفرح والسلام والسعادة في خدمة مخلِّصي الكريم.

(ملاحظة من المحرِّر: بعد اهتداءِ الكاهن أرنالدو أُشوُا كافالْكانتي، سِيمَ خادماً إنجيليّاً).

(الك

مقابلتي لِلّه

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"غُوِيدو اسْكالْزي"

لّما كنتُ ولداً، كان بيتنا الصغير في "ميزوراكا" يقع في قريةٍ صغيرة تُدعى "فيليبّا" ولا تبعد كثيراً عن دير الرهبان الفرنسيسكانيِّين القائم على رأس تلٍّ جميل. وإليه اعتدنا أن نذهب لحضور القُدّاس.

وأذكُر أنَّني ذاتَ صباحٍ تأثَّرتُ كثيراً عند سماع الألحان الشجيَّة الصادرة من أُرغن الكنيسة. كان فصل الربيع قد بدأ يقظته، ممّا جعلني أُحسُّ أوّلَ مرَّة في حياتي بشيءٍ جديدٍ ومختلف. فقد ولَّد ذلك في ذهني انجذاباً فريداً، عاطفةً عُلويَّة اجتاحت كياني كُلَّه. وشعرت أنَّه يكون رائعاً أن أعيش باقي أيّامي في ديرٍ، على شركةٍ وثيقة مع الله، ومع الطبيعة. وما إن خرجت أُمِّي من الكنيسة وهَمَمنا

بالعودة إلى البيت حتّى بادرتها بالقول: "ماما، كم يكون عظيماً لو أصبحتُ كاهناً!" وإذا قلتُ إنَّ أُمِّي سعدت بقراري المفاجئ، لا أفي الحقيقةَ حقَّها. ذلك أنَّ سعادتها أخذت تزداد على مرِّ الأيّام كلَّما أكَّدتُ لها على نحوٍ متزايد ما قد اعتبرتُه بإخلاصٍ دعوةٍ من الله لحياتي.

وفي يومٍ من الأيَّام اقنعتُ أُمِّي بمرافقتي إلى الدير لمحادثةِ الأبِ الرئيس. وبعد المقابلة، بدا أنَّه راضٍ بجدِّية نيّاتي، وأكَّد لوالدتي أنَّني ذات يومٍ سوف أصير كاهناً بالفعل. وأخيراً تمَّ قبولي من جانب مدير المعهد اللاهوتيِّ الفرنسيسكانيِّ المدعوّ "الكلية السيرافيَّة". وفي الثامن والعشرين من أيلول (سبتمبر) ١٩٢٨، ودَّعتُ أُسرتي واصطحبني الأب "كارلو" بالقطار إلى معهد اللاهوت الواقع في ولاية "كوزينتسا". وفي أثناء السفر، عادت بي أفكاري إلى أولئك الذين غادرتُهم. وبغير أن أدع مُرافقيَّ يرونني، كثيراً ما مسحت الدموع التي انحدرَت على خدَّيَّ في الخفاء. وقد كانت الأيّام الأولى في المعهد متَّسمةً بكثير من فورات النشاط بسبب وصول التلاميذ الجُدد، وببعضِ الفوضى لأنَّ كثيرين من الأولاد لم يتكيَّفوا بسرعةٍ وفقاً لنمط الحياة النظاميّ الذي كان مختلفاً للغاية عن الحريَّة التي سبق أن تمتّعوا بها. ومع اقتراب الشتاء عانيت كثيراً من جرّاء البرد القارس والأنفلونزا وأمراضٍ أُخرى. فلم يكن في المعهد تدفئة. وعندما كنّا نستيقظ في الصباح على رنين الجرس، كان علينا أن نجتاز ممّراً مكشوفاً إلى حيثُ نغسل وجوهنا، إذ لم يكُن ماءٌ جارٍ. وكثيراً ما كانت المياه تتجمَّد في الأحواض فنُضطرُّ إلى كسر الجليد للاغتسال، مستعملين قطع الجليد كأنَّها صابون. وفي بعض الأحيان كان يمضي يومان أو ثلاثة قبل أن يتجرّأ معظمنا على غسل وجوههم. حقّاً، كانت حياةً قاسية، وقد أثَّر الصقيع في معنويّاتي تأثيراً سلبيّاً، فتسرَّب إليَّ الإحباط يوماً بعد يوم. ومع أنَّني حاولتُ التغلُّب على تلك الأُمور كلِّها فقدِ انطويتُ على ذاتي أكثر فأكثر. وأدهشني أن أجد نفسي باكياً. في تلك الأوقات لم أجد مَن يُعزِّيني. وأذكر أنَّ الأب كارلو مرَّةً، وقد ساءه الإزعاج الذي كنتُ أُثيره، تقدَّم إليَّ وأخذ

يصفعني ويلكمني، بل يركلني أيضاً. وينبغي لي أن أقول إنَّ تلك الضربات الشديدة حقَّقتِ الغاية المنشودة. فمنذ تلك اللحظة، عقدتُ عزمي على أن أعيش حياة الدَّير تلك ولو كانت منفِّرةً لي إلى أقصى الحدود!

ومن الأشياء التي تعلَّمتُها سريعاً أنَّه لم يكنْ يسعني أن أثق بأحد، وأنَّه كان مستحيلاً أن أظفر بصديق. فقد بدا أنَّ الجواسيس مبثوثون في كل مكان. وتبقى في ذهني ذكرياتٌ قليلة جدّاً من تلك السنين الأربع الأولى التي قضيتُها في المعهد. ثمَّ في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٢، غادرتُ إلى الدير، حيث أمضيتُ سنتِي مُتَرَهبناً. وبمقتضى قوانين التَّرهبُن المعمول بها في "رهبنة القديس فرنسيس الصُّغرى"، كان ينبغي إطلاق اسم جديد على المترهبِن يومَ التحاقه بالرهبانيَّة. وعليه، فمنذ ذلك اليوم فصاعداً، صرتُ معروفاً باسم "الأب فيلكس (أي الأب "سعيد"). وما زلت أذكر الضجر الرهيب الذي يعتري المُتَرَهبِنين، وهو ضجرٌ ناشئ من الكسل المفروض الذي هو ابنُ الوحدة الزائفة. فلئن كان المتَرَهبِنون مجموعةً يُفترض أن تُنشّأ على طرق الله، فإنَّهم بالحقيقة شكّاكون بعضُهم في بعض وغيارى أحدُهم من الآخر على أُمور تافهة تُفضي إلى التحاسُد والتخاصُم والقباحات.

وفي نهاية سنة تَرهبُني، جرى احتفال "الاعتراف البسيط" في الرابع من تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٣٣. ثُمَّ في السابع من تمّوز (يوليو) ١٩٤٠ تلقَّيتُ رسامتي كاهناً؛ وتقبَّلتُ التهاني من المطران ورؤسائي والكهنة الحاضرين. وقد كنتُ في قمَّة السعادة والغبطة. فها أنا كاهنٌ في نهاية المطاف! غير أنَّ قدّاسي الأوّل كان وهماً محزناً لنفسي. فقد بدا لي أنَّه لا يعدو كونه تمثيلاً للدَّور الذي رُسِمتُ كي أؤدِّيه. ولم يكُن من فرحٍ ولا رضى روحيّ. أين حضور الله الذي وُعِدتُ بأن أتلمَّسه على نحوٍ حقيقيّ؟ ما كان من شيء سوى الشكليَّة والخَواء.

وبعد بضع سنين في دير القديس فرنسيس الأسِّيزي، حيثُ علَّمتُ اللغة الإيطاليَّة والتاريخ والجغرافية على مستوى الصفوف المتوسِّطة العُليا، ذهبتُ إلى ديرٍ في "بِزينان" (سِيزيِنْتزا)، ثُمَّ إلى ديرٍ في "ريجي كالابْرِيا". وهناك حصل أول

لقاء فعليٍّ بيني وبين مسيحيِّين إنجيليِّين. ففي الخامس عشر من آب (أُغسطس)، بينما كنتُ أمرُّ أمام الكنيسة المعمدانيَّة الإنجيليّة في "ريجي كالابْريا" تملّكتني رغبةٌ شديدة في مقابلة الخادم. وأخيراً جاء يومٌ استجمعتُ فيه شجاعتي وكتبتُ إلى الخادم رسالةً أطلب فيها مقابلته. فما كان منه إلاَّ أن ردَّ: "أهلاً بك في أيّ وقتٍ يُناسبك!" وكان اسمُ ذلك الخادم "سالفاتوري تورتوريلّي".

نصحني الخادم بقراءة الكتاب المقدَّس، قائلاً: اقرأه في بساطة وبغير أفكار مسبَّقة!" فرجعتُ إلى الدَّير وبدأتُ أقرأ الكتاب المقدَّس بالإيطاليَّة. وقد وجدتُه لروحي ونفسي أشبه بينبوعٍ صافٍ يروي الغليل، وأشبه بالبصر للأعمى. فكلُّ صفحةٍ صحبها مفاجآتٌ ونورٌ جديد، وكأنَّما نوافذ تنفتح في حيطان سجن. وكنتُ أقول لنفسي مراراً: "هل يُعقَل؟ هل يُعقَل أنّني عشتُ سنين بطولها وأنا لا أعرف شيئاً من هذه الأمور المذهلة؟" وذات يومٍ أطلعتُ القسِّيس تورتوريلّي على حقيقة شعوري، فقال لي: "إنَّ الربَّ يدعوك للانفصال عن الأباطيل؛ فاتركْ كل شيءٍ وتحوَّلْ إلى إنجيل يسوع المسيح." وقد كانت عقبتان تحولان دون مغادرتي للدير. أوَّل هاتين العقبتين خزيُ الازدراء بي باعتباري شخصاً سيِّئ السمعة، كاهناً خلع ثوبه. والثانية خوفُ الخروج إلى العالم المجهول بلا ضمان ولا أمان ولا وظيفةٍ من أيِّ نوع. هذه النقطة الأخيرة حرجة جدّاً، حيث إنَّ البند الخامس من الاتفاقيَّة الرسميَّة بين الحكومة الإيطالية والفاتيكان نصَّ على حظْر توظيف الكهنة المرتدِّين. ومن ثَمّ أعوزتني الشجاعةُ الكافية لحملي على مغادرة الدَّير.

وبعد فترةٍ ليست بطويلةٍ نُقِلتُ إلى ديرٍ آخر في "اسْتاليتّي". وبينما أنا سائرٌ يوماً في شارعٍ من شوارع القرية، إذ سمعتُ أحداً يناديني. فالتفتُّ لأرى فلاَّحاً يومئ إليَّ بأن أقف لأنَّه يريد أن يتحدَّث معي. وقال لي: أحمل إليك تحيّاتٍ من قسِّيس الكنيسة المعمدانيَّة في ريجي كالابْريا." ولم يكن قد مضى على وجودي هناك إلاَّ أُسبوعٌ واحد. ثمَّ أخبرني ذلك الفلاّح بأنَّ كاهناً اسمه "غويدو اسْكالْزي"، متعاطفاً مع الإنجيليِّين، موجودٌ آنذاك في مسقط رأسي. ومضى

يشرح لي أنَّ جماعة المؤمنين التي ينتمي إليها هي في "غاسبرينا" على بُعدِ نحو ستة كيلومترات فقط، وأنَّ القسِّيس "دومنيكو فولغينيتّي" يتمنَّى مقابلتي. فقلتُ له إنَّني أسعدُ بلقائه.

ثمَّ حصل اللقاء بعد بضعة أيّام. غادرتُ الدير ليلاً، وقصدتُ إلى مكانٍ مناسب للمقابلة، كان بيتاً صغيراً وبسيط الأثاث كمُعظم بيوت الفلاّحين في كالابريا. كان هنالك طاولةٌ وبضعةُ كراسٍ، وموقدٌ قربَه معجن ومُنخُلان لنَخْل الدقيق قبل عجنه وخبزه. وبقرب الموقد، تدلَّت على الحائط طناجرُ ومَقال. وعبرَ بابٍ مفتوح، يستيطع المرء أن يرى غرفةً تُستعمَل للنوم. ثُمَّ إنَّ الانطباعَ الأوَّل الذي أحدثه القسِّيس عندي لم يكُن جيِّداً كثيراً. فقد كان مرتدياً ثياباً بسيطةً بلا ربطة عنق، بحيث يعرف مَن يراه أنَّه مجرَّد فلاّح بسيط. حتّى قلتُ في نفسي عندما عُرِّف إليَّ بأنَّه القسِّيس "دومنيكو فولغينيتِّي": "أيُّ قسِّيسٍ هذا؟" وكنت أحسب أنَّه في أيَّة لحظة قد يسحب من جيبه كتاباً مقدَّساً ليشهد للربِّ أمامي. غير أنَّه، بدلَ ذلك، نظر إليَّ برقَّةٍ عظيمة وقال: "أنت الآن تعرف كل ما ينبغي أن تعرفه بشأن كلمة الله. إنَّ ما تحتاج إليه الآن هو الخلاص. الربُّ يسوع يريد أن يخلِّصك. لقد مات على الصليب كي يخلِّص نفسك!" ومضى يُحدِّثني عن "الولادة الجديدة" التي يتمُّ قبولُها بالإيمان بفضل دمِ يسوع المسيح. وروى لي خبر نيقوديموس الذي ذهب إلى المسيح ليلاً، ثمَّ كرَّر كلمات الربّ: "أنت معلِّم إسرائيل ولستَ تعلم هذا؟" ورحتُ أفكِّر: "الولادة من جديد؟ يا ليتني أولد من جديد! فما أروع أن يُمحى ماضيَّ الأليم كلُّه، أخطائي كلُّها، أوهامي كلُّها، خطاياي كلُّها، كلُّ ما تراكم في نفسي من دنس وأقذار، وأن أبدأ حياة جديدة، حياةً طاهرة مقدَّسة أمام الله والناس! حبَّذا لو أُولد من جديد!"

"ينبغي أن تولدوا من فوق" عبارةٌ كرَّرها القسِّيس الفلاَّح غيرَ مرّة على مسمعي. ولم أدرِ ماذا أقول. لكنَّني رضيتُ بأن أوافقه في الرأي وهو يقول ما يقوله باقتناعٍ عظيم. لم يكن في كلامه أيُّ أثر للاستعلاء، ولم يستخدم أيَّة

عباراتٍ احترافيَّة طنّانة. وبعد قليلٍ نهض وقال: "إن كنت لا تُمانع، فهل تسمح بأن نُصلِّي قبل أن يمضي كلانا في سبيله؟" فأجبت فوراً: "بالطبع، فلنُصلِّ!" ثُمَّ جثا على ركبتيه ورفع ذراعيه نحو السماء وأغمض عينيه مصلّياً. أمّا عيناي فانفتحتا على وسعهما. وبدأ شاكراً الله على الفرصةالتي أتاحها لي لسماع كلمات الخلاص. ثمَّ مضى يطلب إلى الربّ أن يكمِّل عمله فيَّ، مطهِّراً قلبي من كلِّ خطيَّة وغاسلاً نفسي بدم المسيح الكريم، دمِ ابن الله الوحيد الذي مات على الصليب دافعاً الثمن لفداء نفسي. وظلَّ على هذا المنوال حيناً، وأنا جاثٍ إلى جانبه طبعاً، إنَّما بشيءٍ من التردُّد، ومُتابِعٌ صلاته بتشكيك، مبتسماً في داخلي حين أشار إلى خطاياي. تُرى، ماذا يعرف؟ استرقتُ النظر إليه غيرَ مرّة فإذا به ما يزال مغمضاً عينيه وذراعاه ممدودتان نحو السماء بتوسُّل. إنَّ حدَّة صلاته نبعت من كامل كيانه، فكانت حقّاً صلاةَ إيمان لم أسمع أحداً يصلِّي مثلَها في ما مضى من عمري. وعلى كلٍّ، فقد بدت لي أنَّها الصلاة الحقيقيَّة الموافقة تماماً لتعاليم المسيح إذ حذَّر من تكرار الصلوات آليّاً وشجَّع بالأحرى على الصلاة وفقاً للحاجة الراهنة ... فأيُّ أمرٍ يمكن أن يكون أكثر إلحاحاً من خلاص نفسي؟

وفجأةً، أغمضت عينيَّ فإذا بماضي حياتي يومض أمامي: جميع خطاياي ورذائلي وكبريائي وشهوانيَّتي وريائي وكذبي، وكثير غيرها. ورأيتُ نفسي مغموراً بكلِّ نوعٍ من الخطايا، كأبرصَ يُغطِّيه مرضُه المنفِّر، فهالَتْني حالتي! وبحزنٍ وضيق ساءلتُ نفسي: كيف أتحرَّر من هذا الوضع الطاغي وأنعتق من كلِّ خطاياي؟ لحظتئذٍ تذكَّرتُ كلماتٍ سبق أن ذُكِرت في الصلاة: "دم يسوع المسيح يطهِّرنا من كل خطيَّة." وعندئذٍ فقط فهمتُ معنى التحرُّر حقّاً. وفي تلك اللحظة قرَّرتُ قراراً حاسماً أن أطرح نفسي في يَدَيْ يسوع المسيح مخلِّصي الكريم مستنجداً به يائساً: "يا ربُّ، ارحمني أنا الخاطئ؛ خلِّص نفسي!"

لقد كنتُ آنذاك أجتاز أزمة كبيرة: فمن جهةٍ رأيتُ حياتي الحاضرة وما توفِّره لي من مسرَّة وراحة، رأيتُ أقربائي وأصدقائي وجميع الذين يحترمونني لِما

أنا عليه. ومن الجهة الأُخرى لاح لي المجهول، حياة جهادٍ وتضحية. ورأيت المسيح فاتحاً ذراعيه مستعدّاً لاستقبالي عنده وإعطائي قلباً جديداً، ونفساً جديدة، وحياة جديدة ملؤها نعمته ومحبَّته وسلامه. فاخترتُ الربَّ يسوع. وفي تلك اللحظة، حالما اتَّخذتُ قراري، شعرتُ بالسلام يغمر قلبي. وأوّلَ مرَّة في حياتي شعرتُ بحضور المسيح حقّاً. فقد كان معنا هُناك في تلك الغرفة البسيطة، وقد قبل توبتي، واستقبلني لديه، وكلَّمني. وكان صوته حلواً في أُذنيَّ. وهدَّأ قلق القلب واضطرابه، وبدَّد الظلام من ذهني. ولقد كان حضوره حيّاً وملموساً بحيث تصوَّرتُ أنْ لو مددتُ يدي لمسستُ أهداب ثوبه. كان ذلك هو بنفسه، ربِّي وسيِّدي ومعلِّمي. كان هو يسوع نفسه. وقد علم الأخ فالغينيتي أنَّ شيئاً مهمّاً حدث لي في داخل كياني وأنَّ الربَّ قدِ استجاب صلاته. فعانقني قائلاً: "لقد لمس الربُّ قلبك، فسلِّم ذاتك كليّاً بين يديه؛ لا تؤجِّل. مَن يدري هل تُتاح لك فرصةٌ أُخرى لسماع دعوة المسيح. إنَّ عدوَّ النفوس سوف يحاول دائماً أن يُعيقك عن الدخول إلى طريق الخلاص." قلتُ له وعيناي مُغرورِقتان: "يا أخي، لقد صمَّمتُ أن أخدم الربَّ للحياة أو للموت!"

ومنذ اهتدائي وانفصالي عن الكثلكة، كان لي امتياز العمل كخادمٍ مُرسَل ومبشِّر، ومؤسِّس ومدير لإذاعة "لا فوس دِلاَّ اسْبِرانزا" (صوت الرجاء) وهي تبثُّ برامجها من بضع محطّات إذاعيَّة في الولايات المتَّحدة وأوروبا على السواء.

(الكاهن المولود ثانيةً: غُوِيدو اسْكالْزي)

بالأمسِ كاهن
واليومَ مُرسَــل
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"داريو آ. سانتامارِيّا"

وُلِدتُ في "بَلُّو" بمنطقة "أنطيوكيو" في "كولومبيا" في الثاني والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٤٢. وكانت مدرستي الأولى مؤسَّسة "مانويل خوسيه كايْسيدو" التي يديرها "الإخوة المسيحيُّون"، وهم رهبانيَّة متخصِّصة في تعليم الأولاد. هناك تعلَّمتُ ستَّ سنين. وبعد ذلك درستُ في مدرسة "الآباء السالِزِّيين" مدَّة خمس سنوات. أمَّا آخر سنة لي في المرحلة الثانويَّة فكانت في "بوغوتا" عاصمة "كولومبيا" عند الآباء الدومنيكان.

ثُمَّ حُزت إجازةً في الفلسفة. وفي الثامن من كانون الأوّل (ديسمبر) تسلَّمت رداء "الرهبان المبشِّرين" المعروفين بِاسْم الدومنيكانيين أيضاً. ومنذ ذلك اليوم بدأتُ سنة تَرَهبُني الأولى، وارتديتُ الثوب الأبيض والكاب البُنِّي اللذين يلبسهما المُتَرَهْبِنون، وحُلق رأسي ما عدا حاشيةً صغيرة من الشعر. وفي تلك السنة درستُ القوانين الدستوريَّة والعوائد والالتزامات والامتيازات التي تنظِّم الحياة الدينيَّة في كنيسة روما الكاثوليكيَّة.

وقد حفلَتْ تلك السنة بكثير من العمل الشاقّ وبنظامٍ صارم، ولم يكن يُسمَحُ لنا بمحادثة الغرباء، ولا بأكل اللحم إلاَّ في أيّام معيَّنة. وكان علينا أن نصوم كلَّ يوم جمعة، وأن نصلِّي ونرتِّل المزامير باللاتينيَّة. وكان واجباً أن نستيقظ

في الرابعة من فجر كلِّ يوم، ونظلُّ صامتين حتّى الثانية عشرة والنصف. كما كان ينبغي لنا في كلِّ يوم أحد أن نعترف بخطايانا علناً أمام زملائنا ورؤسائنا. وكثيراً ما طُلِب إلى المخطئين أن ينطرحوا في الممشى حيث يخطو الإخوة الكهنة فوق أجسادهم الممدَّدة. ثمَّ نذرتُ بأن أبقى في الرهبنة ثلاث سنين. وفي الحال باشرتُ دراساتي الفلسفيَّة. وعلى مدى ثلاث سنين قضيتُ وقتي أدرسُ الماورائيّات والكونيّات والسيكولوجيا وعلم المنهج وتاريخ الفلسفة واليونانيَّة والعبريَّة. وبعد ذلك نذرتُ نذوري الرسميَّة، ثمَّ بدأتُ دروسي اللاهوتيَّة. وفي تلك السنة ١٩٦١، تعرَّفت بطليعة مفكِّري الكنيسة الكاثوليكيَّة. وفي نهاية السنة تلقَّيت رتبتي الأُولى، وكانت درجة أُخرى في السلَّم الاكليريكيَّة.

في السنة الثانية من الدراسة اللاهوتيَّة، تلقَّيتُ رتبتين أو درجتين أُخريين في السلك الاكليريكيّ الكاثوليكيّ. وفي السنة الثالثة درستُ اللاهوت العقائديَّ والتاريخ وعقيدة التثليث. ثُمَّ حظيتُ بأولى الرُّتَب الكبرى، وهي رتبة شمّاس مُعاوِن. أمّا في آخِرِ سنة فقد درستُ القانون الأدبيَّ والواجبات الراعويَّة، ثُمَّ رُسِمتُ كاهناً كاثوليكيّاً.

غير أنَّ الربَّ دعاني إلى طريقٍ أُخرى. وأودُّ أن أُخبِركم ببعض ما جرى في داخلي فيما كنت أُحضِّر دروسي طيلة تلك السنين. فقد قرأتُ مقالةً عن الكتاب المقدَّس كتبها "دونوصو كورتيز"، وهو كاتبٌ اسبانيّ. وفيها يتحدَّث عن عظَمة الكتاب المقدَّس وإسهامه في الأدب العالميّ. ثمَّ يختم بحثه بفِقرة يتحدَّث فيها عن الكتاب المقدَّس باعتباره كتاب الله للبشر. عندئذٍ أدركتُ أهميَّة الكتاب المقدَّس بوصفه كتاباً خلاصيّاً.

وكان في بيتنا كتابٌ مقدَّس جميل دَوَّنّا فيه تاريخ الزيجات والوفَيات والولادات، فكان شاهداً صامتاً للماجَرَيات في أُسرتنا، إلاَّ أنَّه كان شاهداً لم يتكلَّم إلينا قطّ لأنَّنا لم نُعلَّم قطُّ أن نقرأه. فبدأتُ أقرأ بعض المقاطع، فثارت في

داخلي شكوكٌ كثيرة، أبتغيت لها حلاً. وتأكَّد لي أنَّه ينبغي أن أتقرَّب أكثر إلى الذين يعيشون ما يعلِّمه الكتاب. وعلى ذلك قصدتُ إلى صديقٍ إنجيليّ، وابتعتُ منه كتاباً مقدَّساً، ثُمَّ أجريت معه محادثاتٍ كثيرة. وأنجزتُ سلسلة دروسٍ بالمراسلة يقدِّمها الإنجيليُّون، إلاَّ أنَّ أسئلة عديدة بقيت بغير إجابات.

حضرتُ مرَّةً اجتماع شبيبة إنجيليّاً، وأدهشتني معرفة أولئك القوم للكتاب المقدَّس. حتّى إذا صادف عيدُ مولدي، أهداني صديقي الإنجيليُّ مؤشِّرة كتابيَّة مدوَّناً عليها نصُّ الآية الواردة في يوحنّا ١٦:٣. هذه الآية غدت مفتاح حياتي: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالم حتَّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة." كنتُ قد ذهبت إلى مدرسة اللاهوت ظنّاً منِّي بأنَّ تلك الطريقة تُتيح لي تقديم ذاتي للربّ. ومن بين الرهبانيّات الكاثوليكيَّة الرفيعة الطراز، اخترتُ رهبانيَّتَي توما الأكويني والتفتيش، نظراً لعلماء اللاهوت الوعّاظ البارزِين فيهما وللخدمات الدفاعيَّة الجليلة التي قدَّمتهما للكنيسة. غير أنِّي لم أجد في معهد اللاهوت أيَّ سلامٍ داخليّ.

أبقى الربُّ دائماً تلك الآية الكريمة، يوحنّا ١٦:٣، ماثلةً أمامي. ورحتُ أُسائل نفسي عن سبب وجودي في الدير ما دام الربُّ قادراً على تخليصي إلى التمام. فكلُّ ممارسات الدير والكنيسة زوائد لا داعي لها إن كان الخلاص بالإيمان. وحاولتُ التفتيش عن ممارسات الكنيسة في الأناجيل، فإذا بكلِّ شكٍّ يُفضي إلى شكٍّ جديد.

اِعتدتُ قراءة العهد الجديد باليونانيَّة منذ سنة دراستي الثانية. وبَدَت لي بعض الترجمات في رسالتَي رومية وغلاطية مستغربةً جدّاً. كما بدا أنَّ طريق الإيمان هي سبيل الضمان والأمان للمسيحيِّ المؤمن. ولكنْ لّما سألتُ أُستاذي عن بعض الشروح لتبديد هذه الشكوك، أجابني بكلمات يوحنا الذهبيِّ الفم: "كلَّما توغَّلتُ في قراءة رسائل بولس، قلَّ فهمي لِما كتبه." غير أنَّ شكوكي تعاظمت

حتّى غلَّفَت نفسي الظُّلمة. ولم أكُن آنذاك أومن بقيامة المسيح، لأنَّني اعتمدتُ "بَلطمانّ" مرجعاً رئيسيّاً.

ولكنَّ الاستزادة من دراسة كلمة الله أخذت تبدِّد شكوكي. وقد طالعتني الآية الواردة في رسالة كورنثوس الأولى ١٥:١٤ بالجواب القاطع: "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلةٌ كرازتنا، وباطلٌ إيضاً إيمانكم." من ثَمَّ صارت قيامةُ المسيح هي أعظمَ حقيقة تاريخيَّة في حياتي. وكنتُ قد صرتُ إنجيليَّاً في صميم القلب. ومن إنِّي لم أكن أومن بطقوس الكنيسة، فقد كنتُ ما أزال فيها. ثمَّ بدأتُ أرى أنَّ حياتي كلَّها كانت كذباً بكذب، إذ كنتُ عائشاً حياةً لم أعُد أومن بها.

وهكذا ذهبتُ عصرَ أحد الأيّام لزيارة قسِّيس إنجيلي. وقد كان ذلك خلال العطلة الأولى التي أمضيتُها في المنــزل بعد سبع سنين من العُزلة. إذ ذاك درسْنا كلمة الله معاً، صدِّقوني. ثُمَّ ماذا كان عليَّ أن أفعل بعد؟ صلِّينا معاً وقبلتُ يسوع المسيح شخصيّاً بصفته مخلِّصي وربِّي الكليَّ الكفاية. وعندئذٍ صرتُ إنساناً جديداً.

وفي أعقاب ذلك أقبلت مشاكلُ كثيرة، ولا سيَّما من جهة عائلتي، لأن وجود كاهن في العائلة الكاثوليكيَّة أفضل من تقديم مذبح ذهبيٍّ إلى الكنيسة. وقال أبي: "منذ مئتي سنة لم يطلع من أُسرة سانتاماريّا قاتلٌ أو لصٌّ أو زانيةٌ أو بروتستانتيّ ... أنتَ أوَّلُ واحد!" فاضطُرِرتُ إلى ترك عائلة عزيزة من ستَّة أفراد لأجل الإنجيل، إلاَّ أنَّني كسبتُ عائلةً قوامُها آلافُ المؤمنين الحقيقيِّين بالمسيح.

حاولَتِ السلطات الكاثوليكيَّة أن تزجَّ بي في السجن، ولكنَّ كثيرين من المُرسَلين والمؤمنين المولودين ثانيةً وقفوا معي، وأنقذني الربُّ بمعجزة. كان عليَّ مغادرة كولومبيا، ولكنَّ الربَّ سدَّ حاجاتي وفتح لي الباب لدراسة كلمته في مدرسة للكتاب المقدَّس.

ثُمَّ وضع الربُّ على قلبي عبئاً لخدمة الشعب الاسبانيّ. وها أنا أعمل الآن مُرسَلاً في اسبانيا مع "مركز الهداية" ناشداً إيصال نور الإنجيل إلى القلوب الاسبانيّة الغارقة في الظلام. وإنِّي لَفي حاجةٍ إلى صلواتكم يوميّاً كي يجد كثيرون من الاسبان سلامهم في المسيح: "فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوع المسيح" (رومية ٥:١).

(الكاهن المولود ثانيةً: داريو آ. سانتاماريّا)

من روما إلى المسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"مارك بينا"

اسمي "مارك بينا". وقد وُلِدتُ في بلدةٍ اسبانيَّة صغيرة إلى الشمال من "بورغُس" تُدعى "فيلاّ ماريا دي لوماس".

ولّما كنتُ أنوي أن أصير مُرسَلاً، فقد قرَّرتُ الانخراط في الرهبنة لأُصبح كاهناً كاثوليكيّاً.

بدأت تَرَهبُني في ٢٤ تمُّوز (يوليو) ١٩٤٩. وبعد سنةٍ ويوم كان علينا أن نُقسم ونتعهَّد أمام "الجماعة المقدَّسة" بأن نحفظ مدَّة سنةٍ واحدة نذور الفقر والعفَّة والطاعة. بهذا الاحتفال صرنا أعضاءً في "أخويَّة "المرسلين المتطوِّعين لسيِّدة الحبل بلا دنس". وبعدئذٍ انتقلنا إلى مدريد، إلى المعهد اللاهوتيِّ الأعلى التابع للمرسلين المتطوِّعين في "بوتْزويلو دي ألارْكون"، حيث كان علينا أن ندرس سنتَي فلسفة وأربع سِنِي لاهوت لنصير كهنة.

وكان واجباً بعد ثلاث سنين أن نؤكِّد نذور الفقر والعفَّة والطاعة مدى الحياة. فقبل الوصول إلى الرسامة، ينبغي لطالب اللاهوت أن يرتقي عدَّة درجات في صعوده نحو القمَّة. هذه الدرجات تُسمَّى رُتَباً، ورتباً صُغرى، ورتباً كبرى. وهي تبدأ بحلق رأس المُترهبِن في أوّل سنة من درس اللاهوت، ثمَّ تليها الدرجات الأُخرى.

ثُمَّ تمَّت رسامتي للكهنوت يوم السبت في ١٧ آذار (مارس) ١٩٥٦، في الكنيسة التابعة لمعهد اللاهوت بمدريد، على أيدي أُسقف "مدريد ألكالا"

والدكتور "إيوجو غاراي" بطريرك جزر الشرقيَّة، وكنتُ واحداً من خمسة زملاء رُسِمنا معاً.

وقد أجرَيتُ قدَّاسي الأول يوم الأحد في ١٨ آذار (مارس) ١٩٥٦، في كنيسة "ريليغيوزاس دي سان خوسيه دي أُكْلوني" في "بوتزويلو دي ألارْكون". وإنّي لأذكرُ توتُّرَ أعصابي لئلا أُخالف أيّاً من الطقوس والشعائر، يحدوني شعور داخليٌّ وقور وعاطفةُ إجلال لذلك القُدّاس الأوَّل. إنَّما ينبغي لي الآن أن أُقِرَّ بأعلى صوتي أنَّ "فعل العبادة الأعظم" هذا لدى الكنيسة الكاثوليكيَّة ليس إلاَّ نوعاً من المهزلة اليوميَّة. ولئن كان مهزلة جديَّة، فهو ما يزال مهزلة. وكما قال "جان نوكس"، الكاهن الكاثوليكي السابق الذي صار بعد اهتدائه إلى المسيح أعظم قائدٍ للكنيسة المشيخيَّة، فإنَّ "القُدّاس تجديف".

وأوّلُ قُدّاسٍ لي مع العائلة في مسقط رأسي كان شيئاً عظيماً من الناحية البشريَّة بالنسبة إلى قريتي الصغيرة. فقد عاش الجميع يومين حافلين بالمشاعر المشبوبة، في مهرجانٍ استمرَّ يومي الثامن والتاسع من تمُّوز (يوليو) ١٩٥٦، تخلَّلته ألعابٌ ناريَّة وموسيقى وعروضُ أزهارٍ ومبارياتٌ مفخرةً لأهل القرية أجمعين!

وقد عملتُ أُستاذاً للأدب الاسبانيّ والموسيقى في السنة الخامسة، ولِلاَّتينيَّة والافرنسيَّة في الرابعة. إلاَّ انَّني استمتعتُ بتحضير عِظات الأحد لقدَّاس الساعة الحادية عشرة في كنيسة القرية.

ولّما علم البطريرك الإقليميّ بميولي الإرساليَّة، عيَّنني، وكاهناً متطوِّعاً آخر، مساعِداً في رعاية أبرشيَّة فقيرة وحقيرة في مدينة "باداجوز". وفي الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، وصلتُ إلى أبرشيَّة "سيِّدة الصعود" في "باداجوز"، وهي مكوَّنة من أهالي ضاحية كبيرة تتَّسم ببؤس عظيم على الصعديين الروحيّ والماديّ. وكان تعداد الرعيَّة نحو تسعة آلاف نفس. وهكذا، على مدى ثلاث سنين، عملتُ في هذه الأبرشيَّة وسط فرح الناس ورِضاهم وترحيبهم. فالحقُّ يُقال إنَّهم شعروا بالفخر بي. وأنا أحببتُهم وحاولت أن أربحهم بكلِّ وسيلة ممكنة.

إلاّ أنّني، على نحو متزايد، شعرتُ بأنّي مُثقَل بخطاياي، وأدركتُ أنْ لا يقينَ بالغفران من طريف الاعترافات وسائر الممارسات الكاثوليكيَّة، وتراءى لي أنّي هالك إلى الأبد. فالقدّاس وسواه من الممارسات باتت عديمة المعنى. ومن ثَمّ قرَّرتُ ترك الكهنوت والانخراط في حياة العالم والحصول على عملٍ دنيويّ و"التمتُّع بالحياة".

وأكثر فأكثر، شعرتُ بعدم الرضى عن القُدّاس واجتاحني الخواءُ الروحيّ الذي تتَّسم به كنيسة روما الكاثوليكيَّة. فاتَّصلتُ بقسِّيس بروتستانتيّ في مدريد، اسمُه "ألبرتو أراجو فرناندِز". لم أكُن أعرفه، ولكنْ قيل لي إنَّه رجلٌ متعقّل ومؤمن غيور. وقد كان لقاؤه الأوّل بسيطاً وقلبيّاً، بحيث جعلني أستغرب الفكرة السائدة لدى معظم الكاثوليك على الأقلّ في اسبانيا –بأنَّ البروتستانت الإنجيليِّين هم أشبه بالحشرات النادرة. وأذكر أنَّه أفسح لي لإطْلاعه على مشكلتي، وبمحبَّةٍ وحكمةٍ لم أعهدهما من قبلُ نصحَني وشجَّعني أن أُكثِر من قراءة كتاب العهد الجديد. ثمّ كانت بيننا اتِّصالاتٌ دوريَّة.

وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٦٢ عقدتُ العزم على القيام بالخطوة الكبيرة المتمثِّلة بترك الكهنوت الكاثوليكيّ. فلم يعُد في وسعي الاستمرار حيث سادت البرودة الطقسيَّة دون سواها، كما هو مكتوب: "لهم صورة التقوى، ولكنَّهم مُنكِرون قوَّتها ..." (**٢**تيموثاوس ٣:٥). وكتبتُ إلى "أراجو" طالباً إليه تدبير مكانٍ أختبئ فيه، كما كتبتُ رسالةً مماثلةً إلى قسِّيس آخر في "بيبلاو"، هو "خوان أيزاغير"، طالِباً الأمر عينه، لأنّني كنتُ ناوياً ترك الكهنوت في أوَّل فرصة تسنح لي.

كان رئيسي قد رتَّب لي أن أعِظ في ذكرى ظهورات العذراء في فاطمة. واخترتُ تلك المناسبة لترك الكهنوت والتخلّي عن وضعي الدينيّ. وقد وصلتُ مدريد في الثامن من أيّار (مايو) ١٩٦٢. ثمَّ استقلَلتُ حالاً طائرةَ الساعة الثالثة

والنصف إلى هولندا، كي أُغادر اسبانيا قبل أن يَعلم رئيسي بارتدادي ويُعلِمَ الشرطة فتُغلِق الحدود الاسبانية في وجهي.

لم أكُن آنذاك أعرف شيئاً عن الخلاص الكتابيِّ الحقّ. ولكنْ في هولندا أقمت عند عائلة إنجيليَّة بروتستانتيَّة، اعتاد أفرادها أن يقرأوا الكتاب المقدَّس معاً ويُصَلُّوا في فترة تعبُّدٍ يوميَّة ويشكروا الله قبل تناول الطعام. وقد أوصَوا بي إلى الدكتور هَغَر، وهو كاهنٌ مولودٌ ثانيةً ومدير خدمةٍ في هولندا تُعنى بالكهنة الراغبين في ترك النظام الكاثوليكيّ، وتُدعى "في الزقاق المستقيم" تيمُّناً بما ورد في سفر أعمال الرسل ٩:١١. وحادثني الدكتور هغر مُرشِداً ومجيباً عن أسئلتي العقائديَّة الكثيرة من كلمة الله.

بُعَيدَ ذلك رجعتُ إلى اسبانيا مروراً بالبرتغال (في سبيل الأمان) لأعود أُمِّي، إذ كانت مريضة وقلِقة عليَّ. ويسَّر لي الربّ أن أُقيم مع عائلتي مدَّة شهرٍ بأمان، وتحسَّنت صحَّة أُمِّي تحسُّناً كبيراً. ثمَّ لدى عودتي بالقطار، أخذتُ في مقصورتي أقرأ الكتاب المقدَّس وأُسبِّح الربّ. وفي موقف الحمد ذاك، خطرت في بالي آياتٌ من الكتاب تؤكِّد أنَّ يسوع المسيح هو مخلِّص كامل، بلِ المخلِّص الوحيد، المخلِّصُ الكليُّ الكفاية، وأنَّه قدَّم عن خطاياي فوق الصليب ذبيحةً واحدة كاملة لا تحتاج إلى تكرارِ البتَّة، وأنَّه كان بديلي وحامل خطاياي، وأنَّه يحسب برَّه لي ويغفر جميع خطاياي إن وثقت به من كلِّ قلبي. وفي لحظةٍ واحدة فعلتُ ذلك : سلَّمتُه حياتي ونفسي، وقبلتُه في قلبي، واثقاً به باعتباره ربِّي ومخلِّصي إلى الأبد. وهكذا تمَّت في قلبي وحياتي كلمات الله القائلة: "له يشهد جميع الأنبياء أنَّ كلَّ مَن يؤمن به ينال باسْمه غفران الخطايا" (أعمال الرسل ١٠:٤٣). فإذا خطاياي قد غُفِرت، ونفسي قد خَلَصت، والسماء صارت موطني، والمسيح لي وأنا له إلى الأبد.

عُدتُ إلى هولندا، حيث اتَّصلتُ بمركز الهداية في ولاية بنسلفانيا الأميركيّة، مُبدياً رغبتي في الذهاب إلى أميركا ودراسة كلمة الله. وقد يسَّر لي

الربُّ أن أصِل أميركا عبر كندا، بعد شيء من الصعوبة، في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٣. وعندئذٍ شرعتُ في الدراسة بمعهد الإيمان اللاهوتيّ، مُنهياً في الوقت عينه بعضَ المقرَّرات في جامعة "تَمبِل" للحصول على ماجستير في الأدب الاسبانيّ.

ختاماً، أقتبس رومية ١٠:١-٤ بما يوافق حالتي : "أيُّها الإخوة، إنَّ مسرّة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل "الكاثوليك" هي للخلاص. لأنَّني أشهد أنَّ لهم غيرةً لِلّه، ولكن ليس حسب المعرفة. لأنَّهم إذ كانوا يجهلون برَّ الله، ويطلبون أن يُثبِتوا برَّ أنفسهم، لم يُخضَعوا لبرِّ الله، لأنَّ غاية الناموس هي: المسيح للبِرّ، لكلِّ من يؤمن."

(الكاهن المولود ثانيةً: مارك بينا)

"هوذا الكلُّ قد صار جديداً"

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جيرالد والترز"

"طوبى للأنقياء القلب، لأنَّهم يعاينون الله" (متّى ٥:٨).
"طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنَّهم يُشبَعون" (متّى ٥:٦).

في ما خصَّني، حُرِّرتُ من خطيَّتي بطريقةٍ مشابهة لِما جرى لشاول الطرسوسي، بتدخُّلٍ من الله المُطلَق السيادة. فبينما كنتُ أقرأ "اعترافات القدّيس أُغسطينوس"، سكبَ الله نعمته على قلبي فيما قرأتُ خبرَ اهتداء أُغسطينوس. وقد أرخيتُ الكتاب من يدي، وتوجَّهتُ إلى سريري وتهالكتُ عليه.

ولّما نهضتُ في الغد تبيَّن لي أنَّ "الأشياء العتيقة قد مضت؛ هوذا الكلُّ قد صار جديداً" (٢كورنثوس ٥:١٧). ولم يكُن ذلك مجرَّد اختبارِ ابنِ ساعته. فإذ مضى الوقت، وجدتُ بالفعل أنَّ كلَّ الأشياء العتيقة قد ولَّت، وأنَّ كلَّ شيء قد صار جديداً عندي. ذلك أنَّني سمعتُ البشارة من خلال شهادة أُغسطينوس. فقد جاءني الإيمان من طريق سماعي الخبَر، خبر كلمة الله المخلِّصة كما رواه أُغسطينوس، وإذا بحياتي قد غدت اعترافاً بالمسيح. وما عُدتُ قطُّ إلى تلك الحالة القديمة، إذ صرتُ بحقٍّ خليقةً جديدة ولم يحصل لي فقط اختبارٌ عاطفيٌّ عابر.

يقينيْ أنَّ الله "ينظر إلى القلب" (١صموئيل ١٦:٧)، وأنَّ كلَّ مَن يستجيب لتبكيت قلبه يُرشده الروح القدس إلى "جميع الحقّ" (يوحنّا ١٦:١٣).

بل إنَّ جوعنا وعطشنا إلى البرّ يأتيان بنا بعدُ إلى يقينٍ أعظم ببلوغ جميع الحقّ. إذ إنَّ صدقَنا مع أنفسنا بشأن ما نراه حقّاً هو شيءٌ. ولكنَّ اتِّباعنا للحقّ فعلاً والعمل بموجبه هما شيءٌ آخر.

لقد قابل الرئيس الشابُّ الغنيُّ **الحقَّ بذاته،** وتلقّى الدعوة للإقبال إليه واتِّباعه، ولكنْ لم يكُن في قلبه أن يمضي ويبيع كلَّ ما كان له على الفقراء (لوقا ١٨:٢٢).

وقد دان الربُّ يسوع الفرِّيسيين بشدّة لأنَّهم كانوا يعرفون الناموس جيِّداً، أعني حرف الناموس، ولكنَّهم لم يعملوا بما يُمليه روح الله على الخاضعين له. وحسناً قال الرسول بولس إنَّ **الحرف** يقتل ولكنَّ **الروح** يُحيي (**٢**كورنثوس ٣:٦).

إنَّ يسوع المسيح شخصٌ لا يرضى بالفُتات. فهو يطلب منّا أن نُعطيَه كلَّ شيء، لا مجرَّد كسرٍ يسيرٍ نشعر أنَّنا قادرون على الاستغناء عنه دون عناء. وهو يعرف ضعفاتنا وارتباطاتنا، ولسوف يمتحننا في هذا المجال ويدرِّبنا **حتّى تكون له المكانة الأولى في قلوبنا.** وقد أحسَن من قال: "**إمّا يكون المسيح ربَّ كلِّ شيء، وإمّا لا يكون ربّاً لشيء.**"

فهذا هو السؤال الحاسم لكلِّ شخصٍ يريد اتِّباع المسيح: أ أنت مستعدٌّ لتسليم المسيح نفسك بجملتها؟

وُلِدتُ في "باتافيا" بولاية نيويورك لعائلةٍ كاثوليكيَّة نموذجيَّة من الطبقة الوسطى. وكان والداي تقيَّين ومُخلِصَين للكثلكة، وأنا الأصغر بين ثلاثة صبيان. وقد واظبْنا على حضور القدّاس وتناول الأسرار بكلِّ أمانة، وكانت حياتنا مستقيمة. ولكوني في المدرسة الرسميَّة، فقد دأبتُ في حضور التوجيهات الدينيَّة الكاثوليكيَّة بعد ساعات الدراسة اليوميَّة مرّةً كلَّ أُسبوع. وفي مراهقتي تورَّطت في خطايا الجسَد و لم أجِد مناصاً منها.

لم يقُلِ الكاهِن للجمهور مرَّةً، في أثناء قداديس الآحاد، إنَّ حالتنا الساقطة والفاسدة بالطبيعة تستوجب أن "نُولَد من فوق ونخلص بالنعمة، من طريقة الإيمان" حسبما جاء في يوحنّا ٣ وأفسس ٢:٨. فقد كان مؤمناً بالخلاص الآليّ عبرَ "تجديد" الاطفال عند تعميدهم.

ولو كان الكاهن وعظَ بما يوافق كلمات الرسول بولس: "إذِ الجميع أخطأوا، وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجّاناً، بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣:٢٣و٢٤)، لكنتُ عرفتُ أنَّ في وسعي أن أغتسل وأُطهَّر من الخطيَّة وأُمنحَ القوَّة لأعيش حياةً مقدَّسة في هذا العالم الشرير. ولكنْ، يا إخوتي الأعزّاء، ما من كاهنٍ قطُّ ألقى عظةً من هذا النوع! لا أقول هذا من غضب، بل من حُزنٍ فقط، وليس لأجل نفسي وحدها بل لأجل الملايين الذين عانَوا أشدَّ معاناةٍ، أو ضلُّوا وهلكوا أيضاً، لأنَّنا عُلِّمْنا عقيدةَ خلاصٍ آليٍّ ناموسيٍّ مؤسَّسٍ على فلسفة أرسطو ومُفصَّلٍ من قبل لاهوتيي العصور الوسطى. وقد عُلِّمْنا ذلك استناداً إلى "لاهوت تانكويري العقائديّ"، في الجزء الثاني عشر والفصلين الرابع والخامس. وهذا التعليم تلقيَّته في معهد " المسيح الملك" اللاهوتيّ في "سانت بونافنتير"، نيويورك. وقد درستُ في ذلك المعهد من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ كاهِناً لأبرشيَّة "بوفالو" في نيويورك.

ليست غايتي أن أُقنعك بأنِّي أفضلُ منك لاهوتيّاً، بل أن أُقنع الجميع بأنَّه ينبغي لنا أن نكرز برسالة خلاصٍ شخصيّ من طريقِ قبول الربِّ يسوع المسيح الذي مات من أجلنا على عود الصليب. وعندما يُكرَز بهذه الرسالة، مثلما أفعل أنا الآن، تتغيَّر حياة الناس كليّاً. فإذا بكَّتك الروح القدس على خطاياك، وعلمتَ أنَّ الخلاص هو بنعمة الله المطلقِ السيادةِ وحدَها، يغسلك الربُّ من خطاياك ويُقوِّيك كي تعيش الحياة المسيحيَّة حقّاً! فعليك أن تولَد من جديد، تولَد من فوق، تولَد من الله، حتّى تدخل ملكوت الله (يوحنّا ٣).

"إذاً الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله."

هذا هو الأساسُ الكتابيُّ للتبشير الصحيح: ولادةٌ روحيَّة، تحوُّلٌ جذريٌّ في الحياة، تحرُّرٌ حقيقيٌّ من عبوديَّة الخطيَّة، انتقالٌ من سلطان الظُّلمة إلى ملكوت ابن محبَّة الله (كولوسّي ١:١٣)، دعوةٌ "من الظلمة إلى نوره العجيب"(١بطرس٢:٩). فحالما يبلغ الناس سنَّ التمييز، علينا أن نقدِّم لهم رسالة الخلاص كما هي موضَّحة في الكتاب المقدَّس. ولن يتمَّ الخلاص بواسطة معموديَّة الأطفال، ولا من طريق الاعتراف للكاهن، ولا بممارسة أيِّ سرٍّ من الأسرار. فليس الخلاص "من أعمال، كيلا يفتخر أحد" كما جاء في أفسس ٢:٩. وكما بيَّنتُ من اختباري، فقد كان خلاصي بتدخُّلٍ من نعمة الله المهيمنة.

وقد تراءت لي الحقائق واضحةً في الكلمة المقدَّسة، وظهرت لي قوَّة الروح القدس بعمل الروح نفسه. وفي أثناء أوَّل سنتين بعد هذا الاختبار الجديد، راجعتُ النصوص الكتابيَّة التي تتحدَّث عن الخلاص والمعموديَّة. وعند انتهاء هاتين السنتين، اعتمدتُ معموديَّة المؤمن: الإيمان أوَّلاً ثمَّ الاعتماد.

والروح نفسُه هداني إلى أفسس ٢:٨ "لأنَّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان" وإلى رومية ١٠:١٧ "إذاً الإيمان بالخبر" وإلى أنَّ المعموديّة بالماء تغطيساً تعقب اختبار الخلاص الشخصيّ. ففي أعمال الرسل ٨:٣٦، قال فيلبُّس للخصيّ بعدما سأله عن المعموديَّة: "إن كنتَ تؤمن من كلِّ قلبك يجوز." إذاً، إن كنتَ مؤمناً فلك أن تعتمد. وليس: "ينبغي أن تؤمن **لكي تقبل الإيمان** والرجاء والمحبَّة والنعمة المقدَّسة" كما تعلَّمنا في "تعليم بلطيمور المسيحيّ". وتفيدنا ١كورنثوس ٢:١٢ أنّنا أخذنا "الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله."

لقد أخفقت الكنيسة الكاثوليكيَّة في أن تدرك أنَّ الروح القدس يكشف لنا حقيقة الكلمة المقدَّسة. فها هي مسحة الروح القدس من جديد تُعطي حياةً جديدة بين جميع الطوائف "كما في عنصرة جديدة". والعبارة الأخيرة مقتبسة من صلاةٍ أمرَ البابا يوحنا الثالثة والعشرون الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ سنين كثيرة بأن تُصلِّيَها. ولطالما استجاب الله هذه الصلاة.

فبينما كنتُ أستيقظ ذات صباح، رأيتُ بروحِ ذهني (أفسس ٢٣:٤) العبارة "اصنعوا هذا لذكري." وإذا بإدراكٍ جديدٍ وأكثر كمالاً يغمر نفسي مؤكّداً أنَّ القُدّاس يجب أن يكون تذكاراً وحسب، لا إحداثاً متجدِّداً لعمل الجلجثة. وفي مناسبةٍ أُخرى ألهمني روح الله أن أذهب إلى غرفتي وأقرأ الأصحاحات ٧-١٠ من الرسالة إلى العبرانيِّين. وقد ألقى الروحُ ضوءاً عارماً على عبارةٍ بعينها تؤكِّد أنَّ المسيح، رئيس الكهنة الذي لنا، "ليس له اضطرار كلَّ يوم، مثل رؤساء الكهنة (في العهد القديم)، أن يُقدِّم ذبائح أوّلاً عن خطايا نفسه، ثمّ عن خطايا الشعب، **لأنَّه فعل هذا مرّةً واحدة**، إذ قدَّم نفسه" (عبرانيين ٢٧:٧). فمع أنَّ هذا التصريح يتكرّر على هذا النَّحو ثماني مرَّات في الأصحاحات ٧-١٠، لم أكُن قد رأيته من قبل. وإنَّما أعلنه لي الروح القدس. "ولكنَّ الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله، لأنَّه -عنده- جهالة" (**١**كورنثوس ١٤:٢).

الانفصال عن روما

بعدما تعمَّدت مع عشرين شخصاً، دُعيتُ كي أُطلِع على اختباري هذا زملائي الكهنة ورؤسائي في أبرشيَّة "بوفالو". وكان رأيُهم أنَّ عقيدة الخلاص التي اعتنقتها انحرافٌ عن تعليم روما. وحينما يتولّى الروح القُدس زمام القيادة، يجنِّبنا الصدمات، وتجري الأحداث بكل تؤدة. فقد كنتُ أسير خطوةً فخطوة، وما كانت تلك إلاَّ خطوةً أُخرى فقط.

ثمّ إنَّ إطاعة الله تعني السير معه، وهو إلهٌ عظيم. ولا بدَّ أن يمهِّد السبيل. وقد كان سبيلي ممهَّداً، إلاَّ أنَّه شهد بعض الاختبارات المُضنية. ولّما عملتُ بالوصيَّة الواردة في أفسس ١٨:٥ أنِ "امتلئُوا بالروح**!**" جيء بي إلى بُعدٍ من أبعاد الحياة جديدٍ ومجيد. وعليه، فبعد معموديَّتي وطردي إلى بيت أبي وأُمِّي، آتاني الربُّ بكلمته بصيرةً كشفت لي حقيقة باقي عناصرِ النظام الطقسيّ وكلِّ ما هو أساسيٌّ في الكثلكة.

البابويَّة

في ما يلي بعضُ الخواطر حول العقيدة الكاثوليكيَّة القائلة بسيادة البابا العُليا، أرجو أن تنفع القارئ الكريم.

(١) "ولمّا سمع الرسل الذين في أورشليم أنَّ السامرة قد قبل كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنّا" (أعمال الرسل ٨:١). فالكتاب ينصُّ صراحةً على أنَّ **الرسل أرسلوا بطرس ويوحنّا**. إذاً، بطرس لم يُرسِلْ، بل هو أُرسِل مع يوحنّا.

(٢) بدلاً من تبلُّغ قرارات بطرس وبولس، كان بولس وتيموثاوس هما اللَّذَين بلَّغا مؤمني مختلف المُدنُ قراراتِ الرُّسُل والشيوخ جميعاً (أعمال الرسل ١٥و١٦).

(٣) يقول بولس في غلاطية ٢:١و٢ إنَّه هو وبرنابا وتيطس صعد إلى أورشليم وعرض "بالانفراد على المعتَبرين" جوهرَ بشارته. ولا ذِكرَ بأنَّ بطرس قال في الأمر أيَّة كلمة حاسمة.

(٤) في غلاطية ٢:٩ ذُكِرَ "يعقوب "أخو الربّ" وصفا (بطرس) ويوحنّا، المعتبرون أنَّهم أعمدة". ولا يُميَّز بطرس عنهم في شيء. كذلك أيضاً يُذكر بطرس ضمن ثلاثةٍ دون تمييز على جبل التجلّي، حيث تُطالِعنا الأسماء الثلاثة أيضاً : يعقوب (الذي قتله هيرودس) وبطرس ويوحنّا.

(٥) يقول بطرس عن نفسِه إنَّه "عبد يسوعَ المسيحِ ورسولُه" (**٢**بطرس ١:١)، ويعرِّف نفسه بصفته "الشيخَ رفيقهم" أي رفيق الشيوخ الآخرين (**١**بطرس ٥:١).

(٦) أمّا بخصوص متّى ١٦:١٨ "على هذه الصخرة (بِترا)، أبني كنيستي"، فالمسيح نفسُه هو البِترا (الصخرة الكبيرة). وبطرس يُدعى

"بِتْرُس" أي صخراً صغيراً أو حجراً كما في يوحنّا ١:٤٢ "أنت تُدعى صفا، الذي تفسيره بطرس" (باليوناني "بِترُس" أي "حَجَر").

أضف إلى هذا أنَّه في متّى ١٨:١٨، كما هو واضح، يتحدَّث المسيح إلى جميع التلاميذ، بصيغة الجمع، فيقول: "كلُّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء؛ وكلُّ ما تحلُّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء." فبهذا الكلام عينه في الأصحاح السادس عشر والأصحاح الثامن عشر يُزوِّد الربُّ يسوع المؤمنين الأوَّلين جميعاً بسلطانه. ومن اللافت للنظر أنَّه في تاريخ الكنيسة الباكر كان التفسير الشائع أو العام يفهم "الصخرة" باعتبارها صخرةَ اعترافِ بطرس، أي المسيح نفسَه.

وقد خاطب بطرس جميع المؤمنين قائلاً: "كونوا أنتم أيضاً مبنيِّين، كحجارة حيَّة، بيتاً روحيّاً ..." (١بطرس ٢:٥). أمّا يسوع وحده فهو "رأس الزاوية" (١بطرس ٢:٦و٧). وحقّاً، "فإنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح" (١كورنثوس ٣:١١)!

عقيدة العصمة

نقرأ في غلاطية ٢:١١ أنَّ بولس تصدّى لبطرس "مواجهةً لأنَّه كان ملوماً..." والآية ١٤ من الأصحاح عينه تضع بطرس في جُملة برنابا ويهودٍ آخرين: "لكنْ لّما رأيتُ أنَّهم يسلكون باستقامةٍ حسب حقِّ الإنجيل ..." فهل سلك بطرس بغير استقامة مخالفاً حقَّ الإنجيل، لكنَّه كان معصوماً في الإيمان والأخلاقيّات ؟؟؟ ليس مِن عصمةٍ تلقائيَّة لأيِّ إنسان! فالله وحده معصوم من الخطأ.

كم يُدهِشني إنَّنا قادرون على وضْع مثل هذه الثقة العظيمة في الإنسان، فيما نضع في الله بالذات ثقةً ضئيلة للغاية! أعتقد أنَّ السبب يعود إلى كوننا لم نختبر الله الحيَّ اختباراً كافياً.

لقد تبيَّن لي أنَّ الروح القدس قادرٌ على إرشادي إلى حقِّ الكتاب المقدَّس وتنبيهي إلى ضلال تفسيري الأعمى الذي قبلته بعماوةٍ من أيدي الناس. فبعون الروح القدس، أستطيع الآن أن أُفهم كلمة الله حقَّ الفهم، لأنَّ الكتاب المقدَّس يفسِّر نفسه بنفسه، كما يقول المزمور ٣٦:٩ "بنورك نرى نوراً." غير أنَّ هذا يستوجب اتِّكالاً كُلِّيّاً على الله نفسه، مثلما يطلب تعالى: أن نتَّكل عليه هو، لا على الناس. فهو يريد أن يكونَ الربَّ السيِّدَ على كلِّ شيء.

جاء في سفر الأمثال ٣:٥و٦ "توكَّلْ على الربّ بكل قلبك؛ وعلى فهملك لا تعتمد. في كلِّ طرقك اعرفْه، وهو يقوِّم سبلك."

وفي غلاطية ٣:١١ "لأنَّ البارَّ بالإيمان يحيا."

(الكاهن المولود ثانيةً: جيرالد والترز)

كنتُ كاهناً

لكنْ ... غيرَ معروفٍ عند الله

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"جوزيف اتْرَمْبلاي"

يستطع الله أن يخلِّص أيَّ إنسان في أيِّ زمان وأيِّ مكان. فأينما كان مكان الشخص المعَيّ، ومهما كانت مهنته أو وظيفته، ومن أيِّ جنسٍ أو عرقٍ كان، فإنَّ الله ما يزال اليوم -كما كان بالأمس- قادراً على أن يخلِّصَ كلَّ منَ يتوب عن خطاياه ويضع ثقته في الربِّ يسوع المسيح لأجل خلاص نفسه. وإنَّ في اختباري الشخصيِّ مصداقاً لِما أقول.

بدأ الأمر كلُّه عامَ ١٩٦٤ في "التشيلي" لّما كنتُ في عداد الآباء المتطوِّعين لسيِّدة الحَبَل بلا دنس، وانتهى في كندا عام ١٩٦٦. وماذا حدث بين هذين التاريخين؟ إنَّه خلاص نفسي، بعدما كان الله قد بحث عنِّي ولاحقَني زمناً طويلاً. ومِن جهتي، كنتُ راغباً في تسليمه نفسي. وقد ظننتُ أنَّني سلَّمتُه نفسي فعلاً من طريق عضوِّيتي في الديانة التي وُلِدتُ فيها. إلاّ أنَّ الله فتح لي عينيَّ ذات يوم، مانحاً إيّاي أن أعي خطيَّتي وطريقه الإلهيَّ للخلاص. وقد حدث ذلك على النحو التالي.

وُلِدتُ في مقاطعة "كيوبك" الكنديَّة سنة ١٩٢٤. ومنذ الصِّغَر غرس والِداي فيَّ احتراماً لله عظيماً، حتّى رغبتُ من كلِّ قلبي أن أتعبَّد له وأخدمه بكلِّ ما أوتيتُ من قوَّة، مكرِّساً نفسي له كليّاً في سبيل إرضائه، عملاً بما قاله الرسول بولس: "فأطلب إليكم، إيُّها الإخوة، برأفةِ الله، أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة

مقدَّسة، مرضيَّة عند الله، عبادتكم العقليَّة" (رومية ١٢:١). هذه الرغبة في إرضائه تعالى هي التي حفزتني على تقرير الانخراط في السلك الكهنوتي التابع لكنيسة روما الكاثوليكيَّة.

وبعد عدَّة سنين من الدراسة، رُسِمتُ كاهناً في روما بإيطاليا. ثُمَّ بعدَ سنة بُعِثتُ مُرسَلاً إلى بوليفيا والتشيلي، حيثُ خدمتُ فوقَ ثلاث عشرة سنة. وقد راقتني تلك الحياةُ كثيراً، وحاولتُ الاضطلاع بمسؤوليّاتي على أفضلِ ما يُمكِنني. وتمتَّعتُ بعِشرة العاملين معي جميعاً. ولئن نظروا بشيءٍ من التهكُّم إلى مَيلي الظاهر لدراسة الكتاب المقدَّس، فإنَّ دعواتهم لي إلى مشاركتهم بحصيلة دراستي برهنَتِ استحسانهم. حتَّى إذا لقَّبوني "جوزيف الكتاب المقدَّس" علمتُ أنَّهم كانوا يحسدونني، رغم السخرية التي ينطوي عليها ذلك اللقب. كذلك قدَّرت رعيَّتي أيضاً خدمتي للكلمة بحيث نظَّموا اجتماعاتٍ دوريَّة لدرس الكتاب. وهكذا اضطُرِرتُ إلى الانكِباب على دراسة الكلمة المقدَّسة لكي أُعِدَّ نفسي للاجتماعات البيتيَّة المُرتَجلة، فضلاً عن تحضير عِظات الأحَد.

وسرعان ما أصبحَت دراسةُ الكتاب المقدَّس واجباً احترافيّاً، بعدما كانت حتّى ذلك الحين مجرَّد هواية. وهكذا لفتَ انتباهي الوضوحُ الذي يميِّزُ تعليم الكتاب بحقائق معيَّنة، فيما تبيَّن لي في المقابل أنَّ شيئاً لم يُكتَب عن العقائد الكثيرة التي درستُها سابقاً. وأثبتت لي دراستي للكتاب أنَّني لم أكُن أعرِف الكتاب! فاقترحْتُ على رؤسائي أن يُرسِلوني كي أتعَّمق في دراسة الكتاب مَتى حان دَور عطلتي. وفي أثناء ذلك دعاني اليسوعيُّون في "انطوفاغَسْتا" لإعطاء دروسٍ عن الكتاب المقدَّس في المدرسة النظاميَّة التابعة للجامعة التي يُديرونها. لا أدري كيف علموا باهتمامي بالكِتاب. ومن ثَمّ لَبَّيتُ دعوتهم بصرف النظر عن قلَّةِ استِعدادي، عالماً أنَّ هذه المسؤولية الجديدة تستدعي أن أدرس كلمة الله دراسةً أكثر جدِّيَّة.

وكم خصَّصتُ من الساعات والأيّام والليالي للاستعداد لِصُفوفي واجتماعاتي وعِظاتي. وحفاظاً منّي على معنويّاتٍ طيِّبة خلال قراءاتي ودراستي، اعتَدتُ الاستماع إلى الموسيقى. وقد أُعطيتُ راديو ترانزيستور صغيراً لأتمكَّن من سماع موسيقى لطيفة بغير أن أُضطَرَّ إلى تغيير الأسطوانات. وهكذا تبيَّن لي ذات يوم أنَّ الراديو الصغير كان يبثُّ ترانيم وتراتيل دينيَّة. فكانت تطرق أُذنيَّ الكلمةُ "يسوع" بين الفَينة والفَينة وأنا أقرأ الكتاب المقدَّس أو التفاسير، فإذا الجوُّ مريحٌ ومؤاتٍ للغاية. إلاَّ أنَّ الترانيم لم تكُن تدوم طويلاً، إذ تتبعها قراءات قصيرة من كلمة الله. وقد جذبَتِ انتباهي آخِرُ آية قُرئت: لأنَّه جعل الذي لم يعرف خطيَّة، خطيَّةً لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه" (**٢**كورنثوس ٥:٢١). وعلى هذه الآية أُسِّسَتِ العظةُ التالية. جُرِّبتُ أوَّلَ الأمر بأن أُغيِّر المحطَّة الإذاعيَّة، لأنَّ من المُلهي جدّاً أن تُصغيَ إلى حديث أحدهم وأنت تدرس. أضِف أنَّني فكَّرتُ داخلَ نفسي: "وبعدُ، ماذا يُمكن أن تزيد هذه العظةُ على ما أعرفه؟ فأنا، صاحبَ الشهاداتِ الكثيرة، أستطيع أن أُعلِّم الواعظ شيئاً أو شيئين!" وبعد لحظةِ تردُّد، قرّرتُ الاستماع إلى ما يقوله ... وبالحقيقة تعلَّمتُ بعض الأُمور الأكثر إدهاشاً عن شخص يسوع المسيح. حتّى إنَّ الخجل اعتراني إذ تأكَّد لي بغير شكٍّ أنَّني ما كنتُ لأتمكَّن من الإبلاء أحسنَ من ذاك الواعظ. وخُيِّل إليَّ أنَّ المسيح نفسه كان ماثلاً أمام ناظريَّ متكلِّماً بذلك الكلام الآسِر. ومع ذلك فما أقلَّ ما كنت أعرفُ يسوعَ ذاك الذي، رُغم كونه شاغِلَ أفكاري وموضوعَ دراستي، شعرتُ بأنَّهُ بعيدٌ عنّي. وقد كانت تلكَ أوَّلَ مرَّة يخطر لي فيها مثلُ ذلك الشعور من جهة المسيح. فقد بدا المسيح غريباً عليَّ، وكأنَّ كياني كلَّه لم يكُن سوى فراغٍ بفراغ بَنيتُ حوله جُملةَ مبادئ وعقائدَ لاهوتيَّةٍ، على هيئةِ بناءٍ مُتقَنٍ وواضحِ القَسَمات وجميلٍ جدّاً، لكنَّه لم يمسَّ نفسي ولا غيَّر كِياني. وأحسَستُ خواءً عظيماً يغمر كياني.

وعلى الرُّغم من مواظبتي فعلاً على الدرس وعلى إتْخام نفسي بالقراءة والصلاة والتأمُّل، أخذ ذلك الخَواء يتفاقم يوماً فيوماً.

مضيتُ أستمع إلى تلك المحطَّة عينها، غيرَ مُفوِّتٍ أيَّ برنامج تبثُّه. وعلمتُ أنَّ مركز المحطَّة كان في "كُويتو"، وأنَّها محطَّة مسيحيَّة متخصِّصة بتبشير العالم كلِّه بالإنجيل. وأحياناً كنتُ أتأثَّر كثيراً بما أسمعه، فأكتُب إلى المحطَّة شاكراً وطالباً المزيد من المعلومات.

ولَشدَّ ما أدهشني مِن كلِّ ما سمعتُ إصرارُ أحدِ المتكلِّمين على أنَّ الخلاص هو بالنِّعمة، وإرجاعُه الفضلَ كلَّه لا إلى المخلَّص بل إلى الربِّ يسوع المسيح، المخلِّصِ الوحيد، وتأكيدُه أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يفتخر بشيء وأنَّ أعماله ليست سوى خِرَقٍ نَجسة وأنَّ الحياة الأبديَّة لا تُقبَل إلاَّ هبةً مجّانيَّة داخل القلب وأنّها ليست مكافأةً على استحقاقٍ مكتسَب بل عطيَّةُ نعمةٍ يهبها اللهُ لكلِّ مَن يتوب عن خطاياه ويقبل المسيح في قلبه وحياته مخلِّصاً شخصيّاً. فهذا كلَّه كان جديداً عليَّ، ومناقضاً للأفكار اللاهوتيَّة التي عُلِّمتُها، والتي ذهبت إلى أنَّ السماء والحياة الأبديَّة ينالهما المرء باستحقاقه وأمانته وإحسانه وتضحياته. وذلك ما قضيتُ سنين كثيرةً وأنا أُحاول إتمامه. لكنْ ماذا كانتِ النتيجة؟ فكَّرتُ في هذا السؤال وقلتُ لنفسي: "لم أتقدَّم قطُّ على هذا الطريق. وإنِ اقترفتُ خطيَّةً مُميتة أذهب إلى الجحيم في تلك الحالة. لقد علَّمني لاهوتيْ أنَّ الخلاص بالأعمال والتضحيات. وها أنا أكتشف أنَّ في الكتاب المقدَّس خلاصاً مجّانيّاً. إنَّ لاهوتيْ لا يؤتيني أيَّ يقينٍ بالخلاص؛ أمّا الكتاب المقدَّس فيؤتيني. ها أنا مرتبك حائر. فلعلَّه ينبغي لي أن أتوقَّف عن سماع هذه البرامج الإنجيليَّة!" هذه المعركة التي احتدمت في داخلي اتَّخذت أبعاداً مُنذِرة بالخطر، فبتُّ أُعاني جسديّاً وقلبيّاً، وانتابني وَجَعُ الرأسِ والأرَقُ والخوفُ من الجحيم. وفقدتُ الرغبة في الاحتفال بالقُدّاس وسماع

الاعترافات. فقد كانت نفسي أحْوَجَ من كلِّ النفوس التي أحتكُّ بها إلى نوال الصفح والعزاء. وهكذا تجنَّبتُ الاتِّصال بالجميع.

غير أنَّ الله ظلَّ يتكلَّم إليَّ في عزلة قلبي المُعذَّب. وما كان أكثرَ الأسئلةَ التي ثارت في روحي والهواجسَ التي هاجت في قلبي! إلاَّ أنَّ كلمة الله جاءت لتُنقِذني، ساكبةً بَلسماً منعشاً على مشاعري المحمومة. "لأنه هكذا أحبَّ الله العالم، حتَّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنّا ٣:١٦). "إذِ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله؛ متبرِّرين مجّاناً، بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣:٢٣-٢٤). "لأنَّ أُجرة الخطيَّة هي موت؛ وأمّا هبة الله فهي حياة أبديَّة بالمسيح يسوع ربِّنا" (رومية ٦:٢٣). هذه الآيات، وكثيرٌ غيرها، خطرت على بالي بعدما صارت مألوفةً عندي لكثرة ما سمعتها من تلك المحطَّة التبشيريَّة.

ثمَّ خطر لي أن أُكلِّم رئيسي، وكان رجلاً حكيماً وأباً حقيقيّاً للجميع، وقد لاحظ موقفي من قبل. فعلَّق قائلاً إنَّني قد تغيَّرتُ وإنَّ خطباً ما قد حلَّ بي. فأخبرتُه بسبب تغيُّري، وأفسح لي كي أُفضي له بدخيلة نفسي. ثُمَّ في ختام اعترافي له خاطبتُه قائلاً: "إنَّني راغبٌ ليس فقط في قراءة الكتاب المقدّس ودرسه، بل أيضاً في تكييف نفسي بمُقتضاه، وفي العيش بموجب ما جاء فيه دون الزيادات التي يفرضها الناس." وجاء جوابه غامضاً جدّاً، إذ لم يشأ أن يُغيظني. فنصحني بالاستمرار في قراءة الكتاب، لكنَّه ذكَّرني بوجوب الحفاظ على أمانتي نحو تعاليم "أُمّنا" الكنيسة المقدَّسة التي لها ينبغي أن يَخضع المرء حتَّى في الأمور التي لا يفهمها.

أصغيتُ إلى رئيسي بكلِّ الاحترام الذي به أدين له. وهو نفسه لم يكن متيقِّناً بخلاص نفسه. ولكنْ في قلبي فقدتُ ثقتي بكنيستي، إذ لم تُعلِّمني يقين الخلاص. وكان قد حدث في قلبي شرخٌ سيكبرُ بعدُ ويُطيح بكلِّ شيء بأسرعَ ممّا

كنتُ أظنّ. فقد بزغ في قلبي فجرُ النور في اللحظة التي قلَّما توقَّعتُ فيه حصول ذلك. كان دوري أن أعظ في أبرشيَّتي. وكنتُ السبتَ السابق قدِ استمعتُ إلى برنامج بلي غراهم "ساعةُ القرار"، فساعدني ذلك البرنامجُ كثيراً في تحضير عِظتي لليوم التالي، وقدِ اخترتُ لذلك الأحد موضوع "الرياء الدينيّ" منطلقاً بحُرِّيَّة من النصِّ الكتابيّ: "ليس كلُّ من يقول لي: يا ربّ، يا ربّ، يدخل ملكوت السماوات؛ بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا ربّ، يا ربّ، أليس باسْمِك تنبّأنا، وباسمك أخرجْنا شياطين، وباسْمِك صنعنا قوّاتٍ كثيرةً؟ فحينئذٍ أُصرِّح لهم: إنِّي لم أعرفكم قطّ! اذهبوا عنِّي يا فاعلي الإثم!" (متّى ٧:٢١-٢٣).

كنتُ أعرف أبناء أبرشيَّتي. لذا أردتُ أن ألفت انتباههم إلى العُجب الذي يُبديه بعضهم نظراً لأعمالهم الصالحة، ناسين أنَّ تلك الأعمال الصالحة غالباً ما موَّهت قلباً فاسداً. وبينما أنا أُلقي عظتي، تنبَّهتُ إلى أنَّ كلمة الله كانت ترتدُّ عليَّ كطابة كُرَةِ طاولةٍ ترجعُ وتضرب وجه مُرسلها. وما أعجب أن ترى كيف تستطيع الروحُ البشريَّة، في ثوانٍ معدودة، أن تبني هيكلاً فكريّاً كاملاً قد يتطلَّب التعبيرُ عنه ساعاتٍ عديدة! وهكذا، ففيما كنتُ أُقدِّم رسالتي، كان شخصٌ آخر يتكلَّم في قلبي ويُلقي عليَّ عظةً توافق حاجاتي الشخصيَّة أيَّة موافقة. فقد كنتُ أتصوَّر أنَّني أفضلُ من جميع الذين أُخاطِبُهم، لكوني متديِّناً وكاهناً. ومع ذلك، فسوف تتردَّد في أُذنيَّ أنا أيضاً ذاتَ يومٍ الكلماتُ الصاعقة: "إنِّي لم أعرفْك قطَّ؛ اِذهبْ عنِّي!" وسمعتُ احتجاجاتي في وجه هذا الخطر الداهم وهذه الدينونة المُقبلة: "كيف يُعقَل، يا إلهي، أنّك لا تعرفني؟ ألستُ أنا كاهناً؟ أ ولستُ متديِّناً؟ انظرْ جميع التضحيات التي قمتُ بها في سبيلك: سني الدراسة، انفصالي عن أهلي ووطني، نذوري بالفقر والطاعة والعفَّة، تقديمي لك كلَّ أملاكي وإرادتي، بل جسدي أيضاً، كي أخدمك خدمةً أفضل. فهل تقولُ لي بعدُ إنَّك لم تعرفني قطُّ؟

هلاَّ تعتبرُ الآلامَ التي عانيتُها في حياتي مُرسَلاً: فما أكثر ما لم آكُلْ حتَّى الشبع، وقد بكيتُ مع الباكين، وعمَّدتُ أطفالاً بالمئات، وعزَّيتُ كثيراً من النفوس الحزينة الخائرة، وكابدتُ البرد والعُزلة والاحتقار ونكران الجميل والتهديدات ... حتَّى إنَّني على استعدادٍ لبذل حياتي في سبيلك ..." ولكنْ على الرغم من جميع الاحتجاجات التي تذرَّعتُ بها في حضرة الله، ظلَّت تقرعُ أُذنيَّ كلماتُ الدينونة الرهيبة: "لم أعرْفك قطّ ..." فقد فرغتُ من حججي الواهيَّة ووصلتُ إلى قُصارى قوَّتي. وشعرتُ بأنني على شَفا الانهيار والاسترسال بالبكاء أمام أبناء رعيَّتي الذين أحسُّوا بهبوب العاصفة. ثمَّ هبَّت العاصفة فعلاً، وحالت دموعي دون إكمال موعظتي. فقد كان فوقَ طاقتي أن أحتمل خيبة الأمل التي واجهتني بالإحباط الشديد في ضياع الهدف من حياتي كلِّها، أمام خطاياي ودينونة الله الحتميَّة. ثمّ التجأتُ إلى مكتبي، حيثُ جثوتُ انتظر ريثَما يعودُ الهدوء. ولكنْ أين أتوجَّه الآن؟ ربَّما كان لاهوتيْ قادراً على تخليصي إن رجعتُ إليه وعملت في أمانةٍ بتعليماته وشعائره. ولكنَّ ذلك اللاهوت الذي اعتبرتُ نفسي مرتبطاً به من جديد كان قد بدأ عندي يشهد التخبُّط والتغيُّر والتداعي والانهيار. إذ ذاك اتَّجهت أفكاري نحو أصدقائي. غير أنَّهم كانوا في وضعي بعينه، بعيدين عن اليقين. فهل أثق بنفسي؟ ما عُدتُ أستطيع الركون إلى أعمالي الصالحة. ونظرتُ إلى نفسي فإذا أنا حُطامٌ بِحُطام: فقد كنتُ في حالة إعياء شديد، مكتئباً وفاقداً كلَّ عزاء.

إنَّما تلك كانتِ اللحظةَ التي فيها ألفَيتُ الله منتظراً إيّاي كي يهبَني نعمته. وحقّاً أنَّ نهاية الإنسان القُصوى هي فرصةُ الله المناسِبة. ففي جميع تأمُّلاتي، كان الله يعدُّني لقبول كلمة خلاصه: "لأنكّم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم؛ هو عطيَّة الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩). عند هذا الحدّ أدركتُ ضلالي وسبب رفض الله لي. فقد كنتُ أُحاول تخليص نفسي

بالأعمال؛ أمّا الله فيُريد أن يُخلِّصني بالنعمة. إنَّ شخصاً آخر قد تولّى أمر خطاياي والدينونة المرتبطة بها. وذلك هو الربُّ يسوع المسيح. لهذا مات على الصليب. وقد مات عن خطايا سواه، لأنَّه هو نفسه لم يُخطئ قطّ. ومن أجل خطايا مَن قد مات؟ أمِن أجل خطاياي؟ نَعم، من أجل خطاياي! إذ ذاك تذكَّرتُ كلمات المسيح: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم" (متّى ١١:٢٨). وفهمتُ أنَّ عليَّ الإقبالَ إلى المسيح إن كنتُ أُريد الحصول على يقين الخلاص وسلام النفس. وكان في نيَّتي أن أسأله: "ولكنْ أين أنت، أيُّها الربُّ يسوع، حتّى ألتصق بك؟" ولكنْ قبل أن تثورَ في قلبي صرخةُ نفاد الصبر هذه، تذكَّرتُ كلمةً أُخرى سمعتُها: "هنذا واقف على الباب وأقرع: إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه، وهو معي" (رؤيا ٣:٢٠).

آنذاك عرفتُ أين كان المسيح. فقد كان أقربَ إليَّ ممّا أظنّ. وهكذا بادرتُ إلى دعوَتِه للدُّخول إلى قلبي دون استمهالٍ لاسئذان إيِّ إنسان: "ادخلْ، يا ربُّ يسوع، ادخل قلبي؛ كُن عليه سيِّداً وله قائداً، يا مخلِّصي الحبيب." في تلك اللحظة تأكَّد لي أنَّني حُرِّرتُ من القِصاص الذي طالما هدَّدني. لقد نلتُ الخلاص والغفران والحياة الأبديَّة، وبدأ الله عمله فيَّ. وآنئذٍ فهمتُ الكلمة التي كثيراً ما سمعتُها وقد صارت حقيقةً واقعةً بالنسبة إليَّ: "لأنَّه جعل الذي لم يعرف خطيَّةً، خطيَّةً لأجلنا، لنصير نحنُ برَّ الله فيه" (٢كورنثوس ٥:٢١). "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا: تأديب سلامنا عليه، وبحبره شُفينا" (إشعياء ٥٣:٥).

وماذا حدث بعد ذلك؟ في بادئ الأمر تابعتُ خدمتي الكهنوتية على أفضل ما يمكنني. ولكنْ شيئاً فشيئاً أخذتُ أشعر كأنِّي غريبٌ في ذلك الموقع. فقد أدركتُ أنَّ النعمة التي خلَّصتني وصيَّرتني واحداً من أولاد الله لا بدَّ أن تدخل في صراعٍ مع "أعمال" الموقع الذي كنتُ أُحاول أن أعيش فيه. كنتُ سعيداً لحصولي

على يقين الخلاص. إلاّ أنّي كنتُ مقيَّداً في محيطٍ يدفعُني للقيامِ بأعمالٍ صالحةٍكي أستحقَّ خلاصي. فما دمتُ قد حصلتُ على الخلاص، بدأتُ أُنحِّي تلك الأعمال جانباً، واحداً إثر واحد. ومن ثمَّ تغيَّر توجُّهي في الوعظ وتقديمي للعِظات. فكلُّ ما همَّني كان يسوع المسيح: مَن هو وماذا عمل. وهكذا أهملتُ الموضوعات المُعَدَّة سلفاً من قِبَل المنظَّمة الليتورجيَّة التابعة للأبرشيَّة، كي أُكرِّس كلَّ جهودي لشخص مخلِّصي الحبيب وعمله، مقدِّماً إيّاه على هذه الصورة لأبناء رعيَّتي المتحيِّرين الذين ارتبكوا أحياناً لكنَّهم انْبَنَوا غالباً. وطلبتُ إعفائي من مهامٍّ كاهن الرعيَّة إذ لم أعُد أستطيع أن أعظ بما يُخالف كلمة الله، فقبل رؤسائي استقالتي مع أنَّهم لم يَعُوا سبب رغبتي في الاستعفاء. فإنَّهم عاملوني حقّاً أحسن معاملة وأشركوني في خدماتٍ كثيرة، ولم يُعوزني شيءٌ مِن وجهة نظرهم. كان ذلك صحيحاً في ما يتعلَّق بالطعام والملبس والمأوى وما شابه. لكنَّني الآنَ حصلتُ على يقين خلاصي، وقد غدا المسيحُ ربِّي وسيِّدي ومعلِّمي. وما عاد عليَّ أن أعمل شيئاً لإحراز الخلاص. فإنَّ شخصاً آخر مجيداً اكتسبه لي. وعليه، فهو يتولّى إكمال ما قد بدأه من عملٍ صالح، إذ إنه لا يعمل عملاً ناقصاً.

عُدت إلى مقاطعة "كيوبك" الكنديَّة عام ١٩٦٥ في فترة راحةٍ مطوَّلة. وبُعَيدَ ذلك زارَني بعضُ المسيحيِّين الإنجيليين. تُرى، كيف عرفوا باهتمامي بكلمة الله؟ لقد صارحوني بأنَّ اسمي أُعطي لهم من قِبَل المسؤولين في المحطّة الإذاعيَّة السابق ذكرُها. على أنّي لم أُطلِعْهم على كلِّ ما كان يُخالجني، مع أنّي آنست في حديثهم بنياناً كثيراً. لم أكُن أُريد الوقوع في قبضة نظامٍ دينيٍّ آخر بعدما قمعَني طيلةَ سنين ذلك النظامُ الذي وُلِدتُ فيه وتربيَّتُ عليه وعشتُه قرابة أربعين سنة. غير أنَّني صلَّيتُ طالباً أن يرزقني الله إخوةً وأخواتٍ أنضمُّ إليهم فلا أشعر بأنني وحيد. وكنت مُطَّلِعاً على اختبار المسيحيِّين الأوَّلين، كما جاء في سفر أعمال الرسل: "وكانوا يُواظِبون على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلوات"

(أعمال الرسال ٢:٤٢). فهل يُعقَل أن يوجد في أيّامنا مؤمنون بالمسيح ما زالوا يجتمعون معاً لتذكُّر الربّ فيما ينتظرون عودته؟ إنَّ الله الذي يسَّر لي خلاص نفسي قادرٌ أن يُدبِّر لي أيضاً امرَ الْتقاءِ أولادٍ له في مكانٍ ما.

ذاتَ يومٍ دعاني رؤسائي في "مونتريال" للحلول محلَّ أُستاذِ لاهوت في كليَّة واقعة في "راوين". وتردَّدتُ في تلبية هذه الدَّعوة، ولا سيَّما لأنَّ منطقة "أبيتيبي" التي عاصمتُها "راوين" لم تَرُقْني يوماً. غير أنَّني قبلتُ أن أشغل ذلك المنصب، بما أنَّ ذلك لنْ يتعدَّى بضعة أشهر. أمّا الموضوع الذي تعيَّن لي أن أُدرِّسه فكان "الكنيسة". وقد أتيح لي أن أُفيدَ من جميع الكتب التي كانت ضروريَّةً للتحضير للمادَّة. إلاَّ أنَّني بدأتُ تحضيري مستخدماً الكتاب المقدَّس وحده. وشرحتُ للطلاَّب ماهيَّة الكنيسة بناءً على كلمة الله دون سواها. أعترفُ بأنَّني شخصيّاً واجهتُ صعوبةً في فهم ما كنتُ أُعلّمه. فقد كان ذلك مناقضاً كليّاً للكنيسة الهَرَميَّة التي كنتُ ما أزال فيها. وكَمْ تمتَّعتُ بدراسة هذا الموضوع وتدريسه! فقد استخدمتُ آلة تسجيل صغيرة كوسيلة إيضاح للدروس، مُسمِعاً الطلاَّب مقابلاتٍ أجريتُها مع العامَّة في أماكن شتَّى من المدينة. وذات يومٍ علمتُ من إحدى الصحف أنَّ برنامجاً تلفزيونيّاً سوف يُبَثُّ في موضوع "الكنيسة". فسجَّلتُ البرنامج لأستخدمه في التعليم، وتبيَّن لي أنَّ الموضوع عولج من وجهة نظر الكتاب المقدَّس وما يُعلِّمه. وقد عجبتُ جدّاً من التشابه في عرض الموضوع بيني وبين معالِجه المجهول الذي عرفتُ لاحقاً أنَّه مسيحيٌّ إنجيليّ، حتَّى كتبتُ إليه بإيجاز داعياً إيّاه إلى مقابلتي إنِ استطاع. وجاء إليَّ، فتبيَّنتُ فيه شخصاً عرف الربَّ حقّاً. وبعد عدَّة زيارات، دعاني إلى بيته لقضاء يوم الأحد معه ومع عائلته. وبمناسبة تلك الزيارة، حضرتُ احتفالاً بسيطاً بتذكار موت الربّ، أوّلَ مرّة في حياتي، فألفَيتُ في تلك الخدمة ما هو موصوفٌ في الأصحاح الحادي عشر من رسالة كورنثوس الثانية، وتبيَّن لي أنَّ الربَّ قدِ استجاب صلاتي وهداني إلى إخوةٍ

وأخواتٍ في الربّ وبيَّن لي أنَّ في أيَّامنا بالفعل مؤمنين بالمسيح يجتمعون ككنيسة لتذكُّر الربّ فيما ينتظرون عودته، كما هو مكتوبٌ: "فإنّكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الربّ إلى أن يجيء" (١كورنثوس ١١:٢٦).

بُعَيْدَ ذلك، كتبتُ إلى رؤسائي في مونتريال مُطلِعاً إيّاهم على خبر عثوري على عائلتي الحقيقيَّة، وطالباً إليهم أن يستحصلوا لي على إعفاء من جميع النذور التي قطعتُها لكنيسة روما، إذ لم أعد أعتبر نفسي عُضواً فيها. فإنَّ حياتي الآن مِلكٌ للربِّ يسوع، وزمامُها منذئذٍ في يده الكريمة.

هكذا حرَّرني الربُّ، لا مِن خطاياي فقط، ولا من دينونته العادلة فحسب، بل أيضاً من كلِّ نظامٍ بشريٍّ يُثقل النفس ويُقيِّدها.

(الكاهن المولود ثانيةً: جوزيف اتْرَمْبلاي)

نورٌ يشرق
في بولندا
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"رومان مازيرْسكي"

وُلِدتُ في بولندا، وهو بلدٌ غالبيَّة أهله من الكاثوليك، إذ إنَّ نحو ٩٢ بالمئة منهم ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكيَّة، رسميّاً على الأقلّ. وقد كانت عائلتي عائلةً كاثوليكيَّة متشدِّدة. ولّما بلغتُ السابعة من عمري، أُرسِلتُ إلىالمدرسة الابتدائيةَّ، حيثُ كُنَّا نتلقَّى -فضلاً عن الدروس العادِيَّة- تعليماً دينيّاً يتولّى أمَره كاهنٌ يُعلِّمنا بعض قصص الكتاب المقدَّس، بعهديه القديم والجديد، وكثيراً من الصِّيَغ المألوفة في التعليم المسيحيّ. ومنذ ذلك الزمن بدأت تنشأ في قلبي الصغير رغبتان: أن أقترب إلى المسيح، وأن أحوز معرفةً أفضل بالله. لِكأنَّني سمعتُ دعوة الربّ في قلبي، مع أنِّي حينذاك لم أُدرِك أنَّها كانت دعوته فعلاَ، كما كان إدراكي لكيفيَّة الإجابة عنها وتتميمها أقلَّ بكثير. وما كان في وسعي أن ألتمس التوجيه في كلمة الله إذ لم يكن لدينا أيَّة نسخة من الكتاب المقدَّس. ولم يكُنِ الصغارُ ولا الكبار يُشجَّعون على اقتناء الكتب المقدَّسة، بل على العكس أشاع رؤساء الكهنةِ إلى أنَّ قراءة الكتاب المقدَّس هي أمرٌ خَطِرٌ إذ إنّ الكتاب ينطوي على بذورِ مختلف البِدَع، والكنيسةُ وحدَها قادرةٌ على أن تُميِّز وتختار من الكتاب ما هو صحيحٌ لكي يُتلى على المنابر في خدمات أيّام الأحد. وقد دأب المعلِّمون، كُلَّ يومِ أحد، في اقتيادنا من المدرسة لحضور القُدّاس في كنيسةٍ قريبة، وما كُنَّا لنفهم كلمةً

واحدةً منه لأنَّه كان باللاتينيَّة. وهكذا ظلَّ القلب جائعاً وعطشاناً لِلّه وحقِّه طيلةَ سنين كثيرة.

ولكنْ في أثناء تلك السنين الدراسيَّة التي يمرُّ بها أولاد الكاثوليك تأتي على الأقلِّ لحظةٌ واحدة يُفترَض أن يتقرَّبوا فيها إلى المسيح تقرُّباً كثيراً. تلك هي اللحظة المهيبة التي يتلقَّون فيها مناولتهم الأُولى. غير أنَّ تلك اللحظة خلَّفت لديَّ خيبةً مُرَّة، إليكَ سببَها.

قبل أن يتمَّ قبول أولئك الأولاد الصِّغار، وهم دونَ العاشرة من العمر، لتَلقِّي مناولتهم الأولى، ينبغي أن يؤدُّوا اعترافَهم الأوّل بخطاياهم. وإعداداً لذلك يجتازون فترةَ تدريبٍ طويلةً ودقيقة. وخلال فترة تدريبنا التي دامت ستَّة أشهر لإجراء اعترافنا الأوَّل ومناولتنا الأولى، لم يجتهد كاهنُنا في مَلْءِ قلوبنا بالثقة في المسيح والمحبَّة له، بل كان متشوِّقاً بالأحرى لملئها بالخوف والرعب، إذ ذكَّرنا مراراً وتكراراً بأنَّ علينا أن نعترف بجميع خطايانا "المميتة" أمام الكاهن، لأنَّنا إذا لم نفعل ذلك نُدنِّسُ المقدَّسات ويُحكَم علينا بنار جهنَّم إلى أبد الآبدين. وقد كان ذلك مُعتاداً حسب اللاهوت الكاثوليكيّ بشأنِ الاعتراف، إلاَّ أنَّه أمرٌ مُروِّعٌ أن يُفرَض على أذهان الناشئة الطريَّة مثلُ هذا التعليم القاسي القادر على سحق قلوبهم وإخضاعهم للخوف طوال حياتهم. وكانت نتيجةُ ذلك أنَّنا نسينا كلَّ ما يتعلَّق بمقابلتنا المرتقبة مع المسيح وركَّزنا كل جهودنا على المهمَّة الصعبة المتمثِّلة في تذكُّر جميع خطايانا (كماكان صعباً علينا جدّاً أن نتيقَّن أَيَّةُ خطيئةٍ هي مميتةٌ وأَيَّةٌ ليست مميتة) محاولين ألاَّ ننسى واحدةً منها البتَّة. كان ذلك عذاباً مروِّعاً للنفس تُهيمن عليه دائماً فكرةُ الخوف من الدينونة الأبديَّة. ومضى بعضُ الأولاد يطلبون إلى والِديهم أن يُساعِدوهم على تذكُّر خطاياهم، فيما أمضى آخرون ساعاتٍ بطولها وهُم يدوِّنون لوائح طويلة جدّاً تتضمَّن تعدِّياتهم، ثُمَّ يُحاولون أن يحفظوها غيباً. ولكن رُغمَ كلِّ شيء، بقيَ يُسَيطر علينا خوفُ نسيانِ بعض الخطايا لحظةَ الاعتراف الحاسمة. وهكذا اعتاد بعضُنا أن يأخذوا تلك اللوائح

الطويلة إلى الكنيسة، حيث يجثون أمام كرسيِّ الاعتراف محاولين قراءتها خلسةً على مسمع الكاهن وهم يرتجفون خوفاً لأنَّ ذلك محظور. وما أكثر القلوب التي لازمها ذلك الخوف مدى الحياة فأضعف وعطَّل الإرادات حتّى بات أصحابُها مستعبَدين كليّاً تحت السلطة الاستبداديَّة المتمثِّلة في كنيستهم ورجال الاكليروس عندهم. فكان يكفي في ما بعد أن تُطلَب إليهم إطاعةُ الكنيسة وحدَها -ولو لم تُطاوِعْهم ضمائرُهم- وعدمُ حضور أيَّة اجتماعاتٍ "هرطوقيَّة" حيثُ يُكرز بالإنجيل صرفاً، بل أيضاً عدمُ التفكير البتَّة في مغادرة كنيستهم الأُمّ التي سوف يُحرَمون من شركتها فيُعاقَبون تالياً بالنار الأبديَّة. ولقد كان ذلك كافياً لسحق قلوب كثيرٍ من الأولاد سحقاً كليّاً، وتسبيب مرضٍ فعليٍّ لهم طوال حياتهم. وقد رأيتُ بعينيَّ هذا النوع من ضحايا الإرهاب الدينيِّ، وهالني ما رأيتُ أيَّ هول!

بعد تخرُّجي في المرحلتين الابتدائيَّة والثانويَّة، كان عليَّ اتخاذُ قراري بشأن مهنة الحياة. وكنت ما أزال أسمع صوت الربّ يدعوني للإقبال إليه، وأشعر في قلبي بالرغبة في تكريس حياتي كلِّها له. ولكنْ كيف أفعل ذلك؟ لقد عُلِّمتُ دائماً أنَّ الطريق الوحيدة المُفضية إلى الربّ تمرُّ عبر كنيسته الحقيقية فقط، ألا وهي الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة. وهكذا لم أرَ طريقةً أُخرى لاستجابة الدعوة غير أن أصير كاهناً في هذه الكنيسة الحقيقيَّة الواحدة. أمّا جميع الكنائس الأُخرى فكانت تُعتبَر زائفة ومُهَرطِقة ومضادَّة للمسيح، وأنا كنتُ أومن بذلك حقّاً.

تبعاً لذلك القرار، تسجَّلتُ طالباً في كليَّة اللاهوت بجامعة "لُوْوُو". وقد كُنَّا، نحنُ طلبةَ اللاهوت، مُلزَمين أن نعيش في معهدِ لاهوتٍ يُشبه الدير إلى حدٍّ بعيد، يقع على تلٍّ وتحيط به أسوارٌ عالية، فيه حجرات صغيرة وممرّاتٌ طويلة.

في بادئ الأمر، شعرتُ بسعادة غامرة في ذلك المعهد. فقد بدا كلُّ ما فيه مختلفاً تماماً عن العالم الخارجي ومُقدَّراً له أن يوصِلنا سريعاً جدّاً إلى اتِّحادٍ شخصيٍّ بإلهنا ومخلِّصنا. وآنذاك كُرِّست حَيَواتُنا لأمرين رئيسين: التأمُّل التعبُّديّ، ودراسة اللاهوت. وقد بدا أنَّ كِلا هذين سوف يؤدِّي حتماً إلى اتِّحاد المرء

شخصيّاً بالله من طريق ابنه يسوع المسيح. وهكذا، فبكلِّ ما لدى الشابِّ من حماسةٍ وتشوُّق، عكفتُ على إنجاز جميع " العِبادات" المقرَّرة أو الموصى بها من قِبَل الكنيسة. فكنتُ أحضرُ كلَّ يوم قُدّاساً أو اثنين، وأتناولُ كلَّ صباح، وأعترف مرَّةً في الأسبوع، وأُنجِز بكلٍّ دقَّة التأمُّلاتِ اليوميَّة والقراءات الدينية والصلوات المرعيَّة، وأحضر الخدمات المسائيَّة، وأُصلِّي السُّبحة والابتهالات، وأقرأ كتباً كثيرة تصف حياة القدِّيسين المطوَّبين محاولاً تقليدهم بأمانة حتَّى صِرتُ أُعَدُّ -بعد وقتٍ قصير- واحداً من أفضل تلامذة المعهد وأتقاهم. غير أنَّ جميع تلك المجهودات و"الاستحقاقات" لم تُقرِّبْني إلى المخلِّص. وقد كان ذلك اختباراً مُحبِطاً، إلاَّ أنَّ شخصاً آخر قد سبقني على هذه الطريق، أعني به الرسول بولس الذي كان قبل اهتدائه فرِّيسيّاً مُخلِصاً فحاول إحراز برِّه الخاصِّ بمجهوداته الشخصيَّة في مراعاة جميع قوانين الناموس الموصوفة كما علَّمه إيّاها معلِّمو دينه، إلاَّ أنَّ ذلك كُلَّه لم يُوصِلْه إلى السلام مع الله، وهو يعترف -في بساطةٍ وصراحة- بأنَّه قد أخفق (فيلبِّي ٣). وأنا أيضاً قد أخفقت!

كان علىجميع طَلَبة اللاهوت (المدعوِّين "إكليريكيِّين") أن يحضروا في الغالب طقوساً طويلة، لكنْ جميلة، في كاتدرائيَّة المدينة، يُجريها إمَّا رئيسُ الأساقفة وإمّا المطران، يعاونه عددٌ كبير من الكهنة بأثوابهم الفضيَّة والذهبيَّة المرصَّعة بالأحجار الكريمة المتألِّقة؛ حيثُ المذبحُ المزيَّنُ بالأزاهير الجميلة والذي تتوهَّج فوقه أضواءُ الشموع والمصابيح الكهربائيَّة الكثيرة، وعَبَق البخور، وحركاتُ الكهنةِ البطيئةُ والمدروسةُ فيما يحتفلون بالقُدّاس، وتراتيلُهم حسب الألحان الغريغوريَّة التي شاعت في القرون الوسطى، ذلك كلُّه يُشيع جوّاً سحريّاً إلى حدٍّ يجعل الكنيسةَ تبدو لكثيرٍ من نفوسِ البُسَطاء أشبه بغُرفةِ انتظارٍ للسماء. إلاَّ أنَّني تبيَّنتُ بالتدريج أنَّ تلك الاحتفالاتِ الكنسيَّة الأخّاذةَ والآسِرةَ ليست إلاَّ مظاهر خارجيَّة لا يُحرِّكها أيُّ دافعٍ من الروح القدس على الإطلاق. وكثيراً ما كان يؤدِّيها الكهنةُ على نحوٍ أشعرني بالذُّعر. فلم يكن من العسير أن يتنبَّه المرءُ إلى

كونهم هم لا يؤمنون بما كانوا يفعلون. وما كان بنادرٍ في أثناء الاحتفالات الطقسيَّة المهيبة الجارية في الكاتدرائيَّة أن يعمَد حتَّى كبارُ الكهنة إلى التهامُس ورواية النكات أو التندُّر ببعض أجزاء "الطقوس المقدَّسة" التي يُجرونها. وكانوا في بعض الأحيان يحتفلون على عجل، كزمرةٍ من الموظَّفين الرسميِّين يُريدون الإسراع في إنهاء أعمالهم وإقفال ملفّاتهم. وما أكثر ما ذكَّرني ذلك بالشكوى المرَّة التي وضعها الربُّ في فم نبيِّه: "فقال السيِّد: لأنَّ هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأمّا قلبه فأبعده عنِّي، وصارت مخافتهم منِّي وصيّة الناس معلَّمةً" (إشعياء ٢٩:١٣). حتّى لقد روَّعتْني فكرةُ أن أصير في المستقبل كواحدٍ منهم، على حدِّ ما كتب واحدٌ من شعرائنا البولنديين الكبار: "بِلا قلبٍ ولا روحٍ، هاكُمْ شعب الهياكل العظميَّة!" (آ. مِيكِيْوَيْز).

يُعرَّف اللاهوت بأنَّه العلمُ الذي يدرس ما يتعلَّق بالله. ولكي نحوزَ هذا العلمَ كُنّا نحضرُ محاضراتٍ يُلقيها خيرةُ الأساتذةِ الكهنة في الجامعة المحليَّة. وأوَّلُ مرَّةٍ اضطُررنا فيها إلى قراءة الكتاب المقدَّس ودراسته أخيراً كانت في سياق دراستنا للعهدين القديم والجديد. وقد دأبَ أساتذتُنا في التعليق على بعض المقاطع خصوصاً. وكان الكتاب المقدّس الذي استخدمناه هو الطبعةَ المصدَّقة والحافلة في كلِّ صفحة تقريباً بالتعليقات الوافية استناداً إلى تفسيرات الكنيسة الرسميَّة. ولم يكن مسموحاً لنا بأن نقرأ الكتاب المقدّس بغير هذه "الملاحظات" لكيلا يفهمه أحدٌ على خِلاف ما قصدته الكنيسة. وما لبثتُ أن تبيَّنتُ أنَّ تلك الملاحظات تميل إلى إلغاز معنى كلمة الله الواضح، بل وجدتُها في بعض الأحيان أيضاً مناقضةً له. فأخذت تُساورني بعضُ الشكوك، حتَّى ترسَّخت لديَّ قناعةٌ بأنْ لا بُدَّ من وجود خطإٍ ما في مكان ما. ولّما حاولتُ أن أعثرَ على الجواب الشافي من طريق دراستي تعاليمَ الكنيسةِ الرسميَّة (المدعوَّة "العقائد") تبيَّن لي سريعاً أنَّها غير مؤسَّسة على كلمة الله وأنَّ منها ما يناقضها تماماً. لقد بدا لي أنَّ ثمَّة خطأً ما. ولكنْ ماذا وأين، لستُ ادري! وإذ أقلقتني تلك الشكوك التي عصفت بضميري، توجَّهتُ

إلىمقابلة "أبينا الروحيّ"، وكان كاهناً عُيِّن خصيصاً لتوجيهنا وإرشادنا في مصاعبنا الروحيَّة. وبعدما أصغى بانتباه إلى ما أفضيتُ به، أعطاني هذا الجواب: "أنت تعلم أنَّه لا يُمكن أن يكون أيُّ خطإٍ في تعليم كنيستنا ما دامت هي كنيسة المسيح الوحيدة الحقيقيَّة على الأرض. فإنْ كان من خطإٍ فإنَّما هو في ضميرك، حيث إنَّك، وأنت شابٌّ بعد، تثور متمرِّداً على سلطةِ الكنيسة. فما هذا إلاّ نوعٌ من التجربة الروحيَّة التي يتعرَّض لها طَلَبةُ اللاهوت الشبّان." ثمَّ نصحني بألاَّ أقلق، وألاَّ أُحاولَ العثور على حلولٍ لشكوكي، بل بالأحرى أنساها كليّاً.

عملاً بهذه النصيحة، حاولت مُخلِصاً أن أكفَّ عن التفكير في شكوكي وأن أنساها. وما أكثر ما قاومتُ صوت ضميري الذي ما انفكَّ يُنذِرني بأنَّ ثمَّة خطأً ما، إلاَّ أنَّني لم أُفلِح طويلاً. فقد استمرَّ صراعي الروحيُّ هذا فعلاً طوال فترة دراساتي اللاهوتيَّة، حتّى حان موعدُ رسامتنا بعد نجاحنا في جميع الامتحانات المطلوبة. إذذاك أزِفَت لحظةُ قرارٍ صعب جدّاً. فإذ كنتُ ما أزال في خضمِّ شكوكي وشعوري بوجود خطإٍ ما، ساءلتُ نفسي عن وجوب قبولي الرسامة أو الاستعفاء. ولَمّا لم أشأ أن أركن إلى مشاعري الذاتيَّة، ذهبتُ لرؤية واحدٍ من أكثر كهنة المدينة تقوى وخبرةً، وطرحتُ عليه سؤالاً حول ما ينبغي أن أفعله. فكان جوابه: "ليس من داعٍ على الإطلاق لاستعفائك من الرسامة. فكلُّ امرئٍ تُساوره أحياناً بعضُ الشكوكِ حول تعاليم كنيستنا، غير أنَّها ليست خطيئةً ما دُمتَ تُحاربُها وتحاول التخلُّص منها. وعلى كُلٍّ، فبعد أن تُرسَم كاهناً سيُرسلك المطران سريعاً، مع زملائك، كُلاًّ إلى مركز عمله في الأبرشيّات، حيث لن يكون لك مُتسَّعٌ من الوقت ولو للاستمرار في التفكير في شكوكك." نصيحةٌ طمأنَتْني، فقبلتُ الرسامة وصِرتُ كاهناً.

ولم يكد يمرُّ أُسبوعان حتَّى تلقَّيتُ من أمين سرِّ رئيس الأساقفة إعلاماً بتعييني مُساعِداً لكاهنٍ في مدينة صغيرة واقعة في الجزء الجنوبيِّ الشرقيِّ من بولندا. والظاهر أنَّ ذلك الكاهن اعتبرني أصغرَ سنّاً وأقلَّ خبرةً من أن أتولَّى الخدمة في

المدينة، فعهد إليَّ بأن أعتني روحيّاً بالريفيِّين في اثنتي عشرة قريةً تابعة للأبرشيَّة عينها. فوجدتُ أولئك الفلاّحين الفقراء شِبه أُمِّيين، لكنَّهم كانوا من النفوس البسيطة المُخلِصة للكنيسة والراغبة في ضمان خلاصها بأيَّة وسيلة. وكثيراً جدّاً ما أشفقتُ عليهم وعلى أولادهم، بالنظر إلى بساطتهم في الإيمان بكلِّ ما يقوله لهم كهنتُهم الذين تعلَّموا أن يحترموهم أقصى احترامٍ بوصفهم وسطاء بينهم وبين الله، وممثِّلين ليسوع المسيح. وكم آلمني وصدمَني أن أرى كيف تعوَّد الكهنة استغلال مراكزهم، ليس فقط لتعليمهم كلَّ نوعٍ من خرافات القرون الوسطى، واللجوء إلى وسيلة الترهيب بأهوال جهنَّم لاستبعاد نفوسهم، بل أيضاً لتحصيل الرِّبح المادِّيِّ بانتهاز سذاجتهم.

يقيناً أنَّ تلكَ لم تكُنِ الطريقةَ التي بها كان الربُّ يسوع يُعامِل جموعَ المقبلين إليه. وقد قادني لأنْ أُحاول اتِّباع مثالِه إذ ملأ قلبي بالعطف عليهم لأنَّهم "كانوا منــزعجين ومنطرحين كغنمٍ لا راعيَ لها" وقد تسلَّط عليهمِ الأُجراء. كما ألهمني الربُّ حماسةً كبيرةً لهذا العمل، وأعتقد أنَّ إرشاده قد جعلني أعقد العزم، في تعليمي ووعظي، على أن أكون أقربَ ما يُمكن إلى إنجيله الكريم. وإنَّما شعرتُ بأنَّه، مهما كان الخطأ، لا يُمكِن أن يكون في الإنجيل أيُّ خطأ. وقد تعلَّمتُ أيضاً من مِثال الربِّ يسوع ألاَّ أعمد إلى بثِّ الخوف أو الرُّعب في قلب أحد، ولا سيَّما الأولاد الصغار الذين كنتُ أُلقِّنهم " التعليم الدينيّ" مصوّراً لهم المسيح بوصفه صديقَهم المُحِبَّ الذي لا داعيَ لأن يخافوا منه، وفقاً لكلامه المطَمْئن: "أمّا يسوع فدعاهم وقال: دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات" (لوقا ١٨:١٦).

وخُيِّل إليَّ أحياناً أنَّني فعلاً قرَّبتُ إلى المخلِّص تلك النفوس الساذجة التي كنتُ مؤتَمناً عليها، ولكنَّني أنا بالذات كنت ما أزالُ بعيداً عنه. فقد كنت في طريق الضلال، ولم أكُن قادراً على الاهتداء إلى الطريق الحقّ المُفضي إلى المخلِّص العظيم. ومن ثَمَّ لم يبقَ عندي إلاَّ شيءٌ واحدٌ يمكنني أن أفعله بكلِّ يقين، ألا وهو

أن أُصلّي. فكُنتُ أحبس نفسي في الكنيسة الفارغة، إمَّا عصراً حين لا يكون فيها أحد، وإمّا ليلاً حين تتسرَّب أشعَّةُ القمر من خلال الزجاج المُحجَّر فتبدِّد شيئاً من الظُّلمة، وأجثو على ركبتيَّ صارخاً إلى الربّ: "أللهمَّ أرِني الطريق الذي يُوصِلني إليك ويُبدِّدُ ظلامي؛ قُلْ لي ما هو خطأٌ وما هو صواب!"

هكذا صلَّيتُ سنةً بعد أُخرى، ولم يحصل أيُّ تغيير مرئيّ، ودام صراعي الروحيّ. لكنَّ الربَّ الرؤوف كان يُعطيني، بين الحين والآخر، بعض البراهين على سماعه لصلواتي. فمرَّةً بعد مرَّة كان يُرسِل إلى ظلمة قلبي شيئاً مثل أشعةِ النور، وفي ذلك النور تمكَّنتُ أن أُميِّز بوضوح ما هو صحيحٌ لأنَّه مؤسَّسٌ على صخرة كلمته المقدَّسة، وما هو خطأٌ لأنَّه مبنيٌّ على الرمال المتحرِّكة المتمثِّلة في التقاليد والتعاليم البشريَّة. في ذلك النُّور بَدَت لي أحياناً الكنيسةُ بكُلِّ نظامها وروحها محكوماً عليها بدينونة الله. ويكون أسهلَ فهمُ ما أعنيه بهذه الإنارات إن قدَّمتُ أمثلةً عليها.

مرَّةً جاءتني امرأةٌ ريفيَّة فقيرة مصطحبةً ابنةً لها في السادسة عشرة من العمر، وأخذت تشكو إليَّ حالة ابنتها باكيةً: "لقد حدث لابنتي شيءٌ ما. كانت في ما مضى فتاةً سعيدةً جدّاً. أمّا الآن فهي لا تتحدَّث إلاَّ عن جهنَّم، وهي مقتنعة بأنَّه قد حُكم عليها بالذهاب إليها." ولَمّا لم أكن قد سمعتُ من قبل شيئاً مثل ذلك، نظرتُ إلى وجه الفتاة متعجِّباً، فإذا بها شاحبةٌ جدّاً وفي عينيها بلاهة. أيُعقَل أن تكون ممسوسة؟ سألتُها سؤالاً أو اثنين، فلم تنبس ببنت شفة. ومن الخير أنَّها لم تكن عائشة في القرون الوسطى، وإلاَّ فإنَّها كانت قد أُحرقت مربوطةً إلى عمودٍ بوصفها ساحرة مسكونة. ولكنْ ما العمل الآن؟ اِلْتَفَتُّ إلى والدها وقلتُ: "ما قولُك في الأمر؟ متى وكيف بدأ هذا؟" لم تشإ الأُمُّ في بادئ الأمر أن تُطلِعني على رأيها؛ وفي ما بعدُ عرفتُ السبب. فقد خشيت أن تُثير غضبي بصفتي كاهناً. ولكنْ لَمّا شدَّدتُ على أنّني لا أستطيعُ مساعدتها ما لم أعرف حقيقة الأمر كلِّه، رَوَت لي بعد تردُّدٍ القصَّة بكاملها: "قبل بضعة أشهرٍ من بدئك العملَ في

أبرشيَّتنا، وفد إلى كنيستنا بعضُ الرُّهبان وأقاموا سلسلة اجتماعاتٍ دينيَّة. وعلى مدى أُسبوعين كانت كنيسة أبرشيَّتنا تكتظُّ كلَّ صباحٍ ومساءٍ بأُناسٍ تقاطروا، لا من البلدة وحدها بل من قرًى بعيدة أيضاً، للاستماع إلى العِظات في تلك الاجتماعات. وقد حضرت ابنتي تلك الاجتماعات كلَّها وأصغت بشغفٍ إلى كلِّ موعظة. غير أنَّ مُعظَم وعظ أولئك الرُّهبان كان عن جهنَّم المعدَّة للخَطَأة. وقُبيلَ رحيلهم، ابتاعت ابنتي منهم كتاباً تبشيريّاً، وعكفت على قراءته يوماً بعد يوم. إلاَّ أنَّ ذلك الكتاب أيضاً مملوء بقصصٍ مدارُها الدينونة الأبديَّة ونار جهنَّم" ثمَّ ختمت باكيةً قصَّتها المأساويَّة، فبتُّ أعرفُ ما حصل. لا بُدَّ أنَّ ابنتها مُخلِصة حقّاً، لأنَّها اقتنعت بكونها خاطئة. لكنَّها سمعت الرُّهبان الذين لا بُدَّ أنَّهم بَدَوا في نظرها أشبه بقدِّيسين هبطوا من السماء مُنذرين الخُطاةَ بجهنَّم، وواصفين مختلف أنواع العذاب التي تنتظرهم هناك، ومِن ثمَّ اقتنعت بأنَّها صائرةٌ حتماً إلى جهنَّم لأنَّها خاطئة. وقد أكَّد لها فكرتَها هذه المروِّعةَ ذلك الكتابُ الذي صدَّق عليه المطران. أوّاه، ما أرهبَ العذاب الروحيَّ الذي اجتازتْه نفسُها قبل أن تعلوَ وجهَها هذه البسمةُ الذّاهلة وتبدو عليها أعراضُ الاختلال العقليّ! هوذا أمامي واحدةٌ من الضحايا الكثيرين الذين جنى عليهم نظام الرُّعب الذي استخدمته الكنيسةُ التي أُمثِّلها وأخدمها. وشعرتُ كما لو كنتُ مُدَّعىً عليه متَّهماً بالمشاركة في تلك الفظاظات، أو أفعلَ شيئاً لبلسمة جراح هذه الفتاة التي أنزلَتْها بها محكمةُ تفتيشٍ روحيَّةٌ. ثُمَّ في غمرة صدمتي، قلتُ للمرأة: "خُذي ابنتك إلى البيت، وأوَّل شيءٍ تفعلينه هناك هوأن تجعلي ذلك الكتاب التبشيريَّ طعماً للنار، لئلاّ تتمكَّن ابنتُكٍ من قراءته بعد. ثُمَّ خُذيها إلى أقرب مدينةٍ كبيرة فيها مصحٌّ للأمراض العقليَّة، وأخبري الأطبّاء هناك بما أخبرتِني. والأرجح أنَّهم سيُبقونها هناك مدَّةً يجب في أثنائها أن نُصلِّيَ لأجل شفائها." بعد ذلك مَضتِ الأمُّ والبنت، وغالباً ما ذكرتُ هذه الفتاةَ المعذَّبة أمام الربّ.

مرَّت أشهُر، وذاتَ يومٍ عادت إليَّ تلك المرأةُ مع ابنتها لتشكرني على النصيحة التي أسديتُها إليها. قالت: "فعلتُ كلَّ ما قلتَ لي، وها قد ردُّوا إليَّ ابنتي من المستشفى لأنَّها شُفيَت." وبالفعل، بدت لي الفتاة أوفر صحَّةً، ولم أرَ في عينيها أثراً للبلاهة. وتكلَّمت معها فجاوبتني أجوبةً عاقلة ولم تذكُر جهنَّم بعد. ولكنْ كان ما يزال في عينيها شيءٌ أشبه بالحزن العميق جدّاً، أو قُلْ هو سؤالٌ مهمٌّ جدّاً: "هل أنا مُخلَّصةٌ أم هالكة؟" بلى، إنَّه لَسؤالٌ بالغ الأهمِّيَّة بالنسبة إلى كلِّ إنسان، إليها وإليَّ وإليك. وعلى جوابِ هذا السؤال توقَّفت لا صحَّتُها فقط، بل حياتها الأبديَّة كذلك. من ثَمَّ بدأت أُقنعَ تلك النفس المسكينة بأنَّ ربَّنا يسوع المسيح لم يأتِ لكي يديننا بنار جهنَّم، مهما كُنّا مستحقِّين لها: "لقد جاء لكي يُخلِّصَكِ. لهذا قدَّم نفسه على الصليب، وسفك دمه، ومات لأجلك كي يأخذك إلى السماء." وبينما أنا أتكلَّم، إذا ببسمة السعادة تُشرق على وجهها شيئاً فشيئاً كالشمس الساطعة، ثمَّ ترتسم هُناك علامةً دائمةً على أنَّها صارت واحدةً من أولاد الله المؤمنين به. وهكذا تحطَّمت قيود الرعب الجهنَّميِّ التي قيَّدها بها أولئك الرهبان، ومضت في سبيلها بصبحة أُمِّها في سلامِ أولاد الله وحرِّيَّتهم.

وكم من مرَّةٍ فتح الربُّ عينيَّ على حالاتٍ من هذا النوع، حيث أدَّى بَثُّ الخوفِ من الدينونة الأبديَّة في الصِّغَر بخيرة الرجال والنساء ذوي الضمائر الحسّاسة إلى معاناةِ اضطرابٍ عقليٍّ دائم في خضَمِّ خوفٍ مُقيم! هؤلاء يذهبون إلى كرسيِّ الاعتراف كلَّ أُسبوع، بل كلَّ يومٍ أحياناً، ويقضون ساعاتٍ معترفين بخطاياهم وأحوالهم "لآباء اعترافهم"، ثُمَّ يغادرون حُجرَة الاعتراف بشكوكٍ دائمة ومخاوفَ من أن تكون اعترافاتُهم –لسببٍ أو لآخر– باطلة، ومن أنَّهم –نتيجةً لذلك– إذا ماتوا ينبغي أن يذهبوا إلى الجحيم. هؤلاء يُشبهون بَلوى تحلُّ بالكهنةِ المعرِّفين الذين يُعلَّمون خصوصاً خلال إعدادهم للكهنوت كيف يتعاملون مع أُناسٍ كهؤلاء يعانون "الوسواس". ولكنْ لا يبدو أنَّ أيَّ شيء يُريح هذه النفوس المُتعَبة من جهة مسألة خلاصهم المهمَّة جدّاً.

وكان من شأن حالةِ هذه الفتاة التي شُفيت من خوفها بوضعها ثقتَها في المخلِّص أن ذكَّرتني بضحيَّةٍ أكثرَ مأساويَّةً بعدُ كانت ما تزال ماثلةً أمام عينيَّ كُلَّما رجعتُ إلى مسقط رأسي في أيّام العطلة. ففي أثناء زيارتي لوالديَّ هناك كانت تُتاح لي فرصةٌ محزنةٌ لمقابلةِ واحدٍ من أقربائنا الأدنَين كان زميلاً لي في المدرسة الابتدائيَّة الّتي أمَّيناها صغاراً. وكُنَّا كلَّ يومٍ بعد المدرسة نقصد إلى بستانٍ مجاور حيثُ نلعبُ مع أولاد آخرين. كان ذلك الفتى يصغرني بسنتين، وكان ذكيّاً ومجتهداً يحصِّل أعلى العلاماتِ دائماً. إلاَّ أنَّه تغيَّر كُليّاً بعد اعترافه الأوَّل والاستعداد له. فلم يعُد يلعبُ بفرحٍ ومرح مع سائر الأولاد، بل كان يقصد مكاناً منعزلاً في البستان، حيث كنّا نجده أحياناً واقفاً قربَ شجرةٍ يهمسُ لنفسه ببعض الكلمات. وكانت أُمُّه تسأله: "ما خطبُك يا بُنيّ؟ لماذا تُكلِّم نفسك؟"فلم يكُن يُقدِّم لها أيَّ جواب. وأسوأُ من ذلك أنَّه لم يعُد ذلك التلميذَ الألمعَ، مع أنَّه كان يحاول بذل كلِّ جهدٍ في الدرس حتّى ساعة متأخِّرة من الليل، إذ كانت أفكاره منشغلةً بالخوف حتّى لم يعُد قادراً على تركيز الانتباه على وظائفه المدرسيَّة. وبينما هو يكبر، كان خوفه يكبر في داخله حتَّى استولى على عقله كليّاً. ولم يتمكّن من إنهاء دراسته الجامعيَّة بعد المباشرة بها، وجرَّب بضع وظائف، فطُرد من جميعها بعد فترة قصيرة. وكثيراً ما ردَّد موظِّفوه القول: "إنه لا يستطيع التركيز على عمله. حتّى إنَّه لّما بلغ مبلغ الرجال ظلَّ يعتمد على إعالة أُمِّه الأرملة الفقيرة. حتّى أمهرُ الأطباء النفسيِّين لم يستطيعوا شفاءه. وآخرُ مرَّة رأيتُه فيها كانت قُبيل الحرب الأخيرة. كان آنذاك رجلاً في الخامسة والثلاثين من عمره. ولم يكن ينامُ، ليلةً بعد ليلة، بل يقف في وسط غرفة النوم والأنوارُ مُضاءة يُحدِّق أمامَه بعينين متَّسعتين خوفاً. ثمَّ جاءت الحرب، وفي أثناء الاحتلال النازيّ لبولندا، أُلقي عليه القبض مع كثيرين سواه وأُرسلوا إلى مُعتقَل، حيثُ كان عليهم أن يعملوا أعمالاً شاقَّة تحت حراسة عسكريِّين ألمان. وقد تبيَّن أن جهوده في العمل لم تكُن مُرضية، ولم يقتنع المسؤولون عن المُعتقَل أنَّه مشلولٌ جسميّاً من

جرّاء الخوف. فبدأ الحرّاس الأفظاظ يضربونه دائماً حتّى إنّه فارق الحياة بعد بضعة أشهر. تلك كانت النهايةَ المأساويَّة لرجُلٍ كان في صِغَره ولداً سعيداً يفتخر به والداه ويرجوان له مستقبلاً زاهراً حتّى وقع عقلُه الغضُّ تحت إرهاب روما!

ولكنْ على الرغم من هذه الاستنارات والاختبارات الكاشفة للتناقض بين النظام الكاثوليكيِّ وإنجيل يسوع المسيح، بقيتُ على اعتقادي أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي الكنيسة الوحيدة الحقيقيَّة في العالم، مُصِرّاً على اعتبار تلك المساوئ كلّها بمثابة أفعالٍ فرديَّة من قِبَل كهنتها الذين إمّا أفرطوا في حماستهم وهم يجتهدون للسيطرة على نفوس رعاياهم وضمائهم (مُثبتين بذلك أنّهم "أكثر كثلكةً من البابا" ومستخدمين حتّى الأساليب الرديئةَ للوصول إلى غاياتٍ رفيعة) وإمّا فقدوا إيمانهم وغدَوا مُجرَّد "متكسِّبين" من طريق تأدية واجباتهم الرسميَّة أوتوماتيّاً. بيدَ أنّي شعرتُ مرتعباً بأنّني قد أصير من الصنف الأخير في المستقبل. لكنَّ الربَّ لم يسمح لي بأن أتردَّى في هذه الهوَّة الرهيبة، وإن كان قد عمل عملاً طويلاً ومُضنياً في التصدّي لعنادي. فقد ظلَّ يعطيني إناراته العجيبة، مبيِّناً لي الخطأَ والصواب. استمرَّ ذلك عدَّة سنين، ولكنَّ بعض الاستنارات كانت بالغة الوضوح والأهميَّة حتّى لم أقوَ على نسيانها، وما تزال ماثلةً في ذهني حتّى الآن.

ففي صبيحة يومٍ ربيعيّ، حينَ تكون الأيّامُ في بلدي قاتمةً وباردةً لكثرة الثلج والمطر، وبُعيدَ عودتي إلى غرفتي من الاحتفال بالقُدّاس في الكنيسة، قُرِع بابي، ودخل سائقُ عربة خيل يسألني: "هلاَّ تأتي، يا أبَتِ، لإجراء المراسم الأخيرة لرجلٍ يُحتضَر!" قلتُ: "طبعاً، أُرافقك حالاً!" ثمَّ ذهبت إل الكنيسة لإحضار الخبز المقدَّس والعُدّة اللازمة في مثل هذه الحالة. وبعد دقائقَ قليلةٍ ألفيتُني راكباً بغير استِقرار في العربة على مقعِد مُرتجَل مصنوعٍ من القشّ؛ وسرنا في شوارع المدينة والسائقُ يدقُّ جرساً صغيراً فيما العابرون يُبدون إجلالهم للقربان المقدَّس بالجُثوِّ على الأرصفة وإحناء رؤوسهم، على ما هي العادةُ في البلدان ذات الأكثريَّة الكاثوليكيَّة.

وما هو إلاَّ قليلٌ حتَّى وصلنا إلى كوخٍ صغير في ضواحي المدينة. وأُدخِلتُ إلى غرفةٍ فقيرةِ الأثاث، واطئة السقف بحيث اضطُررت إلى الانحناء لئلا يرتطم به رأسي. لا شكَّ أن أناساً فقراء جدّاً يعيشون هناك؛ إذ كان الجزء الأكبر من الغرفة يشغله سريرٌ كبير عليه بعضُ القشِّ عوضَ الفراش وقد غُطِّيَ بملاءة بيضاءَ عليها رجلٌ يموت. لم يكُن مُسنّاً، بل كان في السادسة والأربعين تقريباً، لكنَّه بدا منهوكاً جدّاً –إمَّا من مرضه وإمّا من فقره أو من عمله الشاقّ؟ لستُ أدري، ولم يكنِ الوقت يتَّسع للسؤال، إذ لاحظتُ أنَّ روحه تكاد تُفارقه. فقد كان مستلقياً على ظهره، وعيناه مفتوحتان تحدِّقان إلى السقف، وهو يتنفَّس بمُنتهى الصعوبة. إذاً، كان ينبغي الإسراع بإتمام المراسم الأخيرة قبل موته. وهكذا بدأتُ أُحدِّثه لأُعِدَّه لاعترافه الأخير قبل إعطائه التحليلة ومناولته ومسحه بالزيت المقدّس. إلاَّ أنَّ شخصاً قاطعني. كانت هي زوجتَه وقد وقفت مستندةً إلى حائط باكيةً بمرارة. قالت: "عفوَك، يا أبتِ، لا أعتقد أنَّه يقدر أن يسمعك لأنَّه قد فقد وعيه." ولكنَّني فكَّرتُ أنَّها ربَّما تكون مُخطئة إذ تحسب ثِقَلَ سَمْعه المُحتَمَل دخولاً في الغيبوبة. فبدأتُ أصرخ في أُذنه: "إنَّ كاهنك هُنا، فحاول تذكُّر خطاياك واعترف بها." إلاَّ أنَّه لم يتنبَّه إليَّ قَطّ. حتَّى إنه لم يلتفت نحوي. الظاهر أنَّه قد فقد سمعه كُليّاً، ولكنَّ عينيه ما تزالان مفتوحتين، فلعلَّه يرى؟ فمحاولةً منِّي للوصول إلى نفسه الموشِكة على مغادرة هذا العالم، ولضمان خلاصه بإجراء المراسِم الأخيرة له، استدرتُ حول سريره ووقفت ناحيةَ قدميه مُقابلَ وجهه راجياً أن ينظر إلى الأسفل لحظةً فيراني بردائي الأسود، وفوقَه مدرعتي البيضاء وبطرشيلي، فيُدرك أنَّ تلك فرصته الأخيرة للاعتراف والحصول على تحليلة الغفران. لكنَّني عبثاً انتظرت، إذ لم ينظر صوبي قطّ. الظاهر أنَّه فقد بصره ولم يعُد يرى شيئاً. ومرَّةً أُخرى حاولتُ الوصول إلى نفسه باستعمال حاسَّة اللمس. فمددتُ يدي إلى صليب صغير يُحمَل دائماً في علبة القربان وقرَّبته إلى شفتيه، متوقِّعاً أن يُبديَ ولوِ العلامةً المألوفةَ على ما كان جارياً، بتقبيل الصليب، ولكنَّه لم يتجاوبْ. ولكمْ تضايقَت

نفسي لأنَّ كلَّ جهودي باءت بالفشل. فألفيتني واقفاً عند سرير ذلك الرجل المحتضر عاجزاً، رُغمَ حيازتي السلطةَ والقدرة الكهنوتيِّتين على تخليص نفسه وفتْح باب السماء له. طبعاً، عرفتُ من جرّاء دراستي اللاهوتيَّة أنَّ في وسعي أن أمنحه ما يُسمَّى "مغفرةً مشروطة" تكون نافذةً ولو لم يعترف بخطاياه، إن كان قد تاب عنها بإخلاص قبل دخوله في الغيبوبة. ولكنْ ماذا لو لم يكُن قد تاب؟ حسناً، يقول اللاهوتيُّون إنَّ الغلطة عندئذ تكون غلطته هو، وإن كان في حالة "خطيئة مميتة" لا تنفعه "المغفرة المشروطة" ويذهب تالياً إلى الجحيم. ولكنَّ ذلك ما لم أكُن أُريده. فقد كان يكفيني ما عانيتُ من أمر نفسي، ولم أشأ أن أكون مسؤولاً عن ذهاب ذلك المسكين إلى الجحيم. وهكذا بقيت واقفاً هُناك، واجفاً قَلِقاً، شاعراً بعجزي الكلِّيِّ على رغم الوسائط التي توفِّرها الكنيسة لتخليص نفسٍ هالكة. لقد أثبتت تلك الوسائط قُصورها، وعدم يقينيَّتها، ولو طُبِّقت في هذه الحالة. وفي غمرة ضيقتي ألقيتُ نظرةً أُخرى على وجهه الشاحب الهزيل، فإذا بشيءْ غريبٍ يصعقني: كانت شفتاه تتحرَّكان! ها هما تتحرّكان باستمرار، فهل كان يقول شيئاً، وما هو؟ لم أسمع شيئاً حتَّى اقتربتُ إليه وقرَّبتُ أُذني من شفتيه. عندئذٍ فقط سمعت همساً واهياً جدّاً، ولكنْ لم أقدر على تمييز معناه. وركَّزتُ كلَّ انتباهي، فتمكَّنتُ أخيراً من سماع ما يقوله. لقد كان يردِّد: "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي." إنَّها نفسُها الكلمات التي قالها الربُّ يسوع وهو يموت لأجل خلاص الإنسان "لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنّا ٣:١٦). وإذ كان معلَّقاً على الصليب، أسلم روحه في يدي أبيه ناطقاً بهذه العبارة: "يا أبتاه، في يديك استودع روحي." والآن، ذلك الرجل المائت، العاجزُ عن رؤية أيِّ شيء، والفاقدُ الإحساس كليّاً، وغير الواعي لحالته في احتضاره، ظلَّ يُردِّد تلقائيّاً بهمسٍ متضائل: "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي!" ثُمَّ تُوفِّي على هذه الحال.

لقد أخفقت الكنيسة وطقوسُها في تخليص نفس هذا الرجل. ولكنْ مهما كان شرُّه، فقد أعطاني الربُّ أقوى تأكيدٍ في اللحظة عينها أنَّه لا يحتاج إلى مغفرة مشروطة أو غير مشروطة، ولا إلى أيَّة شعائر أو أسرار مقدَّسة، ولا إلى مساعدتي الكهنوتيَّة لكي يخلص. ذلك لأنَّه سبق أن خلص من طريق إيمانه الشخصيِّ بالكاهِن والمخلِّص الحقيقي الوحيد، ربِّنا يسوع المسيح. ولا بُدَّ أنَّ ذلك الإيمان كان هو العاملَ الأساسيَّ منذ زمنٍ بعيد في أثناء حياته الشاقَّة ومرضه الأخير، وقد عزّاه وطمأنَ خاطره، حتّى إنَّه عند احتضاره تمكَّنت نفسُه المؤمنة من أن تُطلق، عبر ذهنه اللاواعي، هذه الصلاةَ المستمرّة: "يا أبتاه، في يديك ..."

كان ذلك إعلاناً حقيقيّاً لي من عند الله وأحسنَ محاضرةٍ لاهوتيَّة سمعتُها في حياتي، إذ علَّمني الربُّ نفسُه قرب سرير إنسانٍ محتضَرٍ أنَّ خلاص النفس لا يتعلَّق بأيَّة مجهوداتٍ بشريَّة، ولا بأيَّة طقوسٍ وعقائد من صنعِ الإنسان، بل هو مؤسَّسٌ على ذبيحة الربّ يسوع فوق الصليب ومتعلِّق بإيماننا الشخصيّ به وبالآب السماويِّ من خلاله. ولم أجد إثبات هذا الحقِّ في الكتاب المقدَّس إلاَّ بعد اهتدائي، وقد وجدته في كِلا العهدين: القديم (حبقوق ٢:٤ "... البارُّ بإيمانه يحيا")، والجديد (رومية ١:١٧ "...كما هو مكتوبٌ: أمّا البارُّ فبالإيمان يحيا"). وقد صدَّع إعلانَ الحقِّ لي وقوَّضَ إيماني بالعقيدة الكاثوليكيَّة القائلة بآليَّةِ قوّة شعائر الكنيسة وأسرارها. فمن الخير الكُلِّيِّ أنَّ خلاصَنا لا يتوقَّف على هذه الإجراءات غير اليقينيَّة وغير القابلة للتطبيق أحياناً، بل على رحمة الآب السماويِّ الشاملة لنا بذبيحة ابنه الحبيب والكاملة والوافية والحاسمة.

لكنَّني ظللتُ ملتصقاً بكنيستي "الحقيقيَّة الوحيدة"، حتَّى استجاب الله صلواتي أخيراً بضربي ضربةً قاسية. فانهارت صحَّتي وابتُليت بمرضٍ في كليتي اليُسرى. وعلى الرغم من كلِّ العناية الطبيَّة التي حظيتُ بها، صرتُ إلى أردأ، حتَّى أُحِلتُ بعد سنةٍ ونصف من المعاناة على طبيبٍ مختصٍّ فحصني فحصاً دقيقاً ثُمَّ قال لي إنَّ العلاج السابق كان خاطئاً بجملته وإنَّه ينبغي أن تُجرى لي جراحةٌ

عاجلة لأنَّ حياتي في خطر. فأدخِلتُ المستشفى وأنا لا أدري كم ستكون العمليَّة طويلة وصعبة. ولّما أفقتُ من التخدير كنت أُحِسُّ بضعفٍ شديد حتَّى لم أستطَعِ الحراك إلاَّ بصعوبةٍ بضعةَ أيّام، ولم تكن لي رغبةٌ في العيش. فقد بدا لي أن حياتي كلَّها كانت فاشلة، بل غلطةً كُبرى، وأخفقتُ في العثور على طريقي إلى الله. شعرتُ بأنَّني مُتخَمٌ وقَرِفٌ من كُلِّ شيء، وخُيِّل إليَّ أنّ الحلَّ الأفضل هو أن أرحل عن هذه الحياة. ولم يبدُ ذلك مُستبعَداً على كلّ حال، إذ كنتُ تحت الخَطَر، حتَّى إنَّ طبيباً عادَني في الليل ليَرى هل ما زلتُ على قيد الحياة، لأنَّهم تصوّروا أنَّني سأفارق الحياة تلك الليلةَ بالذات. وقد استبدَّت بي اللامبالاة الكلِّيَّة، فرفضتُ أن أتناول الأدوية الموصوفة. وإذ كنتُ ما أزال أتوقَّعُ الموت، لأتحرَّر على الأقلِّ من عذابي الروحيِّ، عادَني عصرَ ذاتِ يومٍ أقربائي وسألني أحدهم هل كنتُ أُصلِّي لأجل شفائي. فأجبتُ بالنَّفي. وأدهشهم جوابي كثيراً، وطلبوا إليَّ متوسِّلين أن أُصلِّي. ولَّما لم استطع أن أشرح لهم السبب، وعدتُهم بأنَّني سأُصلِّي لأنَّني أشفقتُ عليهم إذ رأيتُ مدى قلقهم عليَّ. كذلك انزعج الطبيبُ منِّي كثيراً لَّما عرف أنَّني لا أتناول الأدوية، وكان عليَّ أن أعِدَه بألاَّ أتركها على الطاولة بعد. ووفيتُ بكلا الوعدين، ولو على الرُّغم من إرادتي. ولكنْ في صلاتي طلبتُ إلى الربِّ خصوصاً أن يشفيني فقط إن كان يقدرُ أن يُحدِث تغييراً في حياتي ويستخدمني في المستقبل حسبَ مشيئته. هذه الصلاة استُجيبت على وجه السرعة. فأخذت حالتي تتحسَّن يوماً بعد يوم، حتّى اندهش الأطبّاء أنفسُهم لأنَّهم -كما قالوا لي لاحقاً- كانوا قلمَّا يَرجُون شفائي. وبعد إقامةٍ في المستشفى دامت شهرين، أُخرجتُ منه، ثمَّ باشرتُ العمل على الرغم من كوني ما أزال ضعيفاً جدّاً، متسائلاً كيف سيَشفي الربُّ نفسي ويستخدمني بحسب مشيئته. وجاءتِ الاستجابةُ الكاملة بعد سنتين من الزمان تقريباً، حينَ بلغت معاناتي الروحيَّة حدّاً لا يكاد يُطاق. وكان ذلك في نهاية خمس عشرة سنة من خدمتي في كنيسة روما الكاثوليكيَّة. إذ ذاك أدركتُ أنَّني في المكان غير الصحيح.

بعد إنارات الربِّ لي خلال تلك السنين، أوقفَني أمام خيارٍ صعب: فإمَّا البقاء في الكنيسة الكاثوليكيَّة التي فيها وُلِدتُ ورسمتُ خادماً، وبذلك أحافظ على امتيازات الكاهن واحترام الشعب ورضى الرؤساء والأمل الواعد بمنصب هامٍّ في الهرميَّة الكنسيَّة، ولكنْ أفقدُ الإيمان كليّاً ولا أتمكَّن البتَّة من الإقبال إلى الربّ؛ وإمّا مغادرةُ الكنيسة والكهنوت لأنَّ الأمر بجملته مغلوط وغيرُ مؤسِّس على كلمة الله، مسلِّماً نفسي بجملتها للربّ. وإن تصوَّرتَ أنَّني أطعتُ دعوة الربِّ هذه في الحال، فأنت مُخطئ. تصوَّر أنَّك منذ طفوليَّتك تعلَّمتَ أنْ "لا خلاص خارج هذه الكنيسة" وأنَّ كلَّ من ترك تلك الكنيسة يذهب إلى الجحيم وأنَّ أقسى العذابات هناك محفوظةٌ للكهنة المحرومين. وأن تُفصَل من الكهنوت في بلدٍ كاثوليٍّ، كإيطاليا أو اسبانيا أو بولندا، معناه أن يعتبرك أقرباؤك وأصدقاؤك ومُعظمُ الناس خائناً لا للكنيسة وحدها بل لوطنك أيضاً لأنَّ "الكاثوليكيَّ وحده هو الإيطاليُّ أو الاسبانيُّ أو البولنديُّ الحقيقيُّ." وهكذا يكون عليك أن تواجه نوعاً من المقاطعة الاجتماعية، أو على الأقلِّ جفاءً من قِبلَ أصدقائك القُدامى. ولذلك لم أقوَ على اتِّخاذ القرار الصحيح. لكنْ في الوقت عينه علمتُ أنَّها كانت آخر فرصة يقدِّمها لي الربّ، ومع ذلك عسر عليَّ انتهازها. فاستمرَّ عذابُ ضميري وصراعُه سنةً أُخرى. إنَّما كان أمامي أمرٌ واحدٌ أستطيع أن أفعله،وهو أن أُصلِّي: "ربّاه، اِفعلْ شيئاً ما لأنَّني ضعيفٌ للغاية، شدِّدْ روحي وساعدْني." هكذا كنتُ أصرخُ إليه، ليلاً ونهاراً، من أعماق قلبي.

وفي الأخير غمرتني نعمتُه فملأني بالجُرأة الكافية لإطاعة دعوته، حتّى استَهنتُ بأيِّ ألَمٍ قد يواجهني لاحقاً. وهكذا وضعتُ كلَّ ثقتي فيه، و لم أندم على ذلك قطّ. فإنَّ اهتدائي تمَّ بفضله تعالى، و لم يكُن لي أيُّ استحقاقٍ ذاتيّ في الأمر، بل كان ذلك كما لو أنَّ ذراعيه الأزليَّتين حملتاني من الظلام ونقلتاني إلى حريَّة أولاد الله المباركة.

ثُمَّ ماذا حدث بعد ذلك؟ سؤالٌ طُرِح عليَّ مراراً وتكراراً بعد تخبيري عن رحمة الله العظيمة في هدايتي إلى ذاته. يُعوِزني كتابٌ بكامله للتحدُّث عن عنايته وجودته غير المحدودَّتين وعن البركة التي آتاني إيّاها بعد ولادتي الثانية. فلعلِّي ذاتَ يومٍ أُباشر كتابة كتابٍ كهذا لتمجيد الله. إنَّما الآن أودُّ أن أختم شهادتي بهذه العبارة الوجيزة:

إنَّ عذابي الروحيَّ وعدمَ يقيني ومخاوفي ولَّت عنِّي بجملتها، وأنا الآن سعيدٌ مع الربِّ كما لم أكُن يوماً. هذه السعادةُ أرغبُ وأُصلِّي أن يحوزها جميعُ الذين ما يزالون يتخبَّطون في الظلمة التي كنتُ أنا فيها حتَّى الْتفتَ إليَّ الربُّ ورحمني.

(الكاهن المولود ثانيةً: رومان مازيرْسكي)

إختبارُ "طريق دمشق" الخاصُّ بي

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"فرانسيسكو لاكيوفا"

وُلِدتُ لأبوين كاثوليكيَّين، في الثامن والعشرين من أيلول (سبتمبر) ١٩١١، في بلدة "سان سيلوني" بمقاطعة برشلونة الاسبانيَّة. وتُوفِّي والدي عام ١٩١٨ في عمرٍ مبكِّر خلال وباء الانفلونزا الذي اجتاح عائلاتٍ كثيرةً في بلدي. كنتُ آنذاك في السادسة من العمر، واضطُرَّت والدتي إلى العمل الشاقِّ منذئذٍ لأنَّ موت والدي خلَّفنا فقراء جدّاً.

بعد سنتين دبَّر أحد الأصدقاء عملاً لوالدتي في خدمة ديرٍ تابعٍ لراهبات الحبل بلا دنس الفرنسيسكانيّات في "تارازونا الأراغونيَّة" وهي بلدةٌ صغيرة في ولاية "زاراغوزا". وقد قبلت الراهبات استخدام والدتي على شرط أن أدرس أنا لأصير كاهناً، إذ لم يُردن وجود صبيان في مهجع الخادمة إلاَّ إذا كان مقرَّراً لهم أن يدخلوا مدرسة اللاهوت لاحقاً.

وهكذا، في عمر الثماني سنوات، وجدتُ نفسي متوجِّها إلى مستقبلٍ لا أعرف عنه شيئاً. وقد كان تأثير الراهبات الطاغي كبيراً حتّى إنَّني لّما كنتُ في المدرسة الإكليركيَّة، مع أنِّي كثيراً ما قلتُ لأُمِّي إنَّني لا أرى أنَّ العزوبيَّة هي دعوةُ حياتي، تلقَّيتُ منها تهديداً بأن ترسلني إلى دار الأيتام التي وصفَتْها بألوانٍ قاتمة جدّاً.

ففي العاشرة من عمري أُدخِلتُ المدرسة الإكليريكيَّة في "تارازونا" للتعلُّم كي أصير كاهناً. ولم تكن الدروس مُجهِدةً حتَّى وصلتُ إلى المقرَّراتِ العُليا، ومع ذلك تمكَّنتُ من النجاح في جميع الامتحانات بعلاماتٍ قُصوى. وشعرتُ أنَّ في ذلك بعضَ ما يُرضي كبريائي لمقاومة جواذب الحصول على وظيفةٍ عاديَّة من شأنها أن تيسِّر لي تحقيق رغبتي في إنشاء عائلة خاصَّة بي.

وفي العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٤ رُسِمتُ كاهناً في "تارازونا" على يد الدكتور غوما، رئيس أساقفة "توليدو". ومن ثَمَّ قضيتُ خمس عشرة سنة في خدمة الكنيسة، بين الدرس في المعهد اللاهوتيّ وعلى نفسي، فضلاً عن إقامة الجنائز والمعموديّات والزيجات، وغير ذلك من الاحتفالات الدينيَّة.

حتَّى إذا حلَّ أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٤٨ رقَّاني المطرانُ المسؤول عنِّي إلى كُرسيِّ الأُستاذيَّة في "اللاهوت العقائديِّ الخاصّ" في معهد اللاهوت التابع لأبرشيَّة "تارازونا الأراغونيَّة". وبعد مرور سنةٍ واحدة عُيِّنتُ أيضاً واعِظاً رسميّاً في الكاتدرائيَّة. حتَّى ذلك الحين تولَّيتُ إخماد جميع الشكوك والمصاعب التي ساورتني من جهة كثيرٍ من عقائدِ كنيسة روما الكاثوليكيَّة، تلك التي يُعلِّمها جمهورُ المؤمنين ويُلزَمون أن يؤمِنوا بها. وقد تَمَّ لي ذلك جزئيّاً بسبب الخضوع المباشر وغير المشروط الذي يُبديه الكاثوليك الأوفياء تُجاه البابا مخافةَ إصدار الحرم بحقِّهم.

ثُمَّ قرأتُ ذات يومٍ في مجلَّة كاثوليكيَّة تُدعى "الثقافة البيبليَّة" اسمَ مبشِّرٍ اسبانيٍّ إنجيليٍّ هو القسِّيس "دُن صمويل فيلا". وقد تعرَّض للهجوم بسببِ مُلاحظاتٍ أوردها في كتابه "عَوْداً إلى ينبوع المسيحيَّة" بالإشارة إلى الجماعة المدعوَّة "إخوة يسوع". وبعد سنين عديدة، ظلَّ اسمُ ذلك الرجل في ذاكرتي، فبحثتُ عن عنوانه في دليل التلفون، وكتبتُ إليه رسالةً أُطلِعه فيها بإخلاصٍ على مشاكلي.

وأجابني القسِّيس فيلا برسالة مُفعمة بالتفهُّم والوقار ومسحة الروح القُدس، أوضح فيها كثيراً من الحقائق الأساسيّة في كلمة الله، والتي أدهشتني بالنظر إلى كلِّ ما كنتُ أعتقده. لم يطلب إليَّ المبشِّر فيلاّ أن أتحوَّل إلى البروتستانتيَّة، بل أوضع لي بكلِّ صراحة انَّ حلَّ مشكلتي الروحيَّة لا يكمن في تغيير مذهبي الدينيّ، بل في التحوُّل كليّاً نحو الله. فكانت تلك أوَّل مُفاجأةٍ لي؛ على أنَّها لم تكُنِ الأخيرة. إذ أضافَ أنَّ خلاصي يتوقَّف على قبولي البسيط بالإيمان للمسيح مخلِّصاً لي شخصيّاً وأنَّه ينبغي لي أن أعتبر العيشة المسيحيَّة نعيماً روحيّاً مع الله (وهذه كانت مفاجأة كُبرى أُخرى). وقد كان ذلك في نظري فائقاً للعادة. إذاً هؤلاءِ همُ الإنجيليُّون "المَوبوؤون"!

ثُمَّ تابعتُ مراسلتي معه؛ وبعد الرسائل الأولى التي تلقَّيتُها منه، بعث إليَّ بكثيرٍ من المطبوعات الإنجيليَّة المختارة. ولن أنسى البتَّة الانطباع الذي خلَّفَتْهُ فيَّ قراءة كتابه "عوداً إلى ينبوع المسيحيَّة". فهنالك عثرتُ على شروحٍ وافية للحلول الخَفِرة التي كنتُ قد توصَّلتُ إليها من جرّاء بحثي الشخصيّ، وقد ألفيتُ تلك الحلولَ مناقضةً لعقائد روما الكاثوليكيَّة. تُرى، لماذا لم أتمكَّن من رؤية هذه الأُمور بمثل هذه القوةَّ وهذا الوضوح؟ الجوابُ البسيط هو لأنَّني لم أكن أمتلك المعرفة الشاملة للكتاب المقدَّس والتاريخ على حدٍّ ما تبيَّن أنَّ القسِّيس فيلا يمتلكها كما تُظهِر كتاباتُه. ومن ثمَّ عكفتُ على دراسة كلمة الله والتأمُّل فيها بتعمُّقٍ وتدقيق، مصحوبَين بكثيرٍ من الصلوات التي التمستُ بها نعمةً وافرةً من الله بعونِ الروح القدس، لعلِّي أفهم الكلمة بالمعنى الحقيقيِّ الذي قصد أن تُفهَم به حينما أوحى بها، فأذخرَها في ذاكرتي وقلبي، وأعيشها حقّاً في حياتي، وأُبلِّغَها بكلامي. وفي غضون سنةٍ وقليل قرأتُ الكتاب المقدَّس كلَّه مرَّتين والعهدَ الجديد عدَّةَ مرَّات. كذلك أيضاً درستُ خيرةَ التفاسير الكاثوليكيَّة والبروتستانتيَّة.

وسرعانَ ما أخذتُ أتمتَّع بثمار هذا العمل المُبهِج. وكان تلامذتي يُدهَشون غالباً حيال مختلف أستشهاداتي الوافية تماماً من الكتاب المقدَّس دعماً لتفسيراتي اللاهوتيَّة. ولكنْ فوقَ كلِّ شيء رأيتُ بكلِّ جلاء، أوّلَ مرَّة في حياتي، بُطلانَ الكثير من تعاليم كنيسة روما الكاثوليكيَّة ممّا تتضمَّنهُ موادُّ إيمانها. أمَّا سببُ عدم ملاحظتي ذلك من قبل فهو، بكلِّ بساطة، أنَّني لم أُحاول قبلاً أن أدرس الكتاب المقدَّس مثلَ تلك الدراسةِ المفصَّلة وغير المُنحازة. لهذا يبقى السواد الأعظم من الكهنة الكاثوليك على تعاليمهم الزائفة ولا تنفتح عيُونهم على حقِّ الإنجيل النقيّ.

ولئن كان النور قد بدأ يتسرَّب إلى نفسي في كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٦١، فإنَّني كنتُ حتَّى ذلك الحين غير مُخلَّص، رغمَ كوني قدِ اقتنعتُ ببُطلان معظم عقائد روما. وكنتُ قد عقدتُ العزم على الانضواء تحت لواء الكنيسة الإنجيليَّة، فشجَّعَتْني في تلك المرحلة منِ اهتدائي أوَّلُ زيارة شخصيَّة قمتُ بها للقسِّيس صمويل فيلا في "تَرَّاصا" (برشلونة) في شهر أيّار (مايو) من تلك السنة. ولَشَدَّ ما أثَّرَتْ فيَّ وأثارَتْ مشاعري الحماسةُ والإخلاص اللذان بهما تكلَّم إليَّ، ولا سيَّما حين صلَّى إلى الربِّ معي ومع صهره "دُن خوسيه م. مارتينيز"!

وعملاً بنصيحة الأخِ فيلا، تعمَّدتُ اختبار أمانةِ الله في أوقات الشدَّة التي حاقت بي، فكانتِ النتائج باهرة.

وأخيراً، في السادس عشر من تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٦١، في تاريخٍ مشهودٍ ومجيد، وفي خضمِّ تجربةٍ قاسية هاجمتني كثورْ جامح من ثيران باشان الفتيَّة، رفعتُ عينيَّ وقلبي إلى السماء وقرَّرتُ إن أُسلِّم المسيح قلبي مرَّةً وإلى الأبد، وأن أقلب صفحةً جديدةً تماماً، مُقلِعاً عن حياة الخطيَّة التي كنت أعيشُها وخاضعاً للمسيح بِلا شروط، مستعدّاً أن أحمل صليبه وأسير في خُطاه بأمانة، غيرَ معتمدٍ على قوَّتي الذاتيَّة بل واثقاً بنعمة الله التي تجني أعظم انتصاراتها في وجه الضعف

والعجز البشريَّين. "فقال لي: تكفيك نعمتي، لأنَّ قوَّتي في الضعف تُكمَل" (**٢**كورنثوس ١٢:٩).

منذ ذلك الحين تبيَّن لي بوضوح أنِّي وُلِدتُ إلى حياةٍ جديدة. وأخذتُ كلَّ يومٍ أُصلِّي لكي يحفظني الروحُ القدس متيقِّظاً ومطيعاً لأيَّة رغبةٍ يشاؤها، وكي أكون أداةً مطواعةً لإرشاده المُطلَق. ومن تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦١ حتّى حزيران (يونيو) ١٩٦٢، استطاع أصدقائي وتلاميذي ومعارِفي الأدنَون أن يلحظوا التغيير الذي جرى فيَّ. باتت مواعظي متَّصفةً بإقناعٍ جارفٍ لم يكُن لها من قبل، وغدا قلبي مفعماً بالحماسة والفرح الداخليّ والسعادة الغامرة، وصارت بهجتي الكُبرى العكوفَ على قراءة الأسفار المقدَّسة ودراستها، فأخذتُ أقرأها بانتظام وأُهدي اصدقائي كثيراً من الكتب المقدَّسة في كلِّ مناسبة.

وبعد مدَّةٍ أدركتُ أنَّه كان مستحيلاً عليَّ في ظروفي الجديدة أن أظلَّ في كنيسة روما الكاثوليكيَّة. ففي الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٦٢، بعثتُ من برشلونة برسالتين مؤرَّختين في السادس عشر من الشهر عينه إلى مطراني وإلى رئيس مجلس الوعظ في كاتدرائيَّة تارازونا التي كنتُ مُلحَقاً بها طيلة ثلاث عشرة سنة بصفتي الواعظ الرسميّ. في تَينك الرسالتين تخلَّيتُ عن كلِّ امتيازاتي ووظائفي وأطلعتُ المعنيِّين على خروجي من كنيسة روما الكاثوليكيَّة. وقد قُلتُ للمطران إنَّني لا أرغب في الوقوع تحت الأناثيما المؤكَّدة في غلاطية ١:٨و٩ "ولكنْ إن بشَّرناكم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشَّرناكم، فليكن **أناثيما**. كما سبقنا فقُلنا، أقولُ الآن أيضاً: إن كان أحد يبشِّركم بغير ما قبلتم، فليكُن **أناثيما**." وأضفتُ أنَّه بالنظر إلى اقتناعي بضلالات روما الكثيرة ففي يومِ المحاسَبة لن يأسفَ الربُّ على الثقة التي وضعها فيَّ.

في ذلك اليوم عينه، أي الحادي والعشرين من حزيران، عبرتُ الحدود الاسبانيَّة الافرنسيَّة في "بورت بو". ثمَّ في ظهر اليوم التالي (٢٢ حزيران) نزلتُ

من السفينة في مرفإ "نيوهايفن" على الساحل الجنوبي من انكلترا، حيثُ كان ينتظرني بذراعين مفتوحتين خادمُ الربِّ، والصديقُ العزيز، الأخُ "لويس دي ورِتْز".

ولا أودُ أن أُغفِل ذكرَ ما جرى يوم الأحد في السابع عشر من حزيران، إذ إنّي حضرتُ، أوّلَ مرَّة في حياتي، اجتماعاً تبشيريّاً في كنيسةٍ ببرشلونة، وتكلَّمتُ في خدمةٍ أقامتها كنيسةٌ أُخرى في "تَرّاصا"، حيثُ نعمتُ بضيافة مُرشدي الروحي "دُن صمويل فيلا" ومجاملته الوديَّة.

ولن أختم حديثي قبل الإدلاء بشهادةٍ نابضة تؤكِّد اهتدائي إلى الربِّ يسوع المسيح. فبفرحٍ عظيمٍ نبذتُ المناصبَ الرفيعة التي شغلتُها في الكنيسة الكاثوليكيَّة، وتخلّيت عن عيشة الرخاء التي صاحبَتْها. وإنّني أعمل واثقاً بموجب إرشاد الآب السماويِّ لي في عنايته المُهيمِنة، ساعياً بلا رجوع نحو الغاية التي لأجلها قد خلَصت. فمنذ مغادرتي الكنيسة الكاثوليكيَّة ما برحتُ أتيقَّن بِلا مراءٍ أنَّه ينبغي أوّلاً التخلّي عن كلِّ شيء في سبيل الحصول على كلِّ شيء.

ولزملائي السابقين في الكهنوت أقولُ من كلِّ قلبي: "إنَّني سعيدٌ جدّاً في الحياة الجديدة التي أدركتُها في المسيح وإنجيله، وأتمنّى لكلٍّ منكم أن تمسَّه هذه النعمةُ السابقُ قصدها. لن أنساكم في صلواتي، ولي ثقةٌ بأنَّ لي مكانةً لدى جميع الذين يَنشدون الحقّ بإخلاصٍ وبقلبٍ صادق. تيقَّنوا أنَّ خلاصكم هو مسألةٌ شخصيَّة بين الله وكلٍّ منكم. إنَّ الخلاص ليس في الانتماء إلى كنيسةٍ ما، ولا في ممارسات التقوى والخدمات الطقسيَّة وتلاوة السُّبحة ورسالات فاطمة ... إلخ. ومن الخطإ الفاضح الاعتقادُ أنَّ امرأً يمكن أن يخلص بحفظ "أيّام الجمعة العظيمة" ولا "أيّام السبت العظيمة". فإنّما قبولُنا الشخصيُّ بالإيمان لحقيقة الفداء الفريدة بيسوع المسيح هُوَ وحده ما يُخلِّص نفوسنا، لأنَّنا جميعاً مِمَّن "أخطأوا وأعوزهم مجد الله". هذا التعليم ليس بروتستانتيّاً فقط، بل هو تعليم الرسول بولس، ولا

سيَّما في الرسالة إلى أهل رومية. فادرسوا الأسفار المقدَّسة تَهدِكم إلى الحقّ. وحذارِ السلوك في طريقٍ مغلوط. فكِّروا في هذا اليوم، لأنَّه غداً ربّما يكون الأوان قد فات!"

(الكاهن المولود ثانيةً: فرانسيسكو لاكيوفا)

من عزلة الدير
إلى خدمة الغير
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"خوسيه بورّاس"

"يا أبتِ، عليك أن تشنَّ حملةً على البروتستانت. فإنهم يتكاثرون كثيراً." هذا ما قالته الأُخت دولوريس، إحدى راهبات الدَّير الذي كنت أذهب إليه كلَّ يوم أحد للاحتفال بالقُدّاس وإلقاء العظة المعتادة .

كنتُ كاهناً شابّاً ومعلِّماً في مدرسة اسْبانيَّة لمّا أصرَّت تلك الراهبة، أحداً بعد أحد، على أن أقوم بأمرٍ ما لمواجهة البروتستانت.

قالَت: "إنَّهم يخدعون بُسطاء الناس، ويبذلون العطايا المادِّيَّة فيكسبون كثيرين من الأشخاصِ الطيِّبين إلى فئتهم المُهَرطِقة."

فرغبةً منّي في الدِّفاع عن إنجيل المسيح، قرَّرتُ محاربة البروتستانت، وكان الأمر الوحيد الذي عرفته عنهم أنَّهم أردياء وأنَّ عقيدتهم حافلة بالضلال والهرطقة.

وبعد أيّامٍ قليلة جاءني تلميذٌ إلى الصفّ وفي يده كتابٌ ثخين، وقال لي: "يا أبتِ، هذا كتابٌ مقدَّس بروتستانتيّ. لقد أعطته إحدى النساء لأُمِّي، ولكنَّها تخشى أن تحتفظ به لأنَّها تعتقد أنَّ ذلك خطيَّة. هل تودُّ أن تحرقه؟" فكان جوابي: "طبعاً، سوف أُتلِفه. علينا أن نضع حدّاً للدعاية البروتستانتيَّة." وبعدما مزَّقت بعض الورقات الأولى، غيَّرتُ فكري. فلمّا كان عليَّ أن أعِظ ضدَّ البروتستانت وأنا لا أعرف أخطاءهم، خطر لي أنَّ من الواجب أن أقرأ كتابهم المقدَّس لأعرف

ضلالاتهم الرئيسيَّة. وهكذا قرأتُ بضعة أجزاء من العهد الجديد، وقارنتُ النصَّ بكتابي الكاثوليكيّ. وحالما تبيَّن لي أن الكتابين يكادان أن يكونا متوافِقين كليّاً، أخذ في الاضطراب الشديد، وجعلتُ أتساءل كيف يُعقَل أن توجَد فروقٌ هائلة بين الكاثوليك والبروتستانت ما داموا جميعاً يمتلكون الكتاب المقدَّس الواحد على ما يبدو. فكان استنتاجي أنَّ البروتستانت لا يقرأون كتابهم المقدَّس، وأنَّهم إذا قرأوه لا يُمارسون تعاليمه.

وظنّاً منّي بأنَّ أفضل طريقة لمعرفة حقيقة البروتستانت هي أن أُراقب سلوكهم وعاداتهم، ذهبتُ لزيارة أُسرة بروتستانتيَّة. قلتُ لهم إنّي مُعلِّم مدرسة وإنّي راغب في معرفة عقيدتهم لتعليم تلامذتي، بصورةٍ أفضل، حقيقةَ البروتستانت. وقد أدهشني كونُهم لُطَفاء جدّاً، كما أذهلَني أن أكتشف أنَّهم يعرفون الكتاب أفضل ممّا أعرفه. وخجلتُ لمّا سمعتهم يكلِّمونني عن المسيح باقتناعٍ لم يكُن لديَّ قطُّ رغم كوني كاهناً.

أجابوني عن بعض الأسئلة، ودعَوني إلى مقابلة قسِّيسهم المعمدانيّ. فقابلته في اليوم التالي، ولكنْ كان أوَّل ما قلتُه له: "لا تُحاول أن تقنعني، لأنَّ ذلك إضاعة لوقتك. فأنا أُومن أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي وحدها الحقيقيَّة. وإنَّما أُريد فقط أن أعرف لماذا لستَ كاثوليكيّاً." ودعاني إلى لقاءٍ كُلَّ أُسبوع، وإلى دراسةِ العهد الجديد، على أن نتباحث بطريقةٍ وديَّة في وجهتيْ نظرنا المختلفتين. وهكذا كان.

جاوب القسِّيس جميع أسئلتي بآياتٍ من الكتاب المقدَّس. أمّا حججي فكانت دائماً أقوال البابوات ومقرَّرات المجامع. ومع أنّي لم أقبل حججه في الظاهر، ففي قرارة ذِهني أدركتُ أنَّ لكلام الإنجيل قيمةً أكبر مِمّا لقرارات المجامع، وأنَّ ما قاله بطرس وبولس ذو سلطانٍ يفوقُ بكثيرٍ تعالَمَ البابَوات.

ونتيجةً لمحادثاتنا، بدأتُ أقرأ كتاب العهد الجديد باجتهادٍ لعلّي أجد بعض الحجج لردِّ التعاليم البروتستانتيَّة. وقد كنتُ راغباً لا في أن أُثبت للقسِّيس خطأه

فحسب بل في أن أكسبه للكنيسة الكاثوليكيَّة أيضاً. ولكنْ بعد كلِّ مقابلة لنا، كنتُ أعود إلى مدرستي شاعراً بأنَّه قد هزمَني في المناقشة.

مضَت مدَّة طويلة وأنا مهتمٌ جدّاً. كنتُ أقرأ العهد الجديد مصلِّياً إلى الله كي يزيد إيماني ويبدِّد شكوكي، حتّى لا أرتكب أيَّ خطأ. ولكنْ كلَّما قرأتُ وصلَّيت، ازددت ارتباكاً. أيُعقَل ألاّ تكون الكنيسة الكاثوليكيَّة هي كنيسة المسيح؟ أيُمكِن أن أكون على ضلال في إيماني؟ وإن كان كذلك، فماذا ينبغي أن أفعل؟

كنتُ قد سمعتُ أنَّ كهنةً ورهباناً آخرين صاروا بروتستنتيِّين بدراسة الكتاب المقدَّس. ولكنَّني لم أتصوَّر أن أحذوَ حذوَهم. هل أصير بروتستانتيّاً، أي هرطوقيّاً، فأرتدَّ عن إيماني؟ كلاَّ، البتَّة! ماذا يقول والداي وتلامذتي وأصدقائي؟ سوف يتبيَّن أنَّ الأحد عشر سنةً التي قضيتُها في الدرس قد ذهبت هدراً. ماذا أفعل لأكسب معيشتي؟

أزعجتني هذه الأفكار وأقلقتني. وفضَّلتُ ألاَّ أُغيِّر إيماني. وتمنَّيت لو لم أتحدَّث إلى القسِّيس أصلاً، محاولاً إقناع نفسي بأنَّه كان على خطإ. وضاعفتُ قراءتي للعهد الجديد باحثاً عن جوابٍ يؤيِّد وضعي بصفتي كاهناً كاثوليكيّاً. وكلَّما قرأتُ أكثر تبيَّن لي بأكثرِ وضوحٍ أنَّني على خطأ. ولكنَّني كنت خائفاً جدّاً من مغادرة الكنيسة الكاثوليكيَّة حتّى قرَّرتُ الاستمرار في الكهنوت، رغمَ كوني غير قادرٍ على الاستمرار في الإيمان بالعقيدة الكاثوليكيَّة.

وفي يومِ أحَد، كلَّمتني الأُخت دولوريس قائلةً: "يا أبتِ، لم تعظ ضدَّ البروتستانت كما وعدتَني. إنَّهم يزدادون تكاثُراً كلَّ يوم ويكسبون كثيرين من الناس إلى كنيستهم." فقلتُ لها: "يا أُختُ، لقد عكفتُ طيلةَ المدَّة الماضية على دراسة العقيدة البروتستانتيَّة. ولكنَّني اكتشفتُ أنَّهم ليسوا من الرداءة بمثل ما نتصوَّر. إنَّهم يؤسِّسون إيمانهم على الكتاب المقدَّس، ونحن لا نقدر أن نعظ بما يناقض كلمة الله." أجابتني: "أنتَ على خطإٍ فادح، يا أبتِ. إنَّهم أردياء جدّاً.

إنَّهم ذئابٌ في ثياب حملان. إنَّهم أعداءُ بلادنا. إنَّهم يكرهون مريم العذراء، ويُقوِّضون إيماننا بالبابا. علينا أن نشنَّ حملةً عليهم." فأخبرتُها كيف أنَّ بعض الكهنة الذين أرادوا أن يعظوا ضدَّ البروتستانت قدِ اهتدَوا وصاروا بروتستنتِّيين لَمَّا درسوا عقائدهم، بغير انحياز وتحامُل، في ضوء كلمة الله." إذ ذاك قاطعتني الراهبة: "لا تقُل لي هذا، يا أبتِ. إنَّهم لم يهتدوا بلِ ارتدُّوا. ولقد تحوَّلوا إلى البروتستنتيَّة إمّا لأنَّهم مجانين، وإمّا لأنَّهم أرادوا أن يتزوَّجوا." ثمَّ أردفت: "يُمكِنك أن تدرس هذه العقيدة بلا خوف. وأنا على يقين بأنَّك لن تتحوّل إلى البروتستنتيَّة، لأنّك لستَ مجنوناً ولن تبيع المسيح لأجل امرأة!" فأجبتُها: "إنَّني أُماثِلكُ في التفكير، يا أُخت. وأعِدُك بأن أدرس هذه المسألة جدّياً. حتَّى إذا توصَّلتُ إلى الاقتناع بأنَّ البروتستانت على ضلال، أشنُّ حملةً عليهم. وإنْ تبيَّن لي أنَّهم على حقّ، أصيرُ واحِداً منهم." فقالتِ الراهبة مبتسمةً وقد أرضاها جوابي تماماً: "لا تقلقْ يا أبتاه. فأنت لن تصير بروتستنتيّاً البتَّة!"

ثُمَّ قرأتُ العهد الجديد مراراً وتكراراً، مصلِّياً إلى الله من كلِّ قلبي، طالباً الحكمة والإرشاد كي أتوصَّل إلى قرارٍ واضح وصائب، وأنا عالِمٌ بأنَّني لن أكون سعيداً بغير ذلك. وبعد ثلاثة أشهر غادرتُ الكنيسة الكاثوليكيَّة، لأنَّني لم أستطيع أن أظلَّ أقومُ بأمورٍ وأتظاهرُ بتصديق معتقداتٍ أعرف في قرارة نفسي بأنَّها غَلَط بغلط. فكَّرتُ في جميع الصعوبات الممكنة، إلاَّ أنَّني قرَّرتُ اتِّباعَ المسيح على الرغم منها كلِّها.

أمّا أهمُّ شيء حدث لي فقد كان لَمَّا تقابلتُ شخصيّاً مع الربِّ يسوع المسيح واختبرتُه باعتباره مخلِّصي وربِّي الوحيد.

ليس كافياً أن يكون المرء كاثوليكيّاً صالحاً. بلِ الأمرُ الضروريُّ والمهمُّ هو أن يولَد المرء ولادةً جديدة في المسيح. وقد كان هذا هو اختباري حين دخل المسيح قلبي، فاختبرتُ التحريرَ لا من خطاياي فقط بل أيضاً من النير الثقيل الذي كان عليَّ أن أحمله بوصفي كاهِناً منتمياً إلى رهبنة متشدِّدة.

شكراً لِلّه على الكثيرين الذين طلبوا تلك الراحة ووجدوها. فالإلهُ الذي غيَّر حياة شاول المُضطهِد على طريق دمشق، وغيَّر حياة الأب بورّاس في عزلة الدين، هو نفسُه قادرٌ على تغيير حياتك حيثما كنت.

(الكاهن المولود ثانيةً: خوسيه بورّاس)

الحقُّ حرَّرني

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"تُون فانْهُونِيسي"

وُلِدتُ في "زَفيفيغِم" في الثالث عشر من تشرين الثاني (أكتوبر) ١٩٤٠، مع أوائل سِنِي الحرب. وكان أبواي تقيَّين جدّاً وكاثوليكيَّين حتّى العظم. وقد كان والدي حازماً وصارماً، وفي الوقت عينه أنيسَ المعشر للغاية. ففضلاً عن المتاعب العائليَّة، إذ كُنَّا عشرة أولاد، وعن هموم مصنع النسيج، وفَّر أبي وقتاً لأنواعٍ شتَّى من "الأعمال الأبرشيَّة". ومن الأمور التي أخذتُها عنه ميلُهُ إلى الاستقامة. كذلك كان في قلبه دائماً أن يُسهِم في إرسال معونات للتنمية.

أمّا أُمِّي المباركة فقد كانتِ امرأةً صالحة، وهيَ ماتت منذ بضع سنين. وقد كانت لطيفة وهادئة جدّاً. أفليست هذه هي الزينة الأجمل التي تستطيع المرأة أن تتحلّى بها؟ عن مِثل هذه الزينة يقول الرسول بطرس إنَّها قُدَّام الله كثيرة الثمن (١بطرس ٣:١و٤). كذلك أيضاً كانتِ امرأةً مندفعةً ومَعنيَّة بشؤون بيتها خير عناية. وقدِ اتَّصفت بحُسن التدبير فيما "تُراقِب طرق أهلِ بيتها" (أمثال ٣١:٢٧). ومع أنَّها كانت ذات إعاقة يسيرة، فقدِ احتملت كثيراً من الألم بصبر وسكون. فلكونها امرأةً لم تتشكَّ قطُّ، وقد قبلَت كلَّ ما كان صعباً في حياتها، فإنَّها قدَّرت الآخرين أكثر، ونحنُ انتفعنا من ذلك.

لم تُعنَ أُمِّي كثيراً بالممارسات الظاهريَّة المألوفة لدى مَن يُعَدُّ مؤمناً، إلاَّ أنها أضمرت علاقةً سليمةً بالله. وقد كان الكتاب المقدَّس دائماً كتاباً محظوراً على والدَيَّ. لكنَّ الله هو المهيمن، وهو يخترقُ كثيراً من أسوار المقاومة التي أنشأتها روما حول أفكار الناس وقلوبهم. لذلك أعتقد أنَّ أُمِّي كانت تملك معرفةً ما

لمخافة الربّ. مِن ثَمَّ تربَّيتُ على توقيرٍ لله كثير، هو نوعٌ من الاحترام المتميِّز إلى أبعد الحدود بالارتعاب من غضبه تعالى على الخطيَّة.

وإنِّي لأَذكر جيِّداً ذهابي إلى كرسِّي الاعتراف، لأنَّني أخفقت مراراً كثيرة وأخطأتُ إلى الله وأرَّقني تبكيتُ الضمير. لم يكن يُبارحُني التبكيت ويأتيني السلام إلاَّ بعد أن أسمع تحليلة الكاهن لي من وراء الستار. ولطالما كان الاعتراف يريحُني ويُحرِّرني مرَّةً بعد مرَّة. لم نكن نعرف شيئاً عن إنجيل النعمة، عن تلك البشارة الطيِّبة التي تُعلِمُنا أنَّنا ننال غفران الخطايا والحياةَ الأبديَّة من طريق الإيمان بعمل المصالحة الذي أنجزه المسيح. أليس هذا مؤسفاً؟ تلك هي سطوة التقليد في نظام روما الكاثوليكيّ!

ففي مسألة الاعترافات هذه مثلاً، تأمَّل هذا: مع أنَّ الكتاب المقدَّس يقول بالحرف الواحد "له يشهد جميع الأنبياء أنَّ كلَّ مَن يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال الرسل ١٠:٤٣)، فإنَّ روما تنطق بالحرم على جميع الذين يشهدون للكتاب المقدَّس.

إنَّ مجمع "ترانت" يُعلِّم بهذا، والتقليد عادةً يُنحِّي كلمة الله جانباً، وعلينا الحذر. فالكلمة تنبِّهنا إلى الحقّ، ولكنَّ الناسَ أسرعُ إلى قبول ما تعلِّمه الكنيسة بدلاً مِمَّا يقوله الكتاب المقدَّس ... هذه هي مشكلة التقليد.

باشرتُ دراستي الثانويَّة في كليَّة هارت في "فاريغيم". وهناك نجحتُ في مقرِّرٍ يونانيٍّ لاتينيٍّ في الإنسانيّات. وكان ذلك زمَن النظام الصارم، إذ كان علينا أوَّلاً أن نُطيع ثُمَّ نتعلَّم أيضاً. فلم تكن تلك الفترة سهلةً عليَّ بالطبع ولا سيَّما لأنَّني كنتُ تلميذاً داخليّاً مُقيماً. وكان يُسمَح لنا بالذهاب إلى بيوتنا أُسبوعين أو ثلاثةً فقط. وقد حَدَتْني رغبةٌ شديدة في مساعدة الفقراء. ففي وقت دراستي قرأتُ قصصاً كثيرة عن "مُرسلين" عِظام، وشعرتُ بأنَّ عليَّ أن احذو حذوهم. مِن ثَمَّ دخلتُ رهبنة الآباء المنتذرين لمريم في سبيل الخدمة الإرساليَّة، وذلك في

كوربيكلو" على مقربة من "لِيوفِن". وقد كان ذلك في العام ٥٩ أو ٦٠، لا أذكر بالتحديد.

كان دير المُترَهِبِين قائماً في كوربيكلو، وكان واجبنا أن نقضي سنةً تجريبيَّة، حيث يجري امتحاننا وإعدادنا لحياة الدير. وما كان أصعب تلك المدَّة عليَّ! فقد كان يُقام لنا كلَّ يومٍ اجتماعُ صلاةٍ روحيٌّ، يبدأ باكراً في الصباح بالصلوات المقرَّرة والتأمُّل والقُدّاس والتعبُّد لمريم. وفي بحر النهار نُقيم "قراءاتنا الروحيَّة" ونُصلِّي السُّبحة ونتلو أجزاءً من الكتاب المقدَّس. وفي فترة بعد الظهر كُنَّا نقوم في العادة بأعمال يدويَّة في صمت. ولا يفوتُني أن أذكر أنَّه في فترة بعد الظهر من بعض أيّام الجمعة، كُنَّا نُمارس "الجَلْد" وقتاً قصيراً، حيث يحمل كلُّ مُتَرَهبٍ سوطه وينهال به على ظهره. لكأنَّما كان في وسعنا أن نسلخ عنّا نجاساتِ الأُسبوع المنصرم بجَلْد أنفسنا.

أجَل، هكذا تدرَّبنا على حياة الدير مدَّةَ سنة. وعندما أُلقي نظرة إلى الوراء، أتساءل كيف كان ممكناً ألاَّ نُدرك أنَّ تلك الرياضات الروحيَّة كما تُسمّى، وأنَّ تلك المجهودات التي بذلناها للتمكُّن من خدمة الله، كانت كلُّها باطلةً وبلا قيمةٍ البتَّة. هذه الحقيقة علَّم بها بولس في الرسالة إلى مؤمني كولوسِّي، مؤكِّداً أنَّ تلك الممارسات إنَّما تُرضي الميول البشريَّة فقط! فهذه الأساليب المدعوَّة "مقدَّسة" تُقوِّض أساسَ كونِ المسيح هو الوسيطَ الوحيد: "الذين في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله" (رومية ٨:٨). وما أعظمها نعمةً أن يتمكَّن المرء من الاستراحة على عمل الخلاص الذي أكمله المسيح! فأُريد أن أقول لكلِّ كاهنٍ ولكلِّ رهينِ دَير: "توبوا وآمنوا بالإنجيل!"

ولَكَم يُحزِنني ألاَّ يعرف الكاثوليكيُّونَ عادةً الفرقَ بين الحقّ والأكاذيب في ما يتعلَّق بالروحيّات! فقدِ اكتسبت الأكاذيب موطئ قدمٍ راسخاً في عقول الناس وقلوبهم. عن هذا تعبِّر تعاليم روما العديدة. والكِذبة لا تُسلِس القيادة بسهولة. ذلك ما اختبرتُه شخصيّاً خيرَ اختبار، وهو شيءٌ يختبره كلُّ من يُشارِكُنا في

التبشير من باب إلى باب (الأمر الذي نقوم به حاليّاً مع جماعةٍ من المسيحيِّين المولودين ثانيةً في "مَنسْتَربلْزين"). فإنَّ لدى الناس ميلاً متأصِّلاً إلى الانحراف عن الحقّ؛ وحقُّ الكلمة يستهدف البشر الخُطاة ويُبيِّن لهم أنَّهم بائسون وهالكون. وكلُّ إنسانٍ يُفضِّل أن يُصغي إلى إيحاءات قلبه الذي يصفه الكتاب المقدَّس بأنَّه "أخدع من كلِّ شيء، وهو نجيس" (إرميا ١٧:٩)، والذي يُوقِع بالإنسان في سهولة.

بعد الفترة الاستهلاليَّة، نُقِلنا إلى "مركز الطَّلَبة" (المركز السكولاسْتيّ) في "غيجزيغِم"، وهي قريةٌ تقع بين "آلْسْت" و "دِندَرموند". وفي أعقاب سنتين من دراسة الفلسفة وأربعٍ من دراسة اللاهوت، رُسِمتُ كاهِناً في العشرين من شباط (فبراير) ١٩٦٦. وقد كان حَدَثاً مشهوداً، كما يمكنك أن تتصوّر. فعلى مدى سنين أعقبَتْه، ظلَّ ذكرى عزيزة، إذ كان الحَدَث الذي توَّج دراستي وتحصيلي. أهو أمرٌ يسيرٌ أن يكون المرءُ كاهناً في كنيسة روما؟ ما مِن دعوة أسمى، ما دام الكهنةُ يُختارون لكي يُعيدوا من جديدٍ قرابين المسيح في الزمن الحاضر. فقد صِرنا حَمَلَةً ونَقَلةً لنعمة الله. ذلك كان اقتناعي! وكان لنا مظهرٌ مرموقٌ باعتبار الكاهن "صانع بركات". إلاَّ أنَّني آنذاك انحرفتُ عن كلمة الله. فإنَّه لأمرٌ مُهينٌ لِلّه أن تتصوَّر أنَّ المسيح، الذبيحةَ الكاملة والكليَّة الكفاية، يُحصر في "قربان القُدّاس". وهكذا تُضيَّع قيمة تلك الذبيحة الحاسمة ويغرب عن البال ما فيها من قوَّة أبديَّة للخلاص. وباعتقادي أنَّ الرسالة إلى العبرانيِّين تقول الكلمة الفصل في هذا الشأن.

بعد إعدادي الكهنوتيّ، قدَّمتُ سنةً تحضيريَّة للمعهد الاكليريكيّ الوسيط في "فاريغيم"، وهو مدرسة متوسِّطة تُعطى الأولويَّةُ فيها لحياة الدَّير. ولم أجد ذلك أفضلَ مكانٍ لي، فطُلِبَ إليَّ الذهاب إلى "أنتْفيرب" للخدمة الأبرشيَّة مع لفيفٍ من الكهنة. وكانت مهمَّتي على الخصوص خدمة الشباب راعويّاً.

وفي نهاية سنةٍ واحدة كان عليَّ أن أُغادر "أنتْفيرب" لأنَّ رهبانيَّتي دعتني إلى خدمةٍ مُشابهة، في "هاوثاليم" شرقاً، لإنشاء أبرشيَّة جديدة هذه المرَّة. هناكَ اشتركتُ مع ثلاثة كهنة آخرين في العمل معاً،وأنا أُسائل نفسي عن مركزهم ومثاليَّتهم. إنَّما كان ذلك مجرَّد بناء بشريٍّ مُقام على الرَّمْل، لا على **الصَّخر**، وبقوَّةِ البشر على الأكثر. فلم تكُن كَلمة الله هي أَساس حياتنا، ونتج من ذلك أن البناء كان مزعزَعاً، فسقط، وكان سقوطه عظيماً، مثلما يقول الكتاب المقدَّس. وعلَينا الآن أن ندعو باسم الربِّ يسوع وأن نقبل كلمة الله بوصفها الأساس الثابت لحياتنا.

قصارى القول أنَّني بعد خدمتي الكهنوتيَّة التي دامت عشر سنين استُهلِكتُ روحيّاً. ولم يعُد في وسعي أن أتفادى من فشل خدمتي الرسميَّة في كنيسة روما الكاثوليكيَّة، ولا سيَّما حين تُواجِهُني الحاجاتُ الأساسيَّة لدى النَّاس. فالمرضى حقّاً لم أستطع أن أُقدِّم لهم كلمة عزاء من الكتاب المقدَّس. والذين لديهم شعور بالذَّنب تُجاه خطواتٍ في حياتهم أخطأوا في القيام بها لم أستطع أن أُحيلهم على الغفران أو المصالحة المتوافرة في المسيح. أمّا السبب فهو أنَّني أنا بالذات كنت في حاجةٍ إلى التعرُّف بالله وإلى نوال الغفران لخطاياي. ومن جرَّاء هذا العَوَز الأساسيِّ صارت حياتي كومةً من الرُّكام والحُطام على الصعيد الروحيّ.

على أنَّ خدمتي كاهناً في الكنيسة الكاثوليكيَّة تميَّزت بالسخاء، وبالرغبة طبعاً في القيام بكلِّ ما يمكنني لأكبر عدد من الناس، وذلك من مالي الخاصّ. غير أنَّ ذلك لم يستمرَّ طويلاً. والسبب الأساسيُّ لهذا الإخفاق هو عدم معرفتي للربِّ يسوع المسيح ولا لكلمة الله المقدَّسة. وربَّما تساءل الناس مدهوشين كيف يُعقل أنَّ مَن هو كاهن لا يعرف الإنجيل ويفتقر إلى معرفةٍ حقيقيَّة بالربِّ يسوع؟

من المُذِلِّ حقّاً أن أعترف صراحةً بأنَّ تلك كانت حالتي فعلاً. فقد كان المسيح، قبل كلِّ شيء، القُدوةَ العُظمى لنا. فهو مثالُ الحياة المستقيمة خُلُقيّاً والتي لا يقوى أحدٌ على مضاهاتها. كما أنَّه مثال العدالة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

وذلك هو أيضاً سببُ انهماكي في "الحياة الأخويَّة" و"خدمة الإغاثة". ولكنَّ الله بنعمته قادني إلى الولادة الروحيَّة الجديدة حقّاً في المسيح يسوع، وفتح أمامي كلمتَهُ المكتوبة. وقد كان لهذا عواقبُ طبيعيَّة، لكنْ أليمةٌ بالفعل. إذ كان عليَّ أن أتخلَّى عن كلِّ شيء لأجل كلفة صليب المسيح والنعمةِ المقترنة به. ففي ضوء حقِّ الإنجيل، اكتشفتُ حقيقتي بوصفي كائناً خاطئاً كليّاً وغيرَ قادرٍ على أيِّ صلاح، ونزّاعاً إلى الشرّ. ليس فيَّ أيُّ شيءٍ صالح، كما يقول الرسول بولس مُجاهِراً: "فإنِّي أعلم أنَّه ليسَ ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالح" (رومية ٧:١٨). هذه هي شهادة الكتاب المقدَّس! كذلك أيضاً علَّمني الكتاب المقدَّس نفسُه أنَّني فاقدٌ الرجاء في الخلاص وصائرٌ إلى الهلاك الرهيب، على حدِّ ما كتب الرسول بولس صراحةً في الرسالة إلى مؤمني أفسس. لم يكن ممكناً أن يجد الله فيَّ أيَّ شيء صالح. مَن كان يظنُّ أنَّه بعد عشر سنوات من الاجتهاد في خدمتي كاهناً في كنيسة روما، يتبيَّن لي أنَّ كلَّ اجتهادي عديمُ القيمة في نظر الله، بل أنَّه "نُفاية" بتعبير الرسول بولس؟ ولئن كنت أحسَبُ كوني كاهناً أساساً صالحاً للوقوف أمام الله في نورٍ عظيم، فقد كان ذلك، على العكس،مؤذياً لي. ذلك أنَّ الخلاص مستحيلٌ خارجاً عن الربِّ يسوع المسيح. وجميعُنا في حاجةً لأن نُدَلَّ إلى نعمة الله، إذ ليس من طريقٍ آخر.

يُعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ الجميع أخطأوا وليسوا بمستحقِّين نعمة الله المُعطاة بيسوع المسيح. وقد صار ذلك يقيناً كتابيّاً عندي. فالناس إنَّما يتبرَّرون بالإيمان، بمعزلٍ عن أعمال الناموس وعن أيَّةِ أعمالٍ ناموسيَّة.

ها أنا أُشدِّد على هذه الحقيقة بمنتهى الوضوح: أنَّ الكتابُ المقدَّس لا يُساوِم في هذه المسألة، وليس من سبيلٍ وسط بين الحقِّ والأكاذيب. فكلُّ أمرٍ يكون إمَّا حقّاً وإمّا باطلاً! وثمَّة تجربة كبيرة تتمثَّل في اعتبار أنَّ ذوي التقوى والمواظبين على الممارسات الدينيَّة دائماً هم أبرارٌ فعلاً. إلاَّ أن الله حطَّم لديَّ تلك النـــزعةَ المتأصِّلةَ، لكنِ الخبيثةَ، الهادفةَ إلى فداء المرء لنفسه بنفسه. أوّاه، ما

أعمقها من نــزعةٍ في صلب كيان الإنسان! فنحنُ مولودون حاملين إيَّاها. ولستُ أعتقد أن إنساناً واحداً يريد أن يعيش "بالنعمة وحدها"! إذ نأمُل، في الخفاء، أن يكون فينا شيءٌ صالح رغمَ كلِّ شيء، وكبرياؤنا الفاضحة تحول دون اعترافنا بعكس هذا. ولكنَّ الكتاب المقدَّس كلَّه ينشر جوّاً عابقاً بالنعمة المُهَيمِنة. إنَّ الخاطئ لا يتبرَّر إلاَّ بالنِّعمة، بواسطة الإيمان. ومدُّ البشر يدَ المعاونة في هذه المسألة أمرٌ مستبعدٌ تماماً. ولكم يُسعِدني أنَّ الله قد أعلن لي هذا الحقَّ: "وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يُحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣٢)!

(الكاهن المولود ثانيةً: تُون فانْهُونِيسي)

استجابتي الثانية للمسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"خُوان ت. سانْز"

وُلِدتُ في الثامن والعشرين من نيسان (أبريل) ١٩٣٠، في "سوموسييرا"، مدريد، اسبانيا، فكُنتُ ثامِنَ ولدٍ في عائلة كاثوليكيَّة.

وشعرتُ بدعوتي إلى الكهنوت في الثالثة عشرة من عمري، فيما كُنتُ أستمع إلى عظةٍ في القُدّاس الاحتفالي "بتذكار السمنار" (١٩ آذار [مارس] ١٩٤٣). ولكنْ لأسباب اقتصاديَّة لم أدخل كليَّة اللاهوت التابعة لأبرشيَّة مدريد إلاّ في السنة الدراسيَّة ١٩٤٥-١٩٤٦.

في أثناءِ أوّل خمس سنين من دراستي، درستُ اللاتينيَّة والإنسانيّات. وطيلة السنوات الثلاث اللاحقة درستُ الفلسفة والإلهيّات والأخلاق. ثُمَّ بدأتُ دراسة اللاهوت والأخلاق كموضوعين أساسيِّين في أيلول (سبتمبر) ١٩٥٣.

وهنا ينبغي لي أن أتوقَّف لأُشير إلى أنَّه لا يُسمَح للطالب الاكليريكيّ أن يحوزَ أو يقرأ الكتاب المقدَّس في أثناء أوَّل ثماني سنين من الدراسة. ففي ما يخصُّ هذا الأمر، لَمّا كانت ذكرى ولادتي الحادية والعشرون بادَرَتِ امرأةٌ قُدِّر لها أن تُصبح لاحقاً عرَّابةَ قُدّاسي الأوَّل إلى إهدائي كتاباً مقدَّساً، ولكنْ أدهشها أنَّها اضطُرَّت أن تُبقيَه في بيتها حتى صرتُ في الرابعة والعشرين وباشرتُ دراستي اللاهوتيَّة. وهكذا كان اهتمامي بمعرفة المزيد عن الكتاب المقدَّس ناشئاً من الفُضول أكثر من كونه ناجماً عن الضرورة.

رُسِمتُ كاهناً في الرابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٥٧. وفي الثامن عشر من ذلك الشهر عينه احتفلتُ بقُدّاسي الأوَّل في مسقط رأسي. أمَّا كنيستي

الأبرشيَّة الأُولى، وقد فُزتُ بها في مُباراةٍ صريحة وأنا بعدُ طالبُ لاهوت، فكانت "لاهوريولا" في مدريد، وإيّاها تسلَّمتُ في الثالث والعشرين من آب (أُغسطس) ١٩٤٧، وظللتُ أخدمها حتى ١٩٥٩، حينَ اضطُررتُ إلى الاستقالة بسبب سوء صحَّة والديَّ، فعُيِّنتُ كاهناً مساعداً في كنيسةِ أبرشيَّةِ "كانيليخاس" بمدريد. وقدِ اصطحبتُ والديَّ وأُختي للإقامة معي في مركزي الجديد، حيث استقبلني بالترحاب كاهنُ الأبرشيَّة وأبناء الرعيَّة معاً. ولكنْ لم يكد يمضي نصفُ سنة حتَّى أخذت صداقتي لكاهن الأبرشيَّة تتدهور تدريجيّاً، بسبب موقفه الأُصوليِّ المحافظ من مضمون عظاتي، وإجراءِ الأسرار المقدَّسة، وطقوسِ القُدّاس، والتعبُّد للعذراء مريم والقدِّيسين.

لماذا كان عليَّ أن أعظ بما يريده كاهنُ الأبرشيَّة ومثلما يريد؟ ولماذا كان عليَّ أن أجلس للاصغاء إلى اعترافات التائبين قبل الاحتفال بالقُدَّاس، إن كان ذلك هو السبيل إلى مغفرة خطاياهم، ولو بدا غيرَ منطقيّ؟ ولماذا كان مسموحاً بالتعبُّد خصوصاً لمريم وللقدِّيسين خلال الاحتفال بالقدّاس؟ ولِـمَ استخدامُ اللاتينيَّة في إجراء القدَّاس وإقامة الأسرار المقدَّسة ما دام ابناء الرعيَّة لا يفهمونها؟

كنتُ في أثناء خدمتي في أبرشيَّتي الأولى، منذُ سنةٍ مضت، قد دأبتُ في استخدام الاسبانيَّة في أجزاء القدّاس كلِّها، كما في الجنائز والمعموديّات. وقد سرَّ ذلك معظم أبناء الرعيَّة إلى حدٍّ تضاعف معه بالتدريج حضورهم ومشاركتُهم في العبادة. ولكنْ ساءهم بعض الشيء أنّي وضعتُ بعض الصُّوَر في الخزانة فيما كانت بعض الإصلاحات اليسيرة تُجرى في بناء الكنيسة. وكان إزالة الصُّور المفاجئة واستخدام الاسبانيَّة في الليتورجيا إصلاحَين لم أستشرِ المطران بشأنهما. غير أنَّ تصرُّفاتٍ من هذا القبيل سبق أن لقيت تعليقاتٍ إيجابيَّة واستحساناً ملحوظاً.

أعودُ الآن إلى التعليقِ على خدمتي الكهنوتيَّة مساعداً في أبرشيَّة "كانيليخاس" بمدريد. فقد تبيَّن لي أنَّه هناك يتعيَّن عليَّ أن أكون حذراً في أفعالي

وأقوالي. ولكنْ بعد سنتين كلَّمتُ كاهن الأبرشيَّة بشأن خدمتي الراعويَّة السابقة. وفي أثناء المحادثة ساءلتُ نفسي لماذا لا أُطلعه على استخدامي الاسبانيَّة في جزء من الليتورجيا، وأُشدِّدُ على مكانة الكتاب المقدَّس واستخدامه في الوعظ، وعلى ما في التعبُّد للصُّور من ضررٍ يفوق النفع.

وبعد بضعة أشهر أعلمني كاهنُ الابرشيَّة أنَّنا بإذنٍ من المطران، سوف نستخدم الاسبانيَّة في كثيرٍ من الطقوس والأسرار، وأنَّ قسماً كبيراً من الصُّور والمذابح سوف يزول مع بدء تمديدات التدفئة المركزيَّة في الكنيسة. وذلك ما حدث تماماً، فأثار حفيظة كثيراتٍ من النساء "التقيّات".

ولكنْ كان ينبغي أن تظلَّ عظاتُ أيّام الأحد والمواعظُ الفصليَّة على ما هي عليه، من دون تغيير، مع أنَّني كنتُ أعتقد أنَّها ذاتُ منحىً أخلاقيٍّ مُبالَغٍ فيه، وتالياً ليست موافقة للكتاب المقدَّس تماماً. وسببُ ذلك أنَّ مواضيع المواعظ ومضامينها كان يختارها ويُفصِّلها جمهورٌ من الكهنة المحافظين، بهدف توحيد العظات في قداديس الأحد خصوصاً.

غير أنَّ هذا التنظيم ومُحتوى العظات ناقَضا صراحةً المعيارَ الذي سبق أن تبنيَّتُه. وما من شكٍّ في أنَّ صُلب معركتي الداخليَّة مع السلطة الاكليريكيَّة تمثَّل في هذين الأمرين بالذات. وقد بقيت تلك المعركة داخليَّة، إذ لم أستطعِ المجاهرة بها نظراً لكون كاهن أبرشيَّتي بعينه واحداً من المكلَّفين إعدادَ مواضيعِ العظات (وقد توقَّفت على صداقته سمعتي ومصلحة أبويَّ وأُختي معاً).

ومع ذلك، فقد تسنّى لي أن أصوغ الموضوعاتِ المقترحةَ من جديد، مُضفياً عليها توجُّهاً جديداً نحو المسيح. وسمع كاهن الأبرشيَّة بذلك فغضب غضباً شديداً وفاجأني بأنَّه سيحلُّ محلِّي على المنبر كُلَّما استطاع، ولو كنتُ أنا مَن يحتفل بالقُدّاس رسميّاً. وقد فعل ذلك في عدَّة مناسبات من ذاك اليوم فصاعداً.

في تلك الأيّام الصعبة من خدمتي الكهنوتيَّة، جعلتُ الكتاب المقدَّس كتاب وسادتي، ومضيتُ أبحث باجتهادٍ متزايد عن رسالة الخلاص الأبديَّة، الصادقة والصريحة، التي يحملها إليَّ وإلى العالم أجمع.

وذات يومٍ أجابني الربُّ عن جميع أسئلتي إذ أرشدني لأن أقرأ وأفهمَ الفصلَ الثالث من إنجيل يوحنّا. وهكذا عقدتُ العزم على أن أجعل محبَّة الله ووعوده وحدها قانوني وقوَّتي وسلطاني ومرآتي منذئذٍ فصاعداً. ولكنْ ألم تكُن هكذا لي في ما مضى؟ بَلى، ولكنَّها الآن غدت كذلك بطريقةٍ جديدة إذ ولدني الله ولادةً ثانيةً بكلمته وروحه: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنا ١٦:٣). وهكذا غدا الله أباً لي وصار ابنُه يسوع المسيح مخلِّصي الشخصيَّ الوحيد والكامل.

كان ذلك أمراً جديداً عليَّ بجملته. لقد حدث في قلبي تغييرٌ كبير، وشعرتُ كما لو كُنتُ ممثِّلاً أمام الناس، كأعمى يقود عُمياناً.

وفي صيف ١٩٦٤ طلبتُ إلى الربِّ أن يقول لي ماذا أفعل بحياتي، لأنَّني لم أعُد أستطيع البقاء في كنيسة روما الكاثوليكيَّة، ما دامت رئاستُها تُجبِرني على التبشير "بإنجيلٍ آخر" مغايرٍ لرسالة الخلاص بالنعمة والإيمان اللذين في يسوع المسيح وحدَه.

إنَّما متى وكيف أتمكَّنُ من ترك خدمتي الكهنوتيَّة؟ ومَن يُقدِّم الدعم الماديَّ لوالديَّ وأُختي؟ وهل ألقى عند المطران فهماً ودعماً يوم أتخلَّى عن منصبي بدافع الإيمان والضمير؟ وكيف يقبلُني البروتستانت الذين كنتُ أُفكِّر في استشارتهم؟

في ربيع ١٩٦٥ تنامى إليَّ خبرُ "رحيل" كاهنٍ –من مدريد أيضاً وقد كان رئيساً للمعهد الاكليريكيّ– ساعده قسِّيسٌ إنجيليٌّ على ترك كنيسة روما والسفر إلى الخارج لدرس اللاهوت في جامعة بروتستانتيَّة أوروبيَّة. وهكذا وجدتُ في

موقف زميلي ومُواطِني وفي تصميمه ضوءاً على السبيل الذي يُتيح لي أن أترك الكهنوت كي أتمكَّن من التعرُّف على نحوٍ أعمق بإنجيل "حريَّة أولاد الله".

لهذا الغرض اتَّصلتُ بالكنيسة الإنجيليَّة الألمانيَّة في "باسيو دي لا كاستيلاَّوا" بمدريد، فأعطَوني رقم تلفون القسِّيس "لويس رُونز بوفيدا". وحالَما أخبرتُه بأنَّني كاهنٌ أُعاني مشكلةَ ضميرٍ وإيمان، طلب إليَّ أن أوقف المخابرة، وأن نتَّفق على اللقاء في يومٍ ومكان معيَّنَين، لأنَّ هاتفه كان يُخضَع غالباً لمراقبة الشرطة. وهكذا كان.

إنَّما في أثناء ذلك شعرتُ كما لو أنَّ حياتي الروحيَّة والنفسيَّة آخِذةٌ في الانهيار، ما دمتُ -حسبَ تعريف كنيسة روما الكاثوليكيَّة- كنتُ أعيش دائماً في "خطيئة مميتة": لأنَّني شكَّكتُ في إيماني رسميّاً؛ ولأنَّني لم ألتمس مغفرة هذه الخطيَّة وغيرها بواسطة سرِّ التوبة والغفران؛ ولأنَّني بحثت عن الحقِّ الكتابيِّ في البروتستانتيَّة، وليس لدى مطراني وأساتذتي في اللاهوت؛ ولأنَّني رفضتُ الهرميَّة والسلطة الكاثوليكيَّين؛ ولأنَّني رفضت مرجعيَّة كنيستي في أمور الكتاب المقدَّس؛ ولأنَّه بدا أنَّ الاعتراف المسموع بالخطايا يسلب الله حقَّه وسلطانَه اللذين هما فقط في شخصه وفي أفعال ابنه يسوع المسيح؛ ولأنَّ الاحتفال بالقدّاس بدا لي إطاحةً لاستحقاقات المسيح على الصليب ... ولأن ... ولأن ...

أكانت هذه الأسبابُ كلُّها تعني إنهاءً لخدمتي الراعوية؟ لقد أعلمني الربُّ من خلال كلمته بأنَّها لم تكُن هكذا. ولكنَّ هذا "أرغمني" بالأحرى على مقاومته تعالى، ومقاومة عقليَّتي الكاثوليكيَّة، ومقاومة كبريائي المعاندة. وقد أثَّرت هذه المعركة الداخليَّة في صحَّتي ونَومي وأنتجت لديَّ مخاوف شتّى، كما أنَّها ألزمتني أن أتخلَّى عن كُلِّ شيء، لأتمتَّع بمحبَّة المسيح وبخلاصي الأبديِّ.

وعند نهاية نفق المعاناة والمخاوف، دعاني الربُّ يسوع كي أستجيب له كما استجاب الرسول بطرس ثالثَ مرَّة قربَ البُحَيرة، بعدما كُنتُ قد اتَّخذتُ

شعاري في الحياة، قبل رسامتي كاهناً، كلماتِ بطرس تلك بعينها: "يا ربّ، أنت تعلم كلَّ شيء: أنت تعرف أنّي أُحبُّك!" (يوحنّا ٢١:١٧).

إنّي مسرورٌ جدّاً باستخدام شهادتي لمادَّة هذا الكتاب لأُبيِّن كيف أخرجني الربُّ من ظلال الكثلكة وأتى بي إلى نور إنجيل النعمة: "لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم؛ هو عطيَّة الله، ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٢:٨و٩).

(الكاهن المولود ثانيةً: خُوان ت. سانْز)

من الديانة الميِّتة
إلى الحياة الجديدة في المسيح
شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"فِنسَنت أُوشاوغنيسِّي"

"إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة؛ الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكلُّ قد صار جديداً" (**٢**كورنثوس ٥:١٧).

وُلِدتُ وتربَّيتُ بمزرعة في "وِسْت ليمريك" بإيرلندا، وكانت ذكرياتُ طفولتي طيِّبة وسعيدة. فقد كنتُ الأصغرَ بين سبعة إخوة، أربعةِ صبيان وثلاث بنات، وكان لنا أقرباء كثيرون نزورهم ويزوروننا أيّام الأحد بعد القُدّاس. ولم يكن أحدٌ يُفوِّت قُدَّاساً تلكَ الأيّامَ في إيرلندا، إلاَّ بسبب المرض الشديد. فقد كانت تلك خطيئةً مُميتة تستحقُّ عقاب الجحيم، إن مات امرؤٌ قبل أن يعترف بها للكاهن ويحظى بمغفرته لها. وكان الكهنة يُوقَّرون كثيراً، بل يؤلَّهون. وقد قرَّرتُ أن أصير أنا أيضاً كاهناً.

واذكرُ أنَّني لما كنتُ صغيراً جدّاً كنتُ أنزل من السرير وأجثو كلَّ صباح لأتلو صلواتي الصباحيَّة التي تبدأ "بتقدمة الصباح" التي علَّمتني إيّاها أُمِّي ثُمَّ يتبعُها "أبانا والسلام". وما زلت أذكر "تقدمة الصباح" التي تُستَهلُّ بالقول: "يا يسوع، بقلبِ مريمَ الأقدس ..."؛ الأمرُ الذي عنى لي أنَّ عليَّ أن أقترب إلى يسوع بواسطَة مريم لأنْ لا طريق آخر. كذلك أيضاً لا تُبارِح ذاكرتي صورةُ الركوع في المطبخ كلَّ مساء لتلاوة صلاة السُّبحة مع العائلة، وأكثر ما أذكره أنَّ شرّابة السُّبحة كان أطول من السبحة نفسها. وكلُّ من كانت لديه مشكلةٌ في الجوار،

كان ينبغي أن يُصلَّى لأجله "السلام عليكِ" ثلاثَ مرَّات كُلَّ دفعة، وكذلك لأجل الأقرباء المتوفَّين أجمعين.

وهكذا قدَّمتُ طلب انتساب إلى كليَّة القدِّيس باتريك، وهي معهدٌ لاهوتيٌّ إرساليٌّ في "اثْرولْز" بمقاطعة "تِبَّاراري". فقُبِلتُ وباشرتُ سنواتِ دراسةِ اللاهوت الستَّ، ومنها سَنَتا فلسفة وأربع سنين من اللاهوت العقائديِّ واللاهوت الأدبيِّ، فضلاً عن القانون الكنسيّ وموضوعاتٍ أُخرى. لم ندرس كلمة الله دراسةً حقيقيَّة، بل ألمْنا إلماماً بدراساتٍ في الكتاب المقدَّس من دون تعمُّقٍ وتأثُّر. وكثيراً ما أتأسَّف لأنَّ أحداً لم يطلب إليَّ أن أدرس كلمة الله تلك السنوات السِّتّ. على كُلِّ حال، ما كانتِ الدراسةُ لتُفيدني على الأرجح إذ لم أكُن قد وُلِدتُ من جديد. فقد كان يُعوِزني الفهمُ آنذاك، إذ إنَّ عينَي بصيرتي لم تكُونا قد فُتِحتا على كلمة الله.

أخيراً حان يوم الرسامة الذي طالما انتظرتُه، في الخامس عشر من حزيران (يونيو) ١٩٥٣، فكان فرصةً لا تُنسى تَلَتها حفلةُ استقبال للأقرباء والأصدقاء. وقد استمرّ الاحتفال حتّى اليوم التالي الذي فيه أقمتُ قُدّاسي الأوَّل وحضره أغلب أبناء الأبرشيَّة للحصول على البركة الأولى من يد الكاهن الشاب.

وفي أعقاب عطلة دامت ثلاثة أشهر قضيتُها في مسقط رأسي، أبحرتُ إلى نيويورك بصحبة كهنةٍ آخرين رُسِموا حديثاً، قاصدين أماكنَ شتَّى في الولايات المتَّحدة الأميركيَّة. وكان مقرُّ خدمتي الأوَّل في كاتدرائيَّة مدينة "ساكرامنتو" بولاية "كاليفورنيا"، على مقربة من مبنى الكابيتول الضخم. فباشرتُ واجباتي الكهنوتيَّة بكثير من الحماسة والتكريس لعمل الخدمة، وأنا عازمٌ على القيام بأفضلِ ما أستطيع آمِلاً بأن أكون كاهناً مثاليّاً. وقد أُعطِيتُ غرفةً في الطبقة الثالثة من بيتِ الكهنة التابع للكاتدرائيَّة كان قد أخلاها توّاً رجلٌ يُعاني مشكلةً شائعة بين الكهنة الكاثوليك ألا وهي إدمانُ الكحول. فكان عليَّ أن أتوجَّه عدَّة مرَّات إلىمستوعَب القمامة في آخر الساحة للتخلُّص من جميع القناني الفارغة

التي وجدها في الأدراج والخزائن. وقد آلمني ذلك جدّاً لأنَّني كنتُ آنذاك داعيةً إلى الامتناع التام عن المسكر وعضواً في منظَّمة إيرلنديَّة مَعْنيَّة بذلك يتعارف المنتمون إليها بشكِّ دبُّوسٍ أحمر في ثيابهم، فإذا رأى الإيرلنديُّون شخصاً شاكّاً ذلك الدبُّوس لا يُقدِّمون له مشروباً كحوليّاً.

وأذكرُ أنَّني كنتُ أقضي في الكاتدرائيَّة ساعاتٍ طويلةً لعدم رغبتي في مغادرة كرسيِّ الاعتراف فيما الناسُ ما زالوا ينتظرون دورهم في رَتَلٍ طويل. ولكنْ حين كان ينتهي الوقت المحدَّد، لم يكُن يبدو أنَّ مغادرة غرفة الاعتراف يُزعج الكهنة الآخرين. وكانت نتيجة ذلك أنَّني تعوَّدتُ أن أتأخَّر عن المواعيد المضروبة حتَّى صرتُ أُضحوكةً عند الآخرين بسبب خدمتي للمتأخِّرين ولا سيَّما الأمريكيِّين المكسيكيِّين. فقد أعطاني الله محبَّةً خاصَّة لأولئك القوم البُسطاء المتواضعين، وهم بدَورِهم أحبُّوا "البادري"، أيِ الأبَ الكاهن، وكانوا يركعون ويلثمون يده. هذا الاختبار أثَّر فيَّ وجعلني أتَّضع فعلاً.

بعد الكاتدرائيَّة، ذهبتُ لأشغل منصباً شاغراً في أبرشيَّة أُخرى بالضَّواحي، حيث كان العاملون إيرلنديِّين. وكان كاهنُ الأبرشيَّة الجديد شبهَ عاجز يعاونه ثلاثةُ مُعاونين، لكنْ سرعان ما تبيَّن لي أنَّ القائم بعمل كاهن الأبرشيَّة فعلاً إنَّما كان هو أُختَ المونسنيور، وقد كانت ربَّة المنـــزل. فهي تفتح البابَ عندما يُقرَع، وتردُّ على المخابرات الهاتفيَّة، وتُحيل المتَّصلين على أخيها، سواءٌ طلبوه أو لم يطلبوه. وكان المطبخ وغرفة الطعام مُقفلَين دائماً، إلاَّ حينما تدعو ربَّةُ المنـــزل إلى تناول الطعام. حتّى إنَّها ذات مرَّة طردت واحداً من الكهنة المساعِدين إلىخارج "مطبخها" شاهرةً سكِّينَ حَفْر، فاضطرَّته إلى استعمال كرسيٍّ للتفادي من طعنة السكّين.

بقيتُ في ذلك المحيط خمسة أعوام فيما صحَّةُ الكاهن المُسنّ تزداد سوءاً. فأدَّى ذلك إلى تحمُّلي مسؤوليات الأبرشيَّة تدريجيّاً. وسواءٌ صدَّقتَ أو لم تُصدِّق،

كسبتُ ودَّ مدبِّرة المنـــزل وعطفها، فسارت الأمور حسناً طوال ما بقي لي من مُدَّةٍ هناك.

وسرعان ما علقتُ في دُوّامةِ ما أدعوه "هرطقة النشاط المفرِط"، الأمر الذي جعل حياتي الروحيَّة تتكبَّد العواقب. حافظتُ على قضاء وقتٍ في الصلاة قبل القُدّاس وبعده، وواظبتُ على تلاوة الصلوات اليوميَّة المفروضة على الكهنة. وكنتُ أُحضِّر عظاتي مساء السبت بناءً على التصميم الذي أعدَّته الأبرشيَّة. وقد تمتَّعتُ بالوعظ، بعدما تدربَّتُ على مخاطبة المشاعر في نطاق النفس. ولكنْ لم أتلقَّ أيَّ تدريب -كما لم تكُن لي أدنى فكرة- في كيفيَّة الخدمة بالروح أو التوجُّه إلى روح الإنسان. لقد جعلتُ الناس يشعرون شعوراً طيِّباً، وبذلك المقياس اعتُبِرتُ ناجحاً.

وإذ أستعيد ذكريات الماضي متأمِّلاً، أتذكَّر أمراً جرى بعد انقضاء خمس سنوات على مباشرتي لخدمتي الكهنوتيَّة. ذلك أنَّ الله حاول أن يتَّصل بي ويُرشدني بواسطة ولدٍ صغير، ولكنِّي لم أُلقِ بالاً إلى ما كان ذلك الولد يقوله لي. فقد كنتُ واقفاً أمام مبنى الكنيسة، وربَّما كنتُ أنتظر وصول موكب جنازة، وقدِ ارتديتُ الثوبَ المعدَّ لتلك المناسبة. ولم يكُن هناك سوى ولدٍ أسود صغير بدا أنَّه في الثالثة أو الرابعة من العمر. فمشى نحوي ودار حولي وهو يرمقني بعينيه الواسعتين. وأخيراً نطق فقال: "مَن أنت؟ أأنت واعظ؟" ثمَّ دار حولي ثانيةً، ونظر إلى عينيَّ مباشرةً، وقال: "أأنت مُخلَّص؟" لستُ أذكر ماذا كان جوابي له، أو ردُّ فعلي عليه؛ لعلَّهما تميَّزا بالشفقة أوِ التحامُل. فقد طرح عليَّ ذلك الولد الصغير أهمَّ سؤالٍ في الحياة، ولم تكن لي أدنى فكرة بمَ يتكلَّم. واضحٌ أنَّه كان يفهم معنى كون المرءِ مخلَّصاً، وقد استخدمه الله ليُحاولَ جذب انتباهي، ولكنْ بلا جدوى. ولو كنتُ أعلم آنذاك ما تبيَّن لي بعد اثنتي عشرة سنة لاحقة، لكنتُ اعترفتُ لذلك الولد -صادقاً- بأنَّني غيرُ مخلَّص. وقد صار عمري خمساً وأربعين قبل أن

أعرف معنى ما قاله لي ذلك الصغير، أي قبلَ أن أعرف معنى كون المرء مخلَّصاً أو مسيحيّاً مولوداً ثانيةً.

كنتُ قد طلبتُ نقلي، فإذا بي في منطقةٍ ريفيَّة زراعيَّة. وبُعيدَ ذلك استقبلتُ الراهبتين "إيفون" و"نون" في أبرشيَّتنا، في آب (أوغسطس) ١٩٦٨. ومنذ لحظة لقائنا، نشأتْ أُلفةٌ فوريَّة بيني وبين الأُخت إيفون، وكأنَّنا صديقان منذ زمن بعيد. وقد بقيت علاقتنا محصورةً في نطاق الخدمة، وراقنا كِلَينا أن نتحدَّث ونتبادل الرأي في موضوعات شتّى.

وذاتَ يومٍ، في سياق حديثٍ عن كتاب، قلتُ للراهبة إيفون: "يا أُختاه، ما رأيك في تأديتي لواجباتي في الخدمة الكهنوتيَّة؟ أرجو أن تصدقيني القول بِلا مجاملة ولا وَجَل!" وإذا بجوابها عن سؤالي يصعقني ويصدمني، إذ قالت: "يا أبتِ، أراك قائماً بكلِّ الأمور الصحيحة، وأسمعك قائلاً كلَّ الكلمات الصحيحة من المنبر، وأراك مؤدِّياً "دور الكاهن!" بكلمة أُخرى: رأتْ فيَّ تجسيداً لكاهن مثاليّ. ومع أنَّها لم تُدركْ كاملَ تأثير كلماتها، فقد كانت تلك نقطة التحوُّل في حياتي. فقد عنى لي قولُها لعبَ دورٍ على مسرح الحياة. أما قال شكسبير: "العالم كُلُّه مسرح"؟ مِن ثَمّ لم أعُد أُريد أن أكون كاهناً يؤدِّي دوره على مسرح الحياة، بل رغبتُ في الانكفاء عن المسرح بأسرعِ ما يمكن. وهكذا ابتدأت شهورُ معاناة طويلةٌ.

ثمَّ قرُب موعدُ آخر صفٍّ للراهبتين قبل عيد الميلاد، وكنتُ قد طلبتُ إلى الأخت إيفون أن تزوِّدني بجدول برامج السنة الجديدة. كان ذلك هو آخِر صفّ السنة ١٩٦٨، وهي لم تُعطِني بعدُ الجدولَ الذي طلبتُه. وإذا بها تبحث في حقيبة يدها عن شيء، ثمَّ تسحب ظرفاً وتناولني إيّاهُ قائلةً: "ما كان عليَّ حقاً أن أقوم بهذا. ولكنْ يحقُّ لك أن تعلم!" وقد وجدتُ في الظرف رسالةً مؤرَّخة في أيّار (مايو) ١٩٦٨ وهي موجَّهة إلى رئيس رهبانيَّتها "أخوات العائلة المقدَّسة". وفي الرسالة استقالتُها من الرهبنة. ولكنْ بما أنَّها قد نذرت نذورها لمدَّة سنة، فقد

عرضت أن تُكمِل تلك السنة إنْ كان تركُها لا يُسبِّب أيَّ إزعاج. بهذه الطريقة أُرسِلَت إلى جبل "شاسْتا" بدلاً من الدير الكبير في خليج "سان فرنسيسكو" حيث كانت مُلحقة. وإذ قرأتُ هذه الرسالةَ التي تعني أنَّها لن تعودَ إلى أبرشيَّتي بعد، أخذَتِ الدموع تنهمرُ على خدَّيَّ، فقالت لي: "ما خطبُك؟" فقلتُ، على ما أذكر: "لستُ أدري. لعلَّها صدمةُ الخبر!" ثمَّ بدأ الأولاد يتوافدون إلى غرفة الصفّ، فغادرتُ ذلك المكان تاركاً إيفون في مواجهة صفِّها. وكان ذلك آخِر عهدي بها بضعةَ أسابيع، إذ رحلت إلى الدَّير في جبل "شاسْتا" ثانيَ يوم.

كان عيدُ الميلاد ذاك موحشاً وباعثاً على الكآبة لِما تساقط فيه من ثلوجٍ سبَّبت مشاكل كثيرة. ولمّا كان البعد يبعث لواعج الشوق، فقد كان عليَّ أخيراً أن أعترف لِلّه ولنفسي بأنَّني وقعت في حُبِّ إيفون. ولكنْ كان واضحاً أنَّها لم تكُن تميلُ إلى تطوُّر تلك العلاقة نظراً لكوني كاهناً ولتقديرها الكبير لدعوتي. فهي لم تكُن تريد أن تغدو مسؤولةً أمام الله عن حَملي على ترك الكهنوت.

طال عذابي، وصرختُ كثيراً إلى الله، طالِباً إرشاده لي في الحياة: أعليَّ أن أترك الكهنوت أم لا؟ وهل أستطيع أن أُبدِّل دور التمثيل الذي نبَّهتني إليه إيفون؟ حاولتُ إرجاء قراري، فاستدعيتُ أفضلَ مُقيمٍ للرياضات الروحيَّة في محاولةٍ منِّي لإحداث نهضة روحيَّة في حياتي ولدى رعيَّتي. وأُقيمت الرياضة في أوّل أُسبوع من الصوم، إلاَّ أنَّني رأيتُ فيها "تمثيلاً" لدور عاقد الرياضات. فقد تردَّدَت أصداءُ الرسالة في الفراغ، إذ كانت خاوية وخالية من الإخلاص نحو الله. إذ كان لها "صورةُ التقوى"، أو مظهر التديُّن، على حدِّ ما يقوله بولس الرسول في **٢**تيموثاوس ٣:٥ "لهم صورة التقوى، ولكنَّهم منكرون قوَّتها؛ فأعرِضْ عن هؤلاء!" إذ ذاك اتخذت قراري وحزمتُ أمري. ثمَّ كتبتُ إلى إيفون أُخبرها بقراري النهائي الذي لا رجوع عنه. وعرضتُ عليها أن نتحدَّث في الأمر إذ نتغدَّى معاً، فوافقَت. وقد تغدَّينا معاً في مكانٍ لن أنساه، في "كونكورد إنْ" على مقربة من مسقط رأسها "ابْلازَنت هِلْ". واقنعتُها بأنَّني مغادرٌ الكهنوت بصرف

النظر عن تطوُّر علاقتنا. ثُمَّ شعرتُ بأنَّني مدفوعٌ لأن أقول لها: "يا إيفون، أنتِ تركتِ الدَّير بملء اختيارك، فلماذا لا أستطيع أنا أن أترك الكهنوت؟" وفجأةً أدركت ماذا كانت تفعل بي فقالت: "آسفة؛ أنا مُخطئة في محاولة ثَنيكَ عن قرارك. ولكنْ إنْ تركتَ، فعليك أن تفعل ذلك بمعزلٍ عنّي. عليك أن تعرف هل هذه مشيئة الله!"

ثمَّ كتبتُ إلى مطراني وأطلعتُه على قراري، وطلبتُ إليه إن يرفع لي التماساً إلى روما لعلَّها تسمح لي بمغادرة الكهنوت والتزوُّج في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وفي الأخير رُفع ذلك الالتماس إلى رئاسة الأساقفة في "سان فرنسيسكو"، وقد ضمَّنتُه خبرَ تدبيرِ كاهنٍ للحلول محلِّي في الأبرشيَّة مُدَّةَ شهرين بعد مغادرتي. ثمَّ توجَّهت إلى خليج "سان فرنسيسكو" ومعي حاجيّاتي القليلة في مقطورة صغيرة جرَّتْها سيّارةُ الأبرشيَّة. وتوقَّفت لأُقابل مطران أبرشيَّة "ساكرامنتو" وأوكِّد له أنِّي سأُعِدُّ الترتيبات اللازمة لإعادة سيّارة الأبرشيَّة إلى مكانها. إلاَّ أنَّه طلب منِّي دفتر السيّارة وكتب اسمي عليه، ثمَّ ردَّه إليَّ قائلاً: "مبروكةٌ لك هذه السيّارة. إنَّها مِلكُك الآن، وأنت تحتاج إليها." ولَسوف أذكرُ دائماً هذه البادرة الطيِّبة!

وصلتُ إلى "أوكلاند" حيث كان لإيفون شقَّةٌ قربَ بحيرة "ميرِّيتّ"، فشغلتُ تلك الشقَّة، وانتقلت هي إلى منـــزل والدها في "ابْلازَنْت هِلّ". وقد كان ذلك المكان وادِعاً وهادئاً، وكأنَّه مُنتجَعٌ باشَرْتُ فيه فترةَ نقاهة بعد الصدمة المريعة التي أعقبت قراري النهائيَّ. وطويتُ أيّامي أصلِّي لأجل وظيفة وأملأُ الطلبات، إلى أن أعطاني ذاتَ يومٍ صديقٌ يعمل في "قسم مراقبة آلاميدا" طلب وظيفة ورد إليه من مقاطعة "سيلوزا". فملأتُ ذلك الطلب وأرسلتُه بالبريد، واستُدعيتُ إلى مقابلة، وحصلتُ على الوظيفة.

تزوَّجْنا، أنا وإيفون، وانتقلنا إلى مدينة سيلوزا. وأخيراً حصلتُ على إعفاءٍ رسميّ، وباركَتِ الكنيسةُ الكاثوليكيَّة زواجنا. وقد حصلت إيفون على وظيفةٍ إداريَّة في جمعيَّة التعليم المسيحيِّ التابعة للأبرشيَّة. أرجو ألاَّ يفوتك أننا كُنّا

كاثوليكيِّين ملتزمَين، وقد عقدنا عزمَنا على أن نبقى كذلك. ولكنْ كُلَّما رجعنا إلى البيت من حضور القُدّاس، كُنّا نشعر باليبوسة والجفاف عطشاً وجوعاً إلى الحقِّ الألهيّ، إلى طعامٍ روحيٍّ نمضغه ونهضمه؛ إنَّما بدا لنا أنّنا لن نجده. وكان الله قد رزقنا وظيفتين ومنــــزلاً جميلاً ثُمَّ ابنةً عزيزةً سمَّيناها "كالي آن"، فنعمنا بالسعادة وغمر قلوبَنا العرفان بجميل الله من أجل جميع إحساناته إلينا. غير أنَّنا ظَلَلْنا نَنشد علاقةً بالله أمتن وأوفر معنىً.

وذات يومٍ حصلنا على كتابٍ عن رجُلٍ ولد ثانيةً بالروح القدس، فان ذلك جديداً علينا بجملته. وقد تضمَّنَ الكتاب شهادة ذلك الرجل بشأن حياته ولقائه مع الله. بعد مدَّة قصيرة تَلَت قراءتَنا لذلك الكتاب، دُعِينا لحضور اجتماعٍ قدَّمت فيه إحدى النِّساء شهادتها لقدرة الله على الخلاص ورَوَت كيف وُلِدت من جديد. وقد شعرتُ أنَّ الربَّ لمس قلبي وتحدَّث إليّ. وعندما أُلقِيَتِ الدَّعوة للتقدُّم إلى الأمام، احزُر من تقدَّم أولاً؟ صحيح، فِنسَنت وإيفون! وقد صلَّينا طالبَين أن يسود الربُّ على كلِّ ناحية من حياتنا، وفي الحال بدأنا نلمس الفرق. وأعتقد أنَّني في تلك اللحظة وُلِدتُ ثانيةً وحصلتُ على يقين الخلاص والسلام بمغفرة خطاياي. ثمَّ أصبح لحياة الصلاة عندنا معنىً وواقعٌ أوفرُ وأوفى. كما أنَّ الكتاب المقدَّس، كلمة الله الحيَّة، بدأ يتكلَّم إلينا وغدا أغنى معنىً إذ شرعْنا في دراسته وقراءته.

ثُمَّ باشرْنا حضور صفٍّ لدراسة الكتاب المقدَّس، وأخذنا نتعمَّق في كلمة الله أكثر فأكثر، فبدأنا نكتشف أنَّ كثيراً ممّا قد تعلَّمناه في الكثلكة لا يوافق كلمة الله. وخُلاصة القول أنَّ كنيسة روما الكاثوليكيَّة تُعلِّم بإنجيلِ أعمال (أي الخلاص بواسطة مجهودات الإنسان الشخصيَّة في سبيل الخير والصلاح وتأدية فروض التوبة، وكأنَّ الربَّ يسوع المسيح لم يؤدِّ عقوبة الخطيَّة بسفك دمه على صليب الجلجثة). والحالُ أنَّ أفسس ٢:٨و٩ توضحان بكلِّ جلاءٍ أنَّ الخلاص عطيَّة مجّانيَّة

من عند الله تُقبَل بالإيمان: "لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم؛ هو عطيَّة الله؛ ليس من أعمال، كيلا يفتخر أحد."

من ثَمَّ تأكَّدت لنا حاجةُ الكاثوليك لأنْ يفصلوا أنفسهم عن ضلال الكثلكة، مثلما فعلنا نحن. وقد بارك الربُّ يسوع حياتنا حقّاً ونحن نسعى في خدمته. و لم نكُن يوماً أسعدَ ممّا نحن الآن. كما أنَّ الربَّ باركَنا بإعطائنا ابنتَين جميلتين، وفتح أمامنا عدَّة أبواب لخدمة الكلمة والصلاة لأجل الناس.

صلاتُنا لأجل كلِّ مَن يقرأون هذه الشهادة أن يعرفوا الربَّ وقوَّة قيامته (فيلبِّي ٣:١٠). فلماذا لا تطلب الربَّ يسوع من كلِّ قلبك. هلاَّ تَقبلُ أنَّه هو وحده المخلِّص من دون سواه! لقد مات كي يتسنّى لك أن تحيا، كما تشهد كلمتُه بالذات: "... البارُّ من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله" (**١**بطرس ٣:١٨).

وختاماً، ها هُنا دُعاءٌ إيرلنديٌّ قديم لأجلك: "عسى أن يُسعِفَك الطريق على المسير، وأن تكون الريحُ وراء ظهرك دائماً، وأن تصلَ إلى السماء قبل زمنٍ طويلٍ من معرفة إبليس بأنّك قد مُتَّ!"

(الكاهن المولود ثانيةً: فِنسَنت أُوشاوغنيسِّي)

حرٌّ بالحقيقة

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"ألكسندر كارسُن"

"كلُّ الكتاب هو موحىً به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكــون إنسان الله كاملاً، متأهّباً لكلِّ عمل صالح" (**٢**تيموثاوس ٣:١٦و١٧).

على مدى سبع عشرة سنةً قضيتُها كاهناً كاثوليكيّاً (١٩٥٥-١٩٧٢)، ومنذ طفولتي حتى عمر الأربع والأربعين، كانت كنيسةُ روما الكاثوليكيَّة في نظري "عمود الحقّ" ومُرشِدتي المعصومة إلى الله. إلاَّ أنَّ "عمود الحقِّ" هذا، أي الكنيسة الكاثوليكيّة، لم يكن مبنيّاً فقط بكلمة الله المنــزَّهة عنِ الخطأ، بل أيضاً "بتقاليد" من صنع البشر بمعزلٍ عنِ الكلمة المقدَّسة. فقد اعتُبِرَت تلك التقاليد إعلاناتٍ من عند الله، لكنَّها في الواقع مُناقِضةٌ ومُعارِضة لتعاليم الكتاب المقدَّس الصريحة.

خلالَ القرن الأوَّل، في أيّام الرسل، كان يُكرَز بالحقِّ في شوارع أورشليم وأرباض هيكلها، بالكلمةِ التي صارت في ما بعد قِوامَ أسفار العهد الجديد. وفي الآية السابعة من الأصحاح السادس في سفر الأعمال شهادةً عن تلك الكرازة: "وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدّاً في أورشليم، وجمهورٌ كثير من الكهنة يُطيعون الإيمان". فأولئك الكهنة اليهود التابعون لنظام العهد القديم دفعوا كلفةً باهظة إذ تركوا كلَّ شيء ليتبعوا الربَّ يسوع. فإذ اخترق قلوبَهم الحقُّ، كلمةُ الله الأمضى "من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين" (عبرانيين ٤:١٢)، تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوه. وجميع الكهنة الكاثوليكيِّين السابقين الذين باتوا "يُطيعون

الإيمان" (أعمال الرسل ٦:٧) يستطيعون حتماً أن يؤكِّدوا حقَّ تلك الآية (أعمال ٦:٧)، من "ويكليف" و"هُس" و"لوثر" حتَّى يومنا هذا. ففي أوقاتٍ مختلفة وطُرق شتَّى، ما برح الله يستخدم كلمته المكتوبة ليُطلِق الناس، بمن فيهم الكهنة الكاثوليك، في سبيل الحريَّة! فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: "إنَّكم إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي؛ وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣١و٣٢). وإليكَ كيف حصل ذلك لي سنة ١٩٧٢، لمّا كنتُ كاهناً في كنيسة "القلب الأقدس" الكاثوليكيَّة بمدينة "رايغِلّ" بولاية "لويزيانا" الأميركيَّة.

لقد عُمِّدت طفلاً في الكنيسة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٨. ولمّا كان عمري سنةً وقليلاً، انتقلت عائلتي من ولاية نيويورك إلى "نيو مِلفورد" بولاية "كُنِّكيتاكت" حيث رُبِّيتُ على الإيمان الكاثوليكيّ. وقد نشأتُ مؤمناً تماماً بجميع المعتقدات والممارسات الكاثوليكيَّة، فباتت نظرتي إلى علاقتي بالكنيسة، وإلى الله تالياً، نظرةً جديَّة للغاية. وكانت مناولتي الأولى وتثبيتي حَدَثين مهمَّين جدّاً في نظري.

بعد دراستي الثانويَّة، التحقتُ بكليَّة "طَفْتْس" في "بوسطن" كي أتلقَّى الدروس التحضيريَّة للطبّ، آملاً أن أصبح ذات يومٍ طبيباً بشريّاً مثل عمِّي المحترم. ولكنْ بعد انتهاء السنة الثانية من تلك الدروس، رغبتُ حقّاً في أن أصير كاهناً. فقد شعرتُ بأنَّ مساعدة الناس روحيّاً خيرٌ من مساعدتهم صحيّاً.

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ باشرتُ دروس الكهنوت في معهد "القدِّيس يوحنّا" اللاهوتيّ في "ابْرايتُن" بولاية "مسَّاشُوسِتْس". ولَكم أحببتُ معهد اللاهوت! فقد كان كلُّ شيء هناك "طاهراً" و"مقدَّساً" جدّاً. إلاَّ أنَّني استعفيتُ عند نهاية أوَّل سنة لي في المعهد اللاهوتيّ، إذ شعرتُ بأنَّني لن أرتقي البتَّة إلى مستوى الكاهن المثاليّ، وقد ترسَّخ في اعتقادي آنذاك أنَّ الكهنوت هو أسمى دعوة يلبِّيها الشابّ. ومن ثَمّ التحقتُ بكليَّة بوسطن اليسوعيَّة، وكنت أخدم القدّاس كلَّ صباحٍ تقريباً في ديرٍ كاثوليكيٍّ هُناك.

في ذلك الحين، خلال خريف ١٩٤٩، خلَّصني الله بنعمته (وهذه هي الطريقة الوحيدة) مع أنَّني لم أكن أعرف الكثير عن الكتاب المقدَّس. فالربُّ يسوع يُخلِّص الخاطئ التائب وإن كان سالكاً في شيءٍ من الفوضى والظلام. ذلك أنَّني بلغتُ حدّاً انتابني فيه الشكُّ بشأن علاقتي بالله، وأردتُ أن أكون على يقينٍ من جهتها قبل كلِّ شيء آخر. فركعتُ ذات مساء أمام كرسيِّ الاعتراف، واعترفتُ بكلِّ خطيَّة في حياتي استطعتُ تذكُّرها. وفي اعترافي كنتُ دائماً أعترف بخطاياي لِلّه أوّلاً، وإن كان ذلك في حضور الكاهن الذي يُعطيني "التحليلة": "إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتّى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كلِّ إثـــم" (**١**يوحنا ١:٩). وبعدما عبَّرتُ عن توبتي، وبينما كان الكاهن ينطق بالتحليلة المعهودة، صرختُ إلى الله بكلِّ قلبي، قائلاً: "إلهي، إن غفرتَ لي كُلَّ خطاياي، أتَّخِذُك ربّاً على حياتي، وأخدمك طولَ عمري!" ثمَّ غادرتُ كرسيَّ الاعتراف ومشيتُ في جناح الكنيسة شاعراً بسلامٍ عظيم، نابضاً قلبي بعبارة "أبّا، أيُّها الآب!" إذ ذاك شعرتُ بأنَّ لي علاقةً بالله حقّاً! لم يحصل ذلك بسبب وجود كاهن وتحليلة طقسيَّة، بل بفضل حضور الربِّ يسوع المسيح، كاهِننا الأعلى العظيم الذي توسَّط لي وتشفَّع فيَّ، والذي شملني بنعمته ورحمته وحنانه: "الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته ... لأنَّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطيَّة الله؛ ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس ١:٧؛ ٢:٨و٩).

وفي السنة التالية التحقتُ من جديد بكليَّة اللاهوت لاستكمال الدروس الكهنوتيَّة، إذ كانت تلك هي أفضل طريقة عرفتُها حينئذٍ لخدمة الله، ثمَّ رُسِمتُ على يد الأُسقف "لورنس شيهان" مطران "ابْريدجبورت" بولاية "كونِّيكيتاكت"، في الثاني من شباط (فبراير) ١٩٥٥، وباشرت خدمتي كاهِناً علمانيّاً في أبرشيَّة "أَلِكْسندريا" بولاية "لويزيانا". إلاَّ أنَّ الغبطة والبهجة اللتين غمرتاني من جهة منصب خدمتي الفريد أخذتا تضعفان بعد بضع سنين، ومهما حاولتُ أن أقوم

بكلِّ شيء حسناً فقد كان الخواء وانعدام المعنى طاغيَين على تلك الطقوس كلِّها. وفي العام ١٩٧١، بعدَ بضعِ سنين من الصُّراخ إلى الله طلباً لاختبار أغنى معنىً، سُدَّ جوعي العظيم بحصولي على ملء الروح القدس الكليِّ القوَّة، على حدِّ ما ذُكِر في أعمال الرسل ١:٨ و٢:٤. فإذا بالربِّ يسوع والكلمة المقدَّسة يصيران واقعاً حيّاً بالنسبة إليَّ. وبفضل الروح القدس الذي يسكب كلمة الله في قلوبنا، أرشدني الربُّ إلى الحكم على لاهوت روما الكاثوليكيّ بمعيار الكتاب المقدَّس. وكنتُ في ما مضى أحكم دائماً على الكتاب المقدَّس بمعيار العقيدة واللاهوت الكاثوليكيَّين. فكان ذلك انعكاساً للمرجعيَّة ذاتِ السلطة في حياتي!

ومساءَ يومِ أحدٍ في تمّوز (يوليو) ١٩٧٢، بدأتُ أقرأ الرسالة إلى العبرانيين في كتاب العهد الجديد. هذه الرسالة تعظِّم المسيح وكهنوته وذبيحته على كلِّ ما في العهد القديم. وهذا بعضُ ماقرأتهُ: "الذي ليس له اضطرار كلَّ يوم، مثلُ رؤساء الكهنة، أن يُقدِّم ذبائح أوَّلاً عن خطايا نفسه، ثمَّ عن خطايا الشعب، لأنَّه فعل هذا مرَّة واحدة، إذ قدَّم نفسه" (٧:٢٧). أذهلتني هذه الآية، وأخذتُ أُحِسُّ انزعاجاً شديداً. فقد أدركتُ، أوّل مرَّة، أنَّ ذبيحة المسيح على الصليب كانت قرباناً واحِداً حاسماً، فعّالاً في ذاته لمصالحتي مع الله، شأني شأنُ التائبين المؤمنين في كلِّ عصر. إذذاك تبيَّن لي أنَّ "ذبيحة القُدّاس المقدَّسة"، التي أُقدِّمها ويُقدِّمها آلافُ الكهنة الكاثوليكيّين غيري كُلَّ يوم في جميع أنحاء العالم، هي مُغالطةٌ وأمرٌ في غير محلِّه. فما دام "القربان" الذي أُقدِّمُه كُلَّ يومٍ، بصفتي كاهناً، عديمَ المعنى فإنَّ "كهنوتي" الموجود بغَرض تقديم ذلك القربان هو أيضاً عديمُ المعنى والأساس. ثمَّ ما لبث إدراكي لهذا أن تثبَّتَ بكلِّ وضوحٍ فيما واصلتُ قراءة العبرانيِّين: "وأمّا هذا (المسيح) فبعدما قدَّم عن الخطايا **ذبيحةً واحدةً، جلس** إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتّى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه. لأنَّه **بقربانٍ واحد** قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين" (١٠:١٢-١٤). "وإنَّما حيث تكون مغفرة لهذه، لا يكون بعد قربانٌ عن الخطيَّة" (ع ١٨).

تلك الليلة فقدتِ الكنيسةُ الكاثوليكيَّة مصداقيَّتها عندي، إذ تُعلِّم ما هو مناقضٌ بوضوحٍ للكتاب المقدَّس، زاعمةً أنَّه حقٌّ. من ثَمَّ اخترتُ كلمة الله معياراً يبيِّن لي الحقّ، ولم أعُد أقبل "مُعلِّميَّة" كنيسة روما الكاثوليكيَّة، أي سلطتها التعليميَّة، باعتبارها مرجعي الحاسم. وفي رسالة استقالتي من الكنيسة الكاثوليكيَّة وخدمتها، صارحتُ المطران بأنَّني مُغادِرٌ الكهنوتَ لأنَّه لم يعُد باستطاعتي إجراء القُدّاس "بذبيحته" المناقضة لكلمة الله ولضميري. كان ذلك سنة ١٩٧٢. ولم يمضِ طويلُ وقتٍ حتّى تعمَّدتُ بالتغطيس، وباشرتُ دراسة الكتاب المقدَّس، ورُسِمتُ لخدمة الإنجيل. وعلى مدى عشرين سنةً ما برحتُ أسلك في الحريَّة التي تكلَّم بها الربُّ يسوع إذ قال: "إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي؛ وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣١و٣٢)؛ وأيضاً: "إن حرَّركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً" (ع ٣٦).

(الكاهن المولود ثانيةً: ألكسندر كارسُن)

"ما كنتُ قطُّ
أكبرَ سنّاً من أن أعتنق الحقَّ
وأتخلَّى عن الضلال"

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"أنطوان بايلي"

(في أثناء خدمةٍ كنسيَّة أُقيمت في الكنيسة الإنجيليَّة المصلحة المستقلَّة في "تولوز" يوم السابع من تشرين الأول -أكتوبر- ١٩٩٠)

"أبتهج وأفرح برحمتك، لأنَّك نظرت إلى مذلَّتي، وعرفتَ في الشدائد نفسي، ولم تحبسني في يد العدوّ، بل أقمتَ في الرُّحب رجلي" (المزمور ٣١:٧-٩).

أرى في دعوتكم العاجلة لي إلى مخاطبتكم بادرةَ إيمانٍ مؤثِّرة. فمنذ ثمانية أيّامٍ فقط نزلتُ من على المنبر بصفتي كاهناً في كنيسة روما الكاثوليكيَّة.أتُريدون شهادتي؟ أجل، كيف يمكنني أن أروي لكم ما حصل لي وكيف انقلبت حياتي رأساً على عقب؟ وأنَّى لي أن أفيَ كلمة الله كما يليق بها؟ وكيف يتأتَّى لي، من خلال هذه الكلمة بواسطة الإيمان، أن أكتشف إرشاد الربّ؟ أعتقد أنَّ في قصَّة إبراهيم ما يُلقي ضوءاً عارماً على حالتي.

تعرفون أنَّ إبراهيم كان مقيماً في أور الكلدانيِّين، أي العراق حاليّاً. وكان ما يزال شابّاً لمّا سمع فجأةً صوتَ الإله، الذي كان مجهولاً حتّى ذلك الحين، داعياً إيّاه، فلم يستطع أن يُبديَ أيَّةَ مقاومة له، وقد تضمَّن وعداً فريداً: "اِذهب من

أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك، إلى الأرض التي أُريك، فأجعلك أُمَّةً عظيمة" (تكوين ١٢:١و٢). وأطاع إبراهيم، سائلاً نفسه هذا السؤال: "كيف أقلق وأنا بين يدي إله الوعد هذا؟ إن آلهة الآخرين الكثيرين جدّاً ليست صالحةً مثل هذا الإله الذي أعرفه! ألم يفرضِ الله نفسه عليَّ بصورةٍ ما استطعتُ مقاومتها قَطّ؟"

وقد خطَّط إبراهيم خُططاً، واتَّخذ مبادرات: "سأجعل القيِّم على بيتي، أليعازر الدمشقيَّ، وريثاً لي." إلاَّ أنَّ الربَّ قال له: "لا!" وقدَّمت سارة نصيحتها: "أُدخلْ على جاريتي لعلِّي أُرزق منها بنين" (تكوين ١٦:٢). ثمَّ تدخَّل الربُّ بينهما ثانيةً: "لا، ليس اسماعيل هو ابنَ الموعد، بل إسحاق!" وهكذا رأينا أنَّ إبراهيم، وإن كان قد بذل كلَّ جهدٍ لتحقيق خطط الله، دخل في صراعٍ مرَّةً بعد مرَّة مع إله الوعد هذا. فكان عليه أن يتعلَّم أنَّ كلَّ شيءٍ سوف يُرسَل إليه من قِبَل الله، ويَقضي به الله وقد وعده بتتميم وعده "في هذا الوقت، في السنة الآتية." قصَّةٌ يمكنكم أن تتتبَّعوها بأنفسكم.

سبق لي في حياتي القصيرة أن اختبرت طريق الربّ نفسه. فكانت لي دعوةٌ قويَّة وحاسمة؛ واكتشفتُ بلوغَ الإنسان نهايةَ حدِّه، حيث لا يعود يدري ماذا يفعل؛ وإعلانَ الله لنفسه من خلال أفعاله، حيث تأتي نتيجةُ هذه الأفعال فائقةً لكلِّ ما قد يتوقَّعه الإنسان.

قبل دعوة الربّ لي

منذ ثماني سنين تقريباً دخلَ أبرشيَّتنا شابٌّ كان قد انتقل إلى "تولوز". وكان شابّاً كرَّس حياته كليّاً للتبشير بالمسيح. فمن طريق اتِّصالي به، بدأتُ أرى، على رغم اجتهادي وتكريسي، أنَّني كنت مشغولاً ببنيان قطيع المسيح على أُسُسٍ من قَشّ. كنتُ أُعنى بإقامة واجهةِ بناءٍ قويَّة وجميلة المنظر، ولكنْ داخلَ تلك الكنيسة قلَّما وُجِد مَنِ اهتدى إلى المسيح حقّاً ويعرف دعوة الله العُليا. وتبيَّن لي

أنَّني أنا شخصيّاً لم أكُن مكرَّساً لملكوت الله، بل لملكوتي الخاصّ. إذ كنت أخدم لمجد مملكتي ورؤسائي من سلطات روما الكاثوليكيَّة.

هذا الاكتشافُ صدَّعني ومزَّقني، فتداعى بناء حياتي وانهار، بعدما عملت عشرين سنة في سبيل ما بدا لي فجأةً أنَّه عديم المعنى. تلك كانت نقطة الانطلاق في تحوُّلي إلى المسيح. ومنذ ذلك الحين واظبت على الوعظ عن ضرورة الولادة الجديدة، قائلاً: "لا يكفي أن تُعمَّدوا حتّى تخلصوا، بل ينبغي لكم شخصيّاً أن تهتدوا إلى المسيح وتضعوا ثقتكم فيه."

إلاَّ أنَّ ذلك لقي معارضةً هائلة، حتّى رُفِعت شكوى عليَّ إلى المطران، فطلب الأخير إليَّ أن أستقيل حفظاً للسلام في الأبرشيَّة، ويُستحسَن لو أُغادر البلد كلّه. ولكنْ أين أذهب؟

كنتُ قد عرفتُ بأمر "الكنيسة الإنجيليَّة المُصلَحة المستقلَّة" من خلال احتكاكاتي الكنسيَّة، ولكن ... هل أذهب إلى تلك الكنيسة؟ لم يبدُ لي عمليّاً. مع ذلك لاح في الأُفق بصيصُ نور جديد. فذات مساء من شتاء ١٩٧٨، سمعتُ عظةً ألقاها الدكتور لوران (التابع لجماعات الله). وقد تكلَّم أمام حشدٍ من الشباب بينهم خمسةٌ أو ستَّة من جماعته. هذا الواعظ كرز بيسوع المسيح على أنَّه مُخلِّص الخطاة الوحيد. وقد شهد أيضاً لعمل الله في حياته، ذاكراً أنَّه قبلَ نحوِ ثلاثين سنة انتشله الربُّ من حمأة الخطيَّة التي كان يتخبَّط فيها.

مضيتُ قُدماً وفرحٌ عظيم يغمرني. لقد رأيتُ شخصاً متَّكلاً على المسيح كليّاً، وأنا قد تخلَّيتُ عن الكثير أيضاً منذ اهتدائي إلى المسيح.

وبعد بضعة أسابيع سمعتُ الدكتور "أوجين بُوَييه" في الكنيسة "بسالان"، خلال أُسبوع الصلاة لأجل وحدة المسيحيِّين. ومرَّةً أُخرى لاحظتُ أنَّ هذا الواعظ أيضاً يعيش إيمانه في المسيح وحده. هذه المرَّةَ أيضاً اختبرتُ ذلك الفرح عينه. وعندئذٍ عقدتُ العزم على الاتِّصال بهذا الواعظ. وقد استقبلني بالترحاب، وقدَّم إليَّ "اعترافات دي لا روشيل" و"اعترافات البروفسور كورتيال" و"خلاصة

هايدلبرغ للتعليم المسيحيّ"، فزوَّدني بزادٍ روحيٍّ يُشبع الروح والقلب. كذلك عرَّفني بالمعهد اللاهوتيّ في "آيْ أُن ابْروفُنس" إلاّ أنَّه لم يرغمني على اتّخاذ أيِّ قرار.

لم يُدهَش الأخ أُوجين لمّا أخبرتُه بمسيرتي داخل كنيسة روما الكاثوليكيَّة. فقد سبق أن عرف كلَّ ما يحيط بهذه الصراعات من خلال "اعترافات" الكهنة الذين قابلهم.

"إذهب إلى الأرض التي أُريك." تلك الأرض قد سبق الله فعيَّنها لي. وهي "الكنيسة الإنجيليَّة المُصلَحة المستقلَّة". ولكنْ كيف أخطو إلى داخلها؟ إذذاك ارتفعت أمامي أسوار أريحا، فبدت لي صعوباتٌ لا تكاد تُقهَر، منها تقدُّمي في السنّ، ووضعي المادِّيّ، وحقيقةُ كوني قدِ اعتدتُ ممارسة دوري ككاهنٍ رعيَّة، ورغبتي في البقاء بتولوز، والوضع الجديد الذي سأكون فيه.

وهكذا كوَّمتُ أنا نفسي الصعوبات أمام اللجنة التي كانت ستبتُّ في قبولي خادماً رسميّاً، وكان على تلك اللجنة أيضاً أن تستمزج رأي الكنيسة ذات العلاقة رغماً عن كلِّ شيء آخر. فقد شعرتُ بأنَّ جواب طلبي سيكون سلبيّاً، فعمدتُ إلى سحبه. وكان في ذلك خيبةٌ كبيرة لي، ولكنْ كنتُ واثقاً بسلامة حُكم الخدّام الذين يشكِّلون تلك اللجنة. فقولهم "لا" كان يعني لي "لا" من عند الربّ ("آنذاك لم أفكِّر في مغامرة الإيمان" التي عاشها إبراهيم).

بشأنِ انسحابي، عقدتُ العزم آنئذٍ على انتظار الحصول على ملء الحرّيَّة للاتِّصال بالكنيسة الإنجيليَّة المُصلَحة المستقلَّة. ولكنْ عندئذٍ أيضاً قال الربُّ "لا" وأفهمني أنَّ عليَّ الإقدامَ من دون تلكُّؤ. ففي ذلك الحين دعا الربُّ شخصاً آخر من بلدٍ آخر، هو الدكتور "هِيغَر"، وهو كاهنٌ مولودٌ ثانيةً أسَّس منظَّمة تهدف إلى مساعدة الكهنة الذين يرغبون، بدافعٍ من الضمير، في مغادرة كنيستهم. فإنَّ رئيس اللجنة كان قد اتَّصل به، ولكنْ بدا في أوَّل الأمر أنَّ أيَّ حلٍّ لن يأتي من قِبَله. وقرَّرتُ في الرابع عشر من تمّوز (يوليو) أن أذهب في عطلةٍ إلى لندن حيث

أُقضي أُسبوعين عند بعض الأصدقاء. وإذ أزمعتُ على السفر، وجدت في صندوقي البريديّ رسالةً من الدكتور "هيغَر" تُفيدُني أنّه جاء أوّلاً إلى "تولوز" للبحث عنّي، لكنّه لم يوفَّق، وأنّه سيتولّى إقامة مؤتمر روحيّ بين ١٦و٢٠ تموز (يوليو) في لندن؛ ويُريد منّي أن أوافيَه إلى هناك. ولكنَّ العنوان الظاهر على الظرف الذي أرسله إليَّ الدكتور "هيغَر" كان غير واضح، ولم أستطع أن أقرأ منه إلاَّ الكلمتين "القاعة المركزيَّة" حيثُ سيُقام المؤتمر. ولكن لم أوفق إلى العثور عليه وإذ أعوزتني الشجاعة، وكنتُ منهكاً من جرّاء طول التفتيش، وأخفقتُ في تحديد المكان، أردتُ أن أتخلّى عن محاولة التقائه في أيِّ مكان. إلاَّ أنَّ أصدقائي ألحُّوا عليَّ بتكرار المحاولة غداً مرَّةً أُخرى.

عندئذٍ نجحت المحاولة. كان المكان في منطقة "القاعة المركزيَّة الميثوديَّة" قرب "مباني البرلمان" في وسط لندن. وقد سبق لي أمسِ أن سرتُ في تلك المنطقة حول مُنعطَفٍ آخر، ولم أتنبَّه إلى أنَّ "القاعة المركزيَّة" المُشار إليها هي بعينها "القاعة المركزيَّة الميثوديَّة".

كان اجتماعاً تميَّز بالمودَّة والترحاب. وبعد طولِ محادثة، قدَّم الدكتور هيغر اسمي إلى مجلس إدارة مؤسَّسته المدعوّة "في الزقاق المستقيم". وجاء ردُّهم في الحال: "يمكنك أن تنطلق حالاً. نحن نضمن تأمين مصروفك حتَّى قبولك رسميّاً."

ثمَّ اصطحبني الدكتور هيغر إلى أحد قادة المؤتمر. وهذا الرجل صلّى في خضمِّ زحمة الممشى، ثمَّ سحب من جيبه دفتر شيكات، وحرّر لي شيكاً يكفي لدفع نفقات سفري وإقامتي في لندن، وناولَني إيّاه. وقد أربكني هذا اللطفُ الزائد، فلم أُحِرْ كلاماً. حتّى الكلمةُ الإنكليزية الوحيدة التي فكَّرتُ فيها آنذاك فرَّت منّي.

من ثَمَّ واجهتني أُولى الصعاب عند اضطراري إلى التخلّي عن العضويَّة في "الكنيسة الإنجيليَّة المصلحة المستقلَّة". ثُمَّ توالت الأحداث بسرعةٍ كبيرة. فإذ عُدتُ إلى تولوز صرفتُ جُلَّ همّي ناحية العثور على شقَّة صغيرة تُناسِبني. حتَّى إذا

وجدتُ واحدةً، لقيتُ لدى المؤجِّرين تردُّداً لاعتقادهم بأنّي ربّما لا أتمكَّن من دفع بدل الإيجار في حينه. إلاَّ أنَّ شقيقةً لي، سبق أن آزرتْني لّما علمت بعزمي على مغادرة الكنيسة الكاثوليكيَّة، كفلتْني خطيّاً، بَرّاً بوعدها أن تكون إلى جانبي عند الحاجة. وهكذا تيسَّر لي استئجار تلك الشقَّة الصغيرة.

وفي غضون أُسبوعين أزال الربُّ كلَّ عقبة أساسيَّة اعترضت في طريقي. فما اعتقدناه مستحيلاً، أجراه بكلِّ يُسر.

كنتُ قد حدَّدتُ موعد مغادرتي للكنيسة الكاثوليكيَّة. ولكنَّ الربَّ استخدم حادثاً أفضى إلى كسر عظم رُكبتي، لعلّي أتعلَّم مرَّةً أُخرى أنَّه هو مَن يُقرِّر، لا أنا. لكأنَّه أراد أن يقول لي: "أوافقك على المغادرة، ولكنْ في اللحظة التي اعتبرُها أنا الفُضلى. استخدِمْ فترة النقاهة الضروريَّة بسبب ركبتك المجبَّرة بالجصّ، حتّى تدعَ سلامي يفيض في داخلك، وحتّى تسمح لخُلُقك بالنُّضج لبلوغ الروح الصحيحة من طريق الصلاة التي يجب ان تُرافق كلمتك الوداعيَّة التي ستُلقيها قريباً على رعيَّتك!"

كم كان صعباً أن تتحسَّن حالتي! وهكذا "سمح" الربُّ بإرجاء الموعد أُسبوعين. وقد قلتُ له إنَّني بعد ذلك، بساقٍ مجبَّرة أو بغير جصّ، سوف أخطو خارجاً. وحسُن في عيني الربّ أنَّني قرَّرتُ ذلك التغيير.

وللحيلولة دون مفاخرتي بنفسي، عليَّ أن أُضيف شيئاً بعد. فثمَّة خياران شككتُ فيهما وتعثَّرتُ قبلَ خطوتي المنشودة، عشيَّةَ الثلاثين من أيلول (سبتمبر) وأنا على بُعد بضعة أمتار من النقطة التي طالما أراد لي الربُّ أن أبلغها. وقد كان عليه آنذاك أن يقول لي: "يا قليل الإيمان، لماذا شككتَ؟" ولسوف يرى لزاماً أن يقول لي هذا مرَّةً بعد مرَّة!

"ربّاه! ما كان أعظم صبرك عليَّ! وكم أنقذتَني من براثن الشرِّ على صعيدَي الروح والجسد، منذ ولادتي حتّى الآن! ربِّ، أعلمُ أنّك تحبُّني، وأنا أختبر هذا دائماً، ولا سيَّما فيما تتقدَّم بي السنون، وفوقَ كلِّ شيءٍ في هذه الأيّام، إذ

تملأُني سلاماً وبهجةً عجيبين! فأستطيعُ أن أقول مع الرسول بولس" "إنِّي عالمٌ بمن آمنت".

"أمَا أتساءل: كيف يُمكِن، يا ربّ، ألاَّ أخذلك بنفاد صبري، سائلاً إيّاك: ماذا تريدُ منِّي أن أفعل؟ أيَّة خدمة تفوِّضُها إليَّ بعدُ، وأنا الآن في الرابعة والستين، في عمرٍ يتقاعد فيه الكثيرون؟ ربِّ، أرِني طريقك!"

(الكاهن المولود ثانيةً: أنطوان بايلي)

حتَّى أنا خلَّصني المسيح

شهادة شخصيَّة من الكاهن المولود ثانيةً

"خوسيه مانويل دي لِيون"

وُلِدتُ في "فِسكايا" باسْبانيا، في التاسع من نيسان (أبريل) ١٩٢٥. وفي الحادية عشرة من عمري، فقدتُ والدي بالحرب الأهليَّة. وحرمتني الظروف دفءَ حضن أُمِّي. إذ إنَّ بعض أعمامي، مُخلِصينَ لكنْ مخدوعين، وضعوا قدميَّ على درب الدراسة لأصير كاهناً. وفي الرابع والعشرين من أيلول ١٩٤٩، رُسِمتُ كاهناً. ومع أنِّي قضيتُ ثماني سنين في اسبانيا مُرشِداً للشبيبة، فقد كان يعوزني شخصيّاً السلامُ. فعلى الرُّغم من جميع نذور الفقر والعفَّة والطاعة، والصلوات والاعترافات الموصولة، لم أستطع حلَّ مشاكلي الروحيَّة وتسكينَ اضطرابِ نفسي.

وبوخزٍ من ضميري، راعيتُ القوانين والفروض العديدة، وتلقَّيتُ "الأسرار المقدَّسة" واحتفلتُ بالطقوس، غير أنِّي لم أكن أعرفُ المسيح بوصفه مخلِّصي الشخصيّ، كما لم أكُن راغباً أيضاً في قراءة كلمة الله. أضف إلى هذا أنَّني لم أستطع أن أُعلِّم ما لم أختبره، بطبيعة الحال. وما خطر في بالي قطُّ أن أُفكِّر بأنَّني كنتُ ممارِساً لخدمةٍ مناقضة للكتاب المقدّس.

في تلك الأثناء أُلحِقتُ بأبرشيَّة "سيِّدتنا العجائبيّة" في "روشا" "بالأوروغواي" في منصب كاهنٍ مُساعِد. وهناك، في أميركا اللاتينيّة، قضيتُ سنةً قائماً برسالتي في أمانة، ومع ذلك لم أجد علاجاً لاضطربي الداخليّ.

لم يكن قد سبق لي أن تكلَّمتُ مع مسيحيِّين إنجيليَّين (أو "بروتستانت" كما يُدعَون عادةً)، ولا رغبتُ في أن أصير واحداً منهم. غير أنَّ الله برحمته كان يهدي خُطاي. ففي أيلول ١٩٥٨ قابلتُ أُختين إنجيليَّتين جاءتا من "بونس آيرِس" خلَّفَت محادثتُهما في نفسي انطِباعاً طيِّباً. إذ صلَّتا إلى الله بملء الثقة وكانتا تعرفان الكتاب المقدَّس معرفةً شاملة؛ وسألتاني هل أنا مخلَّص. فأجبتُهما بأنِّي أرجو أن أخلص باستحقاقات المسيح وأعمالي الصالحة. عن هذا أجابَتاني: "فإذ قد تبرَّرْنا بالإيمان، لنا سلامٌ مع الله بربِّنا يسوع المسيح"، وأيضاً: "ودم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كلِّ خطيَّة." وكلُّ ما قالتاه واردٌ في كلمة الله المقدَّسة (أفسس ٢:٨؛ رومية ٥:١؛ ١يوحنا ١:٧). فاعترضتُ قائلاً: "إنَّ هذا مفهومٌ لدى الكنيسة بذبيحة القُدّاس اليوميَّة المقدَّمة عن خطايانا ولأجل مَوتانا." إذ ذاك أجابتني الأُختان: "لئن قالت الكنيسة الكاثوليكيَّة -وأنتم الكهنة- أُموراً كثيرة، فإنَّ الكتاب المقدَّس يؤكِّد لنا أنَّه "حيث تكونُ مغفرة لهذه الخطايا [الخطايا والتعدِّيات]، لا يكونُ بعد قربانٌ عن الخطيَّة" (عبرانيِّين ١٠:١٨).

ورأساً كتبتُ إلى أصدقاء لي في اسْبانيا وطلبتُ إليهم أن يُرسلوا إليَّ ترجمتين من ترجمات الكتاب المقدَّس، كاثوليكيَّة وإنجيليَّة. وما إن وصلَتاني حتَّى انصرفتُ إلى قراءتهما بنَهَم في معدَّل سبع ساعات أو ثمانٍ كلَّ يوم. فتأكَّد لي أن الكتابين هُما هما، إلاَّ أنَّهما يختلفان فقط في بعض الكلمات التي استخدمها المترجمون. وإذا بكلمة الله تبعثُ الثورة في روحي. وبعد ثلاثة أشهر من التلمذة في "مدرسة الله" الحقيقيَّة، سافرتُ إلى "بونس آيرِس" عازماً على التعرُّف "شخصيّاً" بالإنجيليين. هناك قضيتُ ثلاثة أيّام، حيثُ حضرتُ خدماتهم وتحدَّثت إليهم، فاقتنعتُ أنَّه لا يُمكِن أن يكون على ضلالٍ قومٌ كهؤلاء يتمتَّعون بفيضٍ من السلام والسعادة ويصلُّون إلى الله دائماً طالبينَ طَلِباتهم باسم الربِّ يسوع.

ولدى عودتي إلى "روشا" لم أستطع أن أتوقَّف عن الكرازة بكلمة الله للمؤمنين في أبرشيَّتي. فإزاء نصوص الإنجيل المقرَّرة لقداديس تلك الأيّام، كمَثَل الزارع وشفاء الأعمى في أريحا وتجربة الربِّ في البريَّة، وجدتُ الفرصة مؤاتية لحثِّ الرعيَّة على قراءة الأسفار المقدَّسة. لم أُهاجمْ أيَّ تعليم كاثوليكيّ، وقد وطَّنتُ نفسي على عدم مهاجمة الكنيسة الكاثوليكيَّة. على أنَّني بقيتُ آنذاك على اعتقادي أنَّني أبعدُ من أن أكون مخلَّصاً. ثمَّ إنَّ المصلحة الشخصيَّة ظلَّت تربطني بذلك النظام الطقسيّ.

ولكن بمناسبة الاحتفال بمرور سنة على وصولي إلى روشا، في الحادي والعشرين من شباط -فبراير- ١٩٥٩، كانت مفاجأتي شديدةً إذ قال لي كبيرُ الأساقفة إنَّني مطرودٌ من الأبرشيَّة ومُلزَمٌ أن أعود إلى اسْبانيا كسابق عهدي، بالنظر إلى الاتِّهامات بأنَّني كنتُ أعِظ وعظَ خادمٍ بروتستانتيّ!

ولو كنتُ قد وعظتُ ضدَّ العقيدة المسيحيَّة الصحيحة، لكنتُ أذعنتُ علناً بطيبة خاطر. إنَّما بمقتضى القانون الكنسيّ المعمول به، كان ينبغي إعلام الطرفِ المعنيِّ قبل فرض الرقابة الاكليريكيَّة. ولكنْ على الرغم من هذا القانون، عُطِّلَت تأديتي لواجباتي المعهودة. ومع أنَّ ضميري لم يشتكِ عليَّ امام الله، توجَّهتُ إلى "نُونْشيو"، طالباً أن أُقابل الأُسقف مرَّةً أُخرى. وقد وجدتُه أكثر مودَّةً بعضَ الشيء، ورأيتُ أنَّ عليَّ مغادرة "رُوشا". ثُمَّ بعد ثمانية أيّام قضيتُها في "خلوة روحيَّة" تسلَّمتُ وظيفة كاهن في "ريو ابْرانكو".

وقد أسهمت أيّام "الخلوة" تلك في زيادة معرفتي للكتاب المقدَّس. وكُلَّما استرسلتُ في القراءة تبيَّن لي أكثرَ أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة قد انحرفت كليّاً عن روح الإنجيل. وفي الكتاب "لماذا دخلتُ الكهنوت ولماذا تركتُه" بسطتُ بإسهابٍ الأسباب التي حملتني على مغادرة كنيسة روما الكاثوليكيَّة، واضعاً كلَّ شيءٍ في مكانه الصحيح. فالمسيح، وليس بطرس، هو صخرة الأساس للكنيسة. والكتاب

المقدَّس هو السُّلطة العليا، وليس التقاليد. أمّا مريم العذراء فهي أُمَّ المخلِّص وليست أُمَّ الله. أمّا القدِّيسون، فهـم مغبوطـون، لكنَّهم ليسوا وُسَطاء ولا شُفَعاء .. إلخ. ولاحظتُ أنَّه في الطبعة الكاثوليكيَّة التي عندي، نهى الله لا عن عبادة الصُّور فقط بل عن صنعها أيضاً، وذلك في الوصيَّة الثانية (التي أُسقِطت من "ملخَّص التعليم المسيحيّ"): "لا تصنع لك منحوتاً ولا صورةَ شيء ... لا تسجدْ لهنَّ ولا تعبدهنَّ ..." (خروج ٢٠:٤و٥).

وفي المساحة الضيِّقة المتاحة لي هنا، أعرض هذه الأسباب الثلاثة: يُعلِّم أساتذة الدِّين الكاثوليك **أوَّلاً** أنَّ الكاهن، ويُدعى "الأب"، يُقيمه الله ليُعلِّم ويُرشِد؛ **وثانياً** أنَّ عليك أن تعترف بالخطايا له كي يحلَّك منها؛ **وثالثاً** أنَّ المرء لا يمكن أن يحصل على الخلاص إلاَّ بواسطة الكاهن والكنيسة.

ولكنَّ الله، في كلمته المقدَّسة، يُعلِّم **أوَّلاً** أنَّه ينبغي لنا أن ندعو أيَّ إنسانٍ على الأرض أباً لنا، لأنَّ الله هو أبونا، والمسيح هو سيِّدنا ومعلِّمنا، والروح القدس يعلِّمنا ويُرشدنا إلى جميع الحقّ (متّى ٢٣:٩و١٠؛ يوحنّا ١٤:٢٦؛ ١٦:١٣)؛ **وثانياً** أنَّ الخطايا ينبغي أن يُعتَرف بها للربّ، وأنَّ ذلك وحده هو ما يطهِّرنا من كلِّ إثم (١يوحنّا ١:٨-١٠؛ إشعياء ٤٣:٢٦)؛ **وثالثاً** أنَّه ما خلا المسيحَ الذي مات على الصليب لأجل الخطاة ليس اسمٌ آخر أُعطي للناس به يُمكِن أن يخلصوا (أعمال الرسل ٤:١٢؛ ٥:٣١؛ عبرانيِّين ٧:٢٥).

وتالياً، فلعدم قُدرتي على الاستمرار في مقاومة الله، ومعاندة كلمته، ومعارضة ضميري، قرَّرتُ تسليم نفسي كليّاً في يديه متحرِّراً من كنيسة روما. وقد تمَّت غيرَ مرَّةٍ كلمةُ المسيح: "تعرفة الحقَّ، والحقُّ يحرِّركم" (يوحنّا ٨:٣٢). وأنا لم أفعل شيئاً يعدو إطاعةَ الإنذارِ المهيبِ الذي يرد في ختام الكتاب المقدَّس: "اخرُجوا منها يا شعبي، لئلاّ تشتركوا في خطاياها، ولئلاّ تأخذوا من ضرباتها" (رؤيا ١٨:٤).

أمّا الآن، فشأني شأنُ الرسول بولس، أكرز بالإنجيل "حسب الطريق الذي يقولون له: "شيعة" وإنّي "إذ حصلتُ على معونة من الله، بقيتُ إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير" منادياً –مع المسيح وبقوّته– "بنورٍ للشعب وللأُمم" (أعمال الرسل ٢٤:١٤؛ ٢٦:٢٢و٢٣).

(الكاهن المولود ثانيةً: خوسيه مانويل دي لِيون)

تذييـــل
هلِ الرهبانيَّة من صنع البشر؟

أن يحاول المرء تقديسَ نفسه، أوتطهيرها، بطريقته الخاصَّة، وليس بحسب كلمة الربّ، لَهُوَ أمرٌ يسميّه الكتابُ المقدَّس رجاسة أو نجاسة. بهذا يتعلَّق مغزى الاصحاح الأخير من سفر إشعياء النبي. والأمُر خَطِرٌ إلى أقصى حدّ، لأنَّه –بتعبير الكتاب المقدَّس– قد يعني أنَّ "مَن يُصعِد تقدمةً يُصعِد دم خنـــزير" (إشعياء ٦٦:٣). ومنذ أيّام "الإصلاح" يبدو أنَّ مسألة نَمَط حياة الترهُّب، بجملتها، لم تلقَ اهتماماً جدِّيّاً. وعليه، ففي هذا التذييل، لا أجرؤ على عدم الإجابة عن السؤال المهمّ: هلِ الحياةُ الملتزمة لنمط الترهُّب أمرٌ قرَّره الله؟ ومقصدي أن أقيس "حياة الترهُّب" بمعيارِ حقِّ كلمة الله، على حدِّ ما جاء أيضاً في سفر إشعياء:

"إلى الشريعة، وإلى الشهادة: إن لم يقولوا مثل هذا القول، فليس لهم فَجرٌ!" (إشعياء ٨:٢٠).

هل حياةُ الترهُّب أمرٌ قرَّره الله؟

لعلّك لاحظتَ، وأنت تقرأ هذا الكتاب، أنَّ كثيرين من هؤلاء الرجال، فضلاً عن كونهم كهنة، قد نشطوا في مجموعاتٍ رهبانيَّة شتَّى داخلَ كنيسةِ روما الكاثوليكيَّة. فقد تحدَّث "إنريك غارسيا" عن كونه كبُّوشيّاً، و"داريو سانتا ماريا" عن كونه دومنيكانيّاً، و"بوب بُش" عن كونه يسوعيّاً، و"بارت ابْرُوَر" عن كونه كرمليّاً. وهؤلاء الرجال لم يتخلَّوا عن كهنوت روما فحسب، بل أيضاً عن نظام الحياة الدينيَّة في كنيسة روما الكاثوليكيَّة. فمن الضروريِّ إذاً أن نفهم ماهيّة تعليم روما في نمط حياة الترهُّب مقارنةً بنور الحقِّ الكتابيِّ المقدَّس.

إنَّ كنيسة روما كثيرةُ الدقَّة والوضوح في تعليمها بشأن "نمط حياة الترهُّب". فقد جاء في وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني (رقم ٢٨) بصريح العبارة: "فضلاً عن إعطاء الكنيسة ختْم تقديسها لنمط حياة الترهُّب، وترفيعه تالياً إلى مرتبة الوضع الاكليركيّ الرسميّ، فهي تثبِّته ليتورجيّاً أيضاً باعتباره حالةَ تكريسٍ لله. وهي نفسُها، بفضل سلطتها التي أعطاها الله، تتقبَّل نذور الذين يعترفون علناً باتِّباعهم نمط الحياة هذا."

هنا يُطرَح سؤالٌ لا بُدَّ منه: هل يملك أيُّ كيانٍ عامٍّ سلطةً على إعطاء المصادقة الشرعيَّة لنمطٍ من أنماط الحياة الدينيَّة؟ وهل يحقُّ لأيِّ كِيانٍ عامٍّ أن يُثبِّت نمط حياةٍ مختلفاً عمَّا شرَّعه الربُّ الإله في كلمته المقدَّسة؟ الجواب هو "كلاّ" بكلِّ تأكيد! ففي نظر الله، ليس نمطُ حياة الترهُّب الذي أقامته روما هو تلك الحياةَ التي رتَّبها الله ورسم خطوطها بوضوحٍ في الأسفار المقدَّسة.

ثلاث مؤسَّسات رتَّبها الله

يمكننا أن نرى في الكتاب المقدَّس بكلِّ جلاء أنَّ الله رتَّب فقط ثلاث مؤسَّسات مختلفة، ألا وهي العائلة والكنيسة والدَّولة. أمّا العائلة فهي ذات أهمِّيَّة أولى وقُصوى، لأنَّها الأساس الذي عليه تقوم المؤسَّستان الأُخريان*.

ثمَّة نظامٌ في هذه المؤسسات الثلاث المُقامَة من الله. ولكُلٍّ منها دائرةُ حكومتها الشرعية. وعليه، فليس شرعيّاً ولا مشروعاً أن يُحاول الإنسان إقامة، مؤسَّسة تزعم أنَّها أفضل من أنماط الحياة التي حدَّدها الله. وهذا بالضباط ما قد فعلَته روما، وتجرَّأت على تسميته "طريقاً أوفى" مشوِّهةً بذلك ضمنيّاً سمعة حياة العائلة. بل إنَّ روما

*واضحٌ تماماً من متَّى ١٩:٤-٦ أنَّ العائلة مرتَّبة من الله. وهذا مؤكَّدٌ أيضاً في أفسس ٥:٢٢-٢٨، وكذلك في ١كورنثوس ١١:٣، حيث نرى الترتيب الإلهي بوضوح، ثُمَّ إنَّ الكنيسة قد أسَّسها الله أيضاً، ومهمَّتها أن تعبد الله وتخدمه بيسوع المسيح في الروح وفي الحقّ، وأن تُسهِم في المهمة الإلهيَّة بتلمذة جميع الأُمم. ومن الواجب أن تُنجِز هذا من طريق الكرازة الأمينة وتعليمِ كلِّ ما أعطاه الله لشعبه في الكتاب المقدَّس. وأخيراً، فالدولة المدنيَّة قائمة بترتيبٍ من الله. والحكّام المدنيُّون يمارسون سلطتهم الشرعيَّة تحت نظر الله (راجع: متَّى ٢٢:٢١؛ رومية ١٣:١و٢؛ ١بطرس ٢:١٣و١٤).

تستخدم أحياناً الكلمة "عائلة" في معرض تعليمها عن الحياة الدينيَّة، كالقول مثلاً: "إنَّ أعضاء هذه العائلات [الدينيَّة] ينعمون بمعوناتٍ شتَّى في سبيل قداسة الحياة؛ فإنَّ لديهم طريقةً للحياة المسيحيَّة ثابتةً وأرسخَ أساساً." وفي هذه النقطة تُخطئ خطيئةً فاضحة. فما من إنسانٍ يمكنه أن يُشرِّع مؤسَّسةً تزعم أنَّها "ثابتة وأرسخُ أساساً" مِمَّا قد رسمه الربُّ بمنتهى الوضوح.

ثمَّ إنَّ المفهوم الأساسيَّ، في بعض الأحيان، لا يقتصر على اعتبار "حياة الترهُّب" بمثابة "اتِّباع للمسيح عن كثب"، بل تُعرَض أيضاً فكرةٌ تعتبرها اتَّحاداً سريّاً بالمسيح. وقد ورد مَثلٌ على هذا التوكيد المضاعف في نصٍّ "حياة التكريس ودورها في الكنيسة وفي العالم":

"من جُملة أنماط حياة التكريس هذه رهبانيّة العذارى اللواتي يُصغين إلى الدعوة المقدَّسة لاتِّباع المسيح عن كثب فيُكرِّسُهنَّ لِلّه مطرانُ الأبرشيَّة بموجب الطقس الليتورجيِّ المعهود، وبالتالي يُخطَبن سريّاً للمسيح ابنِ الله، ويُنذَرن لخدمة الكنيسة."

فهُنا أيضاً لا يُمكن إلاَّ أن يكون "الاتِّباع عن كثب" مناقضاً كليّاً لِما قد رتَّبه الله في كلمته المكتوبة؛ في حين أنَّ الزَّعم الآخر القائل بأنَّ المنخرطات في "رهبانيَّة العذاري" "يُخطَبن سريّاً للمسيح" ما هو إلاَّ كذبةٌ بَلقاء. ففي الكتاب المقدَّس، يفرح الربّ بجميع المولودين من الروح كما يفرح العريس بعروسه: "لأنَّ بَعلك هو صانعك، ربُّ الجنود اسمه" (إشعياء ٥٤:٥). وتجاوُزُ ما قد رسمه الله نفسُه ما هو إلاَّ خطيَّة. فالتحذير الكتابيُّ صريحٌ جدّاً: "أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب!" (**١**كورنثوس ٤:٦).

نموذج غير شرعيّ

أنَّ كنيسة روما التي اعلن كرسيُّ سلطتها الأعلى أنَّه لا يُمكِن أن يُحكَم فيه من قِبَل أحد (القانون ١٤٠٤) تُحاوِل أن تسوِّغ نمط حياة الترهُّب الذي قد أقامته هي بتصريحها أنَّ النذور الثلاثة بالفقر والعفَّة والطاعة هي جزءٌ من تعليم المسيح وقُدوَتهِ بالذات، على حدِّ ما جاء في "القانون العام":

"ثُمَّ النذور الثلاثة بالفقر والعفَّة والطاعة هي جزءٌ من تعليم المسيح وقُدوَتهِ بالذات، على حدِّ ما جاء في "القانون العام":

"ثُمَّ إنَّ حالة الترهُّب تُشكِّل محاكاةً أوفى وتمثيلاً دائماً وواقعيّاً في الكنيسة لنمط الحياة الذي اتَّخده ابنُ الله لنفسه لمّا جاء إلى العالم ليعمل مشيئة الآب، والذي اقترحه على التلاميذ الذين تبعوه."

فلو كان ذلك كذلك، أي لو كان تعليم النذور هذا مؤسَّساً بالفعل على تعليم المسيح وقُدوَتهِ، لبقي جميعُ الرسل والتلاميذ عُزّاباً. ولكانت النساءُ اللواتي خدمْن الربَّ بَقينَ أعزاباً وعشْنَ في معتزَلٍ خاصّ. وبالمِثل، لكان هؤلاء الرجال والنساء، بعد قيامة الربّ، ما يزالون تحت نذر الطاعة العمياء للرُّسُل. وطبعاً، لم يكُن أيٌّ من هذه الأمور كما افترضْنا! بل إنَّ الكتاب المقدَّس يُعلِن بالحريِّ أنَّ جميع المؤمنين الحقيقيِّين هم "جنس مختار، وكهنوت ملوكي، أُمّة مقدَّسة، وشعبُ اقتناء" (١بطرس ٢:٩). أمّا عطيَّة العزوبيَّة فهي مُعطاة فقط لقليلين، واختيارُ المؤمن أن يعيش هكذا هو أمرٌ بينه وبين الربّ. كما أنَّ وقت حياة البتوليَّة وظروفها هي أيضاً بين الربِّ والمؤمن الفرد فقط: "من استطاع أن يقبل، فليقبل!" (متّى ١٩:١٢).

إذاً، على نقيض ما تُعلِنه روما باعتباره "نمط الحياة الذي اتَّخده ابن الله لنفسه"، لم يعش الربُّ يسوع في دير، ولا لَمَّح أيَّ تلميح إلى إقامته نمطَ حياةٍ كهذا. فما كان مهمّاً عند الربِّ أنَّ الأفراد يُقدَّسون بكلمة الحقِّ الكتابيَّة، وليس بمحاولة الفرار من العالم: "لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرِّير" (يوحنّا ١٧:١٥)؛ "قدِّسهم في حقّك؛ كلامك هو حقّ" (١٧:١٧).

إنَّ قانون روما الكنسيّ (١٩٨٣) مؤسَّس على وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني. وكما علَّم المجمع أنَّ حياة الرهبنة "ثابتة وأرسخ أساساً"، فكذلك يُعلِن التعليم الكاثوليكيُّ الرسميُّ (في القانون ٥٧٣، الفقرة الأولى) أنَّ "الحياة التي تُكرَّس بموجب الترهُّب حسب المشورة الإنجيليَّة هي نمط حياةٍ ثابتٌ به يتكرَّس كليّاً لِلّه المؤمنون التابعون للمسيح عن كثب بفعل الروح القدس."

أمّا وسيلة التكريس فتُحدَّد في الفقرة الثانية من القانون عينه: "إنَّ المسيحيين المؤمنين الذين يترهَّبون حسب المشورة الإنجيليَّة من جهة العفَّة والفقر والطاعة بواسطة النذور أو سواها من الالتزامات المقدَّسة ..."

فالتعبير "عن كثب" في الفقرة الأولى، يضع إذاً نُذور الزواج في مناقضةِ الحياة المكرَّسة التي هي اتِّباعٌ للمسيح عن كثب. هل أعلن الله هذا مرَّة؟ كلاَّ! فالسبب الذي يحمل الرجل على ترك أبيه وأُمِّه هو أن يلتصق بزوجته، حيث "يكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعدُ اثنين بل جسدٌ واحد" (متّى ١٩:٦).

في هذا السياق عينه يتكلَّم الربُّ عنِ الذين "خَصَوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات" (ع ١٢). فمن الجدير بالملاحظة في هذه الحالة أنْ لا ترخيصَ لمؤسَّسةٍ جديدة، بل بالأحرى الفردُ الذي يستطيع "أن يقبل فليقبل!" ففي ضوء استقرار الحياة العائليَّة التي وطَّدها الربّ، يُمكِن للفرد الذي خصَّه الله بعطيَّة العزوبيَّة أن يحاول العيش بمقتضى دعوته. والذي لم يقُله الربُّ هُنا هو هذا: "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمَّه ويلتحق بجماعة من العُزّاب الآخرين، ويكون نمط حياتهم موطّداً." فالربُّ يسوع لم يؤسِّس قطُّ أيَّ نمط حياةٍ من هذا النَّوع!

قد يحاول بعضٌ أن يُعَقلِنوا الأمر بقولهم إنَّ نمط الحياة هذا كان ينبغي أن يقوم على الصعيد الحضاريّ، وإنَّ الربَّ وافق عليه لاحقاً. على أنَّ نمط حياةٍ من هذا النوع كان موجوداً بالفعل حيثُ وجدت أدراج البحر الميت في قمران. فهُناك عاش الأسينيُّون عيشة رهبان في أيّام الربّ يسوع. ولو أراد الربُّ تأسيس حايةٍ رهبانيَّة، لفعل!

ولكنْ ما علَّم به الربُّ مراراً وتكراراً هو أن يُبَّوأَ المقام الأوَّل في كلِّ علاقةٍ من العلائق على الإطلاق: "من أحبَّ أباً أو أُمّاً أكثرَ منِّي فلا يستحقُّني ..." (متّى ١٠:٣٧).

وعليه، فإنَّ ترْك البيت أو الوالدين أو الإخوة أو الزوجة أو الأولاد، لأجل المسيح، هو أمرٌ يجب أن يفعله كلُّ مؤمن. فما من شيءٍ ولا شخصٍ ينبغي أن يغدو

أغلى من الربّ عند أيِّ مؤمن. أمّا أنَّ عيشةً كهذه لا تُنشئ بدورها بيتاً دينيًّا، ولا إخوةً دينيِّين، ولا أخواتٍ في دير، فأمرٌ واضحٌ تماماً من وعد الربّ للمؤمنين الذين هم في العالم الآن:

"إلاَّ ويأخذ مئة ضعفٍ، الآن في هذا الزمان، بيوتاً وإخوة وأخوات وأُمَّهات وأولاداً وحقولاً، مع اضطهادات ..." (مرقس ١٠:٣٠)

إنَّما العلائق بحدِّ ذاها تُعمَّق على نحوٍ أفضل، ومعها الاضطهادُ لأجل الربّ. هُنا أيضاً، كلمةُ الربِّ واضحةٌ ودقيقة: كسيفٍ ذي حدَّين. فلو كان في فكر الربّ بيوتُ رهبانيّاتٍ أو أُمَّهاتٌ رئيسات أو آباءٌ عامُّون، لقال شيئاً من ذلك في هذا السياق. والمئة ضعف التي يأخذها المؤمن هي من النسيج نفسه مِمَّا قد رتَّبه الله. فليس مِن تلميح إلى "نمطِ عيشٍ ثابتٍ" منفصل، ولا إلى "اتِّباع المسيح عن كثب". وأنْ نُشرِّع وجودَ مثل هذا النمط إنَّما يُعرِّض الزواج للخطر. أوليس من علاقة لهذا بتلك المشكلة الشائعة الآن بين كثيرين من "الرجال المتديِّنين"، كما يُدعَون، أعني بها "اشتهاء الغلمان"؟ أما قال الربّ: "فالذي جمعه الله لا يفرِّقْهُ إنسان!"؟

ثُمَّ إنَّ الترهُّب أو الانتِذار تُحدِّده روما في القانون ٦٥٤ كما يلي: "من طريق الانتذار يتعهَّد الأعضاء بواسطة النذر العلنيّ أن يُراعوا المشورات الإنجيليَّة الثلاث، ويُكرَّسون لِلّه من خلال خدمة الكنيسة، وينخرطون في المؤسَّسة الرهبانيَّة بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات يُحدِّدها القانون الرسميّ."

وبينما يُقال إن الأعضاء في الرهبانيّات "يُكرَّسون لِلّه" على هذا النحو، يتَّضح من القوانين الكنسيَّة المتعلِّقة بنمط الحياة الدينيّة أنَّ التكريس هو لكنيسة روما وليس لِلّه. ولو كان الأمرُ على خلاف هذا، فكيف يُمكن أن يُفسَّر القانون ٧٠١ تفسيراً مُغايراً؟ "إنَّ النذور والحقوق والواجبات المترتِّبة على الترهُّب يُبطِل مفعولها بالصَّرف المشروع ..." فإن كانت نذور المُتَرهِبن تكرِّسه لِلّه، فما من "صرفٍ مشروعٍ" مِن قِبَل البشر يُمكن أن يُبطِل مفعولها!

اجتذاب الشباب

يجتذبُ نظام روما الشبيبة لدخول "حالة الرهبنة". فهو يُعلِن في المجمع الفاتيكاني الثاني معلِّماً أن المسيح جعل حالة الرهبنة "نمط حياته الخاصّ أعلنها لتلاميذه". وبصريح العبارة، هذا القول كذبةٌ بَلقاء. فالمسيح يسوع عاش في العالم، لكنَّه لم يكُن من العالم. وكان طائعاً لأبيه طاعة مطلقة، مثلَما يُوصى المؤمن بأن يكون مطيعاً له ولكلمته: "خرافي تسمع صوتي." "من أحبَّني يحفظ كلامي."

غير أنَّ النذر الكاثوليكيَّ بالطاعة يأتي بمفهوم غريب عن كلمة الله. فقد جاء في القانون ٦٠١ أنَّ "المشورة الإنجيليَّة بالطاعة التي تُلتَزم بروح إيمانٍ ومحبَّة، على خُطى المسيح الذي أطاع حتّى الموت، تقتضي إخضاع الإرادة للرؤساء الشرعيِّين الذين يقومون مقام الله إذ يُصدِرون الأوامر بموجب الدساتير ذات الصِّلة."

وفي متَّى ٢٣ دان الربُّ الفرِّيسيِّين كليّاً إذ كانوا يتوجَّهون هذا التوجُّه حين طالبوا الناس بأن يدعوهم "أبي" أو سيِّدي". فلم يكن الربُّ بعيداً جدّاً عن هذا النظام فقط، بل إنَّه أيضاً دان الهيمنة التي يُفضي إليها. ومع أن الفرِّيسيين فرضوا أحمالاً على الناس، فإنَّهم لم يُقاربوا قطُّ التصريحَ بوجوب الخضوع "للرؤساء الشرعيِّين الذين يقومون مقام الله"! ولكنَّ في وثائق المجمع الفاتيكانيِّ الثاني هذا النصَّ الصريح: "بالمِثل، يُلزَم المترهبنون أن يُراعوا جميع هذه الفروض التي ترسمها المجامع الأُسقفيَّة قانونيّاً باعتبارها مُلزِمة للجميع."

كذلك يؤكِّد القانون الكنسيّ هذا المعيار نفسه: "يجوز إكراه المتديِّنين على أداء واجباتهم من طريق العقوبات التي يفرضها الرئيسُ المحلِّيُّ في جميع الأمور التي فيها يَخضعون له" (ق ١٣٢٠).

وهكذا تسعى كنيسة روما الكاثوليكيَّة إلى التحايُل على نذور الزواج إذ تُطالب بالوفاء بتعريفها الخاصّ للعفّة، وبذلك تُشرِّع العزوبيَّة بوصفها الحالة المطلوبة للمترهبنين. و"الكنيسة الأُمّ"، جزاءَ القَسَم بالتزام نذور الفقر المؤدّاة لها، تَعِد المترهِّب بالضمان الكُلِّي عل الصعيد المادّي. (في حالة الفقر هذه، كما يدعونها، لا يحقُّ للفرد أن يمتلك أيَّ شيء، ولكنْ باعتباره عضواً في رهبانيَّة يجوزُ له أن يحوز مقتنياتٍ مادِّيَّة!)

وفي هذا التحايُل محاولةٌ لوقف النضج الروحي لدى المرء كما يتبدَّى في اتِّكاله على الله ليس فقط لتأمين خبزه اليوميّ، بل أيضاً يصرف نظره أيضاً عن وجوبِ أنْ يحيا حقّاً "بكلِّ كلمة تخرج من فم الله" (متّى ٤:٤).

على هذا الحَوْك تتحوَّل الطاعة للربِّ، كما يوصي بها الكتاب المقدَّس، إلى طاعةٍ للرئيس المحلِّي الذي يُعتبَر حسب القانون الكاثوليكيّ من الذين "يقومون مقام الله". وفي النُّصوص الرسميَّة الصادرة عن الكنيسة بالذات يُمكِننا أن نرى هذا التحوير للمفاهيم الكتابيَّة المقدَّسة على نحوٍ يجعلها تقاليد من صنع البشر. هذه القوانين التي وضعها البشر، لإرغام قومٍ على الخضوع لمؤسَّسةٍ من صنع البشر، هي كلُّها مناقضة لِما يوصي به الربُّ عِبادَهُ:

"فاثبتوا إذاً في الحريَّة التي قد حرَّرنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبوديَّة" (غلاطيَّة ٥:١).

صورة الإغواء

يجب أن ترفد الدماءُ الجديدة نظامَ الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلِّ جيل. ولو سُمِح لكهنتها أن يتزوَّجوا، لكان أولادُهم، على أرجح تقدير، يتنبَّهون إلى خداعها. غير أنَّ الهدف الأساسيَّ في نظام روما الكنسيّ هو حماسة الشباب ومثاليَّتهم. ولا شكَّ في أنَّ هذا السبيل العريض لاكتساب المتَرهبِنين سوف يظلُّ محروساً من قِبَل النظام حراسةً مشدّدة. فضرورة حياة الترهُّب لأجل سيرورة نظام روما الكاثوليّ عظيمةٌ جدّاً بحيثُ يواظب ذلك النظام على إثارة شهيَّة شبيبتها بكلماتٍ مؤثِّرة للغاية، من قبيل ما يلي:

"إنَّ معنى الطاعة العميق يتبدّى في ملء هذا السرّ، سرِّ الموت والقيامة، الذي فيه يتحقَّق مصير الإنسان الفائقُ للمعتاد تحقُّقاً كاملاً. فإنَّما بالتضحية والألم والموت يُحرِزُ الإنسانُ الحياة الحقيقية فعلاً. وعليه، فمعنى ممارسة السلطة في وسط إخوتكم هو أن تكونوا خُدّاماً لهم، اقتداءً بمثال ذلك الذي بَذل نفسه فديةً عن كثيرين؛" (مقتَبسٌ من وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني، "الشهادة المسيحيَّة").

إنَّ عنوان جزء الوثيقة الذي أوردنا منه هذا الاقتباس هو "حثٌّ رسوليٌّ على تجديد حياة الترهُّب". وفي الواقع أنَّ كثيرين من الرجال المذكورين في هذا الكتاب قد اجتُذِبوا إلى الانخراط في الرهبنة بفضل ما أَلْفَوه من سحرٍ عاطفيٍّ أخّاذ في تعابيرَ مثل هذا: "فإنّما بالتضحية والألم والموت يبلغ الإنسان الحياةَ الحقيقيَّة فعلاً"! والواقع أنَّ الشيطان يُحوِّر دائماً المفاهيم الكتابيَّة المقدَّسة لتُوافِق رسالته الخاصَّة التي يعمل على نشرها، ألا وهي القولُ بأنّك تستطيع أن تخلِّص نفسك بنفسك.

هذه هي صورة الإغواء التي يُجتَذب بها الشباب في الوقت الحاضر. وقد كانتِ الرسالةُ عينُها شائعةً في الأزمنة الماضية: "لتكن عندك غيرة لتخليص نفسك والآخرين!" أمّا الفرق الوحيد بين هذه وتلك فهو في الكلمات التي صِيغت بها هذه الرسالةُ الخدّاعة. فمثلاً، في السنين التي أعقبت الحرب العالميَّة الثانية، كان بأيدي كثيرين منّا – نحنُ المذكورين في هذا الكتاب– المنشورُ البابويُّ العامُّ الذي أصدره البابا بيوس الثاني عشر في رسالته الشهيرة المُعَنوَنة "في جسد المسيح السرِّيّ". وقد جاء في الفقرة ٤٤ من تلك الوثيقة:

"إنَّه لَسِرٌّ عميق، وموضوعُ تأمُّلٍ لا يُستنفَد، أنَّ خلاص الكثيرين متوقِّفٌ على الصلوات والتكفيرات الطوعيَّة التي يقدِّمها أعضاء جسد المسيح السرّي لهذه الغاية."

في أوائل سني ترهُّبي، وانا في الثانية عشرة من العمر، أذكرُ أنَّ رئيس الأساقفة "فِنْبار ريان" جاء إلى الدير الذي كنتُ فيه. وبنبرةٍ دراميَّة حادَّةٍ كان مشهوراً بها، تكلّم عن كأس الآلام التي ينبغي أن تمتلئ، قال: "لقد طُعِن قلبُ مريم حتّى سال منه الدم، ثُمَّ قلبُ كلٍّ من يوسف ويهوذا والرُّسُل ودومنيك وفرنسيس والأكويني وكاثرين. وجميع هؤلاء تقطَّرت دماؤهم في هذه الكأس. والآنَ دورُكم أنتم!" وقد رفع بيده كأساً وهميَّة مرَّرها أمام أنظار المترهبِنين الذين ران عليه صمتٌ مهيب. وفي حديثٍ منفردٍ لاحقاً تكلَّم عن حماسة الشباب الهتلري قُبيَل نهاية الحرب، كما تحدَّث عن صرخةٍ "شِرشِليَّة" إلى بذل ما يتعدَّى الدَّم والعرَق والدَّمع، عن دعوةْ إلى التضحية بحياتنا، كما فعل المسيح لأجل خلاص النفوس.

أمَّا أنَّ النفوس يمكن أن تُخلَّص من طريق تكفيراتِ كائناتٍ بشريَّة فما برحت هي دعوى الشيطان في الديانات السريَّة والأديان الوثنيَّة. وهذه الرسالة تُرضي كبرياء الإنسان الروحيَّة، ولو في حياة الدير حيث لا يراك أحد. "تكونان كالله" (تكوين ٣:٥): تلك كانت رسالةَ كذبةِ الشيطان الأصليَّةِ، وهكذا تستمرُّ الفكرة عينُها على مدى الأجيال. "فإنَّما بالتضحية والألم والموت يُحرز الإنسانُ الحياة الحقيقيَّة فعلاً." إنَّ حيلة الشيطان التكتيكيَّة هي أن يستعمل دائماً أنصافَ حقائقَ تخدع كليّاً.

رسالة الكتاب المقدَّس الحقيقيَّة

إنَّ رسالة الكتاب المقدَّس هي أن نُدرك أن كلَّ إنسانٍ بالطبيعة يملك سجّلاً أسودَ وقلباً رديئاً، كما تُبيِّن الآيتان التاليتان: "إذِ الجميعُ أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣:٢٣)؛ "القلب أخدع من كلِّ شيء، وهو نجيس: مَن يعرفه؟" (إرميا ١٧:٩).

وقد أدّى الربُّ يسوع المسيح الفدية عن خطيَّة العالم: "بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين ١:٣).

ولم يتوقَّفِ الأمرُ على تأدية المسيح بالكامل للكفّارة التي يطلبها الله نظير الخطايا كلِّها، بل إنَّ كُلَّ من صار في المسيح يُحسَب له برُّ المسيح بالذات، على حدِّ ما هو مُبيَّن بجلاء تامٍّ في **٢**كورنثوس ٥:٢١ "لأنَّه جعل الذي لم يعرف خطيَّة، خطيَّةً لأجلنا، لنصير نحنُ برَّ الله فيه."

فالخلاص يأتي من طريق الإيمان بالمسيح وحده: "الآب يحبُّ الابن، وقد دفع كلَّ شيء في يده: الذي يؤمن بالابن له حياة أبديَّة، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنّا ٣:٣٥و٣٦).

ليتك تُدرك أنَّ كلَّ إنسانٍ بالطبيعة يملك سجّلاً سيِّئاً وقلباً رديئاً. فأمام الله، كلُّ إنسان مَيْتٌ بالذنوب والخطايا، وهو من ذاته لا يستطيع أن يفعل أيَّ شيء لاكتساب الخلاص. وليتك تعترف بأنَّ المسيح عوَّض عنك على الصليب، مرَّةً واحدة وإلى الأبد، إذ "حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة" (**١**بطرس٢:٢٤). وليتك

تصرخ إليه طالباً نعمته كي يُغيِّر قلبك فيمكنك أن تتَّكل عليه. عندئذٍ ينشئ فيك رغبةً في التوبة، وهكذا تولَد فيه ولادةً ثانية: "المولود من الجسد جسد هو؛ والمولود من الروح هو روح" (يوحنّا ٣:٦).

حياةُ الإيمان

ممّا يُشجِّع كثيراً أن ترى امرأً مثل "بوب بُش" الذي ترك حياة الرهبنة يتّكل على الربِّ حقّاً في شلله الكُلِّيِّ بعد عمليَّة جراحية في العمود الفقري أُجريت له قبل سنتين. فإنَّ السلام والفرح اللذين غمرا بُوب في أثناء محنته الشديدة تلك ليُبرهنان على الحياة الدينيَّة الحقيقيَّة كما يصفها الكتاب المقدَّس. والرجال المذكورون في هذا الكتاب، شأنهم شأنُ بُوب بُش، قد تركوا نمط حياة الترهُّب التي لا أساسَ لها في الكتاب المقدَّس لكي ينموا في قداسة الحياة فيمن هو الحياة: ربُّنا يسوع المسيح.

والذين هُم مخلَّصون بالنعمة حقّاً ويتّكلون فقط على برِّ يسوع المسيح، إلاَّ أنَّهم ما زالوا في سلك حياة الرهبنة، يمكنهم الآن أن يروا لماذا ترك الآلاف أديرتهم في زمن "الإصلاح". ولعلَّك تعرف مثلي القانون ٧٠٢: "إنَّ أولئك الذين تركوا شرعيّاً مؤسَّسةً رهبانيَّة، أوِ الذين طُردوا شرعيّاً من مؤسَّسة كهذه، لا يمكنهم أن يطلبوا منها أيَّ شيء لقاء أيِّ عملٍ أُدِّيَ فيها."

فمن داخل هذا النظام، يَبدو مستحيلاً التمكُّنُ من مواجهة المستقبل. وهذه هي النقطة التي تجعل هذه الشهادات لأمانة الربِّ ذاتَ قيمة مضاعفة. ذلك أنَّ أبانا السماوي يهتمُّ بكلِّ واحدٍ منّا. فهو يدعوك باسْمك، ثُمَّ يؤمِّن لك ما تحتاج إليه. وهو، الإلهُ القدير، أبونا المبارَك، يقول لك:

"لذلك اخرجوا من وسطهم، واعتزلوا -يقول الربّ- ولا تمسُّوا نجساً، فأقبلكم، وأكونَ لكم أباً، وأنتم تكونون لي بنينَ وبناتٍ -يقول الربُّ القادرُ على كل شيء" (**٢**كورنثوس ٦:١٧و١٨).